القانون الأخلاقي

في رسالة الحقوق

للامام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام

تأليف
قدرت الله مشايخي

ترجمة
كمال السيّد

بسم الله الرحمن الرحيم

مشايخى، قدرت الله، ١٣١٨ –
رسالة الحقوق، شرح.
حقوق از ديدگاه امام سجاد على بن الحسين زين العابدين عليه السلام: شرح رسالة الحقوق.عربى
القانون الاخلاقي في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليهما السلام/ قدرت الله
مشايخى؛ ترجمة كمال السيد.- قم: انصاريان، ١٣٩٠ = ١٤٣٢ق.
[٦٧٢]ص.

ISBN: 978-964-219-225-0

كتابنامه: ص٦٣٨-٦٤٣؛ همچنين بصورت زيرنويس. نمايه.
١. على بن الحسين(ع)، امام چهارم،٣٨-٩٤ق.رسالة الحقوق -- نقد وتفسير. ٢. احاديث
اخلاقي. الف. على بن الحسين (ع)، امام چهارم، ٣٨- ٩٤ق. رسالة الحقوق. شرح.
ب. السيد، كمال Seyyed, Kamal، ١٣٣٢ مترجم.
BP٢٤٨/ع٨ر٥٠٢١٧٣ ٢٩٧/٦٣
١٣٩٠ شماره كتابشناسى ملى: ٢٥٤٦١٨٧

القانون الأخلاقي

في رسالة الحقوق للإمام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

تأليف: الاستاذ قدرت الله مشايخي
ترجمة: كمال السيد
الناشر: مؤسسة أنصاريان للطباعة والنشر
الطبعة الاولى: ١٣٩٠-١٤٣٢-٢٠١١
المطبعة: افق
الكمية: ٢٠٠٠ نسخة
عدد الصفحات: ٦٧٢ ص
حجم الغلاف: كبير
رقم الإيداع الدولي: ٩٧٨-٩٦٤-٢١٩-٢٢٥-٠ (ISBN)



مؤسسة انصاريان للطباعة والنشر
جمهورية ايران الإسلامية
قم - شارع الشهداء – فرع ٢٢
ص.ب ١٨٧
هاتف :٧٧٤١٧٤٤ (٢٥١) (٩٨) فاكس: ٧٧٤٢٦٤٧
البريد الالكتروني: Int_ansarian@yahoo.com
www.ansariyan.org & www.ansariyan.ir

القانون الأخلاقي

في رسالة الحقوق

للامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام

(٣٨ـ٩٥ هـ)

تأليف

قدرت الله مشايخي

ترجمة

كمال السيّد

مدخل

بقلم المترجم

رسالة الحقوق ـ الواقع العربي والمثال

ظهرت هذه الرسالة التي تُعدّ أوّل اعلان عالمي لحقوق الانسان في ظروف عاصفة جداً ولم يكتب لها الإعلان من منبر حكومي أو رسمي، فظلّت إرثاً تتناقله الأجيال... أجيال المقهورين في الأرض العربيّة إلى يومنا هذا.

ولادة معافاة مبرّأة من كلّ ما يشوب الكلمة من أهواء ونرجسيّة، إنّها بحق أصداء لضمير الإنسان، ذلك القانون الأخلاقي المودَع في تكوين البشر.

مشاهد من السيرة الذاتيّة لصاحب الرسالة

المشهد الأوّل

كما تشير البوصلة إلى قطب الشمال. كان هناك شيء ما يتّجه من بعيد يشير إلى بقعة على شطآن الفرات... إلى منائر تنبعث من أعماق المياه... شيء يشبه الروح تفصح عنه الحوادث كما تفصح الأرض عن سرّ البذار.

مضى التاريخ يشعل الحوادث هنا وهناك. الخيول تهزّ الأرض و تثير الغبار.. تغير على المدن في العراقين وفي الحجاز.

فقد الإنسان العربي طمأنينته.. ورحل زمن السلام، وهاجرت الروح بعيداً.

وعند ما تغيب الروح، تنطفئ الجذوة المشتعلة التي تضيء للإنسان طريقة في الحياة.

بدت الكعبة ذلك العام كسفينة وسط أمواج بشريّة متدافعة.

تمتم «زين العابدين عليه السلام» بحزن:

ـ ما أكثر الضجيج وأقلّ الحجيج...

وقف سعيد بن المسيّب وسط حشود القرّاء ينتظرون رجلاً يدعوه الناس بألقاب؛ فإذا قيل «ذوالثفنات» أو «سيّد العابدين» أو «زين العابدين» أو «السجاد» أو «الزكي» أو «الأمين» فإن الأذهان تنصرف إلى شابّ في الثلاثين من عمره... عليه سيماء النبوّات وقد رسم الحزن لوحة في عينيه تموج فيها غيوم مخزونة بالمطر.

ـ ها هو قادم.

هتف أحد القرّاء وقد أشار إلى جهة تفضي منها قوافل الحجيج.

ورنت الأبصار إلى نبع الطمأنينة في دنيا كلّ ما فيها يدور بعنف.

تهفو له القلوب الحائرة وهي تبحث عن طريق في السماء بعد ما تشابهت عليهم السبل.

انطلق الركب باتّجاه الشمال إلى حيث هاجر محمّد من قبل؛ سفن الصحراء تطوي المسافات الزاخرة بالرمال. مالت الشمس نحو المغيب، وألقت السفن مراسيها، ليلتقط المسافرون أنفاسهم.

ثمّة شجيرات تحيط بغدير ماء؛ ومضارب لخيام بعيدة، ونسوة يحملن جرار

الماء ويتجهن صوب الخيام. غابت الشمس وراء كثبان الرمال؛ وبدت ذرى التلال متّقدة بضوء يفور حمرة.

شمّر «زين العابدين» عن مرفقيه وراحت مياه الوضوء تنثال على وجه مضيىء فتتساقط حبّاتها محدّثة نغماً هادئاً. اتّجه حفيد النبي بكلّ وجوده إلى البيت المعمور وكبّر للصلاة. بدا كتمثال منحوت بخشوع ما خلا نسمات كانت تحرّك ثيابه البيضاء برفق. خيّم صمت مهيب، لكأن روح الإنسان وهي تتّصل بسبب إلى السماء، تهيمن على كلّ ما حولها ومن حولها من شجر وحجر وآدميين.

هوى الكائن الأبيض ساجداً للحقيقة الوحيدة؛ كحمامة تبشّر بالسلام. انبعثت كلمات أخّاذة لكأنّها نهر يتدفّق من جنّات الفردوس، تنساب هادئة معبّرة تمسح على القلوب فتهبها السكينة وعلى الرمال فتغمرها خشوعاً وجلالاً.

النبع المتدفّق يسحر الكائنات بتسبيح الإنسان:

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَحَنَانَيْكَ؛

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَعَالَيْتَ؛

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْعِزُّ إِزَارُكَ؛

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْعَظَمَةُ رِدَاؤُكَ؛

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَالْكِبْرِيَاءُ سُلْطَانُكَ؛

سُبْحَانَكَ مِنْ عَظِيمٍ مَا أَعْظَمَكَ؛

سُبْحَانَكَ سُبِّحْتَ فِي الْأَعْلَى؛

سُبْحَانَكَ تَسْمَعُ وَتَرَى مَا تَحْتَ الثَّرَى؛

سُبْحَانَكَ أَنْتَ شَاهِدُ كُلِّ نَجْوَى؛

سُبْحَانَكَ مَوْضِعُ كُلِّ شَكْوَى؛

سُبْحَانَكَ حَاضِرُ كُلِّ مَلَإٍ؛

سُبْحَانَكَ عَظِيمُ الرَّجَاءِ؛

سُبْحَانَكَ تَرَى مَا فِي قَعْرِ الْمَاءِ؛

سُبْحَانَكَ تَسْمَعُ أَنْفَاسَ الْحِيتَانِ فِي قُعُورِ الْبِحَارِ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ السَّمَاوَاتِ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْأَرَضِينَ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الظُّلْمَةِ وَالنُّورِ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الْفَيْءِ وَالْهَوَاءِ؛

سُبْحَانَكَ تَعْلَمُ وَزْنَ الرِّيحِ كَمْ هِيَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ؛

سُبْحَانَكَ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ؛

سُبْحَانَكَ عَجَباً لِمَنْ عَرَفَكَ كَيْفَ لا يَخَافُكَ؛

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ؛

سُبْحَانَ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

أمر عجيب! ماذا حدث؟ ما هذا الدويّ الذي تردّده الكائنات لكأنّ صوت الإنسان قد فجّر في مكنوناتها الأسرار؛ كما تنفجر من الصخر ينابيع الحياة في لحظة تماس مع الغيب.

الأشواك وذرّات الرمال والشجيرات المتناثرة هنا هناك، تردّد بصوت يشبه

دويّ النحل في نخاريبها: سبحان الله... سبحان الله.

مرّت لحظات مشحونة سمع فيها أبناء آدم وقد عادوا من الحج الأكبر تسبيح الكائنات.

فغرّت الأفواه دهشة وانعقدت الألسن في اللحظة التي يلج فيها ابن آدم عالم الملكوت.

رفع الذي عنده علمُ الكتاب رأسه من الأرض والتفت إلى ابن المسيّب:

ـ أفزعت يا سعيد؟

أجاب سعيد وقد ثاب إلى رشده:

ـ نعم يا ابن رسول الله...

ـ هذا التسبيح الأعظم...

سكت هنيئة ثمّ أردف:

ـ حدّثني أبي عن جدّي عن رسول الله لا تبقى الذنوب مع هذا التسبيح، وأنّ الله جلّ جلاله لمّا خلق جبرئيل ألهمه هذا التسبيح وهو اسم الله الأكبر(١).

عادت الأشياء إلى طبيعتها وآب الإنسان إلى عالمه، حيث الأشجار صامتة وذرّات الرمال غافية منذ آلاف السنين؛ وبقي الإنسان يتذكّر لحظة قدسيّة، ولَجَ فيها الملكوت ثمّ عاد إلى طبيعته مرّة أخرى.

المشهد الثاني

ـ ألا تذهب إلى المسجد يا أبي؟!

قالت الصبيّة لأبيها الشيخ..

---

١. الصحيفة السجاديّة، رواية الزهري عن سعيد المسيّب.

تمتم ومياه الوضوء تتقاطر من وجهه:

ـ والله يا بنيتي إني لأخجل من نفسي..

ـ ولِمَ؟

ـ لقد رأيت في ظهيرة اليوم ما لم أره ولن أراه.

ـ وما رأيت يا أبه؟

ـ رأيت الحسن بن الحسن.

ـ السجين الذي انهالوا عليه بالسياط في مسجد النبي قبل شهرين؟

ـ أجل.. رأيته اليوم يقف على رأس ابن عمّه علي بن الحسين.. فشتمه وأسمعه سيء الكلام... والله لوَددْتُ أن أصفعه.

ـ وماذا حصل؟

ـ لا شيء أطرق «السجاد» ولم ينبس ببنت شفة إجلالاً لمسجد جدّه.

سكت الشيخ هنيهة واستأنف حديثه.

ـ فلمّا غادر الحسن المسجد، رفع علي رأسه ونظر إلينا، كنّا جميعاً ساكتين.. وعرف ما في قلوبنا من رغبة في أن نردّ له الصاع صاعين...

وفرحنا عند ما قال لنا: قد سمعتم ما قال الرجل وأنا أحبّ أن تنهضوا معي حتّى تسمعوا ردّي عليه.

فنهضنا معه وانطلقنا نحثّ الخطى إلى منزل الحسن وهتف «السجّاد» بابن عمّه فخرجت جارية تسأل عن الطارق فقال: قولي له علي بن الحسين. فخرج إلينا متوثباً، عيناه تقدحان شرّاً مستطيراً.

ـ وماذا حصل يا أبي؟

ـ أمرٌ عجيب يا بنيتي. لقد ورثوا مكارم الخُلق عن جدّهم.. لم يزد على أن قال له: يا أخي إنّك قد وقفت عليّ آنفاً وقلت وقلت.. فإنْ كان الذي قلته حقّاً، فأنا أستغفر الله منه، وإنْ كان باطلاً ما قلت، فغفر الله لك..

ـ يا لهذا الحلم! فماذا قال الحسن؟

ـ يا بنيتي رأيته يرتجف وقد سقطت العصا من يده وتصبّب جبينه عرقاً.. لكأنّ الأرض تهتزّ تحت قدميه.. ورأيته يبكي مثلما يبكي الأطفال.. ثمّ ألقى بنفسه على ابن عمّه وقال: أجل والله قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به.

قال السجّاد وهو يقبّله:

ـ أعرف إنّما دفعك إلى ذلك الحاجة.

وأخرج من جيبه صرّة فيها ألف دينار وناوله إيّاها وسمعته لما عدنا إلى المسجد يقول: ما تجرّعتُ جرعةً أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافئ بها صاحبها.

ظلّت الصبيّة مأخوذة بما تسمع. وتمتمت:

ـ هذه والله مواعظ الأنبياء!

راحت الفتاة تراقب والدها وهو يلج عالَم الصلاة، ويرفع كفين معروقتين إلى خالق السماوات والأرضين؛ الله ربّ العالمين.

ارتفعت طرقات على الباب.. وخفّت الفتاة لتعرف الزائر..

كانت النجوم قد اجتمعت في السماء؛ هتف الطارق:

ـ أنا علي بن الحسين.

صاح الشيخ في حجرته.

ـ واسوأتاه ظنّني مريضاً فجاء يعودني.

وانطلق الشيخ لاستقبال رجلٍ، ما على وجه الأرض شبيه له، ملأت رائحة الطيب فضاء البيت لكأن الربيع قد حلّ ضيفاً عندهم.

همس السجّاد وقد أضاءت ابتسامة وجهه الحزين:

ـ أقلقني غيابك أبا خالد.

لم يجد الشيخ ما يقوله، فنهض يقبّل جبين ضيفه العظيم.

ملأ رأسه من عبير النبوات، وهتف مأخوذاً.

ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته.

المشهد الثالث

قوافل الحجيج تنساب في بطون الأودية، لكأنّها تصغي إلى نداء إبراهيم؛ الكتل البشريّة تنطلق صوب أوّل بيت وضع للنّاس، وموسم هذا العام موسم زحام، بعد أن وضعت الحرب أوزارها ونسي الناس أوكادوا، ذكريات حزينة، أو دفنوها في أعماق القلوب.

وتعلو في الآفاق نداءات الحريّة للإنسان عند ما يعبد الله وحده وتهتف الحناجر الآدمية: **لبّيك اللّهمّ لبّيك.. لبّيك لا شريك لك لبّيك.. إنّ الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك...**

وتطفو الكعبة في بحر الأمواج البشريّة وهي ترفل بثياب الحج البيضاء كحمائم السلام. وهنا يدرك الإنسان أن لا إله إلّا الله.. لا ربّ سواه وأنّ الناس سواسية، لا فضل لعربي على أعجمي إلّا بالتقوى... فيصغي المرء إلى كلمات الله وهي تتدفق في قلب الإنسان: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ

شُعُوباً وَقَبائِلَ لِتَعارَفُوا إنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ ﴾[١] فتتهاوى الحواجز وتتلاشى الامتيازات وتتمزّق الحجُب، وإذا المسلم أخو المسلم حقّاً، وإذا القلوب تتطهّر من أدران الشرك.

كان هشام بن عبدالملك يطوف حول الكعبة، لا يكترث له أحد ولا يهابه إنسان، حوله رجاله من أهل الشام..

بذل هشام كلّ مابوسعه لاستلام الحجر الأسود، ولكن الأمواج البشريّة كانت تصدّه في كلّ مرّة فيرجع خائباً.

بان الحنق في عينه الحولاء.

ألقى بنفسه على كرسي في ناحية من الحرم وجلس ينظر، وينتظر انحسار الأمواج البشريّة؛ شعر بأنّه ليس شيئاً في هذا المكان، وبدا له الحجر الأسود بعيداً.. بعيداً جدّاً.

وأقبل رجل قد اجتاز الخمسين من السنين، وكان وجهه يضيء كقمر بين الغيوم... وحدث أمر عجيب. تناثرت أسئلة وارتسمت علامات استفهام. تساءل شامي وهو يتطلّع إلى رجل يرفل بحلّته البيضاء الناصعة نصاعة الثلوج في جبال الشام.

ـ من هذا الرجل الذي ينفرج له الناس كملك عظيم؟!

وهتف بأصحابه:

ـ أنظروا.. أنظروا.. إنّه يشقّ طريقه بيسر إلى الحجر الأسود.

قبّل الرجل ذو الوجه المضيء الحجر الأسود واستأنفت الأمواج البشريّة تدافعها من جديد.

---

١. سورة الحجرات: الآية ١٣.

التفت الشامي إلى خليفة المستقبل:

ـ من هذا؟!

ردّ الأحول بغيظ:

ـ لا أدري.

وحده القدر يفسّر مرور الشعراء في لحظات يتوقّف عندها التاريخ بإجلال.

هتف الفرزدق:

ـ ولكنّي أدري من هو.

تساءل الشامي بشوق:

ـ ومن هو يا أبا فراس؟

فأنشد:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلَم
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله ... بجدّه أنبياء الله قد خُتموا
إذا رأته قريشٌ قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
يكاد يمسكه عرفان راحته ... رُكن الحطيم إذا ما جاء يستلم
وليس قولك من هذا بضائره ... العرب تعرف من أنكرت والعجم

استشاط هشام حقداً.. وبدت عينه الحولاء تتراقص في محجرها. وتخطفت الجلاوزة شاعراً نطق روح القدس على لسانه.. وسيق الشاعر مخفوراً إلى السجن فهذا زمن مصنوع من خشب ونحاس.. زمن لا يعرف للكلمة حرمتها.. زمن غابت فيه الآيات وراء القضبان.

المشهد الرابع

كانت الرياح شتائيّة باردة والليل يغمر بظلمته المدينة. الأزقة مقفرة، وقد أوى الناس إلى النوم. ما خلا بيوت متواضعة؛ كان الضوء يرسل أشعته الواهنة من كوى صغيرة فيها؛ وخلف أبوابها كانت آذان تترقّب قدوم «صاحب الجراب».

تساءل ابن شهاب وهو يرى رجلاً يمرق في الظلام، كان الرجل ملثّماً ولكنّه عرفه، ولكن ما دعاه إلى الخروج في مثل هذه الساعة من الليل؟ كان ابن شهاب عائداً من قصر الوالي. هتف الزهري:

ـ يا ابن رسول الله! ما هذا؟!

عدّل «حامل الجراب» جرابه وأجاب:

ـ أريد سفراً وهذا زادي.

تعجّب ابن شهاب.

ـ دع غلامي يحمله عنك إذن.

رفض السجّاد وحاول الزهري أن يأخذ الكيس عنه.

ـ دعني أحمله أنا.. إنّه زادي وأنا أحقّ بحمله.. أسألك بحقّ الله أن تتركني وتمضي. وغاب «صاحب الجراب» في زقاق مليء بالليل والبرد.

عدّل من لثامه وطرق باباً صغيرةً ووضع شيئاً ثمّ مضى...

وتوقّف أمام بيت يكاد جداره أن ينهار. نقر على الباب وترك شيئاً على عتبته، ثمّ استأنف طريقه في الأزقة والبرد والظلام.

ومرّت ساعات عاد بعدها «صاحب الجراب» بلا جراب، وكانت النجوم تشتد بريقاً في السماء وقد انفتحت نوافذ الملكوت.

ولج السجّاد محرابه.. وتدفّق نبع من الصلاة فقد آن لقاء الحبيب مع محبوبه.. وانساب نهر من كلمات الإنسان وهو يشدو بحبّ بارئ الخليقة:

إلَهِي مَنْ ذَا الَّذِي ذَاقَ حَلاوَةَ مَحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلاً؛

وَمَنْ ذَا الَّذِي أنِسَ بِقُرْبِكَ فَابْتَغَى عَنْكَ حِوَلاً؛

إلَهِي فَاجْعَلْنَا مِمَّنِ اصْطَفَيْتَهُ لِقُرْبِكَ وَوَلايَتِكَ؛

وَأَخْلَصْتَهُ لِوُدِّكَ وَمَحَبَّتِكَ؛

وَشَوَّقْتَهُ إلَى لِقَائِكَ؛

وَرَضَّيْتَهُ بِقَضَائِكَ؛

وَمَنَحْتَهُ بِالنَّظَرِ إلَى وَجْهِكَ؛

وَحَبَوْتَهُ بِرِضَاكَ؛

وَأَعَذْتَهُ مِنْ هَجْرِكَ وَقِلاك؛

وَبَوَّأْتَهُ مَقْعَدَ الصِّدْقِ فِي جِوَارِكَ؛

وَخَصَصْتَهُ بِمَعْرِفَتِكَ؛

وَأَهَّلْتَهُ لِعِبَادَتِكَ؛

وَهَيَّمْتَهُ لِإرَادَتِكَ؛

وَاجْتَبَيْتَهُ لِمُشَاهَدَتِكَ؛

وَأَخْلَيْتَ وَجْهَهُ لَكَ؛

وَفَرَّغْتَ فُؤَادَهُ لِحُبِّكَ؛

وَرَغَّبْتَهُ فِيما عِنْدَكَ؛

وَأَلْهَمْتَهُ ذِكْرَكَ؛

وَأَوْزَعْتَهُ شُكْرَكَ؛

وَشَغَلْتَهُ بِطَاعَتِكَ وَصَيَّرْتَهُ مِنْ صَالِحِي بَرِيَّتِكَ؛

وَاخْتَرْتَهُ لِمُنَاجَاتِكَ؛

وَقَطَعْتَ عَنْهُ كُلَّ شَيْءٍ يَقْطَعُهُ عَنْكَ.

اللَّهُمَّ! اجْعَلْنَا مِمَّنْ دَأْبُهُمُ الارْتِيَاحُ إِلَيْكَ وَالْحَنِينُ؛

وَدَهْرُهُمُ الزَّفْرَةُ وَالأَنِينُ؛

جِبَاهُهُمْ سَاجِدَةٌ لِعَظَمَتِكَ؛

وَعُيُونُهُمْ سَاهِرَةٌ فِي خِدْمَتِكَ؛

وَدُمُوعُهُمْ سَائِلَةٌ مِنْ خَشْيَتِكَ؛

وَقُلُوبُهُمْ مُتَعَلِّقَةٌ بِمَحَبَّتِكَ؛

وَأَفْئِدَتُهُمْ مُنْخَلِعَةٌ مِنْ مَهَابَتِكَ؛

السماء تكتظّ بالنجوم وقد تكاثفت ظلمة الليل، فانطلقت استغاثة قلب الإنسان عند ما تنفتح أبواب الملكوت:

يَا مَنْ أَنْوَارُ قُدْسِهِ لِأَبْصَارِ مُحِبِّيهِ رَائِقَةٌ؛

وَسُبُحَاتُ وَجْهِهِ لِقُلُوبِ عَارِفِيهِ شَائِقَةٌ؛

يَا مُنَى قُلُوبِ الْمُشْتَاقِينَ؛

وَيَا غَايَةَ آمَالِ الْمُحِبِّينَ؛

أَسْأَلُكَ حُبَّكَ وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ؛

وَحُبَّ كُلِّ عَمَلٍ يُوصِلُنِي إِلَى قُرْبِكَ؛

وَأَنْ تَجْعَلَكَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا سِوَاكَ؛

وَأَنْ تَجْعَلَ حُبِّي إِيَّاكَ قَائِداً إِلَى رِضْوَانِكَ؛

وَشَوْقِي إِلَيْكَ ذَائِداً عَنْ عِصْيَانِكَ؛

وَامْنُنْ بِالنَّظَرِ إِلَيْكَ عَلَيَّ؛

وَانْظُرْ بِعَيْنِ الْوُدِّ وَالْعَطْفِ إِلَيَّ؛

وَلا تَصْرِفْ عَنِّي وَجْهَكَ؛

وَاجْعَلْنِي مِنْ أَهْلِ الْإِسْعَادِ وَالْحُظْوَةِ عِنْدَكَ؛

يَا مُجِيبُ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ

العينان تسحّان الدموع.. دموع الإنسان المفتون بالحبّ الإلهي.. كسماء تمطر على هون.. تغسل الأشجار والأرض فتهتزّ وتربو.. والدموع تغسل قلب الإنسان فيشرق بنور ربّه وينبض بالحبّ والأمل والسلام.

المشهد الأخير

ـ ماذا أرى؟

هتف الزهري وقد وقعت عيناه على «السجّاد» بين المحراب والمنبر وأردف وهو يحثّ الخطى إليه:

ـ ألم يخبرني بأنّه على سفر؟!

أومأ مسلّماً وهتف:

ـ يابن رسول الله لست أرى لذلك السفر أثراً؟!

تمتم السجّاد بخشوع من أوشك على الرحيل عن الدنيا:

ـ بلى يا زهري... ولكن ليس كما ظننت، إنّما هو سفر الآخرة.

ـ والمتاع الذي كنتَ تحمل لم يكن غير صدقات للفقراء؟

وتمتم متأثّراً وهو يبتعد:

ـ نِعمَ السفر سفرة الآخرة وخير الزاد التقوى.

انتحى الزهري زاوية من المسجد وكان ما يزال متأثّراً، قال صاحب له:

ـ إنّك لا تفتأ تذكر علي بن الحسين بخير.

التفت الزهري وقد شمّ رائحة تملّق.

ـ ويحك يا هذا والله لم أرَ ولن أرى مثل علي بن الحسين ما حييت... لقد رأيته مقيّداً بالحديد وقد أحدق الحرّاس به يريدون إرساله إلى دمشق بأمر عبدالملك؛ فاستأذنتهم في وداعه فلم أملك نفسي عن البكاء فبكيت وقلت له: وددتُ إني مكانك وأنت سالم فرفع بصره إليّ وقال:

ـ يا زهري أتظنّ أنّ ما ترى عليّ وفي عنقي يُكْرِثُني، أما لو شئت لما كان، وأنّه ليذكرني عذاب الله..

التفت الزهري إلى صاحبه وقال:

ـ أتصدّقني لو قلت لك لقد رأيته يخرج يديه وقدميه من القيود لكأنّها خيوط عنكبوت!!

فما مضت أربع ليال حتّى عاد الجنود يبحثون عنه في المدينة فسألت أحدهم عمّا حصل فقال: فقدناه ولم نعثر له على أثر ووجدنا القيود والأغلال في مكانه.

هتف الرجل:

ـ أمرٌ عجيب.

ـ وأعجب منه هو إني لما قدمت بعد ذلك على عبدالملك وأخبرته بما رأيت

قال: لقد جاءني يوم فقده الحراس فدخل علي وقال: وما أنا وأنت؟

فقلت له: أقم عندي في الرحب والسعة.

فقال: لا أحب، ثمّ خرج، فوالله لقد امتلأ قلبي منه رعباً.

وحدّثني طاووس مرّة قال: رأيت رجلاً يصلّي في المسجد الحرام تحت الميزاب يدعو ويبكي في دعائه، فجئته حين فرغ من الصلاة فاذا هو علي بن الحسين عليه السلام فقلت له: يابن رسول الله رأيتك على حالة كذا ولك ثلاثة أرجو أن تؤمنك من الخوف أحدها: أنّك ابن رسول الله، والثاني: شفاعة جدّك، والثالث: رحمة الله؟ فقال: يا طاووس أمّا إنّي ابن رسول الله صلى الله عليه وآله فلا يؤمنّني وقد سمعت الله تعالى يقول: ﴿فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ﴾[1] وأمّا شفاعة جدّي فلا تؤمنني؛ لأنّ الله تعالى يقول: ﴿وَلاَ يَشْفَعُونَ إِلاَّ لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾[2] وأمّا رحمة الله فإنّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾[3] ولا أعلم أني محسن.

وأردف الزهري وهو ينهض للصلاة:

ـ ولقد مضت عليه عشرون سنة وهو يبكي أباه ويقول:

إنّما أشكو بثّي وحزني إلى الله وأعلم من الله ما لا تعلمون والله ما رأيت قرشيّاً أفضل من علي بن الحسين.

وتمرّ الساعات بطيئة، في ليلة تسمّرت النجوم في سمائها.

ولم تغمض عيون المدينة... الرياح الباردة تجوس الأزقّة.. تعوي وهي

---

١. سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

٢. سورة الأنبياء: الآية ٢٨.

٣. سورة الأعراف: الآية ٥٦.

تطرق الأبواب والنوافذ.

حتّى إذا طلع الفجر.. سكن كلّ شيء، وقد انطفأت النجوم وانبعثت صرخة في قلب الغبش الرمادي.

لقد رحل علي بن الحسين؛ وعندها عرف الناس هوية الرجل الذي كان يجوس أزقّة المدينة في الليل ويهب الفقراء الفرحة والدفء والأمل.

ولمّا انثالت عليه المياه.. رأى الناس على ظهره مثل ركب الإبل.

سأل رجل مدهوشاً:

ـ ما هذا؟

أجاب حفيد له:

ـ لقد كان يحمل على ظهره جراباً كلّ ليلة فيطوف منازل الفقراء.

بكى الرجل بمرارة. لقد رحل السلام فالمدينة يلفّها برد وظلام.. وعامنا عام حزن.

كانت المدينة تبكي.. تبكي رحيل الأشياء الملوّنة. لم يبق منها سوى طيوف تحلّق في سماء الذكريات. وفي دمشق تقام الأفراح.. والوليد الملك العربي يتلقّى أنباءً بهيجة.. فمملكته تتوسّع شرقاً وغرباً وكنوز المدن المقهورة تتدفّق صوب دمشق؛ غير مكترث لما حل بأنطاكيا وقد دمّرتها الزلازل.

ولكن هل يتوقّف التاريخ عند هذه النهاية؟!

﴿كَلاَّ إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجيءَ يَوْمَئِذٍ
بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرىٰ ﴿٢٣﴾ يَقُولُ يا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَياتِي ﴿٢٤﴾
فَيَوْمَئِذٍ لا يُعَذِّبُ عَذابَهُ أَحَدٌ ﴿٢٥﴾ وَلا يُوثِقُ وَثاقَهُ أَحَدٌ ﴿٢٦﴾ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾

ارْجِعي إِلىٰ رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَادْخُلي في عِبادي ﴿٢٩﴾ وَادْخُلي جَنَّتي ﴿٣٠﴾ ﴾[١]

لم يكن هذا الاسترسال في إضاءة تلك المشاهد المتألّقة الخالدة، إلّا لنؤكّد نقطة جوهريّة، وهي أن النبع الوحيد لحقوق الإنسان إنّما هو نبع أخلاقي كما أنّ الضمانات الإجرائيّة إنّما هي أخلاقيّة أيضاً بالدرجة الأولى، ثمّ تأتي الخطوة الأولى في تحوّل المنظومة الأخلاقيّة إلى نظام حقوقي، ومجموعة من القوانين اللازمة التنفيذ. وهذا ما استطاع الغرب تحقيق مساحات منه تدعو إلى الإعجاب؛ لأنّ الأزمة التي تعصف بالوطن العربي الممتد من المحيط إلى الخليج ليست فكريّة وإنّما هي في الصميم أزمة أخلاقيّة، تجعل كلّ ما ينتج في هذا المضمار مجرّد هراء أو حبراً على ورق.

وهذا في تصوّري ما ندّد به القرآن الكريم في قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا ما لا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ﴾[٢] وتكمن المحنة في أنّه حتّى الرسالات الإلهيّة التي هي بلاغات مبرأة من الأهواء البشريّة سرعان ما تقع في أيدي البشر؛ فتنتقل بعد وهلة من الإنسان الإلهي إلى الإنسان الإله أو الذي يتحدّث باسم الإله.

من أجل هذا يقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ لَوْ كانَ فِي الْأَرْضِ مَلائِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّماءِ مَلَكاً رَسُولاً ﴾[٣].

إن قوى الشر التي تتمظهر في أشكال مختلفة، تنزع باستمرار إلى خنق الأصوات، التي تنادي بحقوق الإنسان وكرامته. وما ظاهره قتل الأنبياء

---

١. سورة الفجر: الآيات ٢١ ـ ٣٠.

٢. سورة الصف: الآيات ٢ ـ ٣.

٣. سورة الإسراء: الآية ٩٥.

والفلاسفة المصلحين إلّا تعبير عن هذا النزوع المستمر للشر.

إن إرادة الشر لا تتحمّل وجود أيّ شيء يذكّر بالقانون الأخلاقي أو يدعو إليه؛ ولهذا امتدت خناجر الشر إلى ناقة بريئة خرجت من قلب الصخور.. قُتلت مع فصيلها الصغير وكانت هذه الجريمة تعبيراً عن إرادة شريرة لا ترى مكاناً للبراءة والحق.

وما يلفت النظر هو أن صاحب الرسالة يصنّف مجتمعه إلى ستّة أصناف وهو تصنيف ينسحب على عصرنا تماماً يقول عليه السلام:

النَّاسُ فِي زَمَانِنَا عَلَى سِتِّ طَبَقَاتٍ أَسَدٍ وَذِئْبٍ وَثَعْلَبٍ وَكَلْبٍ وَخِنْزِيرٍ وَشَاةٍ فَأَمَّا الْأَسَدُ فَمُلُوكُ الدُّنْيَا يُحِبُّ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَغْلِبَ وَلا يُغْلَبَ وَأَمَّا الذِّئْبُ فَتُجَّارُكُمْ يَذُمُّونَ إِذَا اشْتَرَوْا وَيَمْدَحُونَ إِذَا بَاعُوا وَأَمَّا الثَّعْلَبُ فَهَؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ بِأَدْيَانِهِمْ وَلا يَكُونُ فِي قُلُوبِهِمْ مَا يَصِفُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ وَأَمَّا الْكَلْبُ يَهِرُّ عَلَى النَّاسِ بِلِسَانِهِ وَيَكْرَهُهُ النَّاسُ مِنْ شِرَّةِ لِسَانِهِ وَأَمَّا الْخِنْزِيرُ فَهَؤُلاءِ الْمخَنَّثُونَ وَأَشْبَاهُهُمْ لا يُدْعَوْنَ إِلَى فَاحِشَةٍ إِلّا أَجَابُوا وَأَمَّا الشَّاةُ فَالَّذِينَ تُجَزُّ شُعُورُهُمْ وَيُؤْكَلُ لُحُومُهُمْ وَيُكْسَرُ عَظْمُهُمْ.

ثمّ يتساءل بمرارة:

فَكَيْفَ تَصْنَعُ الشَّاةُ بَيْنَ أَسَدٍ وَذِئْبٍ وَثَعْلَبٍ وَكَلْبٍ وَخِنْزِيرٍ(١).

ومن قبلُ تساءل الإمام علي عليه السلام قائلاً:

إذا كان الراعي ذِئباً فالشاة مَنْ يَحفظها(٢).

وإنّك لتجد في التاريخ العربي كما هو الحال في تاريخ الأُمم الأُخرى أن

---

١. الشيخ الصدوق، الخصال، أبواب الستّة.

٢. جورج جرداق، روائع نهج البلاغة، ص ٢٢٤.

النماذج الخمسة كلّها وبلا استثناء تربعت على سدّة الحكم، فالأسود في تاريخنا القديم والحديث ضمت إلى خصالها خصال النماذج الأُخرى إنّك لتجدهم ذئاباً وكلاباً وخنازير أيضاً فذلك الذئب الذي تجده يتحدّث عن اقتصاديّات القطاع العام واقتصاد الدولة إنّما يتحدّث عن اقتصاده هو وأسرته، ولا يستطيع أحد أن يتأوّه من سياطه؛ لأنّ كلابه البوليسيّة تنتشر في كلّ مكان؛ وخلال ممارسته في الحكم يحصل الاندماج المذهل بين بيت المال وبيته!

إنّ علي بن الحسين بن علي هو حفيد ذلك الإنسان العظيم الذي ترجم القانون الأخلاقي إلى نظام حقوقي، ويوم قال عن جماهير الأُمّة: «**إمّا أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق**» لم يكن سجيناً في زنزانة انفراديّة أو فيلسوفاً على قمّة جبل، وإنّما كان حاكماً عاماً على الشرق الأوسط بأسره، وهذه التجربة الفريدة في الحكم ظلّت تشعّ بكلّ وهجها الأخلاقي وبكلّ النظم الأخلاقيّة، التي شاء لها القدر أن تتجسّد في واقع الحياة وتغدو مركز إشعاع، يؤكّد إمكانيّة التطبيق ويبدّد عنها غيوم المثاليّة والرومانسيّة أصغ إليه وهو يقول:

ـ ينبغي لمن ولي أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته و إلا كان بمنزلة من رام استقامة ظل العود قبل أن يستقيم ذلك العود.

ـ أشقى الرعاة من شقيت به رعيته.

ـ ما أقبح الغدر من السلطان.

ـ العدل صورة واحدة و الجور صور كثيرة و لهذا سهل ارتكاب الجور و صعب تحري العدل.

ـ عدل السلطان خير من خصب الزمان.

ـ العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء ثلاثه[1].

---

١. المصدر السابق، ص ٢٢٤ ـ ٢٢٨.

وبالرغم من صخب الحوادث، فقد صدرت رسالة الحقوق متوازنة؛ لأنّها نبعت من نفس إنسانيّة عميقة الغور وهكذا هي الأعماق دائماً مغمورة بالجلال مفعمة بالطمأنينة.. حتّى تلك المأساة الدامية في ظهيرة عاشوراء سنة ٦١ هـ ـ وقد شهد تفاصيلها المؤلمة ـ ما تلقّى منها سوى الوهج الأخلاقي الحضاري، ولعلّ آخر مشهد ظل في ذاكرة زين العابدين هو منظر والده الحسين يحمل ابنه الرضيع الظامئ يطلب له قطرة ماء من نهر الفرات الزخّار؛ فكانّ نصيبه سهم من جندي «الحكومة» ينبت في رقبته الرقيقة... لحظتها ملأ والده كفّه من تلك الدماء الورديّة ورمى بها نحو السماء قائلاً: «**اللّهمّ لا يكن أهون عليك من فصيل ناقة صالح**»[١].

من أجل هذا كان يوم عاشوراء أطول يوم في التاريخ العربي؛ لأنّه يشكل علامة سؤال كُبرى حول مشروعيّة السلطة في كلّ الأرض العربيّة والإسلاميّة الممتدّة من «طنجة» إلى «جاكرتا»... «ومن عدن إلى سمرقند إلى أفريقيا إلى سيف البحر ممّا يلي الجزر وأرمينيا»[٢].

وقبل البدء في استعراض بنود هذه الرسالة الحقوقيّة الهامّة، نشير إلى أن قيمتها الأساسيّة، تكمن في أنّها صادرة من نفس إنسانيّة، بلغت من مراتب السمو والكمال، ما كتب لها الخلود المقرون بالإجلال والاحترام.

---

١. في المؤتمر الإسلامي الذي انعقد بطهران كانت عدسة المصوّر تتصفّح وجوه الرؤساء العرب؛ فيما كانت تلاوة معطّرة رائعة يصدح بها القارئ «منصوري» الذي أبدع في قراءة سورة الشمس، التي ذكرت مصرع الناقة.. ناقة الله وقد انبجست دموع الكثيرين في مشهد لا ينسى.

٢. مقطع من جواب الامام موسى الكاظم لهارون الرشيد عند ما طلب منه الأخير أن يعيّن حدود أرض فدك لإعادتها.

من نفس تشعر بامتداداتها في جذور الأزل إلى الأبد، فجاءت شموليّة في الزمان والمكان والإنسان؛ وهو إحساس يشعرك بوشائج الكون والطبيعة والمجتمعات البشريّة وتلك الحقوق المتبادلة بين عناصر العالم بأسره، كما أن قوّتها أيضاً، تكمن في أنّها صدرت في وقت كانت فيه الخيول العربيّة ـ التي أريد لها أن تفتح العالم على منابع النور ـ قد ارتدّت لتسحق كرامة الإنسان العربي المسلم وتدوس على حقوقه، في كلّ مكان يرتفع فيه صوت، غير صوت التسبيح بمجد السلطان.

ومن المؤكّد أن تحويل مفردات هذه المنظومة الأخلاقيّة التي اشتملت عليها الرسالة إلى نظام حقوقي سيكون أكبر إنجاز حضاري يقوم به المجتمع العربي في العصر الراهن.

ترتكز المنظومة الحقوقيّة على محور أساسي بالغ الأهميّة؛ وهو امتياز يجعل من الرسالة فريدة في طرحها؛ لأنّها تتمحور حول الحق المطلق ومن هذا الأساس تستمد سائر الحقوق مشروعيّتها وقوّتها.

وهذا ما صرّحت به مقدّمة الرسالة وعبّرت عنه بالإحاطة الكاملة في كلّ حركة أو سكون أو محطّة في الطريق. وهذا الارتكاز يعبّر عن وعي لحركة الإنسان وموقعه في العالَم «ألا وأنه بالحق قامت السماوات والأرض»[١] ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[٢] فهذه القوانين الكونيّة التي تسيّر الوجود، تهتف بالتوازن والعدالة والحق ومن هنا، يجب أن يكون المجتمع الإنساني انعكاساً صادقاً لهذا الوجود وأن يرتكز على ذات الأسس؛ التي يرتكز عليها، لكي يتحقّق فيه الانسجام والتوازن والإقناع المنشود.

---

١. نهج البلاغة.

٢. سورة الرحمن: الآية ٧.

النصّ الكامل لرسالة الحقوق

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ للهِ عَلَيْكَ حُقُوقاً مُحِيطَةً بِكَ فِيكُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكْتَهَا أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنْتَهَا أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزَلْتَهَا، أَوْ جَارِحَةٍ قَلَبْتَهَا أَوْ آلَةٍ تَصَرَّفْتَ بِهَا بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ.

وَأَكْبَرُ حُقُوقِ اللهِ عَلَيْكَ مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْحُقُوقِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَ ثُمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ عَلَى اخْتِلافِ جَوَارِحِكَ؛ فَجَعَلَ لِبَصَرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِسَمْعِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِلِسَانِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِيَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِرِجْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِبَطْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِفَرْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَهَذِهِ الْجَوَارِحُ السَّبْعُ الَّتِي بِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ.

ثُمَّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حُقُوقاً، فَجَعَلَ لِصَلاتِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِصَوْمِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِصَدَقَتِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِهَدْيِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حَقّاً.

ثُمَّ تَخْرُجُ الْحُقُوقُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ ذَوِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ وَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ أَئِمَّتِكَ، ثُمَّ حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَحِمِكَ فَهَذِهِ حُقُوقٌ يَتَشَعَّبُ مِنْهَا حُقُوقٌ فَحُقُوقُ أَئِمَّتِكَ ثَلاثَةٌ، أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ، ثُمَّ حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمُلْكِ وَكُلُّ سَائِسٍ إِمَامٌ.

وَحُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلاثَةٌ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رَعِيَّةُ الْعَالِمِ، وَحَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْمُلْكِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمَا مَلَكْتَ مِنَ الْأَيْمَانِ، وَحُقُوقُ رَحِمِكَ كَثِيرَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِقَدْرِ اتِّصَالِ الرَّحِمِ فِي الْقَرَابَةِ.

فَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ أُمِّكَ، ثُمَّ حَقُّ أَبِيكَ، ثُمَّ حَقُّ وُلْدِكَ، ثُمَّ حَقُّ أَخِيكَ، ثُمَّ الأَقْرَبُ فَالأَقْرَبُ، وَالأَوَّلُ فَالأَوَّلُ، ثُمَّ حَقُّ مَوْلاكَ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ مَوْلاكَ الْجَارِي نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ لَدَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ مُؤَذِّنِكَ بِالصَّلاةِ، ثُمَّ حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلاتِكَ، ثُمَّ حَقُّ جَلِيسِكَ، ثُمَّ حَقُّ جَارِكَ، ثُمَّ حَقُّ صَاحِبِكَ، ثُمَّ حَقُّ شَرِيكِكَ، ثُمَّ حَقُّ مَالِكَ، ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي تُطَالِبُهُ، ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطَالِبُكَ، ثُمَّ حَقُّ خَلِيطِكَ، ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ، ثُمَّ حَقُّ مُسْتَشِيرِكَ، ثُمَّ حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ، ثُمَّ حَقُّ مُسْتَنْصِحِكَ، ثُمَّ حَقُّ النَّاصِحِ لَكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ، ثُمَّ حَقُّ سَائِلِكَ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ سَأَلْتَهُ، ثُمَّ حَقُّ مَنْ جَرَى لَكَ عَلَى يَدَيْهِ مَسَاءَةٌ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ مَسَرَّةٌ بِذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ عَنْ تَعَمُّدٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ، ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ عَامَّةً، ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ، ثُمَّ الْحُقُوقُ الْجَارِيَةُ بِقَدْرِ عِلَلِ الأَحْوَالِ وَتَصَرُّفِ الأَسْبَابِ فَطُوبَى لِمَنْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى قَضَاءِ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ.

هذا هو مدخل الرسالة الحقوقيّة التي تصرّح بأنّها تستند في قوّتها إلى حقوق الله؛ حيث تتفرّع جميع الحقوق عن ذلك. وما ينبغي الإشارة إليه أن المخاطب في هذه الرسالة هو الضمير الإنساني؛ لأنّه لا يخاطب شريحة دون اخرى، وإنّما يتوجّه بالخطاب إلى الإنسان حاكماً أو محكوماً، رئيساً كان أم مرؤوساً، صغيراً كان أم كبيراً.

المواد الحقوقيّة

وهي خمسون مادّة تبدأ بحسب أهمّتها وترتيبها؛ فتبدأ بحقّ الله ثمّ حقّ الإنسان الذي ينقسم إلى قسمين رئيسين: حقوق الذات وحقوق الآخر.

١ ـ فَأَمَّا حَقُّ اللهِ الأَكْبَرُ فَأَنَّكَ تَعْبُدُهُ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً. فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهَا.

٢ ـ وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ، فَتُؤَدِّيَ إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ وَتَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَى ذَلِكَ.

٣ ـ وَأَمَّا حَقُّ اللِّسَانِ فَإِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وَتَعْوِيدُهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَحَمْلُهُ عَلَى الأَدَبِ، وَإِجْمَامُهُ إِلّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِعْفَاؤُهُ مِنَ الْفُضُولِ الشَّنِعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي لا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا وَبُعْدِ شَاهِدِ الْعَقْلِ وَالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَتَزَيُّنُ الْعَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

٤ ـ وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقاً إِلَى قَلْبِكَ، إِلّا لِفَوْهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْراً أَوْ تُكْسِبُ خُلُقاً كَرِيماً، فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدَّى بِهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٥ ـ وَأَمَّا حَقُّ بَصَرِكَ فَغَضُّهُ عَمَّا لا يَحِلُّ لَكَ وَتَرْكُ ابْتِذَالِهِ إِلّا لِمَوْضِعِ عِبْرَةٍ تَسْتَقْبِلُ بِهَا بَصَراً أَوْ تَعْتَقِدُ بِهَا عِلْماً فَإِنَّ الْبَصَرَ بَابُ الاعْتِبَارِ.

٦ ـ وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِيَ بِهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ، وَلا تَجْعَلَهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخَفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبَقِ لَكَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٧ ـ وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنْ (يَدِ) الْعُقُوبَةِ فِي الآجِلِ وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللَّائِمَةِ فِي الْعَاجِلِ وَلا تَقْبِضَهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا لا يَحِلُّ لَهَا وَتَبْسُطَهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا

فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ فِي الْآجِلِ.

٨ـ وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الْحَرَامِ وَلا لِكَثِيرٍ وَأَنْ تَقْتَصِرَ لَهُ فِي الْحَلالِ وَلا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وَذَهَابِ الْمُرُوَّةِ وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالْجُوعِ وَالظَّمَإِ فَإِنَّ الشِّبَعَ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى التَّخَمِ مَكْسَلَةٌ وَمَثْبَطَةٌ وَمَقْطَعَةٌ عَنْ كُلِّ بِرٍّ وَكَرَمٍ وَأَنَّ الرِّيَّ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مَسْخَفَةٌ وَمَجْهَلَةٌ وَمَذْهَبَةٌ لِلْمُرُوَّةِ.

٩ ـ وَأَمَّا حَقُّ فَرْجِكَ فَحِفْظُهُ مِمَّا لا يَحِلُّ لَكَ وَالاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ الْبَصَرِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ لِنَفْسِكَ بِاللهِ وَالتَّخْوِيفِ لَهَا بِهِ وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ.

حقوق الأفعال

١٠ـ فَأَمَّا حَقُّ الصَّلاةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وِفَادَةٌ إِلَى اللهِ وَأَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمِسْكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعَظِّمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلِينِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ الْمُنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

١١ ـ وَأَمَّا حَقُّ الصَّوْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وَفَرْجِكَ وَبَطْنِكَ لِيَسْتُرَكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَهَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ فَإِنْ سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حَجَبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْجُوباً وَإِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبُ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَبَاتِ الْحِجَابِ فَتَطَّلِعُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظْرَةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالْقُوَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ للهِ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخْرِقَ الْحِجَابَ وَتَخْرُجَ مِنْهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

١٢ ـ وَ حَقُّ الْحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ وَفِيهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ وَقَضَاءُ الْفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ.

١٣ ـ وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلانِيَةً وَكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْراً أَعْلَنْتَهُ وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرّاً عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيمَا اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا إِشْهَادَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَأَنَّهَا أَوْثَقُ فِي نَفْسِكَ لا كَأَنَّكَ لا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

١٤ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْهَدْيِ فَأَنْ تُخْلِصَ بِهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَقَبُولِهِ وَلا تُرِيدَ عُيُونَ النَّاظِرِينَ دُونَهُ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلِّفاً وَلا مُتَصَنِّعاً وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُرَادُ بِالْيَسِيرِ وَلا يُرَادُ بِالْعَسِيرِ كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التَّيْسِيرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التَّعْسِيرَ وَكَذَلِكَ التَّذَلُّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّدَهْقُنِ؛ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ وَالْمَئُونَةَ فِي الْمُتَدَهْقِنِينَ فَأَمَّا التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ فَلا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلا مَئُونَةَ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُمَا الْخِلْقَةُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

حقوق الأئمّة

١٥ ـ فَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلىً فِيكَ بِمَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَنْ لا تُمَاحِكَهُ وَقَدْ بُسِطَتْ

يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلاكِ نَفْسِكَ وَهَلاكِهِ وَتَذَلَّلْ وَتَلَطَّفْ لإِعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَى مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلا يُضِرُّ بِدِينِكَ وَتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِاللهِ وَلا تُعَازُّهُ وَلا تُعَانِدْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَقْتَهُ وَعَقَقْتَ نَفْسَكَ فَعَرَّضْتَهَا لِمَكْرُوهِهِ وَعَرَّضْتَهُ لِلْهَلَكَةِ فِيكَ وَكُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَشَرِيكاً لَهُ فِيمَا أَتَى إِلَيْكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

١٦ ـ وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ فَالتَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا لا غِنَى بِكَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنْ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ وَتُحَضِّرَهُ فَهْمَكَ وَتُذَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ وَتُجَلِّيَ لَهُ بَصَرَكَ بِتَرْكِ اللَّذَّاتِ وَنَقْصِ الشَّهَوَاتِ وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيمَا أَلْقَى إِلَيْكَ رَسُولُهُ إِلَى مَنْ لَقِيَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيَةِ عَنْهُ إِلَيْهِمْ وَلا تَخُنْهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدْتَهَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

١٧ ـ وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمُلْكِ فَنَحْوُ مَنْ سَائِسُكَ بِالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لا يَمْلِكُهُ ذَاكَ تَلْزَمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ (إِلَّا أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ وُجُوبِ حَقِّ اللهِ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَقِّهِ) وَحُقُوقِ الْخَلْقِ فَإِذَا قَضَيْتَهُ رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

حقوق الرعيّة

١٨ ـ فَأَمَّا حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذاً لا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلا قُوَّةٍ وَلا يَسْتَنْصِرُ فِيمَا تَعَاظَمَهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاطَةِ وَالأَنَاةِ وَمَا أَوْلاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ

فَضْلِ هَذِهِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا أَنْ تَكُونَ للهِ شَاكِراً وَمَنْ شَكَرَ اللهَ أَعْطَاهُ فِيما أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

١٩ ـ وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ فِيما آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَوَلّاكَ مِنْ خِزَانَةِ الْحِكْمَةِ فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِيما وَلّاكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ وَقُمْتَ بِهِ لَهُمْ مَقَامَ الْخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلاهُ فِي عَبِيدِهِ الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ كُنْتَ رَاشِداً وَكُنْتَ لِذَلِكَ آمِلاً مُعْتَقِداً وَإِلّا كُنْتَ لَهُ خَائِناً وَلِخَلْقِهِ ظَالِماً وَلِسَلَبِهِ وَعِزِّهِ مُتَعَرِّضاً.

٢٠ ـ وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَهَا سَكَناً وَمُسْتَرَاحاً وَأُنْساً وَوَاقِيَةً وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللهِ وَيُكْرِمَهَا وَيَرْفَقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَغْلَظَ وَطَاعَتُكَ بِهَا أَلْزَمَ فِيما أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ (مَا لَمْ تَكُنْ) مَعْصِيَةً فَإِنَّ لَهَا حَقَّ الرَّحْمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَمَوْضِعَ السُّكُونِ إِلَيْهَا قَضَاءَ اللَّذَّةِ الَّتِي لا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَذَلِكَ عَظِيمٌ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٢١ ـ وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ الْيَمِينِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ وَأَنَّكَ تَمْلِكُهُ لا أَنْتَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللهِ وَلا خَلَقْتَ لَهُ سَمْعاً وَلا بَصَراً وَلا أَجْرَيْتَ لَهُ رِزْقاً وَلَكِنَّ اللهَ كَفَاكَ ذَلِكَ بِمَنْ سَخَّرَهُ لَكَ وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِتَحْفَظَهُ فِيهِ وَتَسِيرَ فِيهِ بِسِيرَتِهِ فَتُطْعِمَهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتُلْبِسَهُ مِمَّا تَلْبَسُ وَلا تُكَلِّفَهُ مَا لا يُطِيقُ فَإِنْ كَرِهْتَ خَرَجْتَ إِلَى اللهِ مِنْهُ وَاسْتَبْدَلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

الحقوق الاجتماعيّة

٢٢ ـ فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ فَرِحَةً مُؤَمِّلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأُخْرِجْتَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى وَتُرْوِيكَ وَتَظْمَأَ وَتُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وَتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِهَا وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وَحُجْرُهَا لَكَ حِوَاءً وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً وَنَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلّا بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ.

٢٣ ـ وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ وَأَنَّكَ فَرْعُهُ وَأَنَّكَ لَوْلاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٢٤ ـ وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالدَّلالَةِ إِلَى رَبِّهِ وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ يَحْسُنُ أَثَرُهُ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْمُعَذِّرُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٢٥ ـ وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْجَأُ إِلَيْهِ وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا وَلا تَتَّخِذْهُ سِلاحاً عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَلا عُدَّةً لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللهِ وَلا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ

وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللهِ فَإِنِ انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ.

٢٦ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالْوَلاءِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَّةِ وَأُنْسِهَا وَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَمْلَكَةِ وَفَكَّ عَنْكَ حَقَّ الْعُبُودِيَّةِ وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ الْعِزِّ وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الإِنْصَافِ وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ وَحَلَّ أَسْرَكَ وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ وَمُكَانَفَتِكَ فِي ذَاتِ اللهِ فَلا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ مَا احْتَاجَ إِلَيْكَ أَحَداً.

٢٧ ـ وَأَمَّا حَقُّ مَوْلاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِراً وَمَعْقِلاً وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبَباً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النَّارِ فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ ثَوَابُكَ مِنْهُ فِي الآجِلِ وَيَحْكُمَ لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ فَإِنْ لَمْ تَخَفْهُ خِيفَ عَلَيْكَ أَنْ لا يُطَيِّبَ لَكَ مِيرَاثَهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٢٨ ـ وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْشُرَ لَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلانِيَةً ثُمَّ إِنْ أَمْكَنَ مُكَافَأَتُهُ بِالْفِعْلِ كَافَأْتَهُ وَإِلَّا كُنْتَ مُرْصَداً لَهُ مُوَطِّناً نَفْسَكَ عَلَيْهَا.

٢٩ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِّرُكَ بِرَبِّكَ وَدَاعِيكَ إِلَى حَظِّكَ وَأَفْضَلُ أَعْوَانِكَ عَلَى قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكَ فَتَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ وَإِنْ كُنْتَ فِي بَيْتِكَ مُتَّهَماً لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ للهِ فِي أَمْرِهِ مُتَّهَماً وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ لا

شكَّ فِيهَا فَأَحْسِنْ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللهِ بِحَمْدِ اللهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٠ ـ وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلاتِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ وَالْوِفَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ وَطَلَبَ فِيكَ وَلَمْ تَطْلُبْ فِيهِ وَكَفَاكَ هَمَّ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَالْمُسَاءَلَةِ لَهُ فِيكَ وَلَمْ تَكْفِهِ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ وَإِنْ كَانَ آثِماً لَمْ تَكُنْ شَرِيكَهُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِ فَضْلٌ فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وَوَقَى صَلاتَكَ بِصَلاتِهِ فَتَشْكُرَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣١ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْجَلِيسِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ كَنَفَكَ وَتُطِيبَ لَهُ جَانِبَكَ وَتُنْصِفَهُ فِي مُجَارَاةِ اللَّفْظِ وَلا تُغْرِقَ فِي نَزْعِ اللَّحْظِ إِذَا لَحَظْتَ وَتَقْصِدَ فِي اللَّفْظِ إِلَى إِفْهَامِهِ إِذَا لَفَظْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْجَلِيسَ إِلَيْهِ كُنْتَ فِي الْقِيَامِ عَنْهُ بِالْخِيَارِ وَإِنْ كَانَ الْجَالِسَ إِلَيْكَ كَانَ بِالْخِيَارِ وَلا تَقُومَ إِلّا بِإِذْنِهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٢ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِباً وَكَرَامَتُهُ شَاهِداً وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعاً لا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً وَلا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْأَةٍ لِتَعْرِفَهَا فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلا تَكَلُّفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْناً حَصِيناً وَسِتْراً سَتِيراً لَوْ بَحَثَتِ الْأَسِنَّةُ عَنْهُ ضَمِيراً لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ لانْطِوَائِهِ عَلَيْهِ لا تَسَمَّعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ لا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَلا تَحْسُدْهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَلا تَدَّخِرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَهُ تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٣ ـ وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَإِلّا فَلا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَأَنْ تُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ وَتَحْفَظَهُ كَمَا يَحْفَظُكَ وَلا يَسْبِقَكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلَى مَكْرُمَةٍ فَإِنْ سَبَقَكَ كَافَأْتَهُ وَلا تَقْصِدَ بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصِيحَتَهُ

وَحِيَاطَتَهُ وَمُعَاضَدَتَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِيمَا لا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذَاباً وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٤ ـ وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ فَإِنْ غَابَ كَفَيْتَهُ وَإِنْ حَضَرَ سَاوَيْتَهُ وَلا تَعْزِمْ عَلَى حُكْمِكَ دُونَ حُكْمِهِ وَلا تَعْمَلْ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ وَتَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَتَنْفِي عَنْهُ خِيَانَتَهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٥ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ فَأَنْ لا تَأْخُذَهُ إِلّا مِنْ حِلِّهِ وَلا تُنْفِقَهُ إِلّا فِي حِلِّهِ وَلا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلا تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ وَلا تَجْعَلَهُ إِذَا كَانَ مِنَ اللهِ إِلّا إِلَيْهِ وَسَبَباً إِلَى اللهِ وَلا تُؤْثِرَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَعَلَّهُ لا يَحْمَدُكَ وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لا يُحْسِنَ خِلافَتَهُ فِي تَرِكَتِكَ وَلا يَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ فَتَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَبِمَا أَحْدَثَ فِي مَالِكَ أَحْسَنَ نَظَراً لِنَفْسِهِ فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ فَيَذْهَبَ بِالْغَنِيمَةِ وَتَبُوءَ بِالْإِثْمِ وَالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٦ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْغَرِيمِ الطَّالِبِ لَكَ فَإِنْ كُنْتَ مُوسِراً أَوْفَيْتَهُ وَكَفَيْتَهُ وَأَغْنَيْتَهُ وَلَمْ تَرْدُدْهُ وَتَمْطُلْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ص قَالَ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِراً أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ طَلَباً جَمِيلاً وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لُؤْمٌ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٧ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْخَلِيطِ فَأَنْ لا تَغُرَّهُ وَلا تَغُشَّهُ وَلا تُكَذِّبَهُ وَلا تُغْفِلَهُ وَلا تَخْدَعَهُ وَلا تَعْمَلَ فِي انْتِقَاضِهِ عَمَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لا يُبْقِي عَلَى صَاحِبِهِ وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْكَ اسْتَقْصَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلِمْتَ أَنَّ غَبْنَ الْمُسْتَرْسِلِ رِبًا وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

٣٨ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً لَمْ تَنْفَسِخْ فِي حُجَّتِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ وَكُنْتَ خَصْمَ نَفْسِكَ لَهُ وَالْحَاكِمَ عَلَيْهَا وَالشَّاهِدَ لَهُ

بِحَقِّهِ دُونَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ حَقُّ اللهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ بَاطِلاً رَفَقْتَ بِهِ وَرَدَعْتَهُ وَنَاشَدْتَهُ بِدِينِهِ وَكَسَرْتَ حِدَّتَهُ عَنْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَأَلْقَيْتَ حَشْوَ الْكَلامِ وَلَغْطَهُ الَّذِي لا يَرُدُّ عَنْكَ عَادِيَةَ عَدُوِّكَ بَلْ تَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَبِهِ يَشْحَذُ عَلَيْكَ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ لِأَنَّ لَفْظَةَ السُّوءِ تَبْعَثُ الشَّرَّ وَالْخَيْرُ مَقْمَعَةٌ لِلشَّرِّ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٣٩ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقّاً أَجْمَلْتَ فِي مُقَاوَلَتِهِ بِمَخْرَجِ الدَّعْوَى فَإِنَّ لِلدَّعْوَى غِلْظَةً فِي سَمْعِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَقَصَدْتَ قَصْدَ حُجَّتِكَ بِالرِّفْقِ وَأَمْهَلِ الْمُهْلَةِ وَأَبْيَنِ الْبَيَانِ وَأَلْطَفِ اللُّطْفِ وَلَمْ تَتَشَاغَلْ عَنْ حُجَّتِكَ بِمُنَازَعَتِهِ بِالْقِيلِ وَالْقَالِ فَتُذْهِبَ عَنْكَ حُجَّتَكَ وَلا يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ دَرَكٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٠ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ فَإِنْ حَضَرَكَ لَهُ وَجْهُ رَأْيٍ جَهَدْتَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَشَرْتَ إِلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ وَذَلِكَ لِيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ فَإِنَّ اللِّينَ يُؤْنِسَ الْوَحْشَةَ وَإِنَّ الْغِلَظَ يُوحِشُ مَوْضِعَ الْأُنْسِ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَأَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَأْلُهُ خَيْراً وَلَمْ تَدَّخِرْهُ نُصْحاً وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤١ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمُشِيرِ إِلَيْكَ فَلا تَتَّهِمْهُ بِمَا يُوقِفُكَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ إِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ الْآرَاءُ وَتَصَرُّفُ النَّاسِ فِيهَا وَاخْتِلافُهُمْ فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالْخِيَارِ إِذَا اتَّهَمْتَ رَأْيَهُ، فَأَمَّا تُهَمَتُهُ فَلا تَجُوزُ لَكَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْمُشَاوَرَةَ وَلا تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إِشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ مَشُورَتِهِ فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ بِالشُّكْرِ وَالْإِرْصَادِ بِالْمُكَافَأَةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزِعَ إِلَيْكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٢ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ فَإِنَّ حَقَّهُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي تَرَى لَهُ أَنَّهُ يَحْمِلُ وَيَخْرُجُ الْمَخْرَجَ الَّذِي يَلِينُ عَلَى مَسَامِعِهِ وَتُكَلِّمَهُ مِنَ الْكَلامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ

فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الْكَلامِ يَعْرِفُهُ وَيَجْتَنِبُهُ وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٣ ـ وَأَمَّا حَقُّ النَّاصِحِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ ثُمَّ تَشْرَئِبَّ لَهُ قَلْبَكَ وَتَفْتَحَ لَهُ سَمْعَكَ حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ ثُمَّ تَنْظُرَ فِيهَا فَإِنْ كَانَ وُفِّقَ فِيهَا لِلصَّوَابِ حَمِدَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ وَقَبِلْتَ مِنْهُ وَعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُفِّقَ لَهَا فِيهَا رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَأْلُكَ نُصْحاً إِلَا أَنَّهُ أَخْطَأَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقّاً لِلتُّهَمَةِ فَلا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٤ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْكَبِيرِ فَإِنَّ حَقَّهُ تَوْقِيرُ سِنِّهِ وَإِجْلالُ إِسْلامِهِ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ فِي الْإِسْلامِ بِتَقْدِيمِهِ فِيهِ وَتَرْكُ مُقَابَلَتِهِ عِنْدَ الْخِصَامِ وَلا تَسْبِقْهُ إِلَى

طَرِيقٍ وَلا تَؤُمَّهُ فِي طَرِيقٍ وَلا تَسْتَجْهِلْهُ وَإِنْ جَهِلَ عَلَيْكَ تَحَمَّلْتَ وَأَكْرَمْتَهُ بِحَقِّ إِسْلامِهِ مَعَ سِنِّهِ فَإِنَّمَا حَقُّ السِّنِّ بِقَدْرِ الْإِسْلامِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٥ ـ وَأَمَّا حَقُّ الصَّغِيرِ فَرَحْمَتُهُ وَتَثْقِيفُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَالْعَفْوُ عَنْهُ وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ وَالرِّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ وَالسَّتْرُ عَلَى جَرَائِرِ حَدَاثَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْمُدَارَاةُ لَهُ وَتَرْكُ مُمَاحَكَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ.

٤٦ ـ وَأَمَّا حَقُّ السَّائِلِ فَإِعْطَاؤُهُ إِذَا تَهَيَّأَتْ صَدَقَةٌ وَقَدَرْتَ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِ وَالدُّعَاءُ لَهُ فِيمَا نَزَلَ بِهِ وَالْمُعَاوَنَةُ عَلَى طَلِبَتِهِ وَإِنْ شَكَكْتَ فِي صِدْقِهِ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِ التُّهَمَةُ لَهُ وَلَمْ تَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ تَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ حَظِّكَ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إِلَى رَبِّكَ تَرَكْتَهُ بِسَتْرِهِ وَرَدَدْتَهُ رَدّاً جَمِيلاً وَإِنْ غَلَبْتَ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ وَأَعْطَيْتَهُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ.

٤٧ ـ وَأَمَّا حَقُّ الْمَسْئُولِ فَحَقُّهُ إِنْ أَعْطَى قُبِلَ مِنْهُ مَا أَعْطَى بِالشُّكْرِ لَهُ وَالْمَعْرِفَةِ لِفَضْلِهِ وَطَلَبِ وَجْهِ الْعُذْرِ فِي مَنْعِهِ وَأَحْسِنْ بِهِ الظَّنَّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ مَنَعَ مَالَهُ مَنَعَ وَأَنْ

لَيْسَ التَّثْرِيبُ فِي مَالِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِماً فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ.

٤٨ ـ وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَرَّكَ اللهُ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا لَكَ حَمِدْتَ اللهَ أَوَّلاً ثُمَّ شَكَرْتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ الْجَزَاءِ وَكَافَأْتَهُ عَلَى فَضْلِ الابْتِدَاءِ وَأَرْصَدْتَ لَهُ الْمُكَافَأَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَمَّدَهَا حَمِدْتَ اللهَ وَشَكَرْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْهُ تَوَحَّدَكَ بِهَا وَأَحْبَبْتَ هَذَا إِذَا كَانَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ وَتَرْجُو لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْراً فَإِنَّ أَسْبَابَ النِّعَمِ بَرَكَةٌ حَيْثُ مَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدْ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٤٩ ـ وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَاءَ لَكَ الْقَضَاءَ عَلَى يَدَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا كَانَ الْعَفْوُ أَوْلَى بِكَ لِمَا فِيهِ لَهُ مِنَ الْقَمْعِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ كَثِيرٍ أَمْثَالِهِ مِنَ الْخُلُقِ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى قَوْلِهِ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ هَذَا فِي الْعَمْدِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمْداً لَمْ تَظْلِمْهُ بِتَعَمُّدِ الانْتِصَارِ مِنْهُ فَتَكُونَ قَدْ كَافَأْتَهُ فِي تَعَمُّدٍ عَلَى خَطَإٍ وَرَفَقْتَ بِهِ وَرَدَدْتَهُ بِأَلْطَفِ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

٥٠ ـ وَأَمَّا حَقُّ مِلَّتِكَ عَامَّةً فَإِضْمَارُ السَّلَامَةِ وَنَشْرُ جَنَاحِ الرَّحْمَةِ وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُمْ وَاسْتِصْلاحُهُمْ وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَيْكَ فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ إِذَا كَفَّ مِنْكَ أَذَاهُ وَكَفَاكَ مَئُونَتَهُ وَحَبَسَ عَنْكَ نَفْسَهُ وَفَعُمَّهُمْ جَمِيعاً بِدَعْوَتِكَ وَانْصُرْهُمْ جَمِيعاً بِنُصْرَتِكَ وَأَنْزِلْهُمْ جَمِيعاً مِنْكَ مَنَازِلَهُمْ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَأَوْسَطَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ فَمَنْ أَتَاكَ تَعَاهَدْهُ بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ وَصِلْ أَخَاكَ بِمَا يَجِبُ لِلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ.

٥١ ـ وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ فِيهِمْ مَا قَبِلَ اللهُ وَتَفِيَ بِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ وَتَكِلَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طُلِبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ

اللهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنْ مُعَامَلَةٍ وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُولِهِ ص حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً كُنْتُ خَصْمَهُ فَاتَّقِ اللهَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

فَهَذِهِ خَمْسُونَ حَقّاً مُحِيطاً بِكَ لا تَخْرُجُ مِنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَجِبُ عَلَيْكَ رِعَايَتُهَا وَالْعَمَلُ فِي تَأْدِيَتِهَا وَالاسْتِعَانَةُ بِاللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

بعض الضوء

من يطالع هذه اللوائح الحقوقيّة بإمعان وشمولية، وأعني بالشموليّة الإصغاء القلبي والعقلي والروحي، لابدّ وأن يخرج بانطباع حول صياغة هذه الرسالة، في هذا الاندماج المثير بين إيقاعها الأخلاقي وقالبها القانوني، وهو اندماج يؤكّد وحدة النبع والمصدر، اندماج يحكي اندماج الهواء بالهواء، والشعاع والضياء والروح الإنسانيّة بأنفاس الحياة المفعمة بالأمل والحريّة والكرامة الانسانيّة.

إضافة إلى أن المرء لا يغفل عن تلك المعادلة الرائعة في بيان فلسفة الحقوق والواجبات فيشعر من يصغي إلى بنودها إلى أنّ العالَم بأسره إنّما ينهض على موازنة يعبّر عنها القرآن ببلاغة فريدة ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾[1] وتلك الدعوة السماويّة لسكّان الأرض ﴿أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ﴾[2].

حتّى في مسار الرسالة الحقوقيّة نشهد خطاباً منطقيّاً، يبدأ مع تثبيت قاعدة

---

١. سورة الرحمن: الآية ٧.

٢. سورة الرحمن: الآية ٨.

كبرى في الحقوق الإلهيّة، التي هي المصدر القانوني الوحيد لحقوق الإنسان، والتفصيل في الحقوق الإنسانيّة هو الآخر، يتحرّك بجاذبيّة؛ لأنّه يشرح فيها الحقوق الذاتيّة التي تشمل الناس جميعاً حاكمين ومحكومين؛ مع افتراض بديهي جدّاً هو أنّ أفراد المجتمع الإنساني يتلقّون المفاهيم الحقوقيّة في الأسرة والمدرسة، قبل تصنيفهم فيما بعد، بحسب المواقع التي سوف يشغلونها وطبيعة الوظائف التي سيؤدّونها.

إنّك لتجد تفصيلات الحقوق الذاتيّة، تتناول مفردات تدخل في صياغة وتبلور الشخصيّة الإنسانيّة، قبل ان تنتقل إلى مجمل النشاط الديني الذي يفترض تأديته من قبل الفرد، بوصفه جزءاً من البناء الاجتماعي.

ثمّ يحدث انتقال نوعي في طبيعة التعامل مع النظام الإداري مرؤوساً أو رئيساً؛ وإلى جانب هذا تجد أنّ البنود التي تتعلّق بالعلاقات الأسريّة وما هو أشمل من ذلك؛ أي التفصيل في حقوق الأمومة، والأبوة، والطفولة، والأخوة، ما يؤسّس لضمانات إنسانيّة ذاتية تجعل من المرء مسؤولاً أمام أمّته؛ حيث الأسرة وحدة صغيرة ومحك حقيقي يكشف عن حقيقة التعامل الإداري ومقياس التسامي والهبوط.

فالمرء ـ وعلى سبيل المثال ـ الذي يسحق حقوق الأمومة والأبوّة والذي لا يعرف معنى القداسة للطفولة والأخوّة أجدر بالناس أن يكونوا على حذر في تسنّمه مواقع إداريّة حسّاسة، والذي يضطهد زوجته وشريكة حياته ورفيقة دربه مرشّح، لأن يضطهد شعباً بأسره؛ مهما اختفى وراء ستائر من البريق الكاذب والدعاية الخادعة.

وفي كلّ هذا التفصيل الرائع للحقوق يشعر المرء أنّه في رحاب الله وفي حضرته، حيث الضمير الإنساني ذلك الضوء المنبعث في أعمق أعماق البشر، هو الممثّل القانوني لله تبارك وتعالى ولعلّ المادّة المتعلّقة بحقوق الخصم تكشف بوضوح عن هذا الحضور الإلهي:

وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً لَمْ تَنْفَسِخْ فِي حُجَّتِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ وَكُنْتَ خَصْمَ نَفْسِكَ لَهُ وَالْحَاكِمَ عَلَيْهَا وَالشَّاهِدَ لَهُ بِحَقِّهِ دُونَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ حَقُّ اللهِ عَلَيْكَ...

ولك أن تتأمّل كيف ترتبط حقوق الخصم بحقّ الله، والشواهد عديدة جدّاً في هذه الرسالة الحقوقيّة الهامّة.

وهذه الشموليّة الرائعة في الطرح تدفع المواطن العربي إلى إشكاليّة الواقع والمثال، بين ما هو كائن وما ينبغي أن يكون؛ لأنّ الدولة التي يقرّها الإسلام نظريّاً، تختلف عن الدولة التي ظهرت طوال التاريخ العربي الإسلامي؛ ولو لا الوهج الأخلاقي في عهد النبي ﷺ وعلى عهد الخلفاء الراشدين[1]، لأصبح الحديث عن الدولة الإسلاميّة حديثاً مثاليّاً مغرقاً في الخيال.

وكانت التجربة الأمويّة والعباسيّة الطويلة من القوّة والرسوخ، أن نفذت إلى خلايا التفكير وأسهمت في بناء الذهنيّة العربيّة، بحيث غطّت تماماً على تجربة صدر الإسلام.

وما حدَث في تاريخ الدولة العربيّة هو الذي أثّر في المجتمعات العربيّة ولا يزال، بل ترسّب في أعماق المواطن العربي؛ حتّى أصبح من المدهش أن يقال: إن هناك ألواناً أُخرى من الحكم!

---

١. مع التحفّظ طبعاً على تجربة الخلافة الثالثة.

وهذه التجربة المريرة والطويلة مع الأنظمة عبر التاريخ العربي؛ وما تنطوي عليه من جذور ضاربة في عمق التاريخ، حتّى قبل ظهور الإسلام، كوّنت طبيعة خاصّة للمواطن العربي، جعلته متطبّعاً مع النظام العربي في العصر الحاضر. فالنظم السائدة في الوضن العربي اليوم، امتداد للأنظمة الأمويّة وما سنّه العباسيّون ومارسوه. فلا تجد فاصلة واضحة بين رؤية المنصور مؤسّس الدولة العبّاسية في بغداد، فهو أميرالمؤمنين أعرف بما يصنع ولا يُسأل عمّا يفعل، وبين حاكم بغداد في القرن الحادي والعشرين فهو «الزعيم الأوحد والقائد الملهم والضرورة»[١].

وطُولُ فترة الحكم الدكتاتوري أفرز حالة عبّر عنها المفكّر الجزائري مالك بن نبي بـ«القابلية» وهي في كلّ الأحوال استعداد مكتسَبٌ وليس متأصّلاً؛ بالرغم من قدرته على إقناع المواطن العربي، في قبول نظم الحكم الاستبداديّة على أنّها نظام حكم طبيعي!

وبالرغم من أنَّ الإنسان العربي فيما مضى لم يكن يتفهّم أن يظل الخليفة حاكماً مدى الحياة، ولكن سياسة الخلفاء والملوك وشعارهم الدائم في البقاء[٢] جعل المجتمعات العربيّة في فترة تالية، وخاصّة في العصر العبّاسي تتطبّع على الحكم مدى العمر، وكانت تنظر إلى الحاكم كقدر من الأقدار أو ظاهرة كارثيّة كالزلزال والطاعون التي هي في تصوّرهم عقاب للبشر على انحرافهم[٣].

---

١. قال الشاعر العراقي عبدالرزّاق عبدالواحد في حديث تلفزيوني: أنّه لا يعرف رجلاً أفصح من المتبني وصدام حسين!

٢. من شعارات النظام العراقي في سنة ١٩٦٨م (سنة الانقلاب العسكري): «جئنا لنبقى»، وهو نفسه الذي رفعه في مدينة خرمشهر بعد احتلالها!

٣. امتنّ المنصور على الناس بأنّ الله رفع عنهم الطاعون في فترة حكمه، فردّ أحدهم قائلاً: إنّ الله لا يجمع علينا حشفاً وسوء كيل: ولايتك والطاعون!

وتحوّل مفهوم البيعة إلى توقيع شعبي وجماهيري على صكّ العبوديّة للحاكم، وليس عقداً اجتماعيّاً يتضمّن حقوقاً وواجبات متبادلة.

وأصبح النظام في التجربة العباسيّة تفويضاً إلهياً وأنّ الخليفة ظلّ الله في الأرض، وأصبح اللقب الملتصق بالله من أساسيّات الحكم وأكثرها مدعاة للألم، فطاغية دكتاتور مثل جعفر بن الواثق كان لقبه الرسمي المتوكّل على الله! وصدّام عبد الله المؤمن!!![1].

وليس من حاجة إلى نقد الواقع العربي اليوم وأي كلام في هذا المضمار سيظلّ باهتاً ومدعاة للبكاء وربما الضحك؛ لأنّه من شرّ البليّة.

والمطلوب من العالَم العربي اليوم أن يعي جيداً درس الاتّحاد السوفيتي، لقد ذهبت أدراج الرياح حكومة الفرد المستبد وعاد حكم الأمّة.

ومن الطبيعي أن الطريق إلى تحقيق هذه الغاية التي يحلم بها المواطن العربي اليوم، سيكون طويلاً من خلال تجربة ثقافيّة تربويّة، يتجسّد فيها العمل كثيراً ويقل فيها الكلام وتنحسر فيها الشعارات الفارغة؛ سيكون هناك دور للأسرة والمدرسة في ترسيخ مفاهيم حيوية حول الإيمان بالله وكرامة الإنسان، واحترام الرأي، وقبول رأي الأغلبيّة.

كما يتوجّب أن يكون القانون فوق الجميع؛ لأنَّ القانون الذي يتكفّل صياغة النظام الحقوقي هو الذي يحفظ حالة التوازن الاجتماعي، وينبغي أن تكون

١. اشتمل أحد القصور الرئاسيّة لصدام على قبّة كبيرة نقشت على سقفها من الداخل تسعاً وتسعين اسماً ولقباً للرئيس القائد الغرر المؤمن بطل التحريري القومي... في توجّه مخيف للاعلان عن الوهيّته مثل ما فعل ذلك من قبل النمرود حاكم بابل وأور وفرعون حاكم مصر!

الصحافة ووسائل الإعلام في مستوى الأداء الجادّ والعمل على ترسيخ هذه المفاهيم في صياغة نظام نابع من الإرث الحضاري لما أبدعه الأقدمون بعد تنقيته من شوائب التجارب السيئة.

إن تحوّل مفاهيم من قبيل الحريّة إلى ممارسة في التفكير والتعبير والقول والعمل معترف بها من الجميع كواقع ثقافي وإنساني، هو الذي سيعيد حالة التوازن المفقود.

وفي رأيي ستبقى كلّ هذه المفاهيم في مستوى الشعارات أو النصوص المكتوبة في الدساتير، ما لم تحدث خطوة جادّة في الإيمان بالله الذي كرّم بني آدم من دون السماح لأحد أن يتحدّث باسمه أو يحكم من خلاله.

كمال السيّد

مقدّمة المؤلّف

انّ في طليعة القضايا الهامّة التي شغلت بال الانسانيّة في الماضي والحاضر هي مسألة الحق والحقوق وذلك للصلة الوثيقة بينها وبين الحياة الانسانيّة وانبثاقها من صميم الطبيعة الاجتماعيّة للانسان، وقد كانت وما تزال مثاراً للجدل بين المفكّرين والعلماء عبر العصور والقرون والأزمان وما أكثر الكتب والمؤلّفات في هذه القضيّة الشائكة والمعقدة.

ولقد شغل موضوع الحقوق في الرسالات الالهيّة وخاصّة رسالة الاسلام الخالدة موقعاً خاصّاً وفريداً وتمّ التعبير عنه بأساليب عديدة يقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

«وَالْحَقُّ أَجْمَلُ الْأَشْيَاءِ فِي التَّوَاصُفِ وَأَوْسَعُهَا فِي التَّنَاصُفِ لا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلّا جَرَى عَلَيْهِ وَلا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلّا جَرَى لَهُ وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ ذَلِكَ لَهُ وَلا يَجْرِيَ عَلَيْهِ لَكَانَ ذَلِكَ لِلهِ عَزَّوَجَلَّ خَالِصاً دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ ضُرُوبُ قَضَائِهِ».

انّ النظام الحقوقي في مدرسة الأنبياء ـ وخاصّة الدين الاسلامي ـ أمر بديهي قطعي وهذه مسألة واضحة لدى المسلمين في الرجوع إلى أحكام القرآن في تنظيم العلاقات الاجتماعيّة وفي حلّ النزاعات حيث يتوجب الفصل في الاختلافات بين المسلمين وفقاً لذلك.

وقد صرّح القرآن الكريم في ذلك وهذه سورة المائدة تتضمّن أربعة تصريحات واضحة في هذا المضمار:

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴾[١].

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾[٢].

﴿ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾[٣].

﴿ وَأَنِ احْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ ﴾[٤].

وينهض النظام الحقوقي في الاسلام على أسس ومرتكزات انسانيّة والهيّة ويتطلّع إلى أهداف سامية ومقدّسة وينشد العدالة في كلّ دقائق وتفاصيل الحياة من خلال نظرة واسعة وعميقة في نفس الوقت.

وينظر النظام الحقوقي للاسلام إلى المجتمع على أساس الكرامة الانسانيّة من خلال بناء صرّح ايدلوجي صحيح يقوم على الصوابية ويعتبر المؤمنين جميعاً سواسية وذلك بالغاء جميع الامتيازات التي تترتّب على أسس قوميّة وعرقيّة فكلّ (القبائل) والأعراق والقوميّات المختلفة وكلّ الألوان من أسود وأبيض وعرب وعجم سواسيّة في الحقوق والواجبات.

وفي النظام الحقوقي الحاكميّة لله سبحانه وتعالى وحتّى الذين يشرّعون ويسنّون القانون إنّما هم موظّفون في مهمّة الكشف عن القوانين الالهيّة وصياغة الضوابط الاجتماعيّة في ضوئها؛ فهم في النهاية منقادون أيضاً لهذه القوانين.

---

(١) سورة المائدة: الآية ٤٤.

(٢) سورة المائدة: الآية ٤٥.

(٣) سورة المائدة: الآية ٤٧.

(٤) سورة المائدة: الآية ٤٩.

وقوانين الاسلام متناغمة ومنسجمة مع الفطرة وتلبّي وعلى نحو متوازن احتياجات ورغبات الانسان وتؤمّن له مصالحة كفرد ومجتمع على صعيد الاستقلال والحريّة والنمو الاقتصادي والثقافي وسيادة المجتمع الإسلامي في اطار قوانين ثابتة ومتغيّرة ضمن برنامج شامل يرشّد حركة الانسان نحو الهدف والغاية العليا من الخلق.

الحق

ينبغي للباحث في موضوع الحق أن يكون لديه تعريف عن هذا الموضوع ومن هنا يتوجب تقديم تعريف للحق لغوياً واصطلاحيّاً والتطرّق أيضاً إلى قضايا من قبيل «مفهوم الحق» و«ماهية الحق» والفرق بين الحق والملك وكذلك الفرق بين الحق والحكم.

الحق في اللغة

لـ«الحق» لغوياً معاني عديدة نشير إلى أهمّها ويذهب الراغب الاصفهاني إلى أنّ الحق في الأصل بمعنى المطابقة والموافقة وسنرى ان هذه المطابقة والانسجام والموافقة ملاحظة في معظم معاني الحق من جملتها:

الف: الحق بمعنى الله والخالق ولأنّ الله خلق الخلق مطابقة للحكمة: ﴿فَذٰلِكُمُ اللهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ﴾(١).

ب ـ الحق بمعنى المخلوق، انطلاقاً من كون خلقهم جاء مطابقاً للحكمة

(١) سورة يونس: الآية ٣٢.

وموافقاً لها:

﴿ما خَلَقَ اللهُ ذٰلِكَ إلاّ بِالْحَقِّ﴾[١].

ج ـ الحق بمعنى الاعتقاد المطابق للواقع:

﴿فَهَدَى اللهُ الَّذينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فيهِ مِنَ الْحَقِّ﴾[٢].

د ـ الحق بمعنى القول والفعل المطابق لما ينبغي ويتوجب:

﴿لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ عَلىٰ أَكْثَرِهِمْ﴾[٣].[٤]

ويذهب بعض العلماء وأهل اللغة إلى انه وخلال استقراء بعض الموارد التي استخدمت فيها هذه المفردة فانّ كلمة الحق في الأصل تفيد معنى الثبوت وان جميع معاني الحق ترجع إلى الثبوت[٥].

وعلى هذا فان الحقّ عبارة عن كلّ أمر ثابت حقيقيّاً كان او نسبيّاً واذن نقول الله حق ذلك أنّه ثابت وحقيقي والقرآن حق باعتبار ثبوته من قبل الله عزّوجلّ.

وكلّ عمل واقع وثابت نقول انه حق، فالعدل حق لأنّ العدل أساس ثبوت وبقاء كلّ شيء، والاسلام أيضاً نقول عنه حق بسبب تحقّقه وثبوته.

ويطلق الحق على المِلك والمنفعة المعينة للشخص أيضاً، وهذا يعود أيضاً لثبوت ذلك وتحقّقه بحكم القانون المتواضع والمتّفق عليه بعقد معتبر وثابت ومعيّن

---

(١) سورة يونس: الآية ٥.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢١٣.

(٣) سورة يس: الآية ٧.

(٤) المفردات، مادّة (حق).

(٥) تطبيق در حقوق جزاى عمومى اسلام: ص٤١، نقلاً عن معيار اللغة والمدخل للفقه الاسلامي: ص٤١٩.

و «الباطل» هو كلّ ما يكون مقابل ومواجه أيّاً من المعاني المختلفة لـ«الحـق» ويكتسب معناه جرّاء ذلك.

مفهوم الحق

تستخدم مفردة «حق» بصورة مصدر واسم مصدر وصفة وقد استخدمت في القرآن الكريم باشكال متعدّدة:

﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾(١).

وكذلك للتعبير عن الذات الالهيّة:

﴿ وَهُوَ الَّذي خَلَقَ السَّماٰواٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ﴾(٢).

وأيضاً في دين الله:

﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ ﴾(٣).

وفي الوعد الإلهي:

﴿ وَإِذٰا قيلَ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ ﴾(٤).

وحول الوحي الإلهي:

﴿ وَالَّذي أَوْحَيْنٰا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتٰابِ هُوَ الْحَقُّ ﴾(٥).

وفي القصص القرآني:

---

(١) سورة النور: الآية ٢٥.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٧٣.

(٣) سورة الفتح: الآية ٢٨.

(٤) سورة الجاثية: الآية ٣٢.

(٥) سورة فاطر: الآية ٣١.

﴿ إِنَّ هٰذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ ﴾[(١)].

وحول الحكم:

﴿ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ ﴾[(٢)].

والى اضافة الى ذلك فان لـ«الحق» في القرآن الكريم في بعض الموارد مفهوم اعتباري يعبّر عن علاقة في اطار عقد خاص بين انسان وانسان أو بين انسان وشيء آخر وفي هذه الحالة فانّه يستخدم على نحو مطلق:

﴿ فَآتِ ذَا الْقُرْبىٰ حَقَّهُ ﴾[(٣)].

ويستخدم احياناً مع حرف اللام:

﴿ وَفي أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ لِلسّٰائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴾[(٤)].

واحياناً مع الحرف «على»:

﴿ وَلْيُمْلِلِ الَّذي عَلَيْهِ الْحَقُّ ﴾[(٥)].

وعموماً فان مفردة «الحق» و«الحقوق» التي ترد في كلمات الامام علي بن الحسين زين العابدين وسائر الأئـمّة الأطهار عليهم السلام لا تعني معنى الاصطلاح الحقوقي أو القانوني وإنّما القانون الأخلاقي على الرغم من الأبعاد الاجتماعيّة التي تشتمل عليها أيضاً والتي هي الموضوع الأساسي في هذه الدراسة.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٦.

(٢) سورة ص: الآية ٢٦.

(٣) سورة الروم: الآية ٣٨.

(٤) سورة الذاريات: الآية ١٩.

(٥) سورة البقرة: الآية ٢٨٢.

الحق اصطلاحاً

اختلف فلاسفة الغرب وعلماء الاسلام حول المعنى الاصطلاحي لـ«الحق» وتعريفه وهذه اشارة إلى بعضهم:

١ ـ يقول «ليرمينيه» عالم الاجتماع والاقتصادي الفرنسي في تعريف الحق: «الحق توازن وتناغم علاقات البشر».

وقد ذكرنا فيما مضى انّ أحد المعاني اللغويّة للحق بأنّه عبارة عن العدل أي ايجاد التوازن والانسجام والتناغم بين الكائنات أو بين أجزاء أي كائن.

وعلى هذا فان ماذا ذكره عالم الاجتماع الفرنسي في تعريف الحق اذا لم يكن عين العدل فانه سيكون قريباً جدّاً لذلك[1].

٢ ـ وقال بعض في تعريف الحق: الحق حقيقة طبيعيّة أو اعتباريّة تمنح لصاحبها للحفاظ عليها أو كسبها، من قبيل حق الحياة وحقّ الحريّة وحقّ المساواة وحقّ الزوجيّة وحقّ القصاص وغيرها.

٣ ـ يقول السيّد محمّد بحر العلوم وهو من كبار علماء الشيعة في القرن الثالث عشر الهجري:

«وأمّا الحق فهو يطلق مرّة في مقابل الملك وأُخرى ما يرادفه وهو بمعنييه سلطنة مجعولة للانسان من حيث هو على غيره ولو باعتبار من مال أو شخص أو هما معاً كالعين المستأجرة فان للمستأجر سلطنة على الموجر في ماله الخاص»[2].

---

(١) تطبيق در حقوق جزاى عمومى اسلام: ص٤٢ (تطبيق في القانون الجزائي العام للاسلام).

(٢) بلغة الفقيه: ج١، ص١٣.

٤ ـ يرى الشيخ الأنصاري ﷫: ان الحق عبارة عن نحو من السلطة والاستطاعة يمكن لصاحبه أن يحقق منفعة في ضوئه[١].

٥ ـ ويرى الآخوند محمّد كاظم الخراياني، انّ الحق اعتبار خاص واضافة خاصّة ينتزع من حكم وضعي أو تكليفي أو من منشأ آخر نظير حق التصرّف والاستفادة من ملك ينتزع من الملكيّة ومن هنا يستفاد (حق المارّة) في اباحة أكل ثمار البستان للمارّ بجانبه[٢].

٦ ـ ويرى السيّد محسن الحكيم: انّ الحق نوع من الملك والملك نوع اضافة وعلاقة واعتبار خاص بين المالك والمملوك[٣].

٧ ـ ويرى السيّد كاظم اليزدي الطباطبائي: انّ الحق نوع سلطة اعتباريّة على شيء كالتعلّق بالعين مثل حق الحجر أو غير العين مثل حق خيار الفسخ أو على الشخص مثل القصاص وعليه فان الحق درجة أضعف من الملك بل انه سيكون نوعاً منه[٤].

٨ ـ ويرى السيّد أبوالقاسم الخوئي: انّ الملكيّة عبارة عن القدرة والسلطة العامّة أمّا الحقّ فهو سلطة خاصّة[٥].

انّ الحق نوع اختصاص وهو اختصاص كان موجوداً قبل تشكيل المجتمع وظهر في اشكال مختلفة ومتنوعة بعد تشكيل المجتمع وكان أحدها الحق[٦].

---

(١) المكاسب، مطلع كتاب البيع.

(٢) درآمدى بر حقوق اسلامى: ج ١، ص٤٦، نقلاً عن فرائد الأُصول: ص ٢٩٤.

(٣) المصدر السابق، نقلاً عن نهج الفقاهة: ص٦ ـ ٧.

(٤) المصدر السابق، نقلاً عن حاشية المكاسب.

(٥) المصدر نفسه، نقلاً عن ارشاد الطالب الى التعليق عن المكاسب: ج ٢، ص ١٢.

(٦) المصدر نفسه، نقلاً عن الميزان: ج ٢، ص ٥٤.

الفرق بين الحق والمِلك

بيّنّا فيما مضى مفهوم الحق، ومن أجل توضيح الفرق بين الحق والمِلك فمن الضروري توضيح مفهوم المِلك والملكيّة بايجاز ليتّضح الفرق بين المفهومين:

١ ـ يقول الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي:

«الملك حكم شرعي مقدّر في العين أو المنفعة يؤثّر تمكين المضاف إليه من المضاف إليه من الانتفاع به والعوض عنه من حيث هو كذلك»[١].

٢ ـ «الملكيّة اختصاص بالشيء يمنع الغير منه ويمكّن صاحبه من التصرّف فيه ابتداءً إلّا لمانع شرعي»[٢].

٣ ـ «حقّ الملكيّة في القانون هو الحق المباشر لشخص على شيء مادّي معيّن وبمقتضاه يكون لهذا الشخص حق استعمال هذا الشيء واستغلاله والتصرّف فيه في الحدود المقرّرة تماماً»[٣].

ونستنتج ممّا ورد أعلاه انّ بعض الفقهاء يذهب إلى اعتبار الحق أضعف درجة من المِلك فيما يذهب آخرون إلى وضعه في مقابل الملك وأحياناً إعتباره مرادفاً له.

ونظراً إلى ما أوضحنا من مفهومي الحق والملك فانّ الحق بلحاظ الموارد والمصاديق أعم من الملك وبلحاظ المفهوم فانّه يختلف عن مفهوم الملك حيث

---

(١) درآمدي بر حقوق اسلامي: ص٥٤ بالاستناد إلى الشهيد الأوّل في القواعد والفوائد: ج٢، ص١٣٣، القاعدة ١٩٧.

(٢) المصدر السابق، نقلاً عن تاريخ الفقه الاسلامي: ص٣٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ص٥٧.

يمكن القول انّه يوجد فرقان أساسيّان بينهما:

الأوّل: انّ الحق يمكن اعتباره بلحاظ أنواع التصرّفات وأيضاً بلحاظ تصرّف خاص أو أكثر، على خلاف الملكيّة التي تقتضي الجواز من خلال أنواع التصرّفات العينيّة من قبيل (الأكل، اللبس وغيرهما) والتصرّفات الاعتباريّة من قبيل (البيع، الهبة وغيرهما) فبالرغم من تحديد هذه التصرّفات في موارد معيّنة أو منعها موقّتاً من قبيل تصرّف الصغير (القاصر) والمحجور عليه في أمواله.

الثاني: ان مفهوم المالكيّة سيكون مستلزماً للاضافة فقط وهذه الاضافة هي بين المالك والمملوك في حين انه في مفهوم الحق وعلاوة على الاضافة بين ذي الحق ومتعلّق الحق فانه ثمّة اضافة أُخرى تلاحظ في ذلك وهي عبارة عن العلاقة بين من «له الحق» و «من عليه الحق» وعليه فان المفهومين مستقلّان عن بعضهما تماماً ولا يعد أحدهما درجة من درجات الآخر بأي شكل من الأشكال.

أنواع الحق وتقسيماته

وفيما يلي اشارة إلى تقسيمات الحق:

أوّلاً: الحق الطبيعي والحق الوضعي

يشتمل الحق على تقسيمات بحثتها الكتب ذات الصلة بالحقوق ومن بينها الحق الطبيعي والحق الوضعي والأساس الطبيعي لحقوق الانسان شيء واحد لا أكثر وهو عبارة عن تمتع الانسان واستفادته من كلّ الأشياء التي خلقها الله عزّوجلّ والتي يتوقّف عليها بقاء وتكامل الانسان.

بعبارة أُخرى انّ الحقوق الطبيعيّة هي الحقوق غير الاعتباريّة والتي تتجلّى سيادتها في العالم على نحو حقائق طبيعيّة من قبيل «حق الحياة والحريّة وغير ذلك» والتي تحصل لأيّ شخص بمحض ولادته وينهض الاعلان العالمي لحقوق الانسان على هذه الحقوق الطبيعيّة.

والحقوق الموضوعة (أو الوضعيّة) حقوق اعتباريّة يسنّها الانسان في مناسبات خاصّة وقد قام آية الله السيّد محمّد كاظم اليزدي بتقسيم هذه الحقوق على هذا النحو (تقسيم ينهض على مسألة الانتقال والاسقاط):

١ ـ الحقوق التي لا تنتقل إلى آخر بموت صاحبها ولا يصح اسقاطها ولا نقلها إلى آخر، مثل حق الأُبوّة، حق ولاية الحاكم، حق التمتع بالمرأة، حق الوصاية.

٢ ـ الحقوق التي يجوز اسقاطها، الّا ان نقلها الى الغير لا يصحّ ولا تنتقل بموت صاحبها على نحو قهري أيضاً مثل حق الغيبة وحق الشتم، حق الايذاء عن طريق الاهانة أو الضرب في حالة كون الارضاء وطلب الحلية من صاحب الحق واجباً وعدم كفاية التوبة.

٣ ـ الحقوق التي تنتقل الى الورثة بموت صاحبها ويجوز اسقاطها أيضاً إلّا انّه لا يجوز نقلها إلى آخر مثل حق الشفعة على وجه.

٤ ـ الحقوق التي لا يجوز نقلها واسقاطها، مثل حق الخيار، حق القصاص.

٥ ـ الحقوق التي يجوز اسقاطها ونقلها من دون عوض، مثل حق القسم على أساس ما يذهب إليه جمع من الفقهاء كالعلّامة في القواعد والشهيد الأوّل في اللمعة.

٦ ـ الحقوق التي يشك في اسقاطها وانتقالها، مثل حق النفقة في مورد

الأقارب كالوالدين والأولاد[١].

ثانياً: حق الله وحق الناس

يقسم الفقهاء الحقوق على نحو عام الى قسمين:

حق الله وحق الناس.

يقول الامام الخميني في تحرير الوسيلة:

«انّ الحقوق على كثرتها تنقسم إلى قسمين: حقوق الله وحقوق الناس»[٢].

وفي نفس الكتاب نجد تقسيماً آخر في هذا المضمار فيشير إلى ان حق الله ينقسم إلى قسمين: حق الله المحض مثل حدّ الزنا وحدّ اللواط أو مشترك بين حقّ الله وحق الانسان مثل حدّ القذف وحدّ السرقة[٣].

وحقّ الناس هو الحق الذي يقرّره المشرّع لفرد أو أفراد من أجل كسب منافع منظورة، فمثلاً حق الشفعة هو حق الناس وباستخدامه يحصل الفرد على نفع يعود إلى الشريك في المال غير المنقول.

ولا علاقة له بأي شخص آخر، حق القصاص أيضاً هو حق الناس حيث لولي الدم الاستفادة من هذا الحق دون غيره.

الآن وقد عرفنا المراد من حق الناس اذ هو حق مختص بفرد أو أفراد نقول: انّ حق الله يقع مقابل ذلك والمراد من ذلك هو الحق الاجتماعي العام (الحق

---

(١) تطبيق در حقوق جزاء: ص٤٦ ـ ٤٧.

(٢) تحرير الوسيلة: ج٢، ص٤٤٦.

(٣) المصدر السابق: ص٤٤٩.

العام للمجتمع) خاصة وان حق الله لا يمكن حمله على معناه الحقيقي ذلك انّ الله عزّوجلّ لا يحتاج إلى إعمال ولا يعود عليه نفع من وراء ذلك.

واذن فان الحق الذي يسنّه المشرّع ويكون ذا صلة بعموم المجتمع الاسلامي والامّة الاسلاميّة يصطلح عليه بـ«حق الله».

وقد أذعن الفقهاء إلى هذا المعنى لدى تفسيرهم «سبيل الله» لأنّه لا يمكن حمل ذلك على معناه الحقيقي واذن فان المراد من ذلك الأُمور ذات النفع والصالح العام ولها صلة بعموم المجتمع والامة ويعود نفعها على جميع الناس.

جاء في الفصل الثالث من كتاب الزكاة في شرح اللمعة:

كلّ الأعمال العامة المنفعة التي توصلنا إلى رضا الله والثواب والقرب هي «في سبيل الله» من قبيل عمارة المساجد ومساعدة المحتاجين واصلاح ذات البين واقامة المدارس العلميّة واقامة نظام الدين[١].

ثالثاً: حق الاختصاص، الأولويّة، المالكية

وللفقهاء تقسيم آخر حول الحق حيث قسّموه إلى الاختصاص والأولويّة والمالكيّة وحقّ الاختصاص يتعلّق عادة في المورد الذي ليس مالية (ملكيّة) شرعية أو عرفيّة وفي النتيجة انتفاء وانتهاء أرضية وخلفيّة المالكيّة بالنسبة للمتعلّق.

وهنا يكمن الفرق بينه وبين حق الاولوية ولأن حق الاختصاص يفتقد الماليّة لا يمكنه الصلح بآخر أما نفس هذا الحق فيمكنه ذلك.

---

(١) شرح اللمعة، كتاب الزكاة.

والى هذا يشير الشيخ الأنصاري رحمه الله في جواز الاحتفاظ بـالأشياء النـجسة للفائدة والظاهر في هذه الامور حق الاختصاص الذي إمّا أن يكون نـاشئاً مـن الحيازة أو ناشئاً من المالكيّة القبلية مثل موت حيوان أو فساد اللحم حيث تجوز المصالحة من دون مبادلة على هذا الحق بل المصالحة مع المبادلة أيضاً بحيث لا تعد المبادلة قيمة لنفس العين(١).

ويذهب النائيني كذلك إلى انّ حق الاختصاص بالنسبة للأشياء التي ليس لها مالية شرعيّة مثل الشراب الذي له القابلية على أن يتحوّل إلى خل واذن يطلق عليه الحق.

فعصير العنب المغلي والذي تحول إلى خمر هو نجس والخمر في الاسـلام ليس له قيمة مالية إلّا ان هذا الخمر اذا تمّ غليه فانه يتحوّل إلى خل وتحصل له قيمة ولو لم تكن له قيمة مالية إلّا ان عنوان حق الاختصاص محفوظ له(٢).

وأمّا حق الاولوية فان فرق هذا الحق مع حق الاختصاص هو ان متعلّق حق الاولوية له مالية شرعية وفي النتيجة اذا اقدم شخص على اتلافه فهو ضامن وعليه أن يعطي صاحبه المثل أو قيمته، وعلى سبيل المثال في حـق «التـحجير» إذ لا يمكن أن يتصرّف أحد في المتعلّق إلّا باذن صاحبه ولو تصرّف به أحد من دون رضاه وعمل فيه فلا يوجد ذلك له حقّاً.

---

(١) المكاسب: ص١٤.

(٢) العصير العنبي بعد الغليان وإن لم يذهب ثلثاه فانه تجوز المعاملة عليه ولو على القول بنجاسته وذلك لما ذكرنا في المتنجس ان سلب المالية شرط منوط بعدم قابلية المتنجس للتطهير بصيرورته خلّاً للفرق بينهما فان الخمر لا يقبل الطهارة إلّا بتبدّل موضوعه وهذا بخلاف العصير. منية الطالب: ج١، ص٨.

وفي ما يخصّ حقّ المالكيّة: كنّا قد عرفنا المالكية ونضيف هنا:

انّ كلّ انسان له سلطة على تصوّراته الذهنيّة بحيث انّه يستيطع ايجادها كلّما أراد ويمكنه محوها في أيّ وقت شاء وتدعى هذا السلطة بـ«السلطة التكوينيّة» وحيثما كانت للانسان هكذا سلطة خارج وجوده حصلت له المالكيّة وعلى هذا يمكن القول: انّ المالكيّة اعتبار من اعتبار السلطة الشخصيّة (الحقيقيّة أو الحقوقيّة) بالنسبة إلى شيء بحيث يمكنه التصرّف بذلك الشيء ويمنع من تصرّف الآخرين فيه.

وقال بعضهم: المالكيّة اعتبار مضاف وانتساب بين شخص يدعى «المالك» والشيء الذي يدعى «المملوك»(١).

نظرة الامام السجاد عليه السلام إلى الحقوق

بينا في هذه المقدّمة جهد الاستطاعة الرؤية الفقهيّة وأشرنا إلى تقسيمات الفقهاء للحقوق والآن نتطرّق إلى موضوع البحث الأصلي ونعني «شرح رسالة الحقوق» حول الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة التي بيّنها الامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام فنشير إلى الحقوق الفرديّة والحقوق الفقهيّة.

انّ من خصائص الانسان التي يمتاز بها عن غيره هي المسؤوليّات الكبرى في حياته والتي تنشأ عن عقله وادراكه وشعوره الاجتماعي والمسؤوليّة شجرة (تربتها) ارضيتها المعارف وجذورها العقائد وربيعها الأزمان والحوادث وعند ما تكون تربتها غنية خصبة فانه تؤتي ثمارها في كلّ ربيع ولا تصاب بالآفات لأنّ الآفة إنّما هي نتيجة النقص.

---

(١) كتاب البيع للامام الخميني: ج ١، ص ١١ ـ ٢٥.

البنى التحتية للمسؤوليّة

انّ الله سبحانه لا يمنح ولا يهب النعم ولا يسلبها هكـذا اعـتباطاً، ولا يـعدّ اعطاء النعم ملاكاً للأفضليّة والتـفوّق ولابـدّ لمـعطيّاته مـن حـصيلة ومـردود، والتفاضل والتفوّق يكمن في المردود ومن هنا تنشأ وتنبع المسؤوليّة حيث يقول الله عزّوجلّ:

﴿ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعيمِ﴾[1].

واذن يتوجب تشغيل «رأس المال» وإلّا كان الاحتكار وللمعطيات مردود لأنّه يتوجب أن يكون لرأس المال ربح وما كان منه يتوجب أن يكون له.

الطريق لمعرفة المسؤوليّة

من أجل معرفة المسؤوليّة يتوجّب وجود عدّة اصول، الأصل الأوّل الحريّة والانعتاق من الأهواء. الثاني: التوافـر عـلى السـلطة أو التـمتع بـالقدرة لأداء المسؤوليّة والثالث المعرفة (معرفة المسؤوليّة) يقول القرآن الكريم: ﴿مَنِ اهْتَدىٰ فَإِنَّما يَهْتَدي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّما يَضِلُّ عَلَيْها وَلاٰ تَزِرُ وٰازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرىٰ وَما كُنّا مُعَذِّبينَ حَتّٰى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2].

ومسؤوليّة الانسان تبدأ من نفسه وتنقسم إلى قسمين:

مسؤوليّة فرديّة ومسؤوليّة اجتماعيّة، يقول القرآن الكريم فـي المسـؤوليّة الفرديّة: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾[3].

---

(١) سورة التكاثر: الآية ٨.

(٢) سورة الإسراء: الآية ١٥.

(٣) سورة المدثّر: الآية ٣٨.

ويقول أيضاً: ﴿مَنْ عَمِلَ صٰالِحاً مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيٰاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مٰا كٰانُوا يَعْمَلُونَ﴾[1].

ويقول القرآن الكريم في المسؤوليّة الاجتماعيّة: ﴿ظَهَرَ الْفَسٰادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمٰا كَسَبَتْ أَيْدِي النّٰاسِ لِيُذيقَهُمْ بَعْضَ الَّذي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[2].

المسؤوليّة على أساس الذوق والانتخاب

كلّ انسان يتحمّل المسؤوليّة وفقاً لذوقه واستعداده وامكاناته.

فهذا فلاح وهذا راع أو حدّاد أو خيّاط ويقول الحكماء والفلاسفة: «الانسان مدني بالطبع» اشارة إلى هذا المعنى حيث يمكن تفسير باعث الانسان وميله إلى الحياة الاجتماعيّة.

وعند ما تنشأ الحياة على أساس التعاون تأتي قضيّة حدود المسؤوليّات وتحديد الوظائف والواجبات لأفراد المجتمع بين بعضهم البعض ومن جهة أُخرى تبرز غريزة الانانيّة والميل لتحقيق المنفعة الشخصيّة في نفس الانسان وفقاً للمقولة المعروفة «الحق لمن غلب» واندفاع الفرد الى التجاوز على حقوق الآخرين وحدوث الفوضى التي تنشأ جراء ذلك.

ومن هنا تطرح ضرورة وجود القانون في المجتمع الذي ينظم العلاقات من خلال سلسلة من الضوابط والمقرّرات تحفظ مصالح جميع أفراد المجتمع.

وقد اتّضح لدينا حتّى الآن وجود المسؤوليّات التي يتحمّلها الانسان وتمتّعه

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٧.

(٢) سورة الروم: الآية ٤١.

بالحقوق التي ينبغي الالتزام بها وأنه مسؤول عمّا اعطي وكما ورد في القرآن الكريم:

﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ﴾[1].

ومن هنا كان من الضروري ان يعرف الانسان حدود مسؤوليّاته ويدرك أي الحقوق التي هو مسؤول عنها!

رسالة الحقوق وسيرة الامام زين العابدين عليه السلام

لقد أُلّف في موضوع الحقوق في أبعاده القضائيّة والجزائيّة الكثير واسهمت مختلف المدارس الحقوقيّة في ذلك اسهاماً واسعاً وبرزت أسماء لامعة في مضمار الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة. الاّ أنه يمكن القول انه لا يوجد نص في مضمار الحقوق الفرديّة والاجتماعيّة والأخلاقيّة يضاهي رسالة الحقوق في تاريخه وشموليّته ومصداقيّته.

والامام علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام هو الامام الرابع للمسلمين الذين يؤمنون بامامة آل الرسول صلى الله عليه وآله ولد سنة ٣٧ أو ٣٨ للهجرة في المدينة المنوّرة واستشهد مسموماً في سنة ٩٤ أو ٩٥ للهجرة ودفن في مقبرة البقيع إلى جانب عمّه الامام الحسن السبط عليه السلام.

يذهب الشيخ الكليني إلى انّ ولادة الامام زين العابدين كانت في سنة ٣٨ هـ وشهادته كانت في سنة ٩٥ هـ وعمره المبارك ٥٧ سنة[2].

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٣٦٨.

بينما يسجل المؤرّخ اليعقوبي انّ وفاة الامام زين العابدين كانت في سنة ٩٩ هـ وعمره المبارك كان ٥٨ سنة[١].

أمّا الشيخ المفيد فيذهب إلى أن ولادته عليه السلام كانت سنة ٣٨ هـ وشهادته كانت في سنة ٩٥ هـ وعمره ٥٧ سنة[٢].

ودراسة حياة الامام زين العابدين تحتاج إلى كتاب مستقل وقد تطرّق المؤرّخون وأرباب السير إلى حياته عليه السلام وأشاروا إلى امامته وعصمته وعلوّ شأنه وكرم أخلاقه وأجمعوا على كثرة عبادته وطول سجوده حتّى اشتهر بألقاب عديدة فهو: زين العابدين وسيّد الساجدين والسجّاد وعدّ في البكّائين إذ كان يذرف دموعه خشية من الله عزّوجلّ حتّى لقّب بـ« تاج البكّائين » وتشهد الصحيفة المعروفة بـ«الصحيفة السجاديّة » على عمق علمه من خلال أدعيته ومناجاته لله عزّوجلّ فترك وراءه ميراثاً خالداً للأجيال حتّى قيل عنها « زبور آل محمّد ».

وبلغ القمّة في الصبر والتحمّل والمعاناة فقد شهد واقعة كربلاء الدامية وشهد فصول ذلك اليوم المرير، فكان كالجبل الشامخ رغم السلاسل والأغلال وهذه خطبته البليغة في جامع دمشق ما تزال تتردّد في سماء التاريخ فلم يعهد عن أسير قد أبيدت أسرته أن يقف ذلك الموقف ويتحدّىٰ الطاغية في مركز حكومته والسيوف التي ذبحت أباه واخوته وعمومته وأهل بيته ما تزال تقطر دماً.

وحادثة الحج يوم كان هشام بن عبدالملك أميراً على الحج فلم يتسنّ له بلوغ الحجر الأسود واستلامه لشدّة الزحام فتنحّى جانباً حتّى اذا طلع الوجه المضيء

---

(١) اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٠٣.

(٢) الارشاد: ج ٢، ص ١٣٨.

للامام السجاد وأشرقت طلعته البهية اذا بالجموع المتراصة تنفرج له صفين احتراماً واجلالاً ما بهر أهل الشام المحتفّين بأميرهم فتساءل أحدهم من هذا؟

وشاء القدر أن يكون الفرزدق الشاعر حاضراً فارتجل قصيدة رائعة كان مطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحلّ والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم ... هذا التقيّ النقيّ الطاهر العلم

ما قال لا قط إلّا في تشهّده ... لولا التشهّد كانت لاؤه نعم

يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم اذا ما جاء يستلم

وقد أشعلت هذه القصيدة نار الحقد في نفس هشام فأمر بسجنه وقطع عنه عطاءه ثمّ اضطر لاطلاق سراحه وأرسل الامام زين العابدين إليه يشكره على موقفه ويسلّمه جائزة نقديّة تكريماً له.

أجل لقد فتح الامام زين العابدين عينيه في بيت من بيوت الوحي ﴿في بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فيهَا اسْمُهُ﴾(١).

وفي هذه البيوت نشأ وترعرع وتشرّب ثقافة الاسلام حتّى كانت جزءً من كيانه بل هي كيانه كلّه.

كان انساناً كاملاً وكان عالماً بتكوين الانسان قد نفذ في أعماق هذا التكوين، وما رسالة الحقوق بموادها الخمسين إلّا مرآة تنعكس فيها هذه المعرفة إن صدور هذه الرسالة الجليلة القدر في تلك الظروف يعد انجاز بشريّاً كبيراً وقد اهتم العلماء قديماً وحديثاً بهذه الرسالة الحقوقيّة الهامّة وتعرضوا لشرحها وهذه اشارة إلى

---

(١) سورة النور: الآية ٣٧.

بعض العلماء ممّن قام بشرحها وتفسيرها أو ترجمتها إلى لغات اخرى ونحن نكتفي بما ورد في كتاب «حياة علي بن الحسين» للدكتور السيّد جعفر شهيدي ـ الأستاذ الجامعي المعروف ـ في الصفحتين ١٧٠ ـ ١٧١:

١ ـ رسالة الحقوق تصنيف المرحوم السيّد سبط الحسن اللكنهوي مع تعليقات.

٢ ـ رسالة الحقوق تصنيف عبدالهادي المختار وقد قدّم لها المؤلّف وصدرت ضمن سلسلة «كتاب الشهر» في مدينة الكاظميّة وقدّم لها أيضاً السيّد صادق الصدر.

٣ ـ رسالة الحقوق تأليف الأستاذ الفاضل والحقوقي المعروف «توفيق الفكيكي» المقيم في النجف الأشرف في العراق.

٤ ـ طبع فقرات من الرسالة في كتاب «حديث السجاد» (سخنان سجّاد) باللغة الفارسيّة تأليف الدكتور صاحب الزماني في سنة ١٩٤٧م في طهران.

٥ ـ الترجمة الكاملة الى اللغة الفارسيّة عن النص المثبت في كتاب «الخصال» بقلم الفاضل الحاج الشيخ محمّد باقر كمرأي.

٦ ـ رسالة الحقوق للمرحوم ناصري من فضلاء طهران.

٧ ـ رسالة الحقوق للسيّد علي گل زاده غفوري.

٨ ـ ترجمة رسالة الحقوق إلى الفارسيّة بقلم آية الله جنّتي وتمّ نشرها في سنة ١٩٧٦م.

٩ ـ ترجمة رسالة الحقوق إلى الفارسيّة بقلم الحاج السيّد أحمد الفهري الزنجاني عن النص الأصلي المثبت في «الخصال».

١٠ ـ رسالة الحقوق بمقدّمة قصيرة صدرت عن دار التوحيد في طهران سنة ١٤٠٣هـ وقد قام العالم الفاضل السيّد سپهري في مقدمة كتابه «ترجمه وشرح رسالة الحقوق» وبعد نقله الفهرست أعلاه عن الدكتور شهيدي باضافة بعض الترجمات الاخرى والشروح وهي كما يلي:

١ ـ ترجمة قصيرة وبسيطة في كراسة حول الامام الرابع صدرت عن مؤسّسة دار الحق.

٢ ـ ترجمة رسالة الحقوق ضمن كتاب (سخنان برگزيده) تأليف السيّد ابراهيم ميانجي في الصفحة ١٩١ الى ٢٢٢ وقد صدر الكتاب عن مكتبة مرتضوي في طهران سنة ١٣٩٤هـ.

٣ ـ ترجمة وشرح الرسالة تحت عنوان «مباني مناسبات انساني د. مديريت اسلامي (أساس العلاقات الانسانيّة في الادارة الاسلاميّة) تأليف السيّد محمود سياهپوش (الحسين) ويقع الكتاب في ٥٣٣ صفحة وقد صدر سنة ١٩٨٥م عن مؤسّسة أمير كبير في طهران.

٤ ـ كتاب «صراط المؤمنين» في ترجمة الرسالة الحقوقيّة للامام زين العابدين، تأليف السيّد قوام اسلامي جاسبي في ٢٣٢ صفحة.

٥ ـ «شرح رسالة الحقوق للامام علي بن الحسين زين العابدين» طبعة مؤسّسة اسماعيليان في مدينة قم والكتاب من تأليف السيّد حسين السيّد علي القبّانچي مع مقدّمة بقلم حجّة الاسلام السيّد محمّد جواد التبريزي والمؤلّف من علماء النجف الأشرف وقد جاءت نصوصه باسلوب سلس رائع واشتمل على بحوث علميّة ودينيّة واسعة والكتاب يقع في مجلّدين غير انّ المؤلّف أهمل

وللأسف أن يذكر لرواياته مصادرها الدقيقة.

وهذه خمسة شروح وترجمات أوردها السيّد سبهري وقد قام هو أيضاً بترجمة الرسالة وشرحها في ١٩٥ صفحة صدرت في قم عن دار العلم في سنة ١٩٩٠م ومن خصائص هذا الكتاب دراسته لسند الرسالة والذي لم نجد له أثراً في باقي الشروح وفيما يلي نورد عنه ذلك:

سند رسالة الحقوق

حظيب هذه الرسالة باهتمام على مدى فصول التاريخ فقد أوردوها في مؤلّفاتهم ونشير إلى أقدم المصادر المعتبرة التي أوردت نص الرسالة:

١ ـ «تحف العقول» للمرحوم ابن شعبة الحرّاني المتوفىٰ سنة ٣٨١ هـ في الصفحات ١٨٤ الى ١٩٥.

٢ ـ «من لا يحضره الفقيه» لرئيس المحدّثين المرحوم الشيخ الصدوق المتوفى سنة ٣٨٢ هـ المجلّد الثاني الصفحات ٦١٨ الى ٦٢٦.

٣ ـ مكارم الأخلاق للمرحوم الشيخ الطوسي المتوفى سنة ٥٤٨ هـ الصفحات ٤١٩ إلى ٤٢٤.

ومن المصادر الاخرى التي أوردت نصّ الرسالة:

كتاب «الخصال» الصفحة ٥٦٤ و «الأمالي» الصفحة ٣٦٨ وكلاهما للشيخ الصدوق ﷺ و «بحار الأنوار» للعلّامة المجلسي المجلد ٧٤، الصفحة ٢ و «شرح نهج البلاغة» للمرحوم الخوئي المجلد ١٤ الصفحة ١٣٤ و «أعيان الشيعة» للمرحوم السيّد محسن الأمين المجلّد ١ الصفحة ٦٣٨ و «مستدرك الوسائل»

للمرحوم المحدّث النوري، المجلّد ٢ الصفحة ٢٧٤ و «مرآة الكمال» للمرحوم العلّامة المامقاني المجلّد ٣ الصفحة ٥٩٩.

وقد أورد مؤلّف تحف العقول هذه الرسالة من دون ذكر للسند أمّا المرحوم الشيخ الصدوق فقد أورد سند الرسالة في كتابيه «من لا يحضره الفقيه» وفي «الخصال» والتفحص في رجال السند من الأُمور الشاقّة والمفيدة في نفس الوقت للكشف عن صدق ووثاقة الرواة ومعرفة الضعفاء والكذابين والمتساهلين.

وفيما يلي نورد النتائج التي توصل إليها السيّد سبهري في دراسته لسند هذه الرسالة وقد جعل كتاب «من لا يحضره الفقيه» ميزاناً في دراسة السند ذلك انّ الشيخ الصدوق لم يدخل في كتابه إلّا ما وثق به من الروايات والنصوص وقد ذكر الشيخ الصدوق في مطلع روايته هذه الرسالة مرسلة[1].

«روى اسماعيل بن الفضل عن ثابت بن دينار عن سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام».

وفي ختام الكتاب يشير الصدوق إلى مشايخه معرفاً ايّاهم وقائلاً:

«وما كان فيه عن اسماعيل بن الفضل من ذكر الحقوق عن علي بن الحسين سيّد العابدين عليهما السلام فقد رويته عن علي بن أحمد بن موسى رضي الله عنه، قال: حدّثنا محمّد بن جعفر الكوفي الأسدي، قال: حدّثنا محمّد بن إسماعيل البرمكي، قال: حدّثنا عبدالله بن أحمد، قال: حدّثنا إسماعيل بن الفضل، عن ثابت بن دينار الثمالي عن سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام».

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٢، ص ٦١٨.

ومن أجل التعرف على حالة السند المذكور قمت بمراجعة أقدم المصادر الرجاليّة للشيعة والمشهور بـ«الأُصول الأربعة الرجاليّة»[١] والمؤلّفات الأخرى فلم أر ذكراً لـ«علي بن أحمد بن موسى» في كتب الرجال ولهذا أطلق على هذا السند بأنّه مجهول[٢]. أمّا «محمّد بن جعفر الأسدي الكوفي» فقد عدّه من الثقات[٣].

و«محمّد بن إسماعيل البرمكي» موضع ثقة الرجاليين وثنائهم بالرغم من تضعيف الغضائري له ولكن الموثقين له رجحوا كفة وثاقته[٤].

و«عبدالله بن أحمد» مشترك بين عدّة نفر وقد احتمل الأستاذ المحقّق في رجال الحديث السيّد علي أكبر الغفاري ان يكون المراد منه عبدالله بن أحمد الرازي[٥].

وعبدالله بن أحمد الرازي ليس ثقة وسواء كان عبدالله بن أحمد مشترك بين عدّة نفر أو هو عبدالله بن أحمد الرازي لأنّه ما لم تحرز وثاقة جميع رجال السند فلا يمكن الركون الى الحديث والرواية.

---

(١) الاصول الأربعة عبارة عن: ١ ـ رجال النجاشي، ٢ ـ رجال الطوسي، ٣ ـ فهرست الشيخ الطوسي، ٤ ـ رجال الكشي أو اختيار معرفة الرجال.

(٢) مجمع الرجال، العلّامة القهبايي: ج٧، ص٢٢٧.

(٣) انظر: رجال الكشي: ص٣٧٣؛ مجمع الرجال: ج٥، ص١٧٧ ومعجم رجال الحديث: ج١٥ ص١٦٧.

(٤) انظر: رجال النجاشي: ص٣٤١؛ مجمع الرجال: ج٤، ص٥١٢؛ رجال العلّامة الحلّي: ص١٥٤ و١٥٥ ومعجم رجال الحديث: ج١٥، ص٩٥.

(٥) هامش من لا يحضره الفقيه: ج٤، ص٥١٢ وللتحقيق أكثر، انظر: رجال النجاشي: ص٣٤٨؛ فهرست الشيخ الطوسي: ص١٤٤ ـ ١٤٥ ومعجم رجال الحديث: ج١٠، ص١٠٤.

و «إسماعيل بن الفضل» أيضاً ثقة[١].

وآخر رجل في سلسلة السند هو «أبو حمزة الثمالي أو ثابت بن أبي صفية» وهو رجل تقي ورع بل يمكن القول بانه من نوادر أصحاب الأئمّة في تقواه استشهد أولاده الثلاثة في ثورة زيد بن علي زين العابدين عليه السلام.

يقول النجاشي فيه:

«وأولاده ـ نوح ومنصور وحمزة ـ قُتلوا مع زيد، لقَى علي بن الحسين وأبا جعفر وأبا عبدالله وأبا الحسين عليهم السلام وروى عنهم، وكان من خيار أصحابنا وثقاتهم ومعتمديهم في الرواية والحديث، وروي عن أبي عبدالله عليه السلام أنّه قال: أبو حمزة في زمانه مثل سلمان في زمانه».

استنتاج

ويخلص السيّد سپهري في فحصه رجال الحديث إلى ذكر بعض الأدلّة على صحّة الحديث وصدوره عن الامام المعصوم وهي كما يلي:

١ ـ ما قاله القهبايي في مجمع الرجال ج٧ ص٢١٩ بأن جميع شيوخ الصدوق رجال لم يرد حول مدح أو ذم في كتب الرجال والشيخ الصدوق نفسه يذكرهم باحترام فيعقب على ذكر أحدهم بـ«رضي الله عنه» و «رحمه الله» وهذا ما يدلّ على توثيقه لهم والىٰ اعتقاد راسخ بايمانهم وعدالتهم فطلب الرحمة لهم والرضوان يدلّ على درجة وثاقتهم.

٢ ـ نقرأ في مقدّمة الشيخ الصدوق لكتابه «من لا يحضره الفقيه»:

---

(١) مجمع الرجال: ج١، ص٢٢١ و رجال الطوسي: ص١٠٤ ـ ١٠٥.

«ولم أقصد قصد المصنّفين في ايراد جميع ما رووه بل قصدت إلى ايراد ما أفتي به وأحكم بصحّته واعتقد فيه أنه حجّة فيما بيني وبين ربّي».

٣ ـ وكما أشرنا سابقاً انّ المبرزين من كبار العلماء أوردوا هذه الرسالة في مؤلّفاتهم وآثارهم وحظيت باهتمام العلماء على امتداد التاريخ وهذا الاهتمام إنّما يعكس ثقتهم وقبولهم هذه الرواية وصحّة صدورها عن الامام عليه السلام برواية الشيخ الصدوق الذي أوردها في كتابين من مؤلّفاته.

٤ ـ توثيق آية الله العظمى البروجردي وهو من كبار علماء الرجال لرواة الشيخ الصدوق وفيما يلي نص ما قاله البروجردي رحمه الله:

بسمه تعالى

«وأمّا رسالة الحقوق المرويّة عن سيّدنا زين العابدين علي بن الحسين سلام الله عليه، فان «اسماعيل بن الفضل» هاشمي نوفلي وهو من أولاد نوفل بن الحارث بن عبدالمطلّب ومن محدّثي البصرة وموضع ثقة، و«ثابت بن دينار» أبو حمزة الثمالي الذي هو أيضاً موضع ثقة وسند محمّد بن الحسين الصدوق رحمه الله يروي عن جعفر بن محمّد بن قولويه وهو يروي الحسين بن محمّد بن عامر الذي هو من شيوخ الكليني وهو يروي عن عمّه عبدالله بن عامر وعبدالله بن عامر عن محمّد بن أبي عمير، ومحمّد بن أبي عمير عن عبدالرحمن بن محمّد وهو يروي عن الفضل بن اسماعيل بن الفضل وهو يروي عن أبيه اسماعيل بن الفضل وسنده موثوق»(١).

ويخلص السيّد سپهري في النهاية إلى هذه النتيجة:

---

(١) انظر «راه و رسم زندگی في رؤية الامام السجاد عليه السلام» تأليف علي غفوري ص١٢.

انه اضافة إلى الدلائل والقرائن المذكورة فان منهج العلماء في قبول الأحاديث ذات الصلة بالأخلاق والسنن والمندوبات ينهض على أساس «التسامح في أدلّة السنن» وهي قاعدة مشهورة ومعروفة وهذه الطمأنينة من الأحاديث ينبغي أن تتوافر على مضامين عالية ورفيعة ولا تتنافىٰ مع اصول العقيدة ومسلّمات الدين وبديهيّات العقل و«رسالة الحقوق» تتمتع بهذه المواصفات[1].

وقد اخترنا في هذه الدراسة نص رسالة الحقوق التي وردت في كتاب «تحف العقول» لسببين:

١ ـ ان تحف العقول هو أقدم في نقله لهذه الرسالة بالرغم من عدم اشارته الى السند لأن منهجه أساساً يقوم على حذف السند ونقل النصوص.

٢ ـ ان هذا النص يتمتع بالشموليّة والتفصيل أكثر بالقياس إلى غيره وقد أشرنا في غالب الحقوق الى الجمل والعبارات التي وردت في مكارم الأخلاق بألفاظ مختلفة ولم يرد في نص تحف العقول «حق الحج» فأوردناه من مكارم الأخلاق وقد سعينا في هذا الشرح إلىٰ الايجاز في بيان الحقوق الخمسين من خلال الاستشهاد بالروايات والأحاديث وثمّة مفردات في الرسالة كانت بحاجة إلى بيان معانيها والكشف عن معانيها ودلالاتها.

ومن خصائص هذا الشرح ان نص الرسالة الحقوقيّة هذه لهٰ طابع أخلاقي في الغالب فسعينا ما أمكن الاشارة الى الجانب الفقهي في هذه الحقوق استكمالاً للفائدة وبيان جامعيّة الدين الاسلامي.

نسأله تعالى أن يتقبّل هذا الجهد ويجعلنا شيعة آل محمّد صلى الله عليه وآله حقّاً.

---

(١) ترجمة وشرح رسالة الحقوق: ص٣٦.

الديباجة

اعْلَمْ رَحِمَكَ اللهُ أَنَّ لِلهِ عَلَيْكَ حُقُوقاً مُحِيطَةً بِكَ فِي كُلِّ حَرَكَةٍ تَحَرَّكْتَهَا أَوْ سَكَنَةٍ سَكَنْتَهَا أَوْ مَنْزِلَةٍ نَزَلْتَهَا أَوْ جَارِحَةٍ قَلَبْتَهَا أَوْ آلَةٍ تَصَرَّفْتَ بِهَا بَعْضُهَا أَكْبَرُ مِنْ بَعْضٍ.

وَأَكْبَرُ حُقُوقِ اللهِ عَلَيْكَ مَا أَوْجَبَهُ لِنَفْسِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مِنْ حَقِّهِ الَّذِي هُوَ أَصْلُ الْحُقُوقِ وَمِنْهُ تَفَرَّعَ ثُمَّ أَوْجَبَهُ عَلَيْكَ لِنَفْسِكَ مِنْ قَرْنِكَ إِلَى قَدَمِكَ عَلَى اخْتِلافِ جَوَارِحِكَ فَجَعَلَ لِبَصَرِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِسَمْعِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِلِسَانِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِيَدِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِرِجْلِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِبَطْنِكَ عَلَيْكَ حَقّاً وَلِفَرْجِكَ عَلَيْكَ حَقّاً فَهَذِهِ الْجَوَارِحُ السَّبْعُ الَّتِي بِهَا تَكُونُ الْأَفْعَالُ.

ثُمَّ جَعَلَ عَزَّ وَجَلَّ لِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حُقُوقاً فَجَعَلَ لِصَلاتِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِصَوْمِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِصَدَقَتِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِهَدْيِكَ عَلَيْكَ حَقّاً، وَلِأَفْعَالِكَ عَلَيْكَ حَقّاً.

ثُمَّ تَخْرُجُ الْحُقُوقُ مِنْكَ إِلَى غَيْرِكَ مِنْ ذَوِي الْحُقُوقِ الْوَاجِبَةِ عَلَيْكَ وَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ أَئِمَّتِكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثُمَّ حُقُوقُ رَحِمِكَ فَهَذِهِ حُقُوقٌ يَتَشَعَّبُ مِنْهَا حُقُوقٌ.

فَحُقُوقُ أَئِمَّتِكَ ثَلاثَةٌ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ ثُمَّ حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمُلْكِ وَكُلُّ سَائِسٍ إِمَامٌ.

وَحُقُوقُ رَعِيَّتِكَ ثَلاثَةٌ أَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ ثُمَّ حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَإِنَّ الْجَاهِلَ رَعِيَّةُ الْعَالِمِ وَحَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْمُلْكِ مِنَ الْأَزْوَاجِ وَمَا مَلَكْتَ مِنَ الْأَيْمَانِ.

وَحُقُوقُ رَحِمِكَ كَثِيرَةٌ مُتَّصِلَةٌ بِقَدْرِ اتِّصَالِ الرَّحِمِ فِي الْقَرَابَةِ فَأَوْجَبُهَا عَلَيْكَ حَقُّ

أُمِّكَ ثُمَّ حَقُّ أَبِيكَ ثُمَّ حَقُّ وُلْدِكَ ثُمَّ حَقُّ أَخِيكَ ثُمَّ الْأَقْرَبُ فَالْأَقْرَبُ وَالْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ.

ثُمَّ حَقُّ مَوْلاكَ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مَوْلاكَ الْجَارِي نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ لَدَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مُؤَذِّنِكَ بِالصَّلاةِ ثُمَّ حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلاتِكَ ثُمَّ حَقُّ جَلِيسِكَ ثُمَّ حَقُّ جَارِكَ ثُمَّ حَقُّ صَاحِبِكَ ثُمَّ حَقُّ شَرِيكِكَ ثُمَّ حَقُّ مَالِكَ ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي تُطَالِبُهُ ثُمَّ حَقُّ غَرِيمِكَ الَّذِي يُطَالِبُكَ ثُمَّ حَقُّ خَلِيطِكَ ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ خَصْمِكَ الَّذِي تَدَّعِي عَلَيْهِ ثُمَّ حَقُّ مُسْتَشِيرِكَ ثُمَّ حَقُّ الْمُشِيرِ عَلَيْكَ ثُمَّ حَقُّ مُسْتَنْصِحِكَ ثُمَّ حَقُّ النَّاصِحِ لَكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ هُوَ أَصْغَرُ مِنْكَ ثُمَّ حَقُّ سَائِلِكَ ثُمَّ حَقُّ مَنْ سَأَلْتَهُ ثُمَّ حَقُّ مَنْ جَرَى لَكَ عَلَى يَدَيْهِ مَسَاءَةٌ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ أَوْ مَسَرَّةٌ بِذَلِكَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ عَنْ تَعَمُّدٍ مِنْهُ أَوْ غَيْرِ تَعَمُّدٍ مِنْهُ ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ مِلَّتِكَ عَامَّةً ثُمَّ حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ ثُمَّ الْحُقُوقُ الْجَارِيَةُ بِقَدْرِ عِلَلِ الْأَحْوَالِ وَتَصَرُّفِ الْأَسْبَابِ فَطُوبَى لِمَنْ أَعَانَهُ اللهُ عَلَى قَضَاءِ مَا أَوْجَبَ عَلَيْهِ مِنْ حُقُوقِهِ وَوَفَّقَهُ وَسَدَّدَهُ.

المادّة الاولى: حقّ الله

«فَأَمَّا حَقُّ اللهِ الْأَكْبَرُ فَأَنَّكَ تَعْبُدُهُ لا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ بِإِخْلاصٍ جَعَلَ لَكَ عَلَى نَفْسِهِ أَنْ يَكْفِيَكَ أَمْرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَيَحْفَظَ لَكَ مَا تُحِبُّ مِنْهَا».

عبادة الله غاية ارسال الأنبياء

انّ الهدف والغاية من وراء ارسال الأنبياء هي دعوة النـاس إلى عـبادة الله عزّوجلّ ومواجهة جميع اشكال الشرك. يقول القرآن الكريم:

﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾[1].

وفي الآية دعوة واضحة الى عبادة الله الواحد الأحد والتحذير مـن عـبادة الطاغوت والشرك والوثنيّة فكانت مهمّة الرسل والأنبياء دعوة الناس إلى عبادة الله وتوحيد الخالق واجتناب عبادة غيره سبحانه، ولهذا واجه الأنبياء والرسل كلّ اشكال الوثنيّة والشرك بالله وحذروا من عبادة الشمس والقمر ومن عباده البـقر والبشر والاتجاه إلى عبادة الله خالق كلّ شيء.

---

(١) سورة النحل: الآية ٣٦.

عبادة الله أمر فطري

إنّ عبادة الله والخضوع في حضرته جزء من الفطرة الانسانيّة التي هي الجبلّة التي جبل عليها تكوين الانسان وخلقه ككائن آدمي، وهذا التوجّه التكويني المودع في كيان الانسان يشير إليه النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في قوله:

«كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَ يُنَصِّرَانِهِ وَ يُمَجِّسَانِهِ».

وهذا الميل الفطري والغير اكتسابي في الانسان إلى عبادة الله سبحانه يطلق عليه العلماء «الميل العالي».

فكما انّ الانسان ينطوي على ميل في أعماقه للبحث عن الحقيقة حيث ينشأ عن ذلك توجّهه نحو تحصيل العلم والحكمة والفلسفة فكذلك ينبع في أعماق الانسان ميل إلى معرفة الحقيقة اذ انه ينطوي على توجّه ذاتي أو باعث ذاتي الى البحث والاستمرار في ذلك منذ أن يولد وإلى أن يموت وماحب الاستطلاع وكثرة الأسئلة التي يطرحها الطفل على والديه وذويه الّا دليل على هذه الحقيقة أنه يريد أن يعرف سرّ الظواهر التي يراها ويعيشها في بيئته ويعرف العوامل والأسباب والأسرار التي تنطوي عليها الطبيعة في ظواهرها المتنوعة.

وكذلك ينطوي الانسان على ميل وتوجّه نحو الفضائل الأخلاقيّة والخير وهو يشعر باللذّة ازاء الأعمال ذات الطابع الخلقي الكريم والنبل والاحسان والصدق وهو أيضاً يعشق الجمال ويصبو إليه وينتشي لمناظر العشب الاخضر والسواقي وهي تخترق الحقول وتسحره مناظر الورود والزهور ويطرب لتغريد البلابل والطيور وهذه الميول المودعة في أعماق البشر ثابتة بالبداهة ولا تحتاج إلى دليل أو برهان.

وهذا التطلّع إلى الكمال المطلق والعلم المطلق والجمال المطلق والتطلّع الى مبدأ الوجود حيث تنبع جميع الكمالات وتتدفّق كلّ هذا لا يحتاج إلى دليل وبرهان؛ لقد جبل الانسان على ذلك وفطر عليه. يقول القرآن الكريم:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنيفاً فِطْرَتَ اللهِ الَّتي فَطَرَ النّاسَ عَلَيْها لا تَبْديلَ لِخَلْقِ اللهِ ذٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلٰكِنَّ أَكْثَرَ النّاسِ لا يَعْلَمُونَ ﴾[١].

ومن هذه الآية الكريمة يمكن أن نستشف أحد هذين المعنيين:

١ ـ وجود التناغم والانسجام بين الأحكام والقوانين الاسلاميّة وبين الفطرة الانسانيّة.

٢ ـ إنّ هذا التوجّه إلى الله سبحانه والانقياد له والتسليم المحض أمامه حالة يدعوها بـ«الاسلام» والذي يتّصف به هذه هو «مسلم».

وعلى هذا الأساس يمكن القول ان فطرية الدين تعني وجود ميل في داخل التكوين البشري وتوجه إلى عبادة الله والانقياد والتسليم التام أمام أحكامه وأوامره ونواهيه.

يقول الامام أميرالمؤمنين عليه السلام في الخطبة الاولى من نهج البلاغة:

«فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَ وَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِه»[٢].

ويقول عليه السلام في مناسبة أُخرى:

«وكلمة الاخلاص فانّها الفطرة»[٣].

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، صبحي صالح، خطبة ١.

(٣) الخطبة ١١٠.

اللجوء إلى الله في الشدائد

ومع اننا قلنا انّ الفطرة لا تحتاج إلى دليل لكن الانسان الذي أسكره سحر الحياة والمقام والمنصب يغفل عن وجود ربّه ومعبوده حيث يلقي النسيان عليه ستائر سوداء تحول بيه وبين رؤية النور والحقيقة.

ولكن هذا الانسان الغافل عند ما يتعرّض إلى صدمة أو يمرّ بأزمة اذا ينتفض ويصحو وينفض عن قلبه غبار النسيان ويتّجه بكلّ وجوده الى مبدأ الوجود كلّه وهو الله سبحانه وتعالى.

وفي قضية ذلك الانسان الحائر الذي كان يبحث عن الله عن هذه الحقيقة وكم ناظر من العلماء فلم يقنعوه أو لم يقنع بما قالوه حتّى انتهى به المطاف إلى لقاء الامام جعفر الصادق عليه السلام يستنجد به لينقذه من هذه الحيرة؛ الله ما هو الله؟! فما كان من الامام عليه السلام إلّا ان استدلّ له بدليل فطرته بهذه البوصلة الكامنة في أعماقه حيث يوجد في طواياها سرّ آدميته.

قال له الامام عليه السلام: هل ركبت سفينة؟

قال الرجل: نعم.

قال الامام عليه السلام: وهل صادف ان ضربتها الأمواج وأشرفت على الغرق حيث لا شاطئ قريب ولا أمل في النجاة.

قال الرجل: نعم صادف ذلك.

قال الامام فهل اتّجه قلبك الى شيء ظننت انه ينجيك من الغرق؟

قال الرجل: نعم.

فقال الامام: فذلك هو الله سبحانه وتعالى[١].

نعم انّ الميل والتوجّه إلى الله أمر فطري وأن بعثة الأنبياء والرسل هي من أجل تنبيه الانسان من غفلته ومن أجل هذا كان حق الله أو الحقوق وأعظمها بل هو منشأ سائر الحقوق ومنه تتفرّع وتصدر.

ومن الضروري أن نتعرّف على معنى العبادة ومفهومها وعلى معنى الشرك ودرجاته ومستوياته.

المعنى اللغوي للعبادة

يقول الراغب الاصفهاني اللغوي المعروف في العبوديّة ومعنى العبد:

«العبوديّة اظهار التذلّل والعبادة أبلغ منها لأنّها غاية التذلّل ولا يستحقّها إلّا من له غاية الأفضال وهو الله تعالى والعبادة ضربان: عبادة بالتسخير وهو كما ذكر في السجود وعبادة بالاختيار وهي لذوي النطق»[٢].

وفرق الطاعة عن العبادة هي انّ العبادة مختصّة بالله عزّوجلّ في حين انّ الطاعة تطلق حتّى على غير الله مثل طاعة الوالدين أو طاعة الزوج بينما العبادة ليست كذلك لأنّها مختصّة بالله سبحانه وتعالى.

معنى العبد في القرآن الكريم

تأتي مفردة «عبد» في معنيين الأوّل بمعنى المملوك كما في قوله تعالى:

---

(١) الشافي: ج١، ص٤٠، بتصرّف.

(٢) المفردات، مادة «عبد».

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَىٰ الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثَىٰ بِالْأُنْثَىٰ﴾(١).

وقوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللهُ مَثَلاً عَبْداً مَمْلُوكاً لا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾(٢).

وأيضاً قوله تعالى: ﴿إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلاَّ آتِي الرَّحْمٰنِ عَبْداً﴾(٣).

وجاء في كتاب «أقرب الموارد» انّ العبد تعني الانسان سواء كان حرّاً أم عبداً.

والمعنى الآخر لـ«العبد» هو العابد والمطيع لله سبحانه في اخلاص كما في قوله تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْداً شَكُوراً﴾(٤).

وقوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى﴾(٥).

وقوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ﴾(٦).

ففي هذه الآيات تعني العبد الانسان المطيع ومثال الانسان الذي بلغ درجة القرب الالهي وحاز على رضوان الله سبحانه.

ولدينا نوعان من العبادة لله تبارك وتعالى: الأوّل الطاعة لأوامر الله في قضايا الحلال والحرام وهذه العبادة هي الطاعة والالتزام بشريعة الله عزّوجلّ كما في

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٨.

(٢) سورة النحل: الآية ٧٥.

(٣) سورة مريم: الآية ٩٣.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٣.

(٥) سورة الإسراء: الآية ١.

(٦) سورة ص: الآية ٤١.

قوله تعالى: ﴿فَاعْبُدْني وَأَقِمِ الصَّلاٰةَ لِذِكْري﴾[١].

وقوله سبحانه: ﴿وَمٰا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إلاّ لِيَعْبُدُونِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النّٰاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصٰابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصٰابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرٰانُ الْمُبينُ﴾[٣].

والتأمّل في الآيتين الأخيرتين أعلاه فانّ من المحتمل جدّاً ان مفردة عبد تعني الطاعة والعبد المطيع.

والمعنى الآخر للعبادة هو التذلّل المقترن بالتقديس حيث يكون العبد في نهاية الخضوع والتذلّل لله سبحانه وتعالى وفي نفس الوقت فهو يتمتّع بالكمال في جميع الصفات الحسنة ولا تشعر به شائبة من النواقص الأخلاقيّة وفي النتيجة فان الاسلام عند ما يحصر العبادة لله وحده فان معنى هذا ان يتحرّر من عبادة كلّ شيء غير الله سبحانه وأن يتحرّر من العبوديّة لغير الله تعالى وخاصّة الرؤساء والزعماء والملوك والجبابرة والطواغيت لأنّ الاسلام يعلن صراحة انه لا توجد قدرة قادرة على ايصال النفع أو الاضرار إلّا قدرة الله عزّوجلّ.

قال تعالى: ﴿قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مٰا لاٰ يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاٰ نَفْعاً وَاللهُ هُوَ السَّميعُ الْعَليمُ﴾[٤].

وقال عزّوجلّ: ﴿إِنَّ الَّذينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ لاٰ يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقاً فَابْتَغُوا عِنْدَ اللهِ الرِّزْقَ﴾[٥].

---

(١) سورة طه: الآية ١٤.

(٢) سورة الذاريات: الآية ٥٦.

(٣) سورة الحج: الآية ١١.

(٤) سورة المائدة: الآية ٧٦.

(٥) سورة العنكبوت: الآية ١٧.

ويقول عزّوجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(١).

دائرة العبادة في الاسلام

وفي معرض الاجابة عن السؤال حول سعة دائرة العبادة في الاسلام وما هي الأشياء التي تطلق عليها العبادة؟ فانه يتوجب القول؟ ان العبادة في الاسلام لا تختصّ بعمل أو أعمال محدّدة بل انها كالشجرة السامقة التي تضرب بجذورها في داخل الأرض وقد تفرعت عن جذعها الأغصان المورقة التي تعبر وتشتمل على مختلف القضايا والموضوعات وفيما يلي اشارة إلى بعضها على سبيل المثال:

١ ـ الشكر

أشار القرآن الكريم في العديد من الآيات إلى الشكر باعتباره عبادة، ولذا فاننا بداية نعرف معنى الشكر ثمّ نورد بعض الآيات التي تشير إلى هذا النوع من العبادة:

الشكر فعل ينبئ عن تعظيم المنعم بسبب الانعام، وقال الراغب: الشكر تصور النعمة واظهارها(٢).

انّ الشكر تصوّر النعمة وإظهارها واستعمالها في موضعها فاذا قام الانسان بالاستفادة من النعمة في موضعها ومحلّها فقد أدّى شكر هذه النعمة فمثلاً شكر

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢١.

(٢) الراغب، مادة «شكر».

نعمة البصر والنظر يكون من خلال التأمل في آيات الله كما ورد في القرآن الكريم: ﴿قُلِ انْظُرُوا مٰا ذٰا فِي السَّمٰاوٰاتِ وَالْأَرْضِ﴾[١].

ويقول الامام علي عليه السلام في خطبة المتّقين واصفاً اياهم: «غضّوا أبصارهم عمّا حرّم الله عليهم ووقفوا أسماعهم على العلم النافع لهم»[٢].

ويقول عليه السلام في مناسبة أُخرى «شكر كلّ نعمة الورع عمّا حرّم الله»[٣].

وعلى هذا يتوجب على الانسان ألّا يستخدم النعم التي أنعم الله بها عليه في المعصية والاثم.

أثر الشكر في التربية والقيادة

التفت العلماء في العصر الحاضر إلى مسألة التقدير والشكر ودورهما في التربية والادارة ونصحوا المدراء والرؤساء في أخذ هذه المسألة بعين الجدّ وانّ الانسان اذا لم تُقدّر جهوده فان الفتور يتسلّل إلى نفسه ويتراجع حماسه في أداء العمل.

يقول الامام علي عليه السلام في هذا المضمار:

«لا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ»[٤].

وجاء في القرآن الكريم في هذا الموضوع:

---

(١) سورة يونس: الآية ١٠١.

(٢) نهج البلاغة، خطبة المتّقين: ١٩٣.

(٣) سفينة البحار: ج١، ص٧١٠.

(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٥٣.

﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾﴾(١).

الشكر في نظر علماء الأخلاق

يقول علماء الأخلاق انّ الشكر يتألّف من ثلاثة أشياء:

الأوّل: معرفة النعمة والمنعم.

الثاني: الانفعال النفسي حيث يعبّر الذي أُنعم عليه من خلاله في خضوعه ازاء المنعم والفرح بالنعمة.

الثالث: تحقيق الهدف والغاية من وراء النعمة يعني استخدامها في الاتّجاه الصحيح.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ بِنِعْمَةٍ فَعَرَفَهَا بِقَلْبِهِ فَقَدْ أَدَّى شُكْرَهَا»(٢).

وقال عليه السلام:

«وَ أَدْنَى الشُّكْرِ رُؤْيَةُ النِّعْمَةِ مِنَ الله»(٣).

ويميز أميرالمؤمنين علي عليه السلام بين الشكر والتملّق قائلاً:

«الثَّناء بِأَكْثَر مِنَ الإِستِحقاق مَلَقٌ وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ»(٤).

وقد أشرنا إلى أنّ شكر المنعم وهو الله عزّوجلّ عبادة وإلى هذا المعنى تشير الآيات الكريمة التالية:

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٥ـ٣٦.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٩٦، حديث ١٥.

(٣) نهج البلاغة، الكلمات القصار: ٢٣٩.

(٤) سفينة البحار: ج١، ص٧١٠.

﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[١].

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾[٢].

والآيتان أعلاه تفيدان بأن شكر النعم الالهيّة عبادة وإن عباد الله الصالحين هم في طليعة الناس الذين يشكرون الله سبحانه على نعمه وآلائه.

قال الله عزّوجلّ:

﴿ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾[٣].

وكان سليمان النبي عليه السلام أكثر الناس شكراً لله وكان يدعو قائلاً:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ﴾[٤].

٢ ـ طلب الرزق عبادة

من الأُمور التي يعدّها الدين الاسلامي عبادة «طلب الزق» من مصدره الحلال وبنيّة تأمين احتياجاته حتّى لا يضطر الى سؤال الآخرين يقول القرآن الكريم: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[٥].

وعبارة فضل الله التي يرد ذكرها في القرآن في مناسبات عديدة تعني طلب

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٧٢.

(٢) سورة الزمر: الآية ٦٦.

(٣) سورة الزخرف: الآية ١٣.

(٤) سورة النمل: الآية ١٩.

(٥) سورة الجمعة: الآية ١٠.

الرزق والعمل في التجارة غير انه يمكن التوسّع في معناها لتشمل كلّ الأعمال التي تكسب الانسان من خلالها الرزق الحلال والصلاة التي تقصدها الآية هي صلاة الجمعة حيث يستفاد استحباب طلب الرزق بعد الفراغ من الصلاة لما في ذلك من البركة وقد جاء في الأثر انّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان اذا فرغ من الصلاة الجمعة ذهب الى السوق[١].

وقد روى الامام الباقر عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال: «**العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال**»[٢].

ويروي أبو حمزة الثمالي عن الامام الباقر عليه السلام قوله: «**من طلب الدنيا استخفافاً (استغناءً) عن الناس وسعياً على أهله وتعطّفاً على جاره لقى الله عزّوجلّ يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر**»[٣].

الموت أثناء العمل

يروي محمّد بن يعقوب الكليني عن علي بن إبراهيم، عن أبيه بسند متّصل وأيضاً بسند آخر عن محمّد بن اسماعيل، عن الفضل بن شاذان، عن ابن أبي عمير، عن عبدالله بن الحجّاج، عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال: «إنّ محمّد بن المنكدر كان يقول: ماكنت أرى انّ عليّ بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتّى رأيت ابنه محمّد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني».

---

(١) التفسير الأمثل: ج ٢٤، ص ١٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج ١٢، ص ١١، حديث ٦.

(٣) المصدر السابق، الحديث ٥.

فقال له أصحابه: بأي شيء وعظك؟

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبو جعفر محمّد بن علي وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا أما لأعظنّة فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ عليّ السلام بنهر (بالقرب من نهر أو ساقية) وهو يتصابّ عرقاً فقلت أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا! أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه ما كنت تصنع؟!

فقال: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في [طاعة من] طاعة الله عزّوجلّ أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنّما كنت أخاف ان لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[1].

ونلاحظ في هذا الحديث الشريف كيف ينظر الامام محمّد الباقر الى العمل وطلب الرزق وكيف يدخله في دائرة العبادة والطاعة لله عزّوجلّ.

وجاء في رواية أُخرى عن موسى بن بكير، عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انه قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:

«من طلب هذا الرزق من حلّه ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله»[2].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٩، باب ٤، حديث ١.

(٢) المصدر السابق: ص١١، حديث ٤.

طلب الرزق من الله بالعمل والسعي

روى محمّد بن علي بن الحسين باسناده عن الفضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق عليه السلام): اني قد تركت التجارة.

قال عليه السلام: «**فلا تفعل، افتح بابك وابسط بساطك واسترزق الله ربك**»(١).

وباسناده أيضاً عن روح بن عبدالرحيم عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ: ﴿رِجَالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ﴾(٢).

قال عليه السلام: «**كانوا أصحاب تجارة فاذا حضرت الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممّن لم يتّجر**»(٣).

وتنطوي هذه الأحاديث علىٰ دلالات واضحة في قيمة العمل ومنزلة العامل ونحن نكتفي بهذا القدر في هذا الموضوع، حيث يتّضح أنّ العمل لا يتنافى مع العبادة فحسب بل هو جزء من العبادة بل هو من أكبر العبادات لأنّ العبادة من دون عمل لا قيمة لها، وقد قيل لو لا الخبز ما عبد الله كما انه ينبغي اصلاح الوضع الاقتصادي والمعاشي للانسان وممّن يتحمّل مسؤوليّة الانفاق عليه وبالتالي يستحيل هذا الجهد الاقتصادي والتجاري إلى عبادة كبرى.

يقول الامام علي عليه السلام (بسند عن الامام جعفر الصادق عن آبائه): قال: كان أميرالمؤمنين عليه السلام يقول: «**من وجد ماءً وتراباً ثمّ افتقر فأبعده الله**»(٤).

وجاء في السيرة ان جماعة من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله ذهبوا في سفر فلما عادوا

---

(١) المصدر نفسه: ص٨، حديث ١١.

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

(٣) المصدر نفسه، حديث ١٤.

(٤) المصدر نفسه ص٢٤، حديث ١٣.

قالوا: يا رسول الله ما رأينا أفضل من فلان كان يصوم النهار فاذا نزلنا قام يصلّي حتّى نرحل.

فقال رسول الله ﷺ:

من كان يمهد له ويكفيه ويعمل له؟

قالوا: نحن.

قال ﷺ: كلّكم أفضل منه(١).

٣ ـ الدعاء من مصاديق العبادة

الدعاء طلب الحاجة من الله عزّوجلّ والتضرّع إليه وهو من العبادة وجاء في الأثر انّ الدعاء مخّ العبادة.

انّ الحياة الانسانيّة مليئة بالمنعطفات ويواجه الانسان خلالها التحدّيات والمشكلات التي لا يمكنه التغلب عليها ولذا فهو في أمس الحاجة الى من يلجأ إليه ويتوجّه إليه لحلّ هذه المشكلات ومواجهة هذه التحدّيات، حيث الدعاء الوسيلة التي يتوسّل بها الانسان في مواجهة صروف الحياة.

قال الله عزّوجلّ: ﴿وَقالَ رَبُّكُمُ ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبادَتي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾(٢).

اذن فالدعاء ممارسة يجسّد الانسان من خلالها عبوديته لله عزّوجلّ ويعبّر عن فقره المطلق إلى الله الغني المطلق ومن هنا فهو عبادة فالعبادة كمفردة تطلق

---

(١) العمل وحقوق العامل: ص ١١١ عن مستدرك الوسائل: ج ٨، ص ٢٢٠.

(٢) سورة المؤمن: الآية ٦٠.

على الدعاء أيضاً وقد جاء في سورة البقرة قوله تعالىٰ:

﴿وَإِذٰا سَأَلَكَ عِبٰادي عَنّي فَإِنّي قَريبٌ أُجيبُ دَعْوَةَ الدّٰاعِ إِذٰا دَعٰانِ فَلْيَسْتَجيبُوا لي وَلْيُؤْمِنُوا بي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾(١).

ونلاحظ في هذه الآية تكرر الاشارة إلى الذات المقدّسة سبع مرّات وأيضاً ثمّة إشارة إلى عباد الله سبع مرّات أيضاً.

ويؤدّي الدعاء أثره التربوي باعتباره عبادة، وقد جاء في السيرة الشريفة انّ رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الله عزّوجلّ أقريب هو فنناجيه أم بعيد فنناديه؟ فسكت النبي صلى الله عليه وآله وهبط جبرائيل عليه السلام فأوحى الله اليه قوله عزّوجلّ: «وإذا سألك عبادي عنّي فانّي قريب».

الدعاء علاج للأمراض الروحيّة

يواجه الانسان في مسيرته الحياتيّة العديد من المشكلات المستعصية والمعضلات والتي تسبّب في ايجاد العقد النفسيّة انّ البحث عن متنفس للتعبير عن المعاناة يسهم في علاج العقد النفسية وهنا يبرز الدعاء كأنجع وسيلة للتنفيس عن ضغط المشكلات والمعضلات وما يواجهه الانسان خلال حياته من المعاناة وفي الدعاء شفاء للانسان من كلّ داء.

الشدائد تدفع بالانسان إلى التوجّه إلى الله

انّ من طبيعة التكوين الانساني انّه عند ما يعيش في بحبوحة من الحياة حيث

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٦.

تكون الأيّام مواتية له والدنيا مقبلة عليه فإنه يغفل عن ذكر الله والتوجّه إلى ربّه وخالقه، لكن ما أن يمرّ بشدّة من الشدائد أو تنزل به نازلة من النوائب حتّى يثوب إلى رشده ويتذكّر ربّه وينتبه من غفلته فيتجه إلى معبوده متضرّعاً إليه.

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾[١].

الدعاء في الروايات

جاء في حديث عن النبي صلى الله عليه وآله: «**الدعاء هو العبادة**»[٢].

وسُئل الامام الصادق عليه السلام:

«ما تقول في رجلين دخلا المسجد جميعاً كان أحدهما أكثر صلاة والآخر دعاءً أيّهما أفضل؟

قال عليه السلام: كلّ حسن.

قال (الراوي): قد علمت ولكن أيّهما أفضل؟

قال عليه السلام: أكثرهما دعاءً، أما تسمع قول الله تعالى: «ادعوني أستجب لكم» وقال عليه السلام: هي العبادة الكبرى»[٣].

---

(١) سورة فصلت: الآية ٥١.

(٢) مجمع البيان: ج٨، ص٥٢٨.

(٣) المصدر السابق: ص٥٢٩.

٤ ـ بعض النظرات عبادة

بعض النظرات التي تكون وسيلة لتلقي المعرفة وترتفع بالحالة الانسانيّة أو تكون عبرة يعتبر بها الانسان تستحيل إلى عبادة في أدبيات الاسلام.

يقول الامام علي عليه السلام: «**النظر إلى العالم عبادة والنظر إلى الامام المقسط عبادة والنظر إلى الوالدين برأفة ورحمة عبادة والنظر إلى الأخ يودّه في الله عزّوجلّ عبادة**»(١).

ومن الواضح ان النظر المقصود هنا هو الذي ينطوي على حالة من التلقي الأخلاقي والروحي ما يثري النفس الانسانيّة بالقيم الرفيعة والنبل والانسانيّة ومن هنا تتحوّل هذه النظرات إلى عبادة لأنّ العبادة وسيلة لتزكية النفس ومن هنا قال الامام السجاد عليه السلام:

«**وأمّا حق الله فأن تعبده لا تشرك به شيئاً**»، فالعبادة مفهوم يتّسع ليشمل كلّ اشكال النشاط الانساني الذي يكون في اطار الهي يعني أن يكون عمل الانسان خالصاً لوجه الله سبحانه وتعالى».

العبادة في جميع الأحوال

إنّ من أدبيّات الدين الاسلامي الحنيف ان يعبد الانسان ربّه وخالقه في جميع الأحوال وفي كلّ الظروف بحيث يستشعر الانسان نفسه انه في رحاب الله عزّوجلّ وأن لا يغيب عن باله ذكر الله سبحانه في حالات الحزن وفي حالات الفرح، في الفقر وفي الغنى في الصحّة والمرض وأن لا تتغيّر حالته النفسيّة وفقاً

---

(١) مجموعة ورّام: ج ٢، ص ١٧٥.

للظروف التي يمرّ بها.

قال تبارك وتعالىٰ:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ عَلىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيا وَالْآخِرَةَ ذٰلِكَ هُوَ الْخُسْرانُ الْمُبِينُ﴾(١).

ولعلّ عبارة «على حرف» تشير إلى الايمان باللسان فقط فهو حالة من اللقلقة وعدم النفوذ إلى القلب أي ان الايمان لم يستقر في فؤاد الانسان وإنّما بقي متأرجحاً على طرف اللسان.

وهكذا حالة من الايمان عرضة للاهتزاز لأقل اختبار وامتحان أو تحدّي يواجه الانسان في مسيرته الحياتيّة.

وقد ورد في تفسير هذه الآية حديث للامام الباقر عليه السلام رواه زرارة قال: سألت عنها (تفسير الآية) أبا جعفر (الباقر) عليه السلام فقال: «هؤلاء قوم عبدوا الله وخلعوا عبادة من يعبد من دون الله وشكوا في محمّد وما جاء به، فتكلّموا بالاسلام وشهدوا أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله وأقرّوا بالقرآن وهم في ذلك شاكّون في محمّد وما جاء به وليسو شكّاكاً في الله قال الله عزّوجل: «**ومن الناس من يعبد الله على حرف» على شكّ في محمّد وما جاء به فان أصابه خير يعني عافية في نفسه وماله وولده اطمأنّ به ورضي به وإن أصابته فتنة بلاء في جسده وماله تطيّر وكره المقام على الاقرار بالنبي، فرجع إلى الوقف والشك فنصب العداوة لله ولرسوله والجحود بالنبي وما جاء به»**(٢).

---

(١) سورة الحج: الآية ١١.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٤٣٧.

النشاط في العبادة

روى محمّد بن يحيى عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: **«ألا إنّ لكلّ عبادة شرة (نشاط ورغبة) ثمّ تصير إلى فترة (فتور)، فمن صارت شرّة عبادته إلى سنتي فقد اهتدى ومن خالف سنّتي فقد ضلّ وكان عمله في تباب أما انّي أصلّي وأنام وأصوم وأفطر وأضحك وأبكي، فمن رغب عن منهاجي وسنّتي فليس منّي»**.

وقال صلى الله عليه وآله: «كفى بالموت موعظة وكفى باليقين غنىً وكفى بالعبادة شغلاً»[(١)].

وقال الامام الصادق عليه السلام: **«لكلّ أحد شرّة ولكلّ شرّة فترة، فطوبى لمن كانت فترته إلى خير»**[(٢)].

وروى حفص بن البختري عن الامام الصادق عليه السلام انه قال:

«لا تكرهوا إلى أنفسكم العبادة»[(٣)].

الاعتدال في العبادة

وكما انّ الروايات توصي بأن تكون العبادة عن شوق ورغبة وحب لكي يكون لها تأثير ايجابي في النفس لأن أداء العبادة من دون رغبة إنّما يجعل منها خالية من الروح وعديمة الجدوى كالجسد الميت الذي لا روح فيه ولا حياة.

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٨٥.

(٢) المصدر السابق: ص٨٦.

(٣) المصدر نفسه.

كذلك تحثّ الروايات والأحاديث على الحذر من الافراط والتفريط في نفس الوقت وانتهاج الحالة الوسطيّة والمسار المعتدل حيث لا إفراط في العبادة ولا تفريط والأحاديث في هذا المضمار كثيرة منها ما رواه حميد بن زياد الخشّاب عن ابن بقاح عن معاذ بن ثابت عن عمرو بن جميع عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال:

قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: **«يا علي انّ هذا الدين متين فأوغل فيه برفق ولا تبغض نفسك عبادة ربك فان المنبت (يعني المفرط) لا ظهرا ابقى ولا أرضاً قطع فاعمل عمل من يرجو أن يموت هرماً واحذ حذر من يتخوّف أن يموت غداً»**.

وجاء في حديث آخر عن أبي بصير عن أبي عبدالله الصادق عليه‌السلام قال: مرّ بي أبي وأنا بالطواف وأنا حدث وقد اجتهدت في العبادة فرآني وأنا اتصاب عرقاً فقال لي: يا جعفر يا بنيّ انّ الله اذا أحب عبداً أدخله الجنّة ورضي عنه باليسير»[1].

وخلاصة القول انّه كما ان الوسطية في كلّ الأُمور شيء مطلوب كذلك فانّها في العبادة أمر مستحسن.

فالطريق ليس شدّة ولا فتوراً إنّما على مهل ينبغي أن يسير الانسان وعلى الدوام.

وفي أدبيّات الاسلام والمدرسة الفلسفيّة للالهيّين انّ العلّة الاولى والمؤثّر الاولى في الوجود هو الله عزّوجلّ والعلل الاخرى ليست في العرض وما تأثيرها وسببيتها إلّا من لدن الله ومن جانبه سبحانه.

---

(١) المصدر نفسه: ص٨٦.

الفرق بين الرؤية التي ينظر من خلالها الالهيون وبين الرؤية الماديّة يكمن هنا، ذلك انّ الرؤية الماديّة تمنح الاصالة للعلل والأسباب الاخرى وانها تسهم في ذلك على نحو مستقل حسبما يعتقدون في حين ان الانسان الموحد ومع انه يعتقد بنظام العلّة والمعلول فانّ جميع الأسباب والعلل إنّما يستند إلى الله تبارك وتعالى.

«هو الذي رسم الوجود بأسره والماء والريح يعملان بأمره.

هو الذي يثير الأمواج في البحر والسيد يهدر بأمواجه بمشيئته فلا البحر من نفسه يموج إنّما هو خاضع لأمر الاله».

انّ قضيّة استقلال وعدم استقلال العلل الطبيعيّة والماديّة هي الحدّ الفاصل بين التوحيد والشرك وبمعرفة هذا الحد يمكن تشخيص الموحد من المشرك جيداً والتأمّل في الآيات القرآنيّة يفضي إلى الايمان بأن العالم بأسره ليس له أيّ دور في الوجود وأنّه لا توجد قوّة ولا قدرة في عرض قدرة الله المطلقة التي هي القدرة الوحيد المستقلّة يقول القرآن الكريم في هذا الموضوع:

﴿أَمَّنْ يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ أَإِلَٰهٌ مَعَ اللهِ تَعَالَى اللهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(١).

﴿وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ﴾(٢).

ويشير القرآن الكريم إلى ظاهرة في الحياة البشريّة وهي التوجّه إلى الله باعتباره العلّة الاولى والأخيرة في رسم الحوادث وحركة الوجود وذلك في أوقات الشدّة ومواجهة التحدّيات العصبية ولكن الانسان وبعد أن يعبر الأزمة اذا

---

(١) سورة النمل: الآية ٦٣.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٨.

به يشرك قوى اخرى إلى جانب قوة الله وقدرته يقول القرآن الكريم:

﴿ وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْا رَبَّهُمْ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾(١).

﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

﴿ قُلِ اللهُ يُنَجِّيكُمْ مِنْهَا وَمِنْ كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴾(٣).

انعدام دعائم الاعتقاد بألوهيّة المسيح

يقول الامام علي بن الحسين عليه السلام: «**أما حق الله الأكبر فانّك تعبده ولا تشرك به شيئاً**».

وقد اتّضح لدينا مفهوم العبادة ومعناها وعلى أي شيء تطلق ونتطرّق الآن إلى معنى (ولا تشرك به شيئاً) ونتعرّض الى مفهوم الشرك ودرجاته ومستوياته ومعانيه على نحو موجز فكمال التوحيد له درجات كذلك الشرك الذي يقابل التوحيد هو الآخر له درجات.

فهناك التوحيد في الذات والتوحيد في الصفات والتوحيد في الأفعال والتوحيد في العبادة ومن جهة أُخرى ثمّة شرك في الذات وشرك في الصفات وشرك في الأفعال وشرك في العبادة.

---

(١) سورة الروم: الآية ٣٣.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٦٥.

(٣) سورة الأنعام: الآية ٦٤.

الشرك في الذات

كان النصارى والمسيحيّون في عصر نزول القرآن الكريم يعتقدون بـألوهيّة المسيح بن مريم عليه السلام ولذا فهم من وجهة نظر القرآن الكريم كفار:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللهِ شَيْئاً إِنْ أَرادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَميعاً ﴾(١).

وجاء في القرآن الكريم أيضاً حول عقيدة التثليث:

﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذينَ قالُوا إِنَّ اللهَ ثالِثُ ثَلاثَةٍ ﴾(٢).

والآية الاولى تفيد بأن الله يمكنه أن يميت المسيح بن مريم ليس هو فحسب بل الناس جميعاً ولا شكّ أنّ النصارى جميعاً يؤمنون بأنّ المسيح هو ابن مريم فاذا كان الأمر كذلك فهو بشر لأنّ أُمّه بشر وهو محكوم بنفس القوانين التـي تـحكم البشر جميعاً حيث حياته وموته بيد الله ومن أجل هذا فان المسيح يدعى ابن مريم لبشريته وانسانيته ومسألة تناول الطعام «كانا يأكلان الطعام» التي تشير إليها الآية الكريمة(٣) من سورة المائدة حيث لا فرق بين المسيح عليه السلام وغير مـن أنـبياء الله ورسله لقد كانوا جميعاً بشراً عاديين اصطفاهم الله من أجل هداية البشريّة.

ولذا فان مسألة عقيدة التثليث أو ما يعرف بالاقانيم الثلاثة (الأب والابـن والروح القدس) إنّما هي شرك وعبادة غير الله الذي هو المعبود الأوحد.

---

(١) سورة المائدة: الآية ١٧.

(٢) سورة المائدة: الآية ٧٣.

(٣) ﴿ مَا الْمَسيحُ بْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدّيقَةٌ كانا يَأْكُلانِ الطَّعامَ ﴾. سورة المائدة: الآية ٧٥.

يقول القرآن الكريم: ﴿إِنَّ الَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ عِبادٌ أَمْثالُكُمْ﴾[١].

ويقول أيضاً: ﴿وَالَّذينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَطيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ (١٩٧) وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدىٰ لا يَسْمَعُوا وَتَراهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لا يُبْصِرُونَ (١٩٨)﴾[٢].

ثمّ يتوجّه الخطاب القرآني إلى أهل الكتاب مباشرة في قوله تعالى:

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[٣].

والآية تشتمل على دعوة لنبذ واجتناب جميع اشكال الشرك وعبادة غير الله سبحانه و تعالى.

الشرك في العبادة

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ﴾ دعوة إلى عدم الشرك في العبادة.

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحىٰ إِلَيَّ أَنَّما إِلٰهُكُمْ إِلٰهٌ واحِدٌ فَمَنْ كانَ يَرْجُوا لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صالِحاً وَلا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾[٤].

وهذه الآية صريحة في الدعوة إلى عدم الشرك في العبادة وانّ العبادة لا تجوز إلّا لله وحده وقد جاء في الأثر في تفسير هذه الآية في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال:

---

(١) سورة الأعراف: الآية ١٩٤.

(٢) سورة الأعراف: الآيتين ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٤) سورة الكهف: الآية ١١٠.

سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن تفسير قوله عزّوجلّ: «من كان يرجو لقاء ربّه» الآية، فقال صلى الله عليه وآله: **«من صلّى مراءاة (رياءً) الناس فهو مشرك ومن زكّى مراءاة الناس فهو مشرك ومن صام مراءاة الناس فهو مشرك ومن حجّ مراءاة الناس فهو مشرك ومن عمل عملاً بما أمره الله عزّوجلّ مراءاة الناس فهو مشرك ولا يقبل الله عزّوجلّ عمل مراء»**(١).

وجاء في حديث آخر عن جرّاح المدايني عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في قوله عزّوجلّ: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحاً وَلاَ يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَداً﴾ قال: الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية الناس يشتهي ان تسمع به الناس فهذا الذي اشرك بعبادة ربه، ثمّ قال: ما من عبد أسرّ خيراً فذهبت الأيّام أبدا حتّى يظهر الله له خيراً وما من عبد يسرّ شرّاً فذهبت الأيّام حتّى يظهر الله له شرّاً»(٢).

وروى زرارة وحمران عن أبي جعفر الباقر وعن الامام الصادق عليهما السلام قالا: **«لو أنّ عبداً عمل عملاً يطلب به رحمة الله والدار الآخرة ثمّ ادخل فيه رضا أحدٍ من الناس كان مشركاً»**(٣).

صورة معبّرة عن الشرك بالله

يرسم القرآن الكريم صورة عن الشرك بالله وهي صورة رائعة ومروّعة ومعبرة يقول تعالى:

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٣١٤.

(٢) المصدر السابق: ص٣١٩.

(٣) المصدر نفسه: ص٣١٧.

﴿ حُنَفاءَ لِلهِ غَيْرَ مُشْرِكينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَكَأَنَّما خَرَّ مِنَ السَّماءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوي بِهِ الرِّيحُ في مَكانٍ سَحيقٍ ﴾[١].

انه مشهد مثير جداً شهد السقوط من السماء حيث يفقد الانسان وزنه وتوازنه تماماً وفي تلك اللحظات المخيفة حيث تندفع به الرياح بسرعة فانق نحو حاوية سحيقة ما لها من قرار اذا بالنسور تتخطّف لحمه ارباً ارباً، وهذه الحوادث المتتابعة من الانزلاق عن قاعدة التوحيد الصلبة إلى هاوية الشرك المخيفة تحدث بسرعة فائقة ومدمّرة وهكذا من يزل عن الافق المشرق للتوحيد والسقوط في ظلمات الشرك السحيقة حيث تتخطّفه الأهواء وتمزقه الأوهام بعد أن كان كائناً متوحّداً بالتوحيد منسجماً بعبادة الله الواحد والاله الأوحد الذي لا شريك.

البرنامج التعليمي للحكم الأموي

قال الامام الصادق عليه السلام: «انّ بني أُميّة اطلقوا للناس تعليم الايمان ولم يطلقوا تعليم الشرك لكي اذا حملوهم عليه لم يعرفوه»[٢].

يقول المرحوم الفيض الكاشاني في شرحه الحديث أعلاه:

«انّهم لحرصهم على اطاعة الناس إيّاهم اقتصروا لهم على تعريف الايمان ولم يعرفوهم معنى الشرك لكي اذا حملوهم على اطاعتهم ايّاهم لم يعرفوا انها من الشرك فانهم اذا عرفوا ان أطاعتهم شرك لم يطيعوهم»[٣].

وليس بنو أُميّة انتهجوا هذا النهج في ترسيخ دعائم حكمهم إنّما كلّ الطغاة انهم

---

(١) سورة الحج: الآية ٣١.

(٢) الشافي: ج١، ص١٤٦.

(٣) المصدر السابق.

يحاولون تسطيح الوعي وتجهيل الناس وابعادهم عن المعرفة الحقّة وعادة ما يكون الجهلاء والاسرع في طاعة الطاغية ومن هنا جاء الاسلام ليحرر الناس من ظلام الجهل ويضيء نفوسهم بنور المعرفة وبالتالي بناء القاعدة الصلبة للتوحيد وعبادة الله وحده والتحرّر من عبادة الطغاة.

الشرك الخفي

وحول قضيّة الشرك الخفي جاء في الروايات والأحاديث ما يحذّر من ذلك؛ في رواية عن مسعدة بن صدقة عن الامام الصادق عليه السلام وقد سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله: «**إنّ الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ليلة ظلماء**»[١].

قال عليه السلام:

«**كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله فكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكيلا يسبّ الكفّار اله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون**» فقال (عزّوجلّ): ﴿وَلاَ تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللهِ فَيَسُبُّوا اللهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢].[٣]

ويكشف هذا الحديث عن أهميّة الشرك الخفي لأنّه يتغلغل إلى داخل النفس البشريّة من دون أن ينتبه المؤمن ومن أجل هذا جعل الامام السجاد عبادة الله الواحد عبادة خالصة من كلّ شوائب الشرك حقّ الله الأكبر على الانسان؛ واذا ما نجح الانسان في هذه العبادة كفاه الله سبحانه أُمور الدنيا والآخرة فيعيش في دنياه آمناً مطمئنّاً وفي عالم الآخرة سعيداً برضوان الله سبحانه.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) سورة الانعام: الآية ١٠٨.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٢، ص٩٣.

المادّة الثانية: حقّ النفس

وَأَمَّا حَقُّ نَفْسِكَ عَلَيْكَ فَأَنْ تَسْتَوْفِيَهَا فِي طَاعَةِ اللهِ، فَتُؤَدِّيَ إِلَى لِسَانِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى سَمْعِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى بَصَرِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى يَدِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى رِجْلِكَ حَقَّهَا، وَإِلَى بَطْنِكَ حَقَّهُ، وَإِلَى فَرْجِكَ حَقَّهُ وَتَسْتَعِينُ بِاللهِ عَلَى ذَلِكَ.

وتبحث المادّة الثانية في أداء حقّ النفس حيث يتوجب أداء حقوق الأعضاء المختلفة والجوارح وذلك بالاستعانة بالله عزّوجلّ.

«النفس» في اللغة ومجالات استخدامها

بداية نتطرق الى معنى مفردة النفس لغوياً ومجالات استخدامها؛ حيث يذهب الراغب الاصفهاني في مفرداته إلى ان معنى النفس هي الروح ويستشهد بآيات قرآنيّة[1] من بينها:

﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ﴾[2]؛ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما في أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ﴾[3]؛ ﴿تَعْلَمُ ما في نَفْسي وَلاَ أَعْلَمُ ما في نَفْسِكَ﴾[4].

---

(١) المفردات، مادة نفس.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

(٣) سورة البقرة: الآية ٢٣٥.

(٤) سورة الأنعام: الآية ٩٣.

والنفس في هذه الآيات تعني الروح وفي هذه الآية: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ﴾(١) المقصود من النفس الذات ويقول الراغب في «النَفس» «النفس الريح الداخل والخارج في البدن من الفم والمنخر وهو كالغذاء للنفس وبانقطاعها بطلانها» فالراغب هنا يعرف النفس بأنّها الهواء الذي يستنشقه الانسان ويخرج منه في عمليتي الشهيق والزفير وله بعد غذائي للجسم وبانقطاعه يموت الانسان ويذهب المرحوم الشيخ الطبرسي في ذيل الآية الكريمة: ﴿وَمَا يَخْدَعُونَ إِلاَّ أَنْفُسَهُمْ﴾(٢) الى انّ للنفس ثلاثة معاني: الأوّل بمعنى الروح والثاني بمعنى التأكيد مثل «جاءني زيد نفسه» والثالث بمعنى الذات والأصل والمعنى المقصود هو المعنى الثالث(٣).

معنى النفس في القرآن الكريم

١ ـ أشار الطبرسي إلى أنّ النفس هي الروح والآية الكريمة: ﴿اللهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى﴾(٤) تشير إلى هذا المعنى.

٢ ـ إنّ النفس هي الذات كما تشير الآية الكريمة إلى ذلك: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً لاَ تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً﴾(٥).

٣ ـ انّ النفس هي القلب والباطن وإلى هذا تشير الآيات الشريفة: ﴿وَاذْكُرْ

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٢٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٩.

(٣) مجمع البيان: ج١، ص٤٦.

(٤) سورة الزمر: الآية ٤٢.

(٥) سورة البقرة: الآية ٤٨.

رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعاً وَخِيفَةً ﴾[١]؛ ﴿ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ ﴾[٢].

آراء الحكماء في أقسام النفس

يذهب صدر المتألهين الشيرازي إلى تقسيم ابن سينا للنفس في كتابه «الشفاء» فيقسم النفس إلى ثلاثة أقسام:

الأوّل: النفس النباتيّة: «النفس النباتيّة كمال أول لجسم آلي تتغذّى وتنمو فقط»، فهي أول كمال للجسم.

الثاني النفس الحيوانيّة: «كمال أوّل بجسم طبيعي آلي تحسّ وتتحرّك بالارادة فقط».

الثالث: النفس الانسانية: «كمال أوّل لجسم طبيعي آلي تعقل الكليّات وتستنبط الآراء» حيث تنطوي هذه النفس على قوّة الادراك والتعقّل واستنتاج الآراء.

ثمّ يبيّن خصائص كلّ نفس وتقسيمات فرعية أُخرى[٣].

ويقول أبو نصر الفارابي (المعلّم الثاني) في الفصل العشرين من رسالة «فصوص الحكم» حول النفس:

«إنّ النفس المطمئنّة كما لها عرفان الحق الأوّل بادراكه فعرفانها الحق الأوّل».

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٢٠٥.

(٢) سورة يوسف: الآية ٧٧.

(٣) الأسفار الأربعة: ج٨، ص٥٣.

وقد شرح بعضهم هذه العبارة فقال: «إنّ النفس الناطقة لها أطوار وجهات عديدة فمن جهة انها تميل بشدّة إلى اللذّات والشهوات الحيوانيّة ويقال لهذه النفس «الأمّارة» ومن جهة انّها تزيّن الأعمال القبيحة فتجعلها في نظر الناظر حسنة جميلة بسبب غلبة الشهوة وهذه النفس «المزينة» ومن جهة انها تمكر وتسوّل من أجل القيام بالمقاصد الحيوانيّة فتكذب وتحتال في سبيل ذلك وتدعى المسوّلة».

ومن جهة انها وبعد القيام بالعمل القبيح ترجع إلى الفطرة فتلوم وتقرّع فتدعىٰ لذلك بـ«اللوّامة».

ومن جهة انها اذا افلتت من أسر اللذّة الحيوانيّة ومن تجاذبات القوى الشهوانيّة والغضبيّة وأحست بالسكينة لانتهالها اللذات العقليّة فانها تدعى «المطمئنّة» وحينما تبلغ مقام الرضا والتسليم للمعشوق الحقيقي فهي النفس «الراضية» و«المرضيّة» وهذا التقسيم مقتبس ممّا ورد في القرآن الكريم من توصيفات للنفس وفي مقام النفس المطمئنّة تكون النفس في أوج كمالها ولذّتها معرفة الحق الأوّل؛ واذن فانّ النفس المطمئنّة هي النفس المنزّهة من كلّ الشوائب وكدورات الجسد»[1].

وهذه خلاصة لما يراه ملّا صدرا الذي ينقل عن ابن سينا وما يراه الفارابي الذي تعرّض له قمشايي بالشرح، ونحن سنتطرق إلى مراتب النفس في ضوء الرؤية القرآنيّة ونشير إلى الآيات في هذا المضمار.

---

(١) قمشائي، حكمت الهى عام وخاص: ص ٣١ ـ ٣٢.

مراتب النفس وأقسامها في القرآن الكريم

وفيما يلي نشير إلى مراتب النفس وأقسامها في القرآن الكريم:

١ ـ النفس الأمّارة

وهي المرحلة الأولى التي تميل إلى اللذات فتدعى الأمارة يعني انها تـأمر الانسان بالاستجابة إلى ميولها ورغباتها وهذه المرحلة من النفس التي يدعوها القرآن بالنفس الامارة تعد أخطر المراحل والأكثر تهديداً لاستقامة الانسان حيث يستعيذ رجال الله بالله سبحانه من شرّ هذه النفس.

جاء في القرآن الكريم في قصّة سيّدنا يوسف عليه السلام: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاَّ مَا رَحِمَ رَبِّي﴾[1].

وجاء في آية أُخرى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2].

والمراد هنا نهي النفس عن اتباع الأهواء، يقول الامـام عـلي عليه السلام: **«النـفس مجبولة بسوء الأدب والعبد مأمور بملازمة حسن الأدب والنفس تجري بـطبعها فـي ميدان المخالفة يجهدها بردّها عن سوء المطالبة، فمتى اطلق عنانها فهو شـريك فـي فسادها، ومن أعان نفسه في هوى نفسه فقد أشرك نفسه في قتل نفسه»**[3].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٣.

(٢) سورة النازعات: الآيتين ٤٠ ـ ٤١.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٧٠.

ويقول الامام الصادق عليه السلام: «**أقصر نفسك عمّا يضرّها من قبل أن تفارقك واسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك فانّ نفسك رهين بعملك**»[(١)].

الصراع مع الغريزة

يقول الامام علي عليه السلام: «**أفضل الجهاد مجاهدة المرء نفسه**»[(٢)].

وقال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله: «**انّ الشديد ليس من غلب الناس ولكن الشديد من غلب نفسه**»[(٣)].

وقال الامام علي عليه السلام أيضاً: «**خالف نفسك تستقم وخالط العلماء تعلم**»[(٤)].

وقال أيضاً: «**من قوي على نفسه تناهى في القوّة**»[(٥)].

أقوى من الابطال

وجاء في السيرة انه: «مرّ رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم فيهم رجل يرفع حجراً يقال له «حجر الأشدّاء» وهم يعجبون منه فقال صلى الله عليه وآله:

ـ ما هذا؟

قالوا: رجل يرفع حجراً يقال له حجر الأشدّاء.

قال صلى الله عليه وآله: أفلا أخبركم بما هو أشدّ منه؟ رجل سبّه رجل فحلم عنه فغلب نفسه

---

(١) المصدر السابق: ص٣١٠.

(٢) شرح غرر الحكم: ج٢، ص٣٨٩.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٧٠.

(٤) شرح غرر الحكم: ج٣، ص٤٦٢.

(٥) المصدر السابق: ج٥، ص٢٥٤.

وغلب شيطانه وشيطان صاحبه»[١].

النفس اللوّامة

الآيات التي مرّ ذكرها كلّها تشير إلى النفس الأمّارة وهي التي ندفع الانسان إلى فعل الامور السيّئة وتحاول جرّه إلى الانحراف وفي مقابل تلك النفس ثمّة بعد آخر للنفس هو النفس اللوّامة والتي تلوم الانسان بعد ارتكابه الخطيئة وقد ورد ذكرها في كتاب الله العزيز في سياق القسم:

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ۝٢ ﴾[٢].

وجاء في الروايات والأحاديث عن علي بن إبراهيم في تفسير الآية: «يعني اقسم بيوم القيامة واقسم بالنفس اللوّامة، عن الامام عليه السلام انه قال: نفس آدم التي عصت فلامها»[٣].

عند ما يرتكب الانسان ذنباً وخطيئة فان نداءً ينبعث من أعماقه يلومه على ذلك ونداء الأعماق هذا يبلغ من الشدّة احياناً ما يعرف بعذاب الضمير حيث الضمير يمثل القانون الأخلاقي في أعماق الانسان والذي يعبّر عنه القرآن الكريم بالنفس اللوّامة وهو جزء من التكوين البشري أودعه الله عزّوجلّ في وجود الانسان.

---

(١) مجموعة ورّام: ج٢، ص١٠.

(٢) سورة القيامة: الآيتين ١ ـ ٢.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص٤٦١.

المريض الذي لا علاج له

جاء في الأخبار:

كان علي بن الحسين زين العابدين عليه السلام في الطواف فنظر في ناحية المسجد (الحرام) إلى جماعة فقال: ما هذه الجماعة؟

فقالوا: هذا محمّد بن شهاب الزهري اختلط عقله فليس يتكلّم فأخرجه أهله لعلّه اذا رأى الناس أن يتكلّم.

فلمّا قضى عليه السلام طوافه خرج حتّى دنا منه، فلمّا رآه محمّد بن شهاب فقال له علي بن الحسين عليه السلام: ما لك؟

قال (الزهري): وليت ولاية فأصبت دماً (حادثة قتل) فدخلني ماترى (من اليأس).

فقال له علي بن الحسين عليه السلام: لأنا عليك من يأسك من رحمة الله أشدّ خوفاً مني عليك ممّا أتيت.

ثمّ قال عليه السلام: أعطهم الدية.

فقال الزهري: قد فعلت فأبوا.

قال عليه السلام: اجعلها صرراً ثمّ انظر مواقيت الصلاة فألقها في دارهم[1].

النفس المسوّلة

ومن مراتب النفس وأبعادها ما يدعىٰ بـ«النفس المسوّلة» وهي النفس التي تزيّن للانسان العمل القبيح وتحرّضه على ارتكاب المعاصي والذنوب وفيما يلي نموذجان ممّا تقوم به النفس المسوّلة ورد ذكرهما في القرآن الكريم:

---

(١) مجموعة ورّام: ج ٢، ص ٤.

يوسف عليه السلام واخوته

تآمر أبناء يعقوب النبي عليه السلام على أخيهم يوسف عليه السلام فأخذوه إلى الفلاة ثمّ سوّلت لهم أنفسهم أن يقتلوا أخاهم ثمّ اتّفق رأيهم على القائه في البئر وكانوا قد خلعوا عنه قميصه ولطخوه بدماء شاة ذبحوها.

يقول القرآن الكريم: ﴿وَجَاؤُ عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾(١).

ولكنّ الأب اتّهم أبناءه ولم يصدّق روايتهم قائلاً لهم: بل سوّلت لكم أنفسكم.

والتسويل هو التزيين يعني أنّ نفوسهم زيّنت لهم أمر خاطئاً وقبيحاً وأيضاً يعني تسويل النفس وسوستها وترغيبها، وفي ذلك اشارة إلى انّ هذه الرغبات المتمرّدة عند ما تسيطر على روح الانسان وتفكيره فانه يندفع إلى ارتكاب أقبح الأعمال وأبشع الجرائم وكأنه يقوم بعمل ضروري وهنا تنفتح نافذة على قضية أساسيّة في قضايا النفس وهي انّ الجنوح المفرط إلى مسألة خاصّة اذا اقترنت مع رذيلة أخلاقيّة فانّ ثمة حجب تنشر وتحول دون رؤية الحقيقة بل يحدث تشويه وتشويش على الرؤية فتنقلب الامور رأساً على عقب وعند ما يتعذّر الادراك الصائب للحقائق على أرض الواقع إلّا من خلال رؤية نافذة وهي لا تتيسّر إلّا من خلال تهذيب النفس يكون من الطبيعي جدّاً ان يحدث تشويش وان يحدث تشويه في طريقة تفكير اخوة يوسف فسوّلت لهم أنفسهم ارتكاب الجريمة بحق أخيهم يوسف ثم راحوا يغطون على فعلتهم النكراء بسلسلة من الأكاذيب وفي نفس هذه القصّة عند ما عادوا من مصر وأخبروا أباهم بأن بنيامين قد سرق قال

---

(١) سورة يوسف: الآية ١٨.

لهم سيّدنا يعقوب: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَميلٌ عَسَى اللهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَميعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَليمُ الْحَكيمُ﴾(١).

السامري

وقصّة السامري تبدأ من انطلاق موسى إلى الميقات في جبل الطور وتـلقّي الألواح وكانت فترة الميقات ثلاثين يوماً ولكن الله عزّوجلّ شاء أن يتمّ الميقات في أربعين يوماً وخلال هذه الأيّام العشرة تمكّن السامري أن يفتن بني إسرائيل وان يدفع بغالبيتهم إلى عبادة العجل الذهبي ولمـا عـاد رسـول الله مـوسى بـن عمران عليه السلام ووجدهم عاكفين على عبادة العجل شعر بالغضب والقى الألواح واتّجه إلى أخيه يعنّفه ثمّ اتّضح ان هارون كان من المعارضين للسامري في ما أقدم عليه حينئذٍ وجه خطابه إلى مسبب الفتنة:

﴿قالَ فَما خَطْبُكَ يا سامِرِيُّ ﴿٩٥﴾ قالَ بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُها وَكَذٰلِكَ سَوَّلَتْ لي نَفْسي ﴿٩٦﴾﴾(٢).

وهكذا نعرف انّ السامري قد سوّلت له نفسه أي زيّنت له ما فعل ووسوست إليه في أن يصنع لبني إسرائيل عجلاً ذهبيّاً يعبدونه من دون الله.

لكلّ امّة سامري

يورد الطبرسي صاحب الاحتجاج روايـة تـاريخيّة تـتحدّث عـن الامـام

---

(١) سورة يوسف: الآية ٨٣.

(٢) سورة طه: الآية ٩٥ ـ ٩٦.

علي عليه السلام بعد معركة الجمل في البصرة وكان الامام يخطب في أهلها اذ شاهد رجلاً قادماً يحمل ألواحاً فكان يسجل ويكتب كلمات الامام الذي ناداه ما تفعل؟ فقال الرجل: اكتب كلامك.

فقال عليه السلام: أما انّ لكلّ قوم سامريّاً وهذا سامري هذه الأُمّة انه لا يقول: لا مساس ولكنه يقول لا قتال».

في اشارة إلى موقفه من حرب الجمل.

النفس المطمئنّة

ومن مراتب النفس ودرجاتها وابعادها الطمأنينة وهي ذروة الدرجات التي تبلغها النفس وقد جاء في القرآن الكريم ما يشير إلى هذه النفس:

﴿ يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ (٢٧) ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩) وَادْخُلِي جَنَّتِي (٣٠) ﴾[١].

وما أروع هذه الدعوة وما أعظم هذا النداء الالهي الى النفوس المطمئنّة المفعمة بنور الايمان دعوة من الله سبحان وقد رضي عن هذه النفوس العالية السامية الراضية، وهنا نلاحظ الرضا من الطرفين من الرب ومن العبد، من الله سبحانه وأيضاً من الانسان الذي يتألّق فوق رأسه اكليل العبوديّة لله سبحانه.

والنفس المطمئنّة لم تحصل لها هذه الطمأنينة ولم تتحقّق لها هذه السكينة إلّا بعد معاناة وصراع مع الغرائز والأهواء حتّى اذا انتصرت ارادة الانسان المؤمن وتحقّقت الامنيّات في عبادة الانسان لله سبحانه حينئذٍ ينشر السلام ستائره على

---

(١) سورة الفجر: الآية ٢٧ ـ ٣٠.

النفس فاذا هي آمنة مطمئنّة راضية مرضيّة.

جاء في أحد التفاسير في شرح الآية: «أيّتها النفس المطمئنّة بذكر الله الشاكرة لأنعم الله والصابرة على البلاء والمحن: ارجعي إلى ما وعدك الله من الكرامة وأنت راضية بنعم الله»(١).

الطمأنينة عند الموت

انّ من أجمل المشاهد التي تمرّ بها النفس المطمئنّة هو مشهد الرحيل عن هذه الدنيا والانفصال من عالم المادّة حيث تعيش النفس المطمئنّة حالة من السكينة وتغمرها حالة من الهدوء والرضا وهي تستعد للالتحاق بعالم الأبديّة وفيما يلي رواية يوردها الكليني في كتابه الكافي عن بعض أصحاب الأئمّة عليهم السلام: «عدّة من أصحابنا... عن سدير الصيرفي قال: قلت لأبي عبدالله (الصادق عليه السلام):

ـ جعلت فداك يابن رسول الله! هل يُكره المؤمن على قبض روحه؟

قال عليه السلام:

ـ لا والله، انه اذا أتاه ملك الموت ليقبض روحه جزع عند ذلك، فيقول ملك الموت: لا تجزع فوالذي بعث محمّداً بالحق لأنا أبرُّ بك وأشفق عليك من والد رحيم لو حضرك، افتح عينيك فانظر.

قال عليه السلام: ويمثّل له رسول الله صلى الله عليه وآله وأميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة من ذريّتهم عليهم السلام فيقال له: هذا رسول الله وأميرالمؤمنين وفاطمة والحسن والحسين والأئمّة عليهم السلام رفقاؤك.

---

(١) تفسير روح البيان: ج١٠، ص٤٣٢.

قال عليه السلام: فيفتح عينيه فينظر فينادي روحه مناد من قبل ربّ العزّة فيقول: «يا أيّتها النفس المطمئنّة إلى محمّد وأهل بيته ارجعي إلى ربك راضية مرضيّة بالثواب فادخلي في عبادي يعني محمّداً وأهل بيته وادخلي جنّتي فما شيء أحبّ إليه من استلال روحه واللحوق بالمنادي»[١].

الصراع مع الأهواء النفسيّة

يتعيّن على الانسان الذي يريد بلوغ الكمال المنشود ان يعرف نفسه بادىء ذي بدء وأن يقف بوجه الأهواء النفسيّة وثمّة رواية هامّة في هذا المضمار عن رجل يدعى «مجاشع» سأل رسول الله صلى الله عليه وآله أسألة هي في الحقيقة معالم في الطريق إلى الله.

جاء في كتاب عوالي اللآلي: روي في بعض الأخبار انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وآله رجل اسمه مجاشع فقال:

ـ يا رسول الله! كيف الطريق إلى معرفة الحق؟

ـ معرفة النفس.

فقال:

ـ يا رسول الله! فكيف الطريق إلى موافقة الحق؟

فقال صلى الله عليه وآله:

ـ مخالفة النفس.

فقال:

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج ٥، ص ٥٧٧.

ـ يا رسول الله ! فكيف الطريق إلى رضا الحق ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

ـ سخط النفس .

فقال :

ـ يا رسول الله ! فكيف الطريق إلى وصل الحق ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

ـ هجرة النفس .

فقال :

ـ يا رسول الله ! فكيف الطريق إلى طاعة الحق ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

ـ عصيان النفس .

فقال :

ـ يا رسول الله : فكيف الطريق إلى ذكر الحق ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

ـ نسيان النفس .

فقال :

ـ يا رسول الله ! فكيف الطريق إلى قرب الحق ؟

فقال صلى الله عليه وآله :

ـ التباعد من النفس .

فقال :

ـ يا رسول الله! فكيف الطريق الى أنس الحق؟

قال ﷺ:

ـ الوحشة من النفس.

فقال:

ـ يا رسول الله! فكيف الطريق إلى ذلك؟

قال ﷺ:

ـ الاستعانة بالحق على النفس(١).

ويشتمل هذا الحديث على نقاط بالغة الدلالة هي في الحقيقة تشكل خارطة طريق واضحة المعالم للوصول إلى الحق وينهض هـذا البـرنامج عـلى مـخالفة النفس، فثمّة معادلات في هذا الطريق فموافقة الحق تكمن في مـخالفة النـفس ورضا الحق يكمن في سخص النفس والقرب من الحق يكمن في التـباعد مـن النفس.

وبداية الطريق إلى الكمال عند ما يبدأ الانسان في تطهير النفس من الصفات الرذيلة والتحلّي بالأخلاق الحسنة وحينئذٍ يتحقّق صفاء الباطن ويتلقى الانسان الاشراق الالهي.

حق النفس فقهيّاً

وفي ختام هذه المادّة حول حقّ النفس نذكر الحق الفـقهي للـنفس ويشـير القرآن الكريم إلى القيمة السامية للنفس الانسانيّة بحيث لا يمكن معادلتها والبيان

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٧٠.

القرآني صريح جداً في هذا المضمار:

﴿مَنْ قَتَلَ نَفساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَميعاً وَمَنْ أَحْياها فَكَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَميعاً﴾[١].

أمّا قاتل النفس البريئة فانّ المصير الذي ينتظره هو أسوأ مصير يمكن أن يتصوّره الانسان.

﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزاؤُهُ جَهَنَّمُ خالِداً فيها وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذاباً عَظيماً﴾[٢].

وحول حق القتيل فان لوليّه السلطة التامّة في اجراء حق القصاص من القاتل.

﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً﴾[٣].

وهذا الحكم ينطوي على قوّة رادعة تكبح جماح البشر في النزوع لارتكاب جرائم القتل يقول القرآن الكريم هذا المعنى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصاصِ حَياةٌ يا أُولِي الْأَلْبابِ﴾[٤].

والقتل ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

ـ قتل العمد؛

ـ وشبه العمد؛

---

(١) سورة المائدة: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٩٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٣.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٧٩.

ـ والخطأ.

وفي قتل العمد يخيّر ولي الدم يبن اجراء حكم القصاص بحق القاتل أو أخذ الدية أو العفو.

وفي قتل شبه العمد والخطأ يجب دفع الدية إلى وليّ القتل وقتل شبه العمد عبارة عن عدم وجود آله للقتل كالسكّين ولم تكن للقاتل نيّة في القتل وإنّما الضرب المؤدّي إلى القتل[1].

أجل هذه هي رؤية القرآن في أنّ القصاص يؤمّن الحياة وانّ الغاء القصاص سوف يشجّع الجناة على التمادي في التجاوز والعدوان وقتل الانسان وقد قيل قديماً القتل يمنع القتل.

ودية العمد احدى هذه الأُمور:

١ ـ مئة من مسان الابل؛

٢ ـ مئتا بقرة؛

٣ ـ مئتا حلّة كلّ حلّة ثوبان من برود اليمن؛

٤ ـ ألف دينار (شرعي)؛

٥ ـ ألف شاة؛

٦ ـ عشرة آلاف درهم؛

وتستوفى من الجاني خلال سنة واحدة ولا تثبت إلّا بالتراضي[2].

---

(١) المختصر النافع، كتاب الديات: ص ٢٩٤.

(٢) المصدر السابق.

حقوق الأعضاء البدنيّة

المادّة الثالثة: حقّ اللسان

«وَأَمَّا حَقُّ اللِّسَانِ فَإِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وَتَعْوِيدُهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَحَمْلُهُ عَلَى الأَدَبِ، وَإِجْمَامُهُ إِلّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِعْفَاؤُهُ مِنَ الْفُضُولِ الشَّنِعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي لا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا وَبُعْدِ شَاهِدِ الْعَقْلِ وَالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَتَزَيُّنُ الْعَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

يقول الامام علي بن الحسين عليه السلام في حقّ النفس انّه يجب على الانسان أن يستوفي نفسه في طاعة الله وأن يؤدّي حقوق الأعضاء السبعة كاملة ثمّ يفصل في حقوق هذه الأعضاء بدء باللسان مبينا حقه.

اللسان أعظم نعم الله على الانسان

من دون شك فانّ اللسان من أعظم نعم الله سبحانه وتعالى على الانسان الذي يتمتّع بنعمة النطق والكلام والبيان وقد صرّحت سورة الرحمن في بيان هذه النعمة الكبرى:

﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾[1].

---

(١) سورة الرحمن: الآيتين ٣ ـ ٤.

والبيان يعني «الكشف عن الشيء» وازالة الغطاء والحجاب فهو يخبر عن باطن الانسان ويعبّر عن مكنوناته ويكشف عمّا يموج في قلبه ولو لا هذا اللسان لأصبح الانسان كالحيوان في صمته وسكوته وعجمته.

اختلاف الألسن واللغات

قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾[١].

اللسان أداة للمعرفة

ثمّة وسائل لمعرفة أي فرد وما ينطوي عليه من العلم والمعرفة وما ينطوي عليه من طبائع وأخلاق وبشكل عام معرفة شخصيته واحدى هذه الأدوات والوسائل اللسان والنطق والكلام وعند ما يتكلّم الانسان ويتحدّث في موضع ما فاته يعبر عن صفاء باطنه أو العكس ومعرفة صلاحه وفساده.

يقول الامام محمّد الجواد عليه السلام:

«المرء مخبوء تحت لسانه»[٢].

وما لم يتكلّم الانسان وينطق ويعبّر فان حسناته وعيوبه تبقى مستورة لا يعرفها أحد.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢٢.

(٢) منتهى الآمال: ج٢، ص٣٥٨.

جِرم اللسان وجُرمه

للإمام علي عليه السلام عن اللسان كلمة قصيرة محدودة الكلمات واسعة المعاني والمدلولات: «جِرمه صغير وجُرمه ثقيل».

انّ لكلّ عضو من أعضاء الجسم وظيفة يؤدّيها وخصوصيّة يتمتّع بها فمثلاً العين وظيفتها الابصار ومشاهد الألوان والصور والاذن وظيفتها لسماع الأصوات واليد يمكنها عن طريق اللمس معرفة الأجسام في كيفيّتها.

أمّا اللسان فانّ الساحة التي يتحرّك فيها واسعة ومصيريّة للغاية انه يجول في ميادين الخير والشرّ ويصول في مساحات السعادة والشقاء فاذا تكلّم في ميدان الخير كانت له في ساحة السعادة جولة وصولة وخطوة في طريق التكامل واذا تحرّك في ميدان الشرّ كانت له انزلاقه في هاوية الشقاء ويصبح فخّاً من فخاخ الشيطان.

دور اللسان في بناء وفناء المجتمع

للخطابة والخطيب والمحاضرات والمحاضرين دور حسّاس ومؤثّر في بناء المجتمع وأيضاً في فنائه وهذا يعود إلى طبيعة ومكنون ومضامين الخطاب الموجّه للمجتمع وأيضاً هويّته الفنيّة في التعبير والتأثير فهناك خطيب بليغ يحاول أن يشدّ انظار مخاطبيه إلى القيم الأخلاقيّة الرفيعة من خلال كلمات مؤثّرة وتوظيف أمثلة معبّرة ونقل مضامين مؤثّرة.

وفي مقابل هذا النموذج نجد خطيباً آخر يحاول حرف مسار المجتمع وسوقهم باتّجاه معاكس نحو الدمار والخراب من خلال استخدام التعبير الفني

وتوظيف كلمات ومفردات برّاقة فيصوّر الأباطيل وكأنّها حقائق وينفث في نفوس مخاطبيه الأفكار الخاطئة وينثر بذور الشر.

وفيما يلي أمثلة في هذا المضمار:

عند ما رحل الامام علي عليه السلام عن هذه الدنيا شهيداً في المحراب تردّدت أصداء الحدث الجلل في أنحاء البلاد الاسلاميّة وتناقلت الناس خبر استشهاده عليه السلام في المحراب ووصلت الأنباء إلى الشام فاستغرب الكثيرون لأنّهم كانوا يتصوّرون انّ عليّاً لا يصلّي، لقد كانت الدعاية الأمويّة من القوّة والتأثير بحيث صوّرت لهم أوّل الناس إسلاماً وإيماناً بأنّه رجل لا يصلّي!!

هذا الانسان الذي عند ما نبت السهم في ساقه لم يجرؤ الطبيب على انتزاعه فنصحه الحسن السبط بأن ينتظر حتّى يدخل الامام في عالم الصلاة لأنّه حينئذٍ لا يشعر بما يجري حوله وعليه وحينئذٍ تمكّن الطبيب من انتزاع السهم النابت.

هذا الانسان العظيم الذي رحل إلى الملكوت وكلمات الصلاة على شفتيه تمكّن الخطباء الأمويّون من رسم صورة سلبيّة عنه في أذهان أهل الشام حتّى كانوا يشتمونه في كلّ صلاة بل انّ بعضهم كان يعتقد انّ الصلاة لا تتمّ حتّى يشتم الامام في قنوته!!

بسر بن ارطاة وقبيلة همدان

عند ما أصبح معاوية خليفة على المسلمين بقوّة الحديد والنار نصب على المناطق والأقاليم الموالية للامام علي عليه السلام حكّاماً قساة وكان بسر بن ارطاة من نصيب قبيلة همدان المعروفة بولائها للامام علي فسامها سوء العذاب ولم يكن

أحد ليجرؤ على مناهضة الوضع الجديد أحد.

وفي تلك الظروف العصيبة نهضت امرأة قويّة الجنان اسمها سودة فانطلقت إلى الشام ودخلت على معاوية في قصره وجاء في كتب التاريخ ما يلي:

«إنّ سودة بنت عمّارة الهمدانيّة دخلت على معاوية بعد موت علي عليه السلام فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام (حرب) صفّين وآل أمره إلى أن قال: ما حاجتك؟

قالت: إنّ الله مسائلك عن أمرنا وما افترض عليك من حقّنا ولا يزال يتقدّم علينا من قِبلك من يسمو بمكانك ويبطش بقوّة سلطانك فيحصدنا حصيد السنبل ويدوسنا دوس الحرمل يسومنا الخسف ويذيقنا الحتف؛ هذا بسر بن ارطاة قدم علينا فقتل رجالنا وأخذ أموالنا ولولا الطاعة لكان فينا عِزّ ومنعة فإن عزلته عنّا شكرناك وإلّا كفرناك.

فقال معاوية: ايّاي تهدّدين بقومك يا سودة؟! لقد هممت أن احملك على قتب اشوس فأردّك إليه فينفذ فيك حكمه!

فأطرقت سودة ساعة ثمّ قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنها ... قبر فاصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغي له بدلاً ... فصار بالحق والايمان مقرونا

فقال معاوية: من هذا يا سودة؟

قالت: هو والله أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب؛ والله لقد جئته في رجل كان قد ولّاه صدقاتنا فجار علينا؛ فصادفته قائماً يصلّي فلمّا رآني انفتل من صلاته ثمّ اقبل عليّ برحمة ورفق ورأفة وتعطّف وقال: ألك حاجة؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر فبكى ثمّ قال: اللّهمّ انت الشاهد عليّ وعليهم وإنّي لم آمرهم بظلم خلقك ثمّ أخرج قطعة جلد فكتب فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم؛

قد جاءتكم بيّنة من ربّكم فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ذلكم خير لكم إن كنتم مؤمنين» فاذا قرأت كتابي هذا فاحتفظ بما في يدك من عملنا حتّى يقدم عليك من يقبضه منك والسلام.

ثمّ دفع الرقعة إليّ فوالله ما ختمها بطين ولا خزنها، فجئت بالرقعة إلى صاحبه فانصرف عنها معزولاً.

فقال معاوية: اكتبوا لها كما تريد واصرفوها إلى بلدها غير شاكية، إلّا أنّه أفصح عن مدى حقده عند ما قال لسودة: لقد غرّكم قول علي فيكم: فلو كنت بوّاباً على باب جنّة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام.

وهكذا اضطرّ معاوية إلى عزل بسر بن ارطاة.

مثال آخر

كتب الامام علي عليه السلام إلى معاوية رسالة جوابيّة ودعا الطرماح بن عدي الطائي وكان رجلاً مفوهّاً فقال له: خذ كتابي فانطلق به إلى معاوية.

وانطلق الطرمّاح إلى الشام وقبل أن يدخل على معاوية اصطدم ببعض رجاله الذين حاولوا الاستخفاف به إذ قالوا له عند ما رأوه طويلاً فهو قريب إلى السماء اذن!!

ـ يا اعرابي هل عندك من السماء خبر؟

فقال:

ـ بلى الله في السماء وملك الموت في الهواء وأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب في القفاء فاستعدّوا لما ينزل عليكم من البلاء يا أهل الشقاوة والشقاء!

وهكذا نكّل بهم فأخبروا معاوية انه قد جاء اعرابي طلق اللسان فأعدّ لكلامه جواباً.

فأمر معاوية ان يصطف الحرس صفين وأن تدقّ الطبول لالقاء الرهبة في نفسه قبل أن يدخل.

ولكن ذلك لم يؤثّر فيه فدخل ثابتاً كالجبل قويّاً كالعاصفة فسلّم الرسالة إلى معاوية الذي سأله:

ـ كيف خلفت عليّاً؟

قال: خلّفته بحمد الله كالبدر الطالع حواليه أصحابه كالنجوم الثواقب اللوامع ولو رأيتهم لرأيت رجالاً سيماهم في وجوههم من أثر السجود حتّى إذا استعرت نار الوغى قذفوا بأنسفهم في تلك الشعل لابسين القلوب على مدارعهم قائمين ليلهم صائمين نهارهم لا تأخذهم في الله ولا في وليّ الله علي لومة لائم.

فقال معاوية:

ـ ما أفصحك يا اعرابي!!

وهمس عمرو بن العاص في اذن معاوية:

ـ هذا رجل اعرابي لو أعطيته مالاً لتكلّم فيك بخير!

فقال معاوية للطرماح:

ـ ما تقول في الجائزة أتأخذها منّي أم لا ؟

قال الطرماح :

ـ بل آخذها فوالله أنا اريد استقباض روحك من جسدك فكيف باستقباض مالك من خزانتك ! !

فأمر له بعشرة آلاف درهم ثمّ قال له :

ـ أتحبّ أن أزيدك ؟

قال الطرماح :

ـ زد فانّك لا تعطيه من مال أبيك .

وراح معاوية يهدّد الامام علي عليه السلام بجيش كبير فقال الطرماح :

ـ اظنّك تهدّد البط بالشط .

فدع الوعيد فما وعيدك ضائر أطنين أجنحة الذباب يضير والله انّ لأميرالمؤمنين علي بن أبي طالب لديكاً عليّ الصوت عظيم المنقار يلتقط الجيش بخيشومه .

فقال معاوية :

ـ كانّك تعني مالك بن الحارث الأشتر والله كذلك هو .

وانصرف الطرماح مرفوع الرأس كما جاء .

والتفت معاوية إلى رجاله وقال :

ـ لو اعطيت جميع ما أملك لرجل منكم لم يؤدّ عنّي عشر عشير ما أدّىٰ هذا الاعرابي عن صاحبه .

فقال عمرو بن العاص :

ـ لو أنّ لك قرابة كقرابة علي بن أبي طالب وكان معك الحق كما هو معه لأدّينا عنك أفضل من ذلك أضعافاً مضاعفة.

فقال معاوية:

فضّ الله فاك وقطع شفتيك والله لكلامك عليّ أشدّ من كلام الاعرابي ولقد ضاقت عليّ الدنيا بحذافيرها[١].

يقول الامام السجادعليه السلام: إنّ حقّ اللسان هو في اكرامه عن الخنى وتعويده على الخير وحمله على الأدب وعدم النطق إلّا لموضع الحاجة والمنفعة للدين والدنيا وابعاده عن الفضول.

فلسفة الصمت

جاء في جانب من الروايات تأكيد وتوصيات حول السكوت والتزام الصمت ما أمكن إلّا اذا دعت الضرورة للكلام فما هي فلسفة الصمت ومتى يكون الكلام؟

وكما أشرنا فيما مضى إلى انّ اللسان هو المعبر عما يدور في أعماق الانسان وهو ترجمان القلب والذي يبيّن ما في ضمير الانسان وهو الذي يكشف عن طبيعة وشخصيّة الفرد.

يقول الامام عليعليه السلام: **«اللسان سبع إن خُلّي عقر»**[٢].

لاحظ كيف يصوّر الامامعليه السلام اللسان بأنه حيوان مفترس إن ترك له العنان في الكلام كما يشاء فانّه يعضّ ويفترس ويعقر.

---

(١) مجلة مكتب اسلام، السنة الرابعة، الرقم ٢، ص٤٦.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٥٧.

ويقول عليه‌السلام في مناسبة اخرى:

«أعجبوا لهذا الانسان ينظر بشحم ويتكلّم بلحم ويسمع بعظم ويتنفّس من خرم»[١].

اللسان السبب الرئيسي في دخول الجنّة أو النار

روى الصحابي سهل بن سعد الساعدي: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: **«من يتكفّل لي ما بين لحييه (شفتيه) ورجليه اتكفّل له بالجنّة»**[٢].

وقد سئل رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله عن أكثر ما يدخل الناس الجنّة فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله:

ـ بتقوى الله وحسن الخلق.

وسئل عن أكثر ما يدخل الناس النار قال صلى‌الله‌عليه‌وآله:

ـ الأجوفان؛ الفم والفرج[٣].

وروى الصحابي معاذ بن جبل: قلت لرسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: أنؤاخذ بما نقول؟

فقال صلى‌الله‌عليه‌وآله:

ـ ثكلتك أمّك يابن جبل! وهل يكبّ الناس على مناخرهم إلّا حصائد ألسنتهم؟!(٤).

وفي هذه الأحاديث الثلاثة الشريفة نلاحظ انّ النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله يرى جزءً هامّاً من سعادة الانسان الأبديّة يتوقّف على ترك الكلام وصون اللسان من الخوض في الحديث الذي لا طائل من ورائه.

---

(١) المصدر السابق: الحكمة ٧.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٥، ص١٩٢.

(٣) المصدر السابق: ص١٩٣.

(٤) المصدر نفسه.

وهذا حديث رابع يرويه مالك بن أنس عن رسول الله صلى الله عليه وآله انه قال:

«لا يستقيم ايمان عبد حتّى يستقيم قلبه ولا يستقيم قلبه حتّى يستقيم لسانه ولا يدخل الجنّة رجل لا يأمن جاره بوائقه»[١].

وفي هذا الحديث ثمّة معادلة واضحة في ان استقامة القلب تتوقّف على مدى استقامة اللسان بل ان استقامة الانسان تتوقّف على استقامة اللسان وصونه عن كلّ ما لا يجدر بالانسان ويليق به.

الصمت عبادة

روى صفوان بن سليم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ألا اخبركم بأيسر العبادة وأهونها على البدن؟ الصمت وحسن الخلق»[٢].

وروى البرّاء بن عازب قال: جاء اعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: دلّني على عمل يدخلني الجنّة.

قال صلى الله عليه وآله:

«أطعم الجائع واسق الظمآن وأمر بالمعروف وانه عن المنكر فان لم تطق فكفّ لسانك إلّا من خير»[٣].

وقال النبي صلى الله عليه وآله أيضاً:

«انّ لسان المؤمن وراء قلبه فاذا أراد أن يتكلّم تدبّره بقلبه ثمّ امضاه بلسانه وان لسان المنافق أمام قلبه فاذا همّ بشيء امضاه بلسانه ولم يتدبّره بقلبه»[٤].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ص١٩٤.

(٣) المصدر نفسه: ص١٩٥.

(٤) المصدر نفسه.

وجاء في الأخبار انّ جماعة اجتمعوا عند معاوية وكانوا يتكلّمون الّا الأحنف بن قيس فقد ظلّ معتصماً بالصمت، فقالوا له: ما لك لا تتكلّم يا أبا بحر؟

قال الأحنف:

أخشى الله ان كذبت واخشاكم إن صدقت[١].

ومن مجموع هذه الروايات تتّضح أهميّة السكوت ذلك انّ الانسان بصمته وسكوته يكون في مأمن من الوقوع في الاثم ومن ارتكاب المعاصي والذنوب.

والانسان العاقل يحكّم وجدانه ويستشير عقله في ما يقول وينطق فان كان في كلامه خير نطق وإلّا فالصمت له خير من الكلام، وكتب الأخلاق تزخر بالأحاديث التي تدعو الىٰ الصمت والسكوت فهو عبادة وتدرّج في سلّم الكمال وتقدّم للمجتمع.

آفات اللسان

يقول علماء الأخلاق انّ لكلّ شيء آفة واللسان ليس استثناء من هذه القاعدة فانّ له آفات وآفات وقد أحصى بعضهم منها عشرين آفة نشير إلى طائفة منها:

١ ـ كلام المرء في ما لا يعنيه

انّ كلام المرء في ما لا يعنيه من آفات اللسان وقد قال رسول الله ﷺ في ذلك:

«من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٢].

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠٠.

ولهذا فان من الأفضل للانسان ترك الكلام في ما لا طائل من ورائه.

٢ ـ الكلام بقدر الحاجة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«طوبى لمن أمسك الفضل من لسانه وأنفق الفضل من ماله»(١).

٣ ـ الاستغراق في الأباطيل

من قبيل الخوض في اللغو والأباطيل ومحافل العربدة والسكر وما يجري في مجالس الاثرياء والملوك والرؤساء من العبث والتهريج.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«انّ الرجل ليتكلّم بالكلمة يضحك بها جلساؤه يهوي بها أبعد من الثريا»(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً:

«أعظم الناس خطايا يوم القيامة أكثرهم خوضاً بالباطل وإليه أشار بقوله: وكنا نخوض مع الخائضين»(٣).

وقال الصحابي الجليل سلمان الفارسي: «انّ أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم كلاماً في معصية الله»(٤).

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٠٤.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠٧.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

٤ ـ المرء والجدل

إنّ الميل إلى الجدل والنقاش الساخن والمراء من آفات اللسان وقد نهت الشريعة الاسلاميّة السمحاء عن ذلك وذمّت هذه الظاهرة في نزوع الانسان إلى الجدل.

يقول رسول الله ﷺ في هذا المضمار:

«لا تمار أخاك ولا تمازحه ولا تعده موعداً فتخلفه»[١].

وقال ﷺ:

«لا يستكمل عبد حقيقة الايمان حتّى يدع المراء والجدال وإن كان محقاً»[٢].

وقال ﷺ أيضاً:

«من ترك المراء وهو محق بُني له بيت في أعلى الجنّة ومن ترك المراء وهو مبطل بني له بيت في ريض الجنّة»[٣].

والمراء التمادي في الجدل والنقاش حيث يكون الهدف منه تحقيق نصر أو فوز على الآخر واثبات وجهة نظرة أو استعراض الشخص قدراته العلميّة لا أكثر وليس التوصّل إلى الحقيقة.

٥ ـ الخصومة

والخصومة أيضاً من آفات اللسان كما هو رأي الشريعة الاسلاميّة التي نهت

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

عنها أيضاً، والخصومة امعان أكثر في المراء والجدل إلى حدود بعيدة تصل إلى مستوى اللجاج والعناد.

روى أبوهريرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله قوله:

«من جادل في خصومة بغير علم لم يزل في سخط الله حتّى يُنزع»[١].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله أيضاً:

«إنّ في الجنّة لغرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدّها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأطاب الكلام»[٢].

٦ ـ التشدّق في الكلام

وهو التصنّع في الكلام والخروج عن الوقار والأدب في الحديث والحوار والتكلّف في كلّ ذلك والابتعاد تماماً عن العفوية.

قالت السيّدة فاطمة الزهراء عليها السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«شرار أُمّتي الذين غذوا بالنعيم يأكلون ألوان الطعام ويلبسون ألوان الثياب ويتشدّقون في الكلام»[٣].

ونفهم من هذا الحديث النبويّ الشريف انّ على الانسان أن يكون عفويّاً في حديثه فلا يتكلّف ولا يتصنّع في الكلام بل عليه أن يكون على طبيعته لأن ما يخرج من القلب ينفذ في القلب اما الذي يخرج من اللسان فانه لا يتعدّى الآذان كما يقال.

---

(١) المصدر نفسه: ص٢١١.

(٢) المصدر نفسه: ص٢١٣.

(٣) المصدر نفسه: ص٢١٤.

٧ ـ الفحش

والفحش من آفات اللسان الخطيرة وقد حذّر الاسلام من الفحش ودعا المسلمين إلى اجتناب ذلك.

قال رسول الله ﷺ:

«إيّاكم والفحش فانّ الله لا يحبّ الفحش والتفحّش»[(١)].

وقال ﷺ:

«الجنّة حرام على كلّ فاحش أن يدخلها»[(٢)].

وقال ﷺ في حديث له مع السيّدة عائشة:

«يا عائشة! لو كان الفحش رجلاً لكان رجل سوء»[(٣)].

انّ الفحش في الكلام لمن أسوأ الصفات والأخلاق وينبغي لمن ابتلي بهذه الصفة الذميمة أن يبادر للعلاج قبل فوات الأوان.

والملاحظ انّ هذا المرض الأخلاقي ينشأ من تشرّب المرء هذه الممارسات المنحطّة وذلك من خلال الاختلاط مع الأشخاص السيئين الذين اعتادوا الفحش وبالتالي فانّه كالوباء في الانتقال من شخص لآخر خلال الاحتكاك والعلاقات والانفعال.

وقد جاء في أخبار السيرة الشريفة لسيّدنا محمّد ﷺ أنّ اعرابيّاً قال لرسول الله ﷺ:

ـ أوصني!

---

(١) المصدر نفسه: ص٢١٥.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢١٥.

(٣) المصدر نفسه: ص٢١٦.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عليك بتقوى الله وإن امرؤ عيّرك بشيء يعلمه فيك فلا تعيّره بشيء تعلمه فيه، يكن وباله عليه وأجره لك ولا تسبنّ شيئاً من خلق الله».

قال: فما سببت شيئاً بعده[1].

وما يلاحظ انّ التوصية النبويّة تؤكّد على أن لا يعيّر أحداً بشيء يعلمه فيه وإن كان ذلك الشخص قد قام بذلك وهذا تأكيد على عدم المقابلة بالمثل احترازاً من الانزلاق.

وقال عياض بن حمار (صحابي سكن البصرة): قلت يا رسول الله! الرجل من قومي يسبّني وهو دوني هل عليّ من بأس ان انتصر منه؟

فقال صلى الله عليه وآله:

المتسابان شيطانان يتعاونان ويتهاتران[2].

٨ ـ اللعن

ومن آفات اللسان اللعن؛ واللعن الطرد من رحمة الله وقد وردت هذه المفردة في القرآن الكريم في سياق آيات تشير الى بعض من حلّت عليهم لعنة الله فابلسوا من رحمته سبحانه وفي طليعتهم الشيطان الذي عرف بابليس لأنّه ابلس من رحمة الله فهو رجيم.

قال الله عزّوجلّ يخاطبه:

---

(١) المصدر نفسه: ص٢١٧.

(٢) المصدر نفسه.

﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتي إِلىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[١].

وقد ورد اللعن موجّهاً للذين يكتمون الحقائق الالهيّة من أجل تضليل الناس:

﴿ إِنَّ الَّذينَ يَكْتُمُونَ ما أَنْزَلْنا مِنَ الْبَيِّناتِ وَالْهُدىٰ مِنْ بَعْدِ ما بَيَّنّاهُ لِلنّاسِ فِي الْكِتابِ أُولٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاّعِنُونَ ﴾[٢].

وفي قضيّة الوفد النصراني الذي جاء يجادل سيّدنا محمّد ﷺ من وادي نجران باليمن حول طبيعة السيّد المسيح عليه السلام أمر الله سبحانه رسول الأكرم ﷺ أن يدعوهم إلى المباهلة:

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فيهِ مِنْ بَعْدِ ما جاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعالَوْا نَدْعُ أَبْناءَنا وَأَبْناءَكُمْ وَنِساءَنا وَنِساءَكُمْ وَأَنْفُسَنا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللهِ عَلَى الْكاذِبينَ ﴾[٣].

المباهلة في اللغة رفع القيود عن الشيء ولهذا فانه يقال للحيوان الذي يترك لحاله ولا يضعون اثداءه في كيس حتّى يمكنه أن يرفع صغيره بحريّة: باهل والابتهال في الدعاء بمعنى التضرّع وايكال الأمر إلى الله وعند ما تستخدم هذه المفردة بمعنى اللعن والهلاك فلأنّه يعني ترك العبد والتخلّي عنه أو انفصاله عن الغاية الالهيّة ليلاقي مصيره.

ومن هنا فان المباهلة في مفهومها تعني رفع اليدين إلى الله والدعاء واستنزال اللعنة الالهيّة وهذا الاجراء يأتي عادة بعد الجدل والنقاش حول موضوع عقائدي

---

(١) سورة ص: الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٥٩.

(٣) سورة آل عمران: الآية ٦١.

فيدعو أحد الطرفين الآخر إلى المباهلة ليفضح الله الكاذب منهما والمبطل.

ومن أجل هذا فان الآية أعلاه اعتمدت كدليل على حقانيّة أهل البيت عليهم السلام وطهرهم وعصمتهم.

وقد كان اليهود ينتظرون ظهور نبي جديد وكانوا يهدّدون الاقوام المحيطة بهم فلمّا جاء سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله وبعثه الله نبيّاً كفروا به فحلّت بهم لعنة الله:

﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾[1].

وقد جاء في كتب الحديث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله لعن أبا سفيان في سبعة مواطن[2].

وعن الامام علي عليه السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله:

«سبعة لعنهم الله وكلّ نبيّ مجاب: المغيّر لكتاب الله، والمكذّب بقدر الله، والمستحلّ من عترتي ما حرّم الله عزّوجلّ، والمتسلّط في سلطانه ليعزّ من اذل الله ويذلّ من أعزّ الله والمستحلّ لحرم الله والمتكبّر على عبادة الله»[3].

المؤمن ليس بلعّان

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«المؤمن ليس بلعّان»[4].

وفي أدبيّات الاسلام لا يجوز لعن حتّى الحيوانات لأنّ اللعن كما يبدو من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٨٩.

(٢) سفينة البحار: ج ٢، ص ٥١٣.

(٣) المصدر نفسه: ص ٥١٢.

(٤) المحجّة البيضاء: ج ٥، ص ٢١٩.

مجموع الروايات وما تفيده الآيات في مضمار اللعن انه ممنوع على نحو مطلق للانسان والحيوان والجماد وثمّة استثناءات في هذا الموضوع فيما يخصّ بعض الكفّار والمنافقين وأعداء أهل البيت عليهم السلام.

٩ ـ الغناء

وهي الآفة التاسعة في مسألة اللسان وقد ورد في صحيحة الشحّام ومرسلة ابن أبي عمير وموثقة أبي بصير في كتاب الكافي وكذا في رواية عبد الأعلى في معاني الأخبار وفي حسنة هشام التي نقلت من تفسير القمي في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ﴾[١]. ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾[٢] انّ المراد من قول الزور هو الغناء، كما انّ المقصود من لهو الحديث في الآية الكريمة: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[٣] هو الغناء كذلك اما الاشارة إلى الشعر باعتباره آفة من آفات اللسان فانّ الروايات في الشعر تنقسم إلى قسمين: فثمّة طائفة من الروايات تمدح الشعر واخرى تذمّه والروايات التي تذمّ الشعر إنّما تقصد الشعر الغنائي الهابط في المضمون وليس مجرّد الصوت والأنغام.

١٠ ـ المزاح في غير وقته

المزاح الذي يخرج عن حدّه مذموم لدى الشريعة الاسلاميّة وقد جاء في

---

(١) سورة الحج: الآية ٣٠.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧٢.

(٣) سورة لقمان: الآية ٦.

الحديث النبويّ الشريف:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لا تمار أخاك ولا تمازحه»[1].

وقال صلوات الله عليه وآله:

«انّي لأمزح ولا أقول إلّا حقاً»[2].

والنهي عن المزاح إنّما يقصد ما يخرج عن الحدود ويتسبّب في إيذاء الآخرين ما يؤثر سلباً على العلاقات الاجتماعيّة والروابط الاخويّة.

مزاح النبي صلى الله عليه وآله

والنبي صلى الله عليه وآله يمازح ولكن ضمن الحدود المشروعة التي تدخل البهجة في النفوس فمن ذلك ان امرأة عجوز التقته فقال صلى الله عليه وآله: لا تدخل الجنّة عجوز.

فبكت المرأة وحينئذٍ أوضح النبي صلى الله عليه وآله انّ أهل الجنّة يصبحون شباباً ومعنى هذا انه لا عجائز في الجنّة بل فتيات شابّات، قال تعالىٰ:

﴿ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً (٣٥) فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً (٣٦) ﴾[3].

وقال الامام علي عليه السلام:

«ما مزح امرؤ مزحة إلّا مجّ من عقله مجّة»[4].

---

(١) المحجّة البيضاء: ج ٥، ص ٢٢١.

(٢) المصدر السابق: ص ٢٣٢.

(٣) سورة الواقعة: الآية ٣٥ ـ ٣٦.

(٤) نهج البلاغة: الحكمة ٤٤٢.

١١ ـ السخريّة والاستهزاء

والسخريّة من الآخرين عدّها علماء الأخلاق من آفات اللسان قال تعالى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْراً مِنْهُمْ وَلا نِساءٌ مِنْ نِساءٍ عَسىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْراً مِنْهُنَّ وَلا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلا تَنابَزُوا بِالأَلْقابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ ﴾[1].

وأوّل بند تشتمل عليه الآية الكريمة احترام الآخر حيث ينبغي أن تنظم العلاقات الاجتماعيّة على أساس الاحترام الكامل والمتقابل بين أفراد المجتمع ومن الواضح انّ الفرد المادي في تفكيره لديه معايير في التعامل مع الآخرين تنهض على اعتبارات ماديّة صرفة تنطلق وتتركّز على ظاهر الانسان فقط أمّا الانسان المؤمن فانّه يجتاز هذا الظاهر إلى ما هو أبعد وأسمى من ملكات وصفات أخلاقيّة وسجايا انسانيّة.

وقوله تعالى: «عسى أن يكونوا خيراً منهم» هي القاعدة التي يستند إليها القرآن في التفاضل على أساس النبل الأخلاقي والبعد المعنوي من أجل ذلك فان الاحترام المتقابل أمر مؤكّد لأنّه لا يمكن معرفة طبيعة الشخصيّة من خلال الظاهر المادي الصرف.

وما أكثر الناس الذين يفتقرون الى الجمال الظاهري في الهندام لكن لو تجلّت صفاتهم الأخلاقيّة للعيان فانّهم يتألّقون جمالاً وفي المقابل ما أكثر اولئك الذين يمتازون بجمال الظاهر لكنّهم ينطوون على نفوس مريضة لو تجلّت صفاتهم ورذائلهم لولّيت منهم فراراً ولشعرت بالتقزّز من صورهم الحقيقيّة ومن أجل هذا استنكر الاسلام السخرية من الآخرين على نحو مطلق.

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١١.

البواعث النفسيّة للسخريّة

الفرد الذي ينزع إلى السخريّة من الآخرين هو انسان مريض نفسيّاً ويعاني من عقدة النقص في الشخصيّة ولذا فهو يحاول التعويض عن هذا النقص بتحقير الآخرين والاستهزاء بهم ولذا نلاحظ انّ الانسان المحترم لا يقوم بهذا العمل السلبي ولا يهزأ ولا يسخر لأنّه يحترم نفسه ويحترم الآخرين ويحترمه الآخرون.

وثمّة باعث نفسي آخر للسخريّة والاستهزاء من الآخرين إذ يعاني البعض من مرض السادية وهي حالة من التلذّذ من خلال تعذيب الآخرين؛ وفي أدبيّات الاسلام يطلق على هذا الانسان بأن لديه روح سبعيّة، فالحيوان المفترس يتلذّذ من خلال افتراس جسم فريسته فيما يتلذّذ السادي بافتراس روح الآخر وتعذيبه نفسيّاً وجسديّاً أو محاولة فضحة بين الناس.

المهرّج

وجاء في سيرة الامام زين العابدين ان بطّالاً (مهرّجاً) يضحك الناس (بمقالبه) فنزع رداءه (رداء الامام عليه السلام) من رقبته ثمّ مضىٰ فلم يلتفت إليه (الامام) فاتبعوه وأخذوا الرداء (من المهرج) فجاءوا به (إلى الامام) فطرحوه عليه فقال لهم عليه السلام:

ـ من (فعل) هذا؟

قالوا: رجل بطّال يضحك أهل المدينة.

فقال عليه السلام:

ـ قولوا إنّ لله يوماً يخسر فيه المبطلون[١].

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب: ج٤، ص١٥٨.

السخرية من ذوي الاحتياجات الخاصّة

يعاني البعض من الناس من العاهات المختلفة والعوق ونقص في الأعضاء فخسروا بعض نعم الله سبحانه؛ وهكذا أفراد لا ينبغي ان يُسخر منهم لأن السخريّة تتسبّب في إيذائهم نفسيّاً، لأن هذا العمل المزري ينطوي أولاً على الاهانة للآخر والثاني انه يضاعف احساسهم بالألم بسبب هذا النقص إنّ التسبّب في تفجير الاحساس بالألم ذنب كبير ومعصية ولذا يقول الامام علي عليه السلام في دعائه:

«اللّهمّ اجعل نفسي أوّل كريمة تنتزعها من كرائمي وأوّل وديعة ترجعها من ودائع نعمك عندي»[١].

وورد في دعاء الحسين عليه السلام في عرفات قوله عليه السلام:

«ومتعني بجوارحي واجعل سمعي وبصري الوارثين عنّي وانصرني على من ظلمني»[٢].

الجاحظ

كان الجاحظ من مثقفي عصره عاش في القرن الثالث الهجري وقد عرف بالجاحظ لجحوظ عينيه وأراد المتوكّل معلّماً لأولاده فتوجّه الجاحظ من بغداد إلى سامراء ولكن المتوكّل استبشع شكله وصرفه عن هذه المهمّة.

كان الجاحظ من المساندين للحكم العباسي وصرّح بعدائه للامام علي عليه السلام قال لتلامذته ذات يوم انه لم يتعرّض للسخريّة كما تعرّض لها ذات مرّة على يد

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٦.

(٢) مفاتيح الجنان / دعاء الامام الحسين عليه السلام يوم عرفة.

امرأة حسناء مرّت به وقالت له اتبعني فتبعها حتّى اذا وصلت إلى دكان الصائغ قالت للصائغ وهي تشير إلى الجاحظ:

ـ هذا!

ثمّ انصرفت تاركة الجاحظ في حيرة من أمره فسأل الصائغ عمّا كانت تعنيه فقال الصائغ:

ـ ان هذه المرأة جاءتني وطلبت منّي أن أنقش لها صورة الشيطان فقلت لها اني لم أر الشيطان حتّى انقش صورته ثمّ جاءت الآن وقالت هذا، فقد جاءت بك لظنّها انّك شيطان.

١٢ ـ فضح الأسرار

ومن آفات اللسان فضح أسرار الآخرين وقد ذمّت الشريعة هذا العمل واستنكرته.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «**إذا حدّث الرجل الحديث فم التفت فهي أمانة**»[١].

وقال صلى الله عليه وآله: «**الحديث بينكم أمانة**»[٢].

وقال سبط النبي الأكرم صلى الله عليه وآله الامام الحسن بن علي عليه السلام: «**إنّ من الخيانة أن تحدّث بسرّ أخيك**»[٣].

---

(١) المحجّة البيضاء: ج ٥، ص ٣٧.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

١٣ ـ الوعود الكاذبة

الوعود الكاذبة من آفات اللسان حيث يقول الانسان ويعد ثمّ يخلف وعده ولا يفي بما قال، في حين انّ الوفاء بالوعد من صفات الانسان المؤمن قال الله عزّوجلّ: ﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾(١) وقال رسول الله ﷺ: **«العدّة دين»**(٢).

وقد مجّد القرآن الكريم سيّدنا اسماعيل وأشار إلى أبرز صفاته الأخلاقيّة النبيلة: ﴿إِنَّهُ كانَ صادِقَ الْوَعْدِ وَكانَ رَسُولاً نَبِيًّا﴾(٣).

١٤ ـ الكذب في الحديث والقسم

الكذب من المعاصي الكبيرة والتي تفضي إلى فضح الانسان في الدنيا والآخرة والآيات القرآنيّة تذمّ الكذب والقسم الكاذب وكذلك الروايات أيضاً وهذه إشارة إلى طائفة منها.

روى أبو سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«اللّهمّ طهّر قلبي من النفاق وفرجي من الزنا ولساني من الكذب»(٤).

وقال الامام محمّد الباقر عليه السلام:

«انّ الكذب هو خراب الايمان»(٥).

---

(١) سورة المائدة: الآية ١.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٣٧.

(٣) سورة مريم: الآية ٥٤.

(٤) المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٤١.

(٥) اصول الكافي: ج٢، ص٣٣٩.

وقال الامام علي عليه السلام:

«لا يجد عبد طعم الايمان حتّى يترك الكذب جدّه وهزله»[(١)].

وسأل رجل رسول الله صلى الله عليه وآله:

ـ المؤمن يزني ؟

قال صلى الله عليه وآله:

ـ قد يكون كذلك.

قال الرجل:

ـ المؤمن يسرق ؟

ـ قد يكون كذلك.

قال الرجل:

ـ يا رسول الله ! المؤمن يكذب ؟

قال صلى الله عليه وآله:

ـ لا، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[(٢)].[(٣)]

وقال الامام أبو محمّد الحسن العسكري عليه السلام:

«حطّت الخبائث في بيت وجعل مفتاحه الكذب»[(٤)].

جذور الكذب ومصادره

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

---

(١) المصدر السابق: ج٢، ص٣٤٠.

(٢) سورة النحل: الآية ١٠٥.

(٣) سفينة البحار: ج٢، ص٤٧٣.

(٤) مستدرك الوسائل: ج٢، ص١٠٠.

«لا يكذب الكاذب إلّا من مهانة نفسه»[١].

واذن فانّ الشعور بالحقارة والصغار هو الباعث على الكذب.

وفي مقابل هذه الصفة الذميمة والمرض الاخلاقي يتألّق الصدق بكلّ شموخه ومجده حيث الثقة بالنفس والشجاعة في النطق بالحق والحقيقة هو الباعث من وراء الصدق.

جاء في بعض المدوّنات التاريخيّة انّ الحجّاج بن يوسف الثقفي صعد المنبر والقى خطاباً فأطال، فنهض رجل من بين الجالسين فقال بصوت عال: هذا وقت الصلاة فلا الوقت بواقف لك ولا الله بعاذرك.

فاستاء الحجّاج وأمر بسجنه وجاء رجال من قبيلته يتوسّطون لاطلاقه وقالوا: لا تؤاخذه فانه مجنون.

فقال الحجّاج: إن أقرّ بذلك أطلقته.

فذهبوا إليه في سجنه وأخبروه بما قال الحجّاج، فقال الرجل: إنّ الله خلقني سليماً في عافية من عقلي أفأكذب وأقول إنّي مجنون؟! هذا ما لا يكون فلمّا سمع الحجّاج بقوله أطلقه لصدقه.

١٥ ـ الغيبة

والغيبة من أشدّ آفات اللسان ومن الضروري تعريف الغيبة قبل أن نطرق موضوعها.

يقول الشهيد الثاني في كتابه «كشف الريبة» في تعريف الغيبة:

---

(١) المصدر السابق.

«إنّ الغيبة ذكر الانسان في غيبته بما يكره نسبته إليه ممّا يعدّ نقصاً في العرف بقصد الانتقاص»(١).

وقد سئل الصحابي الجليل أبوذر الغفاري عن الغيبة فقال: «انها ذكرك أخاك بما يكرهه»(٢).

وقد حرّم الاسلام الغيبة وتطرق الشيخ الأنصاري في المكاسب إلى الغيبة وأشار إلى بعض الآيات في دلائل تحريمها وتمسك بقوله تعالىٰ:

﴿وَلاٰ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ﴾(٣).

وهذا المشهد يصوّر شخصين أحدهما يغتاب والآخر يستمع إلى الاغتياب وكذا الشخصين في الحقيقة يفترسان شخصاً ثالثاً غائباً عن الحضور يعني لا يملك الامكانيّة في الدفاع عن نفسه.

والآية الكريمة وهي تصوّر هذا المشهد البشع ترمي إلى أربعة أُمور:

١ ـ انّ المسلم أخو المسلم فكما انّ الأُخوة النسبيّة قويّة في العلاقة فكذلك الاخوة الدينيّة.

٢ ـ إنّ كرامة الانسان المسلم بمثابة جسده ولحمه وبدنه.

٣ ـ إن الغائب عن المجلس والهجوم عليه من خلال الاغتياب هو بمثابة مهاجمة إنسان ميّت لا يملك امكانيّة الدفاع وهذا الهجوم الذي يشنّه المغتاب هو جهد الانسان العاجز الذي يفتقر إلى الشهامة والشجاعة والنبل ومن هنا يقول

---

(١) المكاسب: ص٤١.

(٢) المصدر السابق.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٢.

الامام علي عليه السلام بشأن المغتاب: «الغيبة جهد العاجز»[١].

والآية الاخرى التي يستدلّ بها على حرمة الغيبة هي قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الَّذينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشيعَ الْفاحِشَةُ فِي الَّذينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ فِي الدُّنْيا وَالآخِرَةِ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ ﴾[٢].

وانطلاقاً من كون الانسان اجتماعي بالطبع ويعيش داخل مجتمع حيث المجتمع أشبه ما يكون بالأسرة والبيت فانه يتوجب الدفاع عن كرامة الأسرة وأن يمنع نفوذ السموم والفساد والانحراف، ولذا فان الاسلام يرفض كلّ اشكال التلوّث الاجتماعي بشدّة ويشنّ حرباً لاهواده فيها ضد هؤلاء الذين يحاولون تسميم الفضاء الاجتماعي العام ومن هنا يقف موقفه الحازم ضد الغيبة والاغتياب لأنّها عمليّة كشف للعيوب والنواقص وفضح ما هو مخفي وراء الاستار، ولذا يدعو الاسلام المؤمنين بالله ورسوله واليوم الآخر إلى ستر عيوب الآخرين.

والآية الثالثة التي يستدلّ بها الشيخ الأنصاري على حرمة الغيبة هي قوله تعالى:

﴿ لا يُحِبُّ اللهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلاّ مَنْ ظُلِمَ وَكانَ اللهُ سَميعاً عَليماً ﴾[٣].

وينبغي الالتفات إلى انّ المراد من كلمة «السوء» هو كلّ اشكال القبائح وانّ «الجهر» في القول هو كلّ اساليب الكشف عن المستور سواء عن طريق الشكوى أو مجرّد سرد الكلام أو الدعاء أو الاغتياب ولهذا اعتمدت هذه الآية كدليل على حرمة الغيبة.

---

(١) شرح غرر الحكم للخوانساري: ج١، ص٢٦٨.

(٢) سورة النور: الآية ١٩.

(٣) سورة النساء: الآية ١٤٨.

والآية الرابعة التي استدلّ بها على حرمة الغيبة هي قوله تعالى:

﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ﴾[1].

وقد ذهب جمع من المفسّرين إلى ان هذه الآية نزلت في الوليد بن المغيرة الذي كان يغتاب رسول الله صلى الله عليه وآله ويهزأ منه.

و «الهمزة» و «اللمزة» صيغة مبالغة وإن كانت غير معروفة ضمن صيغ المبالغة فالأولى من مادّة هَمَز وفي الأصل بمعنى الكسر وقد استخدمت للمغتاب لأنّه يقوم بعمليّة تحطيم شخصيّة الانسان الغائب و «اللمزة» مشتقّة من مادّة «لَمْز» وهي على وزن رمز وهي في الأصل بمعنى الاغتياب وتسقّط العيوب.

حرمة الغيبة في السنّة

وتزخر الروايات عن طريق الفريقين بالعديد من الأحاديث النبويّة حول موضوع الغيبة وحرمتها وفيما يلي طائفة منها:

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«كلّ المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه»[2].

وروى جابر بن عبدالله الأنصاري وأبو سعيد الخدري قالا: قال النبي صلى الله عليه وآله:

«إيّاكم والغيبة فان الغيبة أشدّ من الزنا فانّ الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وإن صاحب الغيبة لا يغفر له حتّى يغفر له صاحبه»[3].

---

(١) سورة الهمزة: الآية ١.

(٢) المحجّة البيضاء: ج٥، ص٢٥١.

(٣) المصدر السابق.

في ليلة الاسراء

روى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ:

«مررت ليلة اسري بي على قوم يخمشون وجوههم بأظافيرهم فقلت: يا جبرئيل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين يغتابون الناس ويقعون في اعراضهم»(١).

الغيبة وردود فعلها

من القوانين الفيزيائية الثابتة التي تحكم الوجود ان لكلّ فعل رد فعل وكذا من قوانين هذا الوجود انّ لكلّ عمل بشري رد فعل ومثال ذلك الصدى، فانت تقف أمام جبل ثمّ تصرخ فان صدى صرختك يرتدّ إليك.

وكذا عند ما تقوم بقذف الكرة في الفضاء فانّها ترتدّ بنفس السرعة إلى الأسفل؟ وأيضاً عند ما يسمع المرء كلمة «الطرشي» فان الغدد في الفم تتحرّك على الفور وتفرز آلياً اللعاب وهكذا هي ردود والأفعال وقد قال مولانا جلال الدين في الـ«مثنوي»:

هذه الدنيا جبال وفيها فعلنا مثل النداء.

فاذا ما انطلق الندا ارتدّ إلينا الصدى.

وفي هذا جاء في السيرة النبويّة الشريفة عن الصحابي البرّاء بن عازب قال:

خطبنا رسول الله ﷺ حتّى اسمع العوائق في بيوتهنّ فقال:

«يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه! لا تغتابوا المسلمين ولا تتّبعوا عوراتهم، فانّه من يتّبع عورة أخيه تتبع الله عورته ومن تتبّع الله عورته يفضحه في جوف بيته»(٢).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٥٢.

أجل هكذا يكون رد فعل الغيبة، وهذا ما ورد عن طريق العامّة أمّا ما ورد عن طريق الخاصّة؛ فنشير إلى طائفة من ذلك:

روى الشيخ الصدوق رحمه الله باسناده إلى النبي صلى الله عليه وآله قال:

«من مشى في غيبة أخيه وكشف عورته كانت أوّل خطوة خطاها وضعها في جهنّم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق ومن اغتاب مسلماً بطل صومه ونقض وضوءه؛ فان مات وهو كذلك مات وهو مستحلّ لما حرّم الله»[1].

ومن المؤكّد ان هذا البطلان في الصوم والصلاة ليس المقصود منه البطلان الفقهي لأنّ الفقهاء لم يوردوا ذلك في المبطلات وإنّما المراد هو تداعي آثارها الروحيّة والمعنويّة والأُخرويّة.

روى الامام جعفر بن محمّد الصادق عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قال:

«الغيبة أسرع في دين الرجل والمسلم من الآكلة في جوفه»[2].

والآكلة هي الغدّة السرطانيّة.

واذن فان الغيبة تفتك في روح الانسان المسلم كما تفتك الغدّة السرطانيّة في البدن والجسم.

وروى المفضّل بن عمر قال: قال أبو عبدالله (الصادق عليه السلام):

«من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروّته ليسقطه عن أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[3].

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٥٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ص ٢٥٥.

الغيبة لا تنحصر باللسان

الغيبة لا تنحصر ولا تقتصر على اللسان وإنّما تشمل جميع الحركات التي يحاول من خلال المغتاب لفت الأنظار إلى نقص أو عيب، فهي تشمل الحركات والاشارات والايماءات بالرأس واليد والعين.

وقد ورد في السيرة انّ امرأة دخلت على عائشة فلمّا خرجت أشارت بيدها على انّها قصيرة فقال النبي ﷺ: قد اغتبتيها يا عائشة[١].

المستمع للغيبة شريك في الاثم

قال رسول الله ﷺ: «**المستمع للغيبة أحد المغتابين**»[٢].

وعلى هذا فانّ الذي يصغي للغيبة هو طرف وشريك في الجرم والاثم ما لم ينبري للدفاع عن كرامة أخيه الانسان الذي يتعرّض لهجوم المغتابين أو يقطع على اغتيابه أو يغادر ذلك المجلس الذي يتخطّفون فيه لحم أخيه، أما ان يقول للمغتاب بلسانه اسكت وهو في قلبه راض فهذا نفاق.

قال رسول الأكرم ﷺ:

«**من أذل عنده مؤمن وهو يقدر على أن ينتصر له فلم ينصره أذلّه الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق**»[٣].

وقال ﷺ:

---

(١) جامع السعادات: ج٢، ص٣٩٣ ـ ٣٩٦.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق.

«من ردّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يردّ عن عرضه يوم القيامة»[١].

وقال صلوات الله عليه وآله:

«من ذبّ عن عرض أخيه بالغيب كان حقاً على الله أن يعتقه من النار»[٢].

بواعث الغيبة

يحدّد علماء الأخلاق عدّة أسباب للغيبة وهي عبارة عن:

١ ـ الغضب أو الحقد أو الحسد ويصطلح علماء الأخلاق في هذه الحالة ان الغيبة من رذائل الغضب.

٢ ـ السخريّة والاستهزاء: حيث تكون الغيبة لمجرّد اللعب والمزاح حيث يقوم شخص بالسخريّة والتعريض بشخص غائب من أجل اضحاك الآخرين وفي هذه الحالة فانّ الغيبة ترتبط بالقوة الشهوانيّة.

٣ ـ الافتخار والمباهاة حيث يقوم شخص بالتباهي بنفسه من خلال الاستعلاء على الآخر فعلى سبيل المثال يقول: انّ فلاناً يجهل الشيء الفلاني وغرضه أن يظهر أعلميته وتفوّقه.

٤ ـ نسبة عمل قبيح إلى شخص آخر والهدف من وراء ذلك تنزيه النفس أو انه يعمد إلى ذكر شريكه في العمل القبيح من أجل ان يعذر نفسه وكأنه يقول لست وحدي في هذا العمل.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

٥ ـ الرفقة والتماشي مع الخلان والجلساء في الانسياق مع الغيبة والاغتياب ومماشاة المغتابين حتّى لا ينفرون منه ويطردونه عن جمعهم وهذا مبعثه صغار في النفس وضعف.

٦ ـ الاطلاع على انّ ذلك الشخص يريد ذمه والنيل منه عند شخص وجيه فهو يبادر إلى اعلام الشخص الوجيه بأن فلاناً يعاديه مستبقاً في ذلك في النيل منه ومنشأ هذا العمل الخوف والضعف النفسي.

٧ ـ اظهار الرحمة والعطف: وهي أن يعمد المغتاب إلى فضح عيوب الآخر بقوله مسكين فلان انه حزين بسبب ما فعله من القبح الفلاني انني اتعاطف معه واشاركه الحزن ولكن هدفه هو ذكر ما قام به من العمل القبيح.

٨ ـ اظهار التعجّب من صدور العمل القبيح: وهي قول المغتاب اني لأعجب كيف يقوم فلان بعمل هذا القبيح ويرتكب هذا المنكر ثمّ يستنكر هذا العمل فيرتكب الغيبة وهو يتصوّر انه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهذه التقسيمات الثمانية هي ما حدّدها علماء الأخلاق في مسألة التعرّف على بواعث الغيبة والاغتياب.

كيفيّة معالجة الغيبة

ان من أنجع الوسائل في معالجة مرض الغيبة هو أن يتذكّر المغتاب ويذكّر نفسه بحجم العقاب الأخروي الذي ينتظر المغتاب يوم القيامة هذا كمرحلة أولى في ردع النفس عن ممارسة الغيبة وفي المرحلة الثانية ان يعي المفاسد والمساوئ التي سوف تترتّب على الغيبة دنيويّاً، الّا ان الأهم من كلّ ذلك هو أن يتعرّف على جذور الغيبة في نفسه وان يجتث جذورها.

اما أن ينسب عمله القبيح إلى آخر فليعلم ان غضب الله ربّ العالمين أشدّ من غضب المخلوق وليعلم انّ عمله هذا هو الجهل بعينه.

أمّا اغتياب فلان من الناس والقول انه أيضاً قد ارتكب العمل القبيح كقول أحدهم: لست وحدي آكل الحرام فان فلان أيضاً يفعل ذلك ليجد لنفسه العذر فيما يقوم ويفعل، فهذا كذلك ناشئ عن جهل وخبث في نفسه.

وأمّا الاغتياب بذريعة موافقة الآخرين ومماشاتهم فهذا علاجه انه اذا رجّح رضا المخلوق على رضا الخالق وارضاء المخلوق بسخط الخالق فان هذا يعني استخفافاً بالله عزّوجلّ ومن استخفّ بالله كان يوم القيامة من الخاسرين.

أمّا الغيبة ومحاولة اسقاط الآخر قبل أن يؤثّر حديثه لدى ذلك الشخص واستباق ذلك باغتيابه فليعلم المغتاب انه يفعل ذلك على الظن وإلّا فمن أين يعلم ان الشخص الذي اغتابه يريد تسقيطه لدى ذلك الوجيه؟ ان هذا العمل يتنافى مع الايمان.

وأمّا اغتياب الآخر بحجّة التعاطف معه واظهار الترحّم عليه أو استنكار عمله غضباً لله عزّوجلّ فانّه وإن كان ظاهر هذا الأمر حسناً إلّا ان هذا العمل يرافقه اغتياب الشخص والكشف عمّا قام به من قبيح العمل واثم الغيبة سوف يبدد أجر الترحّم عليه والغضب لله استنكاراً له، فالترحّم والتعجّب ليسا مبرراً للاغتياب بل وحتّى الاغتياب غضباً للدين هو الآخر لا يبرر هذا العمل.

الغيبة وحريّة الرأي

والسؤال هنا هل هناك حريّة للتعبير عن الرأي في الاسلام أم لا؟

وإذا كانت ثمّة حريّة للرأي في الاسلام فما هي حدودها.

لا نشكّ أبداً في انّ حريّة التعبير عن الرأي محترمة في المدرسة الحقوقيّة للاسلام ولدينا شواهد في العديد من الآيات والروايات في هذا المضمار.

يقول القرآن الكريم:

﴿فَبَشِّرْ عِبادِ (١٧) الَّذينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولٰئِكَ الَّذينَ هَداهُمُ اللهُ وَأُولٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبابِ (١٨)﴾[1].

ومن الواضح انّ العمل بهذه الآية الكريمة لا يتمّ إلّا من خلال اطلاق حريّة التعبير عن الرأي وفسح المجال امام الأفكار والنظريّات أن تأخذ مداها في التعبير والحوار.

وهذا امامنا وسيّدنا علي بن أبي طالب عليه السلام يقول:

«انظر إلى ما قال ولا تنظر إلى من قال»[2].

وقال سلام الله عليه أيضاً:

«خذوا الحكمة ولو من أهل الضلال»[3].

وقال عليه السلام أيضاً:

«خذو الحكمة ولو من المشركين»[4].

---

(١) سورة الزمر: الآيتين ١٧ ـ ١٨.

(٢) اثبات الهداة: ج ١، ص٤٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

سيرة المعصومين في التعامل مع انكار المخالفين

انّ سيرة المعصومين عليهم السلام ومواقفهم وتوصياتهم تؤكّد على ضرورة التعامل مع عقائد المخالفين على نحو سليم.

فالامام علي عليه السلام لم يتعرّض إلى الذين رفضوا بيعته بسوء من قبيل سعد بن أبي وقاص وأبو موسى الأشعري وعبدالله بن عمر وغيرهم حتّى الذين شهروا السيوف ضدّه ونكثوا بيعته من قبيل طلحة والزبير فقد دعاهم إلى الحوار وحل الازمة بطرق سلميّة وكان عليه السلام يتفادى وقوع الحرب ما أمكن ذلك.

وقد جاء في كتاب الوسائل: «انّ عليّاً عليه السلام لم ينسب أحداً من أهل حربه الى الشرك ولا الى النفاق ولكنّه كان يقول: هم اخواننا بغوا علينا»[١].

وقد اشتهرت في التاريخ الفكري للاسلام في القرن الثاني الهجري الحوارات والجدل الذي كان يثيره ابن أبي العوجاء مع الامام الصادق عليه السلام حيث يتعامل معه الامام بمنتهى الاحترام مع ان خصمه كان أحد أقطاب الالحاد والزندقة في عصره.

قيمة اللسان من الوجهة الفقهيّة

وفي ختام هذا البحث نشير إلى قيمة اللسان من الناحية الفقهيّة وقد حدّد الاسلام للسان الصحيح دية كاملة ما يعكس مدى أهميّة هذا العضو في النظام الحقوقي للاسلام.

جاء في كتاب المختصر النافع:

«وفي اللسان الصحيح الدية كاملة وان قطع بعضه اعتبر بحروف المعجم وهي

---

(١) وسائل الشيعة: ج١١، ص٦٢.

ثمانية وعشرون حرفاً وفي لسان الأخرس ثلث ديته»[١].

وقال آية الله العظمى السيّد أبو القاسم الخوئي:

«لا اعتبار بالمساحة في المقدار المقطوع من اللسان الصحيح فيما اذا أوجب ذهاب المنفعة لما عرفت من ان العبرة فيه بحروف المعجم فلو قطع ربع لسانه وذهب نصف كلامه ففيه نصف الدية ولو قطع نصفه وذهب ربع كلامه ففيه ربع الدية»[٢].

واذن فانّ المعيار ليس نسبة ما قطع من اللسان عضويّاً وانّما المعيار في معجم الكلام كم تبلغ نسبة الحروف التي ينطق بها استناداً إلى ان المعجم يتألّف من ثمانية وعشرين حرفاً.

---

(١) المختصر النافع: ص ٣٠٠.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ج ٢ ص ٢٩٠.

المادّة الرابعة: حقّ السمع

وَأَمَّا حَقُّ السَّمْعِ فَتَنْزِيهُهُ عَنْ أَنْ تَجْعَلَهُ طَرِيقاً إِلَى قَلْبِكَ، إِلَّا لِفَوْهَةٍ كَرِيمَةٍ تُحْدِثُ فِي قَلْبِكَ خَيْراً أَوْ تُكْسِبُ خُلُقاً كَرِيماً، فَإِنَّهُ بَابُ الْكَلامِ إِلَى الْقَلْبِ يُؤَدَّى بِهِ ضُرُوبُ الْمَعَانِي عَلَى مَا فِيهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ[1].

دور حاسة السمع في تكامل الانسان

قال الله عزّوجلّ:

﴿ قُلْ هُوَ الَّذي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَليلاً ما تَشْكُرُونَ ﴾[2].

يفتح الانسان عينيه على الدنيا وهو لا يعرف شيئاً عمّا حوله ثمّ شيئاً فشيئاً تبدأ المعرفة حيث يتلقّى الانسان ذلك ويتواصل مع الوجود من خلال حـواسّـه وعقله وتعد حاسة السمع إحدى أهم الطرق والوسائل التي يتلقى الانسان فـيها المعرفة حيث يستمع إلى الكلام ثمّ يستيقن.

يقول الامام علي عليه السلام:

«أيّها السائل استمع ثمّ استفهم ثمّ استيقن ثمّ استعمل»[3].

---

(١) النصر الوارد في نسخة مكارم الأخلاق: «وحقّ السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحلّ سماعه».

(٢) سورة الملك: الآية ٢٣.

(٣) اصول الكافي: ج٢، ص٤٥٦.

الاستماع أوّلاً ثمّ الادراك ثمّ الاعتقاد وبعد ذلك التطبيق والعمل.

ومن هذا النص نفهم انّ مفتاح الباب الذي يفضي إلى المعرفة والعلم هو السمع ولذا يمكن القول انّ القوّة السمعيّة تمثّل الحس الاجتماعي العام وبالتالي فهي أشرف من القوّة البصريّة.

الجهاز السمعي

ما هو الصوت؟

هو ظاهرة طبيعيّة تنشأ من اهتزازات تموجيّة تنتقل في وسط مادي كالهواء وبذلك يؤثّر على حاسّة السمع ولذلك لا ينتقل الصوت في الفراغ كما انّه لا ينحصر انتقاله في الهواء بل انّ السوائل أكثر قدرة في نقل الاهتزازات الصوتيّة كما انّ الجمادات أكثر قدرة من السوائل.

أجزاء الجهاز السمعي

يتألّف الجهاز السمعي من أجزاء كثيرة جدّاً بحيث يصعب تصوّرها الّا من خلال التشريح.

وتؤدّي هذه الاجراء وظيفة تقوم على جميع التموّجات الصوتيّة وتوصيلها إلى الأجزاء الداخليّة من الأذن ومن ثمّ تنقل إلى المخ بواسطة العصب السمعي لغرض تمييزها.

وتنقسم الاذن وفقاً لترتيب الأجزاء ووظائفها إلى ثلاث أقسام أساسيّة هي:

أوّلاً: الاذن الخارجيّة وتتكوّن من جسم غضروفي يدعى بـ«الصيوان» وهو

الجزء الظاهر ومن مجرى عام من الجمجمة يعرف بـ«الصماخ» تنتشر في جدرانه غدد تفرز مواداً دهنيّة صفراء اللون تسمى بـ«الصماخ» وهي ضرورة لصحّة الاذن في القضاء على الحشرات ومنع الغبار من التسرّب إلى الداخل.

ثانياً: الاذن الوسطى: وتتكوّن من ثلاثة عظام تتّصل ببعضها وتسمى حسب اشكالها وترتيبها من الخارج الى الداخل:

ألف ـ العظم المطرقي: ويتّصل أحد طرفيه بالطبلة والآخر بالعظم السنداني.

ب ـ العظم السنداني في الوسط.

ج ـ العظم الركابي ويتّصل من جهة بالعظم السنداني بواسطة اربطة عضلية ومن الجهة الاخرى بفتحة في الاذن الوسطى أو الداخليّة تدعى بالكرة البيضيّة.

وتتّصل الاذن الوسطى بالبلعوم بواسطة مجرى خاص يدعى قناة أو بوق «أوستاكي» وبواسطته يتّصل الهواء الخارجي بهواء الاذن الوسطى فيتعادل الضغطان المؤثّران على طرفي الطبلة.

ثالثاً: الاذن الداخليّة أو «التية» وتتألّف من مجارٍ في عظام القحف تشتمل على بعض أكياس غشائيّة وقنوات ذات اعوجاجات كثيرة جدّاً لذلك تدعى الاذن الداخليّة بالتيه وهذا التيه على نوعين:

الف ـ التيه العظمي ويتألّف من تجاويف عظمية متعرجة تدعى الدهليز: وهو تجويف بيضي الشكل يتّصل بالاذن الوسطى بفتحتين هي الكرة البيضيّة والكرة المستديرة.

القنوات الهلاليّة: وعددها ثلاث، اثنتان شاقوليتان متعامدتان تنفتحان بفتحة مشتركة في الدهليز وقناة افقية كذلك في الدهليز وتمثل القنوات الثلاث الابعاد

الهندسيّة الثلاثة وهي: «الطول والعرض والارتفاع».

الحلزون: وهو انبوب ملتف على نفسه مرّتين ونصف مرّة يشبه (بيت) الحلزون.

ب ـ التيه الغشائي: وهو غشاء رقيق يبطن جميع تجاويف التيه العظمي ولذلك يكتسب شكله تماماً ويعزل التيهين عن بعضهما سائل يعرف باللمف الخارجي كما يوجد داخل التيه الغشائي سائل آخر يعرف باللمف الداخلي وفيه تنتهي الأعصاب السمعيّة.

ويتفرّع العصب السمعي في الاذن الداخليّة وعلى الأخص في الحلزون فتتّصل نهاياته العصبيّة بأوتار مشدودة كالأوتار الرنانة ولكلّ وتر منها مفتاح عضلي يتحكّم بالشد والارخاء حسب حاجة الدماغ واستحسانه ووضع هذه الأوتار والألياف شبيه بالقيثارة حيث توجد في كلّ اذن ثلاثة آلاف وتر المختلفة القياس يتراجع طولها من نصف الميلمتر إلى جزء من عشرين من الميلمتر وكلّ منها يردد طبقة خاصّة من أجزاء الانغام التي نسمعها في الطبيعة بين جلجلة الرعد القاصف وحفيف أوراق الشجر، فالطويلة منها تتأثّر من الأصوات منخفضة الدرجة والقصيرة تتأثّر من الأصوات عالية الدرجة.

كيف يتم السمع؟

خلق الله سبحانه الاذن بحيث يمكنها أن تلتقط وتنقل إلى المخ على نحو ما كل ايقاع صوتي ممّا تحدثه الظواهر الطبيعيّة من قصف الرعود المجلجلة إلى خرير السواقي حيث تقوم الاذن الخارجيّة والاذن الوسطى بمهمّة جمع الأصوات

أو الاهتزازات الصوتيّة على مختلف درجاتها ونـقلها إلى الاذن الداخـليّة عـبر الهواء فتضرب على الطبلة فتهزّها فتحرّك هذه الاهتزازات العظم المطرقي الذي يضرب بدوره على العظم السنداني فيحرّك العظم السنداني بدوره العظم الركابي فتدخل الاهتزازات الصوتيّة وتسبّب ارتجاج السوائل التيهية ومن ثمّ تنتقل إلى سائل الحلزون وهكذا تهتزّ الأوتار أو الألياف متأثّرة بذلك حيث ينتقل التأثير إلى نهايات العصب السمعي المتّصل بها فينقل بدوه إلى المراكز السمعيّة في المخ[1].

لماذا تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم؟

الآن وقد وعينا إلى حد ما دور السمع في حركة التكامل الانساني وفي تلقي المعرفة والممنا بشيء من تشريح الاذن وكيفيّة بناء الجهاز السمعي فانّ السؤال هنا لماذا يقدّم القرآن الكريم السمع على البصر في العديد من آياته وكذا تقديم السمع على القلب.

يقول القرآن الكريم:

﴿ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّماءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصارَ ﴾[2].

وأيضاً: ﴿ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤادَ كُلُّ أُولئِكَ كانَ عَنْهُ مَسْؤُلاً ﴾[3].

وفي هذا المضمار ثمّة آيات أُخرى مثل الآية ٧٨ في سورة النحل والآية ٧٨ في سورة المؤمنون والآية ٧ في سورة البقرة والآية ٢٠ في سورة فصّلت وكثير من الآيات حيث نلاحظ تقديم السمع على البصر وعلى غير البصر.

---

(١) العلم يدعو إلى الايمان.

(٢) سورة يونس: الآية ٣.

(٣) سورة الإسراء: الآية ٣٦.

بداية ينبغي أن نعرف انّ الاصم يصبح أبكم ولأنّه لا يسمع الأصوات ولا الكلام فانّه يتعذّر عليه النطق في حين ان المكفوف يمكنه الكلام بل والتفوّق في هذا المجال.

وثمّة أرقام للمقارنة بين حاستي السمع والبصر فالاذن البشريّة قادرة على سماع الذبذبات الصوتيّة من ١٦ ذبذبة في الدقيقة الى ١٦٠٠٠ ذبذبة يعني ألف مرّة بين الحد الأدنى والحد الأعلى.

وفي المقابل فانّ العين البشريّة يمكنها رؤية عدد محدود من الألوان ولذا فانّها لا تتحس الأشعّة دون الحمراء وفوق البنفسجيّة في حين انّ الاذن وتحديداً الأوتار الصوتيّة يمكنها ان تتحس ١٥٠٠ نوع من الأصوات بذبذبات مختلفة و٣٣٥ نوع من الأصوات بدرجات متفاوتة من الشدّة يعني ٣٣٠٠ نغمة مختلفة.

وكذلك فانّ العين تصاب بالأضرار أمام الأمواج الضوئيّة الشديدة فهي لا تتحمّل النظر إلى ظاهره كسوف الشمس أو الأضواء الناجمة من مادّة اللحيم أثناء اشتعال الشرارة كما وتصاب بالضعف في ادمان النظر إلى التلفاز في حين الاذن لا يضرها سماع الأصوات الاضافيّة وبالتالي فانّ المجال البصري محدود فالعين البشريّة مصممة للنظر للأمام ولذا فان الانسان لا يرى الأشياء على جانبيه وخلفه وكذا لا يمكنها الرؤية في الجهة العليا والسفلى في حين ان الاذن يمكنها تلقي الأصوات وتمييزها من الجهات الست جميعاً.

ولعلّ هذه المزايا هي من وراء تقديم السمع على البصر في القرآن الكريم ومن المحتمل جداً أن تكون العلّة الرئيسيّة في هذا التقديم تكمن في دور السمع في عمليّة التكامل الانساني حيث نصيب السمع في هذه العمليّة هو النصيب الأوفر

وفق ما ورد في الآيات القرآنيّة الكريمة[١].

لماذا لم يأت السمع بصيغة الجمع ؟

ينقل شيخ الطائفة العلّامة «الشيخ الطوسي» في كتابه الجليل تفسير البيان عن أحد ادباء الصين حول العلّة في ورود «السمع» بصيغة المفرد في ان ذلك يعود إلى أحد سببين:

الأوّل: انّ مفردة «السمع» تأتي احياناً كاسم جمع ونحن نعرف ان اسم الجمع يتضمّن الجمع في داخله ولا يحتاج الى صيغة الجمع.

الثاني: انّ مفردة «السمع» يمكن أن تأتي كمصدر ونحن نعرف أيضاً انه يدل على القلّة والكثرة لا فرق في ذلك فلا يحتاج إلى جمع ويمكن اضافة وجه ذوقي وعلمي آخر إلى هذا الاختلاف وهو تنوع الادراكات والمشاهدات بالنسبة للمسموعات ولذلك يذكر هذا الاختلاف بصورة الجمع «القلوب والأبصار» الّا انّ السمع يأتي بصيغة المفرد[٢].

القيمة الفقهيّة للاذن

للاذنين وكما ورد في نصّ الرسالة حقوق وقد بيّنها الامام زين العابدين عليه السلام ومن الناحية الفقهيّة فانّ للاذنين قيمة حقوقيّة حددتها الشريعة الاسلاميّة.

يقول المحقّق الحلّي:

---

(١) أوّل جامعة وآخر نبي (اولين دانشگاه وآخرين پيامبر) ج١٥، ص١٠١ ـ ١٠٦.

(٢) انظر التفسير الأمثل: ج١، ص٥٦.

«وفي الاذنين الدية وفي كلّ واحد نصف الدية وفي بعضها بحساب ديتها وفي شحمتها ثلث ديتها وفي خرم الشحمة ثلث ديتها»[١].

وجاء ما يشبه هذا النص في «مباني تكملة المنهاج:

«وفيهما دية كاملة وفي احداهما نصف الدية وفي بعضها بحساب ذلك وفي شحمة الاذن ثلث ديتها»[٢].

وجاء في رسالة توضيح المسائل: في قطع الاذنين الدية كاملة وكذا في التسبب بصممهما معاً وفي قطع الاذن الواحدة نصف الدية وفي خرم شحمة الاذن فالأحوط التصالح معه[٣].

---

(١) المختصر النافع: ص ٣٠٠.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ج٢، ص٢٨٢.

(٣) رسالة توضيح المسائل للخوئي: ص٥٠٣.

المادّة الخامسة: حقّ البصر

وَأَمَّا حَقُّ اللِّسَانِ فَإِكْرَامُهُ عَنِ الْخَنَا وَتَعْوِيدُهُ عَلَى الْخَيْرِ، وَحَمْلُهُ عَلَى الأَدَبِ، وَإِجْمَامُهُ إِلّا لِمَوْضِعِ الْحَاجَةِ وَالْمَنْفَعَةِ لِلدِّينِ وَالدُّنْيَا، وَإِعْفَاؤُهُ مِنَ الْفُضُولِ الشَّنِعَةِ الْقَلِيلَةِ الْفَائِدَةِ الَّتِي لا يُؤْمَنُ ضَرَرُهَا مَعَ قِلَّةِ عَائِدَتِهَا وَبُعْدِ شَاهِدِ الْعَقْلِ وَالدَّلِيلِ عَلَيْهِ وَتَزَيُّنُ الْعَاقِلِ بِعَقْلِهِ حُسْنُ سِيرَتِهِ فِي لِسَانِهِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ[١].

بصر على وزن «فرس» وهي بمعنى قوّة الرؤية والنظر[٢].

يقول الراغب في مفرداته: «البصر يقال للجارحة الناظرة وللقوّة التي فيها»[٣].

والبصر تطلق على العين وأيضاً لحاسّة الرؤية والبصر كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ﴾[٤] وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ﴾[٥].

والبصيرة هي الرؤية القلبيّة وفي أقرب الموارد العلم وفسّرها الطبرسي على انها المعرفة والرؤية القلبيّة ومن هنا فهي العقل وذلك في قوله تعالى: ﴿أَدْعُوا إِلَى اللهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي﴾[٦].

---

(١) في نسخة المكارم الأخلاق: «وحقّ البصر أن نغضه عمّا لا يحلّ لك».

(٢) قاموس القرآن: ج١، ص١٩٥.

(٣) مفردات الراغب: ص٤٩.

(٤) سورة النحل: الآية ٧٧.

(٥) سورة النحل: الآية ٧٨.

(٦) سورة يوسف: الآية ١٠٨.

الجهاز البصري ملتقىٰ العلوم

العين من أجهزة الاحساس والادراك ولذا فهي تحظى بـالأهميّة فـي عـلم النفس ولارتباطها بقوانين الضوء فقد اهتمّ علم الفيزياء بالعين ولأنّها تنطوي على الأسرار في تكوينها فقد شدّت أنظار الفلاسفة واثارت اهتمامهم كما كانت محور اهتمام علماء التشريح أيضاً في دقائقها.

ولذا فلا مبالغة اذا قلنا انها ملتقى العـلوم ومـن خـلالها تـتمّ عـمليّة ادراك الاشكال والألوان والمسافات والفواصل بين الأجسام.

الاستفادة الصحيحة من العين

أشار القرآن الكريم إلى نعمة العين والإبصار كوسيلة واداة للانسان في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴾[1] باعتبارهما وسيلة وأداة للاتصال بالعالم الخارجي وما فيه من أسرار الخلق ومن المؤسف انّ الانسان لا يحسن استخدام هذه النعمة والاستفادة منها كما ورد ذلك في سورة الأعراف: ﴿ وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاٰ يُبْصِرُونَ بِهٰا ﴾[2].

وقد جاء في تفسير هذه الآية من سورة البلد عن النبي ﷺ في حديث قدسي انّ الله عزّوجلّ: «يابن آدم إن نازعك لسانك فيما حرمت عليك فقد اعنتك عليه بطبقتين فاطبق وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرّمت عليك فقد أعـنتك عـليه بطبقتين فاطبق»[3].

---

(١) سورة البلد: الآية ٨.

(٢) سورة الأعراف: الآية ١٧٩.

(٣) نور الثقلين: ج ٥، ص ٥٨١.

وجاء في سورة الكهف حول الكافرين قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعاً﴾[١].

يعني انّ الكفّار لم يستخدموا أعينهم في النظر الذي يفضي الى ذكر الله يعني ان نظراتهم لا تنطوي على ما يثير الفكر الانساني في التأمّل والاعتبار وبالتالي ذكر الله سبحانه وهكذا الأمر فيما يخصّ قدرتهم على السمع.

فوظيفة العين النظر إلى ما خلق الله سبحانه واثارة العقل ودفعه إلى التفكير في الخالق والاتّجاه إليه وتحقيق التكامل ان ذكر الله أمر لا يمكن للعين أن تدركه وإنّما يمكنها ادراك آثار الله والتفكير في قضايا الوجود والتوصّل إلى الخالق وبالتالي تحقيق عملية الذكر.

نظرة الانسان إلى طبيعة تكوينه

من الاستفادات الصائبة للنظر والرؤية هي ما بيّنه القرآن الكريم وأشار إليه، وثمّة دعوة صريحة وقويّة في سورة الطارق وذلك في قوله تعالى:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾[٢].

وهذه دعوة قرآنيّة لأن يتأمّل الانسان وينظر في بداية خلقه وجذور نشأته وأن يتساءل عن طبيعة تكوينه ونلاحظ ان السؤال القرآني سرعان ما يشفع بالاجابة الصاعقة في أساس خلق الانسان إنّما هو ماء دافق والذي هو السائل

---

(١) سورة الكهف: الآية ١٠١.

(٢) سورة الطارق: الآيات ٥ ـ ٧.

المنوي الذي يندفق خارجاً من الجهاز التناسلي وأمّا الصلب والترائب فثمّة تفاسير عديدة لسنا بصدد التطرّق إليها والحديث عنها.

النظر في الغذاء البشري

وثمّة دعوة أخرى للقرآن الكريم وهي النظر في الطعام الذي يتناوله الانسان وغذائه فقد جاء في سورة عبس: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ﴾[١].

ولعلّ أقرب الأشياء وأكثر ارتباطاً بحياة الانسان وهي مدعاه إلى التأمّل هو الغذاء الذي يتناوله الانسان والذي يتحوّل الىٰ جزء من النسيج التكويني له والذي اذا ما انقطع عنه كان مصير الانسان نحو الفناء.

ومن أجل ذلك دعا القرآن الكريم الانسان إلى أن يتأمّل في غذائه وطعامه وثمّة جدل بين المفسّرين حول المراد من النظر فبعض ذهب الى انّ المراد من النظر هو الرؤية والمشاهدة وهي أن يتأمّل الانسان وينظر إلى الطعام الذي يتناوله عند المائدة هل هو من حلال أم من حرام وهل هو نافع أم ضار وذهبت بعض الروايات الى انّ المقصود من الغذاء هو العلم الذي يتلقّاه الانسان ويكتسبه؛ جاء في حديث عن الامام الباقر عليه السلام قوله في ذلك: «**علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه**»[٢].

وفي كلا التفسيرين ثمّة دعوة لأن يمعن الانسان النظر ويتأمّل وهناك دعوات أُخرى للنظر من قبيل قوله تعالى: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[٣] وقوله

---

(١) سورة عبس: الآية ٢٤.

(٢) تفسير الصافي: ج ٢، ص ٧٨٩.

(٣) سورة النحل: الآية ٣٦.

تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾[1] وهذه دعوة لقراءة الوجود على نحو أوسع وأعمق والتأمّل في بدايات الخليقة.

النظر إلى غير المحارم من النساء

قال تعالى: ﴿قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ (٣٠) وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ (٣١)﴾[2].

«يغضوا» من غضّ على وزن «خز» وهي في الأصل بمعنى الاقلال والنقصان وفي أكثر من الموارد تأتي بمعنى الاقلال من الصوت والاقلال من النظر.

وعلى هذا فانها دعوة إلى الاقلال من النظرة وهو تعبير لطيف لاجتناب النظر إلى المرأة من غير المحارم التي يصادفها الانسان المؤمن في طريقه لأنّه من غير الممكن ان يغمض عينيه أو من غير المعقول اذ يمكن للانسان هنا أن يغض طرفه قليلاً ويتحاشى النظر إلى وجه المرأة ومحاسنها والدعوة القرآنيّة تشمل الرجال والنساء على حدّ سواء.

وقد جاء في كتاب «وسائل الشيعة» باب تحت عنوان: «باب تحريم النظر إلى النساء الأجانب وشعورهنّ» حيث نقرأ في أولى روايات هذا الباب ما يلي:

«محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن ابن

---

(١) سورة العنكبوت: الآية ٢٠.

(٢) سورة النور: الآية ٣٠ ـ ٣١.

فضّال، عن علي بن عقبة، عن أبي عبدالله (الصادق ﵇) قال: سمعته يقول: **«النظر سهم من سهام إبليس مسموم وكم من نظرة أورثت حسرة طويلة»**(١).

وتصوّر كلمات الامام الصادق مشهداً مؤثّراً عن بعض النظرات التي يصوبها الانسان الى ما هو محرّم عليه، ذلك انّ النظرة المقصودة هي التي يصوبها الرجل مثلاً إلى مفاتن امرأة وأثر ذلك تضطرم نار الشهوة حيث يضرم الخيال هذه الشعلة وتترتّب على ذلك ربما انهيار الارادة واندفاع الانسان إلى ارتكاب الخطيئة وهنا تستحيل هكذا نظرة في الحقيقة الى سهم شيطاني أصاب الهدف ومزّق ستائر العفّة والبراءة ما يورث الندم والحسرة الطويلة.

وجاء في الرواية السادسة من هذا الباب:

وباسناده عن ابن أبي عمير، عن الكاهلي، قال أبو عبدالله (الصادق ﵇) **«النظرة بعد النظرة تزرع في القلب الشهوة وكفى بها لصاحبها فتنة»**(٢).

وثمّة موارد أجاز الشرع فيها النظر إلى المرأة الأجنبيّة أو غير المحرم نشير إلى بعضها:

جواز النظر في الموارد المستثناة

يستفاد من آيات القرآن الكريم وممّا ورد في رسالة الحقوق انه توجد موارد يجوز النظر فيها إلى غير المحارم من النساء.

فمنها جواز النظر للرجل إلى فتاة بقصد الزواج وثمّة باب في «كتاب

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، كتاب النكاح، ص١٣٨ ـ ١٣٩.

(٢) المصدر السابق.

الوسائل» تحت عنوان: «باب انه يجوز للرجل النظر إلى وجه امرأة يريد تزويجها ويديها وشعرها ومحاسنها».

ورد في الرواية الاولى من هذا الباب عن محمّد بن يعقوب، عن علي بن ابراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أيّوب بن الخزاز، عن محمّد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر (الباقر عليه السلام) عن الرجل يريد أن يتزوّج المرأة أينظر إليها؟

قال عليه السلام: «**نعم، إنّما يشتريها بأغلى ثمن**»[١].

وفي هذه الرواية جواز عام الاّ انّها لا تشرح أو تشير إلى الأجزاء التي يمكن للرجل أن يراها وينظر إليها من قبيل الرواية الثانية من نفس الباب والتي جاء فيها:

وعنه عن أبيه عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم وحمّاد بن عثمان وحفص بن البختري كلّهم عن أبي عبدالله (الصادق عليه السلام) قال: «**لا بأس بأن ينظر إلى وجهها ومعاصمها إذا أراد أن يتزوّجها**»[٢].

وجاء في الرواية الثالثة عن أبي علي الأشعري...، عن الحسن بن السري قال: قلت لأبي عبدالله الصادق عليه السلام:

الرجل يريد أن يتزوّج المرأة يتأملها وينظر إلى خلفها وإلى وجهها؟

قال عليه السلام:

«**نعم لا بأس أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد أن يتزوّجها ينظر إلى خلفها وإلى وجهها**»[٣].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٤، ص٥٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

وثمّة روايات أُخرى في هذا الباب تجيز النظر إلى الشعر وإلى ما يمكن أن تصفه الثياب مع التأكيد على قصديّة الزواج وليس لمجرّد الاستمتاع والتلذّذ.

نظرة الطبيب إلى المرأة بقصد العلاج

ومن الموارد التي تجيز الشريعة فيها النظر إلى المرأة هي نظرة الطبيب إلى المرأة المريضة بقصد العلاج واجراء الفحوصات السريرية.

ويبحث الباب ١٢٠ من كتاب وسائل الشيعة الآنف الذكر في مثل هذه الموارد.

فقد جاء في الرواية الاولى:

محمّد بن يعقوب، عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن عيسى، عن علي بن الحكم، عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر قال: سألته عن المرأة المسلمة يصيبها البلاء في جسدها إما كسر وإمّا جرح في مكان لا يصلح النظر إليه يكون الرجل أرفق بعلاجه من النساء أيصلح له النظر إليها؟

قال عليه السلام:

«إذا أضطرت إليه فليعالجها إن شاءت»[1].

النظر الى نساء أهل الذمّة والبدويات

ومن الموارد التيي تجيز فيها الشريعة النظر إلى المرأة هو جواز النظر إلى المرأة من أهل الكتاب وإلى المرأة البدويّة.

---

(١) المصدر نفسه: ص١٧٢.

وردت في الباب (١١٢) روايتان:

مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ إِبْرَاهِيمَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ النَّوْفَلِيِّ عَنِ السَّكُونِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: **«لا حُرْمَةَ لِنِسَاءِ أَهْلِ الذِّمَّةِ أَنْ يُنْظَرَ إِلَى شُعُورِهِنَّ وَأَيْدِيهِنَّ»**(١).

مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ عَنْ عِدَّةٍ مِنْ أَصْحَابِنَا عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ عَبَّادِ بْنِ صُهَيْبٍ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: **«لا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى رُؤُوسِ أَهْلِ تِهَامَةَ وَالأَعْرَابِ وَأَهْلِ السَّوَادِ وَالْعُلُوجِ لِأَنَّهُمْ إِذَا نُهُوا لا يَنْتَهُونَ قَالَ وَالْمَجْنُونَةُ وَالْمَغْلُوبَةُ عَلَى عَقْلِهَا لا بَأْسَ بِالنَّظَرِ إِلَى شَعْرِهَا وَجَسَدِهَا مَا لَمْ يَتَعَمَّدْ ذَلِكَ»**(٢).

نظرة وعبرة

يقول الامام السجاد عليه السلام: **«إنّ البصر باب الاعتبار»** وهكذا تكون العينان نافذتين تطلّان على مشاهد ترفد الفكر الانساني بالمعرفة عند ما تكون النظرات العميقة طريقاً من أجل اكتساب العبرة ورفد الشخصيّة الانسانيّة بما يعزز من تكاملها.

جاء في التاريخ انّ الخليفة العبّاسي هارون الرشيد كتب إلى الامام موسى بن جعفر عليه السلام: عِظني وأوجز.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ص١٥٠.

فجاء جواب الامام عليه السلام: «ما من شيء تراه عينك إلّا وفيه موعظة»[١].

وعن الامام علي عليه السلام قال: «ما أكثر العِبَر وأقلّ الاعتبار»[٢].

وجاء في حديث آخر عنه عليه السلام قال: «من اعتبر ابصر ومن ابصر فهم ومن فهم علم»[٣].

وفي رواية انّ الامام علي عليه السلام مرّ مع أصحابه على اطلال المدائن عاصمة الفرس الساسانيّين الشتوية فانشد أحد أصحابه هذا البيت:

جرت الرياح على رسوم ديارهم فكأنّهم كانوا على ميعاد

فقال الامام علي عليه السلام لو قرأت هذه الآية لكان أبلغ:

﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كانُوا فِيها فاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذٰلِكَ وَأَوْرَثْناها قَوْماً آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَما بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّماءُ وَالْأَرْضُ وَما كانُوا مُنْظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٤].

وهذه الآيات وإن كانت تشير إلى مصير الفراعنة وزوال حكمهم وغرق فرعون وجنوده في البحر غير انها تنطبق على جميع الحكّام الطواغيت فمصيرهم واحد حيث يصبحون عبرة للأجيال.

الامام علي الهادي عليه السلام والمتوكّل العبّاسي

كان الجواسيس في سامراء يكتبون إلى المتوكّل تقارير كاذبة عن وجود

---

(١) سفينة البحار، مادة عبر: ج٢، ص١٤٦.

(٢) سفينة البحار، مادة عبر: ج٢، ص١٤٦.

(٣) سفينة البحار، مادة عبر: ج٢، ص١٤٦.

(٤) سورة الدخان: الآيات ٢٥ ـ ٢٩.

أسلحة وأموال ضخمة في دار الامام علي الهادي عليه السلام لهذا أمر الخليفة العبّاسي باقتحام دار الامام ليلاً واحضاره إلى قصره الذي يدعى «الجعفري» على مسافة ثمانية كيلومترات شمال سامراء.

كان الوقت بعد منتصف الليل، وعند ما تمّ اقتحام دار الامام عليه السلام وجدوه يصلّي في غرفة مفروشة بالحصا.

ولم يعثروا على ما كانوا يعتقدون ومع ذلك قاموا باعتقاله واصطحابه إلى القصر.

كان الطاغية المتوكّل يشرب الخمر والمطربون والمطربات ينشدون الأغاني؛ الطاغية قدم إلى الامام كأساً من الخمر ليشرب ورفض الامام ذلك بشدّة وقال: لن يخالط لحمي ولا دمي أبداً.

قال الطاغية: اذن انشدني شعراً.

حينئذٍ وبكل شجاعة أنشد الامام أبيات من الشعر لم يكن المتوكّل يتوقّع أن يسمعها لقد كانت مؤثّرة وقويّة قال فيها الامام:

باتوا على قلل الأجبال تحرسهم ... غلب الرجال فما أغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز عن معاقلهم ... وأودعوا حفراً يا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قُبروا ... أين الأسرة و التيجان و الحلل

أين الوجوه التي كانت منعمة ... من دونها تضرب الأستار و الكلل

فأفصح القبر عنهم حين ساءلهم ... تلك الوجوه عليها الدود يقتتل

لطال ما أكلوا فيها و ما شربوا ... فأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

وطال ما عمّروا دوراً لتحصنهم ... ففارقوا الدور والأهلين وارتحلوا

و طال ما كنزوا الأموال و ادخروا	فخلفوها على الأعداء و انتقلوا
أضحت منازلهم قفراً معطّلة	وساكنوها الى الأجداث قد رحلوا
سل الخليفة اذ وافت منية	أين الحماة وأين الخيل والخول
أين الرماة اما تحمى بأسهمهم	لما اتتك سهام الموت تنتقل
أين الكماة اما حاموا أما اغتضبوا	أين الجيوش التي تحمى بها الدول
هيهات ما نفعوا شيئاً وما دفعوا	عنك المنيّة إن وافى بها الأجل
فكيف يرجو دوام العيش متّصلاً	من روحه بحبال الموت تتصل[١]

وانهار المتوكّل باكياً حتّى انه وضع كأس الخمر جانباً وأمر باعادة الامام إلى داره مكرماً بعد أن اعتذر إليه.

هكذا ينظر الانسان العاقل إلى الدنيا نظرة الاعتبار واستلهام الدروس فيعرف الى أين يسير الوجود وما هو المصير الذي ينتظره.

وجاء في بعض الروايات انّ داود النبي عليه السلام خرج من داره يمشي على قدميه ويقرأ الزبور؛ وكان اذا قرأ الزبور لا يبقى حجر ولا شجر ولا جبل ولا طائر ولا سبع إلّا يجاوبه، حتّى انتهى إلى جبل وعليه نبي عابد يقال له حزقيل.

فلمّا سمع حزقيل دويّ الجبال وصوت السباع علم انه داود فقال داود:

ـ يا حزقيل أتأذن لي أن أصعد إليك؟

قال حزقيل:

ـ لا.

فبكى داود عليه السلام فأوحى الله عزّوجل إلى حزقيل: يا حزقيل لا تعيّر داود

---

(١) منتهى الآمال: ج ٢، ص ٢٠٠.

بخطيئته وسلني العافية، فنزل حزقيل وأخذ بيد داود وأصعده إليه، فقال له داود:

ـ يا حزقيل هل هممت بخطيئة قطّ ؟

قال حزقيل:

ـ لا.

فقاد داود:

ـ فهل دخلك العجب ممّا أنت فيه من عبادة الله عزّوجلّ ؟

قال حزقيل:

ـ لا.

قال داود:

ـ فهل ركنت إلى الدنيا فأحببت أن تأخذ من شهواتها ولذاتها ؟

قال حزقيل:

ـ بلى ربما عرض ذلك بقلبي.

قال داود:

ـ فما تصنع ؟

قال حزقيل:

ـ ادخل هذا الشعب فاعتبر بما فيه.

فدخل داود الشِعب فاذا بسرير من حديد عليه جمجمة بالية وعظام نخرة وإذا لوح من حديد وفيه مكتوب (كتابة) فقرأ داود فاذا فيه:

«أنا أروى بن سلم ملكت ألف سنة وبنيت ألف مدينة وافتضضت ألف جارية وكان آخر أمري ان صار التراب فراشي والحجارة وسادي والحيّات والديدان

جيراني، فمن يراني فلا يغترّ بالدنيا ومضى داود»[١].

التكوين الفيزيائي للعين

تتألّف كرة العين من ثلاث طبقات:

الاولى: الطبقة الخارجيّة وتدعى (الصلبة) وهي طبقة قاسية بيضاء معتمة مكوّنة من أنسجة ليفيّة الّا انها شفافّة في المقدّمة ويكون تحدبها أكثر وتدعى هذه المنطقة الشفافة (القرنيّة) وتشبه زجاجة الساعة.

الثانية: الطبقة الوسطى وتدعى المشيميّة وهي طبقة سوداء تنتشر فيها الأوعية الدمويّة وتنبسط داخل الطبقة الخارجيّة (الصلبة) غير انها تفترق في مقدمة العين عند حدود القرنية وتصبح على شكل قرص ملوّن يدعى القزحية مثقوب من الوسط بفتحة صغيرة مستديرة تدعى (الحدقة) أو (البؤبؤ).

والبؤبؤ يتسع ويضيق متحكماً بكمية الضوء الذي ينفذ من خلاله.

الثالثة: الطبقة الداخليّة وتدعى (الشبكيّة) وهي طبقة شفافة تتألف من نهايات العصب البصري وهي الطبقة الحسّاسة الوحيدة في العين.

وينفذ العصب البصري إلى المقلة وبعد أن يخترق الصلبة والمشيميّة يكوّن نتوءً داخل العين تنتشر من خلاله الألياف في كافّة الشبكيّة وتوجد خلف القزحية (العدسة) وهي بلوريّة الشكل محدّبة الطرفين وشفّافة تتألّف من ألياف في غاية المرونة.

وقد جاء في كتاب علمي حول أسرار البصر:

---

(١) سفينة البحار: ج٢، مادة عبر، ص١٤٦.

إنّ عدسات العين تلقي صورة على الشبكيّة فتنظم العضلات العدسات بطريقة آلية إلى بؤرة محكمة و تتكوّن الشبكيّة من تسع طبقات منفصلة ومع ذلك فهي لا تكون أسمك من ورقة رقيقة.

والطبقة التي هي في أقصى الداخل تتكوّن من أعواد ومخروطات حيث يبلغ عدد الأولى ثلاثين مليون وعدد الثانية ثلاثة ملايين مخروط وقد نظمت جميعاً في تناسب محكم بعضها بالنسبة إلى بعض وبالنسبة إلى العدسات.

ولكن المدهش انها تدير ظهورها للعدسات وتنظر نحو الداخل لا نحو الخارج.

واذا استطعت النظر خلال العدسات فانّك ترى عدوك مثلاً مقلوب الوضع رأساً على عقب والجانب الأيمن منه هو الأيسر وهذا أمر يربكك اذا حاولت الدفاع عن نفسك.

ولذا فانّ الخالق تبارك وتعالى أجرى ذلك التصميم قبل أن تقدر العين على الابصار ورتبت اعادة تنظيم كامل عن طريق ملايين الخيوط العصبيّة المؤدّية إلى المخ فارتفع أثر ذلك مدى ادراكنا الحسي من الحرارة إلى الضوء وبذا أصبحت العين حسّاسة بالنسبة للضوء.

ولهذا نرى صورة ملوّنة للعالم من الجانب الأيمن إلى فوق وهو احتياط بصري سليم.

وتختلف عدسة العين في الكثافة ولذا تجمع كلّ الأشعّة في بؤرة ولا يحصل الانسان على مثل ذلك في أيّة مادّة من جنس واحد كالزجاج مثلاً.

وكلّ هذا التنظيمات المدهشة للعدسات والعيدان والمخروطات والأعصاب

غيرها لابدّ وانها حدثت في وقت واحد، لأنّه قبل أن تكمل كلّ واحدة منها كان الأبصار مستحيلاً، فكيف استطاع كلّ عامل أن يعرف احتياجات العوامل الأخرى ويوائم بين نفسه وبينها[1].

ويشتمل باطن العين على ثلاث موادّ:

١ ـ البلوريّة وتسمّى العدسة للشبه بينها وبين العدسة وتوجد خلف الطبقة القزفية محاطة بغشاء قوي وتقوم العدسة بكسر الأشعة الضوئيّة الداخلة إلى العين ثمّ جمعها فوق الشبكيّة.

٢ ـ الزجاجيّة: وهي سائل صاف أبيض كالزجاج هلالي القوام يملأ الفراغ من الكرة العينيّة ولولاها لكانت العين مثل الكيس ملتصقة جدرانها بعضها ببعض وتقع الزجاجية خلف البلوريّة.

٣ ـ المائيّة: سائل مائي القوام يملأ الخزانتين الاماميّة والخلفيّة المفصول بينهما بالطبقة القزحية.

الشبه بين العين وآلة التصوير

تمثل العين بتركيبها وعملها آلة التصوير فالجزء الذي من العين هو اللوح الحسّاس في آلة التصوير وهذا الجزء هو الطبقة الشبكيّة الحسّاسة أمّا الطبقات والأجسام فتقوم بجمع الأشعة وايصالها إلى الطبقة الشبكيّة لكي تتكوّن فيها أشباح للأجسام المرئيّة وهذه الطبقة هي أرق شيء في العين تكتنفه أنسجة متينة تصونه الأذى.

---

(١) العلم يدعو إلى الايمان.

تقوم العدسة في آلة التصوير بجمع الأشعّة الصادرة من الأجسام وكذلك البؤبؤ يقوم بجمع الأشعّة الصادرة من الأشياء والمرئيّات.

وفي آلة التصوير تكون الصور مقلوبة وكذلك في العين ولكن الصور المقلوبة في العين ترسل إلى المخ وتحدث بعض العمليّات الكيمائيّة والطبيعيّة تفضي الى تكوّن الصورة التي يراها الانسان معتدلة ولذا فان الذي يرى في الحقيقة المخ وليس العين.

لأن انقطاع الحبل العصبي بين العين والمخ يؤدّي إلى انعدام الرؤية لأنّ العين عبارة عن آلة تصوير فقط، الادراك الحقيقي للأشياء يتمّ من خلال الروح[1].

أمراض النظر

في طليعة أمراض النظر الفسلجيّة هي:

١ ـ قصر النظر: وهي عدم امكانيّة العين على رؤية الأشياء بوضوح إذا كانت أقرب ممّا يراها ذو النظر السليم وينشأ هذا المرض من ازدياد في انحناء القرنيّة والبلوريّة أو من زيادة في طول كرة العين من الأمام إلى الخلف؛ ولذا يكون من الضروري تقريب الجسم كثيراً من العين ليتسنى لها رؤيته بوضوح.

وتعالج العين المصابة بقصر النظر من خلال استعمال عدسة مقعّرة ذات بعد بؤري مناسب من أجل تفريق الأشعّة التي تقع على العين من الجسم المنظور وهكذا تبتعد الصورة عن البلوريّة وتسقط على جدران الشبكيّة.

٢ ـ بعد النظر: والعين المصابة بهذا المرض لا يمكنها رؤية الأجسام رؤية

---

(١) علم الصحة.

واضحة إلّا إذا كانت على أبعد ممّا يراها ذو النظر السليم وهو عكس المرض السابق حيث ينشأ من تسطح القرنيّة والبلوريّة أو من قصر كرة العين من الأمام إلى الخلف حيث تكون بؤرة العدسة خلف الشبكيّة وتعالج العين المصابة ببعد النظر باستعمال العدسات المحدّبة لكي تجمع الأشعّة التي تقع على العين من الجسم المرئي فتقترب الصورة من البلوريّة وتسقط على جدران الشبكيّة.

قيمة العين فقهيّاً

جاء في الرسالة العمليّة للامام الخميني ﵀ الموسومة بـ« تحرير الوسيلة »:

« في العينين معاً الدية وفي كلّ واحدة منهما نصفها، والأعمش والأحول والأخفش والأغشى والأرمد كالصحيح ولو كان على سواد عينيه بياض فان كان الإبصار باقياً بأن لا يكون ذلك على الناظر فالدية تامّة وإلّا سقطت بالحساب من الدية لو أمكن التشخيص وإلّا ففيه الأرش »(١).

وجاء في كتاب مباني المنهاج حول دية العين: « وفيها الدية الكاملة »(٢).

وأشار في الهامش انه لا يوجد خلاف بين الأصحاب بل ان الشيخ وابن زهرة ذهبا إلى انه لا خلاف في ذلك حتّى عند غير الشيعة وفي المسالك اشارة إلى الاجماع حيث ينقل رواية عن الامام الصادق ويستند إليها في ما ذهب إليه وهي صحيحة عبدالله بن سنان عن الامام الصادق ﵇ قال:

« ما كان في الجسد منه اثنان ففيه نصف الدية مثل اليدين والعينين ».

---

(١) تحرير الوسيلة: ج ٢، ص ٥٧٢.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ج ٢، ص ٢٧٢.

ثمّ يستأنف عبارته في أصل المسألة قائلاً:

«وفي كلّ منهما نصف الدية ولا فرق في ذلك بين العين الصحيحة والعمشاء والحولاء والجاحظة»[١].

وقد أجاب آية الله العظمى الكلبايكاني عن استفتاء في ذهاب عين فتاة وديتها بقوله: دية عين المرأة نصف دية المرأة[٢].

أجل انّ قيمة العينين تساوي قيمة الانسان نفسه.

---

(١) مجمع المسائل: ج٣، ص٢٥٥.

(٢) مجمع المسائل: ج٣، ص٢٥٥.

المادّة السادسة: حقّ الرِجل

«وَأَمَّا حَقُّ رِجْلَيْكَ فَأَنْ لا تَمْشِيَ بِهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ، وَلا تَجْعَلَهُمَا مَطِيَّتَكَ فِي الطَّرِيقِ الْمُسْتَخَفَّةِ بِأَهْلِهَا فِيهَا، فَإِنَّهَا حَامِلَتُكَ وَسَالِكَةٌ بِكَ مَسْلَكَ الدِّينِ وَالسَّبَقِ لَكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ»[1].

وردت مفردة «رجل» بكسر الراء في القرآن الكريم: ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾[2] ووردت على صيغة الجمع في سورة الأعراف الآية ١٩٥: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾.

وتلاحظ أيضاً مفردة «خُطوة» (بضمّ الأوّل) وتعني الفاصلة بين القدمين وكذلك «خَطوة» (بفتح الأوّل) رفع القدم إلى الأمام مرّة واحدة وجمع الأولى «خُطُوات» (بضمّ الأوّل والثاني) وجمع الثاني «خَطَوات» (بفتح الأوّل والثاني)[3].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالاً طَيِّباً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾[4].

---

(١) جاء في نسخة مكارم الأخلاق: فبهما تقف على الصراط فانظر أن لا تزلّ بك فتتردى في النار».

(٢) سورة ص: الآية ٤٢.

(٣) مجمع البيان: ج١، ص٢٥٢ ومفردات الراغب (خطو).

(٤) سورة البقرة: الآية ١٦٨.

واتباع خطوات الشيطان يعني السير وراءه والاستجابة لوساوسه، والاتباع الحقيقي ان يصنع الانسان قدمه في آثاره قدم المتبوع وقد وردت كلمة «خطوات» خمس مرّات في القرآن الكريم في البقرة في الآيتين ١٦٨ و٢٠٨ وفي سورة الأنعام الآية ١٤٢ وفي سورة النور الآية ٢١، وفيها تحذير للانسان أن لا يترسّم خطر الشيطان ويسير وراءه فيستجيب لوساوسه ويبعده عن طريق الأنبياء[١].

وكذلك وردت مفردة «مشي» في القرآن الكريم وتعني «الانتقال من مكان إلى مكان بارادة» جاء في القرآن الكريم: ﴿كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فيهِ﴾[٢] وهناك المشي المعنوي أيضاً كما ورد في سورة الحديد الآية ٢٨: ﴿وَ يَجْعَلْ لَكُمْ نُوراً تَمْشُونَ بِهِ﴾ حيث المراد أو حركة والحياة في ضوء الايمان[٣].

كيفية المشي

جاء في القرآن الكريم توصيف لطريقة المشي التي ينتهجها عباد الله الصالحون وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمنِ الَّذينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾[٤].

والـ«هون» بمعنى الهادئ من غير تكبّر وقد جاء المصدر هنا في معنى اسم الفاعل للتأكيد يعني ان مشيهم عين الهدوء تماماً[٥].

---

(١) قاموس القرآن: ج٢، ص٢٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٠.

(٣) قاموس القرآن: ج٦، ص٢٦٠.

(٤) سورة الفرقان: الآية ٦٣.

(٥) التفسير الأمثل: ج١٥، هامش ص١٤٧.

أجل انّ من خصائص عباد الرحمان انّهم في منتهى التواضع لا تشوبهم ذرّة من التكبّر والغرور والانانيّة في كلّ سلوكهم وتصرّفاتهم وحتّى في كيفيّة وطريقة مشيهم نجد التواضع يتألّق من خلال هذا المشي الهادئ على هون ذلك انّ الملكات الأخلاقيّة تنعكس في سلوك الانسان وكلامه وحركاته.

وقد ورد في القرآن الكريم آيات تأمر الانسان باتباع السلوك الصحيح وفي مضمار المشي نقرأ هذه الآية:

﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً﴾[1].

وفي هذا اشارة إلى انّ المتكبّر عند ما يمشي فانّه يضرب برجله فوق الأرض بقوّة وكأنّه يريد اشعار الآخرين بقوّته وجبروته وتفوّقه شامخاً بأنفه متصوّراً ان هامته تلامس السحاب أو تنافس الجبال الشاهقة مع انّه لا يستطيع اختراق الأرض مهما ضرب بعنف كما انه اصغر وأقصر من نملة اذا ما قيس بارتفاع الجبال.

أجل أيّها الانسان انك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً، وعلّة هذا التصرّف المرضي يعود إلى تضخّم في الذات.

وقد جاء في السيرة الشريفة انّ رسول الله ﷺ كان يمشي في المدينة فرأى جمهرة من الناس مجتمعين حول رجل به صرع ينظرون إليه فقال ﷺ:

ـ على ما اجتمع هؤلاء؟

فقيل:

ـ على المجنون يصرع.

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٣٧.

فنظر إليه فقال:

ـ ما هذا بمجنون! ألا أخبركم بالمجنون حقّ المجنون؟

قالوا:

ـ بلى يا رسول الله!

قال صلى الله عليه وآله:

ـ انّ المجنون المتبختر في مشيته الناظر في عطفيه المحرّك جنبيه بمنكبيه فذاك المجنون وهذا المبتلى[1].

والتواضع في المشي لا يعني ان يمشي بكسل متماوتاً، بل تكون خطوات الانسان بثبات وثقة ولكن من دون تكبّر وغرور.

مشية النبي صلى الله عليه وآله

جاء في كتاب مكارم الأخلاق حديث للامام علي عليه السلام يصف فيه مشية النبي صلى الله عليه وآله:

عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا مشى تكفّأ تكفّأ كأنّما يقلع من صبب لم أر قبله ولا بعده مثله صلى الله عليه وآله»[2].

وجاء أحد الصحابة في ذلك أيضاً: «ما رأيت أحداً أسرع في مشيته من رسول الله صلى الله عليه وآله كأنّما الأرض تطوي له وإنّا لنجهد أنفسنا وانه لغير مكترث»[3].

---

(١) بحار الأنوار: ج٧٣، ص٣٠٣.

(٢) مكارم الأخلاق: ص٢٢.

(٣) التفسير الأمثل: ج١٥، ص١٥٣.

وعن ابن عبّاس قال: «كان رسول الله ﷺ إذا مشى مشياً يعرف انه ليس بمشي عاجز ولا بكسلان»[١].

وصايا لقمان لابنه

تشتمل سورة لقمان على وصايا العبد الصالح لقمان لابنه وهو يعظه منها في ما يخصّ طريقة المشي إذ جاء في القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾[٢].

والـ«مرح» على وزن فرح بمعنى الغرور والانتشاء والسكر الناجم عن النعمة والرزق الوفير والـ«مختال» مشتقة من مادّة خيال وخيلاء وتعني انّ الشخص وبسبب بعض التصوّرات والخيالات والأوهام يتصوّر نفسه عظيماً والـ«فخور» من مادّة فخر وتعني التباهي على الآخرين.

والشخص المختال والفخور هو شخص متكبّر مصاب بالنرجسيّة وتضخم الذات الأمر الذي ينعكس على سلوكه في كلامه وحركاته ومن بين ذلك طريقة المشي.

ثمّ يعقب ذلك الجانب الايجابي في المشي وهي ما ورد في الآية «واقصد في مشيك» والقصد هنا الاعتدال في المشي وقد جاء عن رسول الله ﷺ قوله:

«من مشى على الأرض اختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها»[٣].

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢٢.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٨.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٤ ص٢٠٧.

وجاء في أمالي الشيخ الصدوق رحمه الله في مناهي النبي صلى الله عليه وآله:

ونهى أن يختال الرجل في مشيته وقال صلى الله عليه وآله: «**من لبس ثوباً فاختال فيه خسف الله به من شفير جهنّم وكان قرين قارون لأنّه أوّل من اختال فخسف الله به وبداره الأرض**»[١].

وجاء عن الامام الصادق في «باب أنّ الايمان مبثوث لجوارح البدن كلّها»: ورجلاه اللتان يمشي بهما[٢].

شهود يوم القيامة

جاء في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلىٰ أَفْواهِهِمْ وَتُكَلِّمُنا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَكْسِبُونَ﴾[٣].

وجاء أيضاً قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِما كانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤].

وقد أورد المفسّرون احتمالات حول كيفيّة نطق أعضاء الجسم البشري يوم القيامة منها:

١ ـ انّ الله يهب الأعضاء القدرة على الادراك والشعور والنطق وليس هذا على الله بعسير فهو سبحانه وتعالى القادر على كلّ شيء وانّ الذي منح قطعة اللحم التي تدعى اللسان القدرة على النطق وهو الذي منح المخ القدرة عن التفكير لقادر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) اصول الكافي: ج ٢، ص ٣٤.

(٣) سورة يس: الآية ٦٥.

(٤) سورة النور: الآية ٢٤.

على أن يمنح الجلد والأيدي والأرجل وسائر الأعضاء يوم القيامة القدرة علىٰ النطق والشهادة.

٢ ـ إنّ الله لا يهب الأعضاء قدرة الادراك والشعور وإنّما ينطقها وفي الحقيقة تكون الأعضاء وسيلة وأداة النطق لاظهار الحقائق بأمر الله سبحانه.

٣ ـ إنّ أعضاء الجسم لدى كلّ انسان تحمل معها آثارها إلى الأبد ذلك انّ الأعمال في هذا العالم لا تفنى أبداً، وان ظهور آثارها هو بمثابة الشهادة على تلك الأعمال ونحن نسمع عبارات مثل عينك تشهد بسهرك.

ويقول أحد الشعراء:

وتعطّلت لغة الكلام وخاطبت عيني في لغة الهوى عيناك.

قضاء حوائج الناس

يقول الإمام السجاد عليه السلام: إنّ حق رجليك فان لا تمشي بهما إلى الحرام والاّ تستخدم قدميك في المسير في طريق تفضي الى الاستخفاف بك ولعلّ أفضل استخدام للقدمين هو السير والمشي من أجل قضاء حوائج الناس.

روى علي بن إبراهيم عن أبيه، عن حمّاد، عن ابراهيم بن عمر اليماني، عن الامام الصادق عليه السلام قال: «**ما من مؤمن يمشي لأخيه المؤمن في حاجة إلّا كتب الله عزّوجلّ له بكلّ خطوة حسنة وحطّ عنه بها سيّئة ورفع له بها درجة**»[1].

وجاء في نسخة مكارم الأخلاق: «فبهما تقف على الصراط فانظر ان لا تزلّ بك فتتردى في النار».

---

(١) اصول الكافي: ج ٢، ص ١٩٧.

الدخول في النار

قال تعالى في سورة مريم الآية ٧١ والآية ٧٢: ﴿وَإِنْ مِنْكُمْ إِلاّٰ وٰارِدُهٰا كٰانَ عَلىٰ رَبِّكَ حَتْماً مَقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظّٰالِمينَ فيهٰا جِثِيًّا ﴿٧٢﴾﴾.

وقد احتدم الجدل حول تفسير هاتين الآيتين فذهب بعضهم إلى انّ المراد من الدخول في النار يعني الاقتراب والاطلال عليها جميعاً سواء الاخيار والأشرار ثمّ ينجو الأخيار ويهوي الأشرار وقد استدلّوا على ذلك بآية في سورة القصص عند ما وصل موسى عليه السلام إلى بلاد مدين: ﴿وَلَمّٰا وَرَدَ مٰاءَ مَدْيَنَ﴾[1].

وذهب بعضهم وهم الأكثريّة إلى الورود لا يعني الاقتراب بل الدخول يعني ان كلّ الناس يدخلون النار ثمّ ينجي الله الأخيار والمؤمنين فيخرجون منها ويبقى المشركون وذلك لسنخيتهم مع النار والقرينة التي تعضد هذا التفسير في الحقيقة الآية الثانية وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظّٰالِمينَ فيهٰا جِثِيًّا﴾ اضافة إلى الروايات التي تؤيّد هذا المعنى:

فقد ورد عن جابر بن عبدالله الأنصاري بعد أن سأله بعضهم عن الورود في جهنّم في الآية هل يدخلها مؤمن فقال جابر بعد أن أومى باصبعيه الى اذنيه وقال: ـ صُمتا إن لم أكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الورود الدخول لا يبقى برّ ولا فاجر إلّا يدخلها فيكون على المؤمنين برداً وسلاماً كما كانت على ابراهيم حتّى انّ للنار ـ أو قال لجهنّم ـ ضجيجاً من بردها ثمّ ينجي الله الذين اتّقوا ويذر الظالمين فيها جثيّاً»[2].

---

(١) سورة القصص: الآية ٢٣.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٣٥٣.

وجاء في حديث للنبي ﷺ: «**تقول النار للمؤمن جُز يا مؤمن فقد اطفأ نورك لهبي**»[(١)].

وقد ورد هذا المعنى في الروايات التي تتحدّث عن الصراط الذي هو أدق من الشعرة وأحد من السيف.

وجاء في حديث آخر للنبي ﷺ:

«**يرد (يدخل) الناس النار ثمّ يصدرون (يخرجون) بأعمالهم فأوّلهم كلمع البرق ثمّ كمرّ الريح ثمّ كحضر الفرس ثمّ كالراكب ثمّ كشدّ الرجل ثمّ كمشيه**»[(٢)].

والحديث يشير إلى سرعة الناس في الخروج من النار حسب أعمالهم فبعضهم بسرعة الضوء وآخرون بسرعة العاصفة، وبعضهم بسرعة الفرس، ثمّ بسرعة الركض، واخر بسرعة المشي العادي.

التكوين الفيزيائي للرجل

تتكوّن الرجل من عظم:

١ ـ الردف. ٢ ـ الحوض. ٣ ـ الفخذ. ٤ ـ الساق. ٥ ـ القدم.

١ ـ عظم الردف:

عظم كبير مسطح غير منتظم الشكل يتّصل من الخلف بالعجز وهو يتكوّن من ثلاثة عظام متّصلة ببعضها:

ـ العظم الحرقفي: عظم صلب جدّاً يقابل لوح الكتف في الطرف العلوي.

---

(١) المصدر السابق: ص ٣٥٤.

(٢) المصدر نفسه: ص ٣٥٣.

ـ العظم الوركي ويقابل النتوء الغرابي.

ـ العظم العاني ويقابل عظم الترقوة.

٢ ـ عظم الحوض:

حلقه صلبه تتّصل من الأمام ومن الجانب بالعظم الردفي وتتّصل من الأعلى والخلف بالعمود الفقري وهو يقوم بحفظ الاحشاء في البطن.

العجز:

وهو الجزء الذي ترتكز عليه فقرات العمود الفقري وما فوقها ويحمل ثقلها ويتكوّن من خمس فقرات متّصلة ببعضها ويكون الجدار الخلفي للحوض وفيه ثمانية ثقوب متّصلة بالقناة الفقريّة.

العصعص:

عظم صغير مثلث الشكل يتكوّن من أربع فقرات ولا يوجد فيه قناة فقرية وهو يستعني الى الامام ويتحرّك قليلاً إلى الخلف.

٣ ـ العظم الفخذ:

وهو أطول عظام الهيكل وأقواها ويقع بين الحرقفي وقصبة الساق وعظم الفخذ مقوّس من الأعلى إلى الأسفل ويكون التحديب إلى الأمام وطرفه السفلي أكبر من العلوي مسطح من الأمام إلى الخلف.

٤ ـ الساق:

وتتألّف من ثلاثة عظام:

ـ الرضفة وهي عظم صغير مسطح مثلث الشكل موضوع في مقدم مفصل الركبة وتعرف لدى عامة الناس بـ«الصابونة».

ـ القصبة: وهي في مقدم الساق عموديّة في الذكور منحرفة قليلاً في الاناث لمقابلة انحراف عظم الفخذ.

ـ الشظية: وهي عظم طويل رقيق موضوع وراء القصبة طرفيها العلوي موضوع لأسفل مساواة مفصل الركبة وطرفها السفلى بارز أسفل القصبة.

٥ ـ القدم:

وهي القسم السفلي من الرجل تحمل الجسد في حالة القيام والانتصاب وبها تتم الحركة الانتقاليّة وهي مؤلّفة من ثلاثة أقسام:

ـ الرسغ: ويتألّف من سبعة عظام: وهي: العقب والكعب والمكعب والزورقي وثلاثية لسفينية: انسي ومتوسط ووحشي.

ـ مشط القدم:

ويتألّف من خمسة عظام أوّلها من الجهة الانسية وما يليه أطولها ثمّ يتناقض طولها إلى الخامس.

ـ السلاميات:

وهي أربعة عشر عظم لكلّ اصبع ثلاثة ما عدا الابهام فله اثنتان وهي كسلاميات اليد وضعاً وشكلاً غير انها أصغر منها.

والسلاميات الأخيرة لأصابع القدمين واليدين مغطاة من الظاهر بصفائح مسطحة مربعة الشكل تقريباً تسمى الأظافر، وتقوم بوظيفة حماية ظهور الأطراف من تأثير المصادمات.

وتسمى أطراف الاصابع «البنان».

القيمة الفقهيّة للرجلين

ونختم هذه المادّة الحقوقيّة الأخلاقيّة للرجل وتكوينها الفيزيائي بالحديث عن قيمتها فقهيّاً؛ جاء في كتاب تكملة المنهاج ما يلي:

«وفي قطع كلتيهما دية كاملة وفي قطع احداهما نصف الدية ولا فرق في ذلك بين قطعهما من المفصل أو من الساق أو من الركبة أو من الفخذ»[(١)].

وجاء في كتاب المختصر النافع:

«وفي الرجلين الدية وفي كلّ واحدة نصف الدية وحدهما مفصل الساق وفي أصابعهما ما في أصابع اليدين»[(٢)].

---

(١) مباني تكملة المنهاج: ج٢، ص٢١٤.

(٢) المختصر النافع: ص٣٠١.

المادّة السابعة: حقّ اليد

«وَأَمَّا حَقُّ يَدِكَ فَأَنْ لا تَبْسُطَهَا إِلَى مَا لا يَحِلُّ لَكَ فَتَنَالَ بِمَا تَبْسُطُهَا إِلَيْهِ مِنْ (يَدِ) الْعُقُوبَةِ فِي الآْجِلِ وَمِنَ النَّاسِ بِلِسَانِ اللاَّئِمَةِ فِي الْعَاجِلِ وَلا تَقْبِضَهَا مِمَّا افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْهَا وَلَكِنْ تُوَقِّرَهَا بِقَبْضِهَا عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا لا يَحِلُّ لَهَا وَتَبْسُطَهَا إِلَى كَثِيرٍ مِمَّا لَيْسَ عَلَيْهَا فَإِذَا هِيَ قَدْ عُقِلَتْ وَشُرِفَتْ فِي الْعَاجِلِ وَجَبَ لَهَا حُسْنُ الثَّوَابِ مِنَ اللهِ فِي الآْجِلِ».

وردت مفردة اليد في القرآن الكريم في سورة الفتح بصيغة الجمع «أيدي» في قوله تعالى: ﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾[1] وقد جاءت في كثير من الموارد على سبيل الاستعارة والمجاز[2] كما في سورة آل عمران الآية ٢٦: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَديرٌ﴾ حيث تعني هنا السلطة والقدرة والملك.

وكذلك بمعنى البخل في اليد المغلولة حيث يتهم اليهود الرب تبارك وتعالى بذلك: ﴿وَقالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْديهِمْ وَلُعِنُوا بِما قالُوا بَلْ يَداهُ مَبْسُوطَتانِ﴾[3].

وجاءت اليد بمعنى القوّة في سورة ص الآية ٤٥ في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ عِبادَنا إِبْراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدي وَالأَبْصارِ﴾.

هنا البصيرة والرؤية الصائبة للأمور:

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٠.

(٢) قاموس القرآن: ج٧، ص٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) سورة المائدة: الآية ٦٤.

اليد منشأ الفساد ومصدره

ومع انّ اليدين من نعم الله سبحانه وفي قطعهما تجب الدية الكاملة للانسان الاّ انّهما مصدر للكثير من المآسي والمعاصي والآثام ومن أجل ذلك نسب الفساد في الأرض إليهما وبما تكسبان وتقترفان من الذنوب.

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

ومن المؤكّد ان كلّ عمل سلبي لابدّ وأن تكون له آثاره في المجتمع وهي آثار سلبيّة يعبّر القرآن عنها بالفساد الذي يستشري في المجتمع وحتّى في الطبيعة اذ ان لكلّ فعل رد فعل ومن هنا جاء في سورة الشورى قوله تعالى:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾[2].

والآية الكريمة أعلاه تشير بصراحة إلى ان كل ما يصيب الناس من شرور إنّما هي حصاد ما زرعوه بأيديهم وثمار أعمالهم.

ولذا جاء في سورة البقرة قوله تعالى:

﴿وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾[3].

وهكذا نلاحظ أنّ الانسان هو الذي يجرّ المصائب إلى نفسه وهو الذي يسعى

---

(١) سورة الروم: الآية ٤١.

(٢) سورة الشورى: الآية ٣٠.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٩٥.

إلى الهلاك بقدميه وبما يفعله ويقوم به من أعمال سلبيّة واحياناً يقوم الانسان ببناء بيته ثمّ يقوم بتدميره بنفسه.

جاء في سورة الحشر كيف أنّ اليهود الذين تمرّدوا على رسالة الله وعصوا رسول الله فكان عاقبة أمرهم أنْ دمّروا حياتهم بأنفسهم:

﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾[1].

ومطلوب من الانسان أن يعتبر بالتجارب لا أن يقع في نفس الأخطاء ويكرّر الخطأ مرّة أخرى.

اليد وسيلة للقتل

لعلّ مشهد ما جرى بين ابني آدم هو الفعل الأكثر ايلاماً للنفس في قصّة أبينا آدم وأُمّنا حوّاء، فقد ثار النزاع بينهما ونجم عن ذلك أن يقدّم كلّ منهما قرباناً فتقبّل الله قربان هابيل ولم يتقبّل من قابيل فما كان منه إلّا ان هدّد أخاه بالقتل فقال هابيل كما ورد في القرآن الكريم:

﴿لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾[2].

وهنا نلاحظ استخدام اليد في القتل حيث ينسب الذنب وتنسب الخطيئة إلى اليد، هذا على صعيد الآيات، وأمّا على صعيد الروايات فثمّة أحاديث في هذا

---

(١) سورة الحشر: الآية ٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٨.

الموضوع ومن ذلك ما ورد في حديث للامام الصادق عليه السلام:

«وَ فَرَضَ اللهُ عَلَى الْيَدَيْنِ أَنْ لا يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا حَرَّمَ اللهُ وَأَنْ يَبْطِشَ بِهِمَا إِلَى مَا أَمَرَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ وَفَرَضَ عَلَيْهِمَا مِنَ الصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالْجِهَادِ فِي سَبِيلِ الله وَالطَّهُورِ لِلصَّلاةِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَ امْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾[1]».

وهناك موارد أُخرى في القرآن الكريم تشير إلى الأعمال التي تنجز من خلال اليد نشير إلى بعضها:

البيعة باليد

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا في قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾[2].

والبيعة مشتقّة من «البيع» وهي في الأصل المصافحة عند الاتّفاق في المعاملة ثمّ اطلقت على العهد بالطاعة وأصبحت هذه الحركة من مراسم اعلان الوفاء بالعهد بين طرفين والاعتراف رسميّاً والانقياد والطاعة، ولعلّ هذا ناشئ عن ان هذا التعاهد يشبه الالتزام بين طرفي المعاملة.

والذي يبايع شخصاً يعني انه سيقف إلى جانبه ويطيعه ويدافع عنه بالمال والأهل والولد والنفس.

يقول ابن خلدون في مقدّمته:

---

(١) سورة المائدة: الآية ٦.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٨.

«كانوا اذا بايع الأمير جعل أيديهم في يده تأكيداً فانسبه ذلك فعل البائع والمشتري»(١).

وجاء في سورة الفتح قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللهَ﴾(٢).

وكان الرجال يبايعون النبي ﷺ بالمصافحة وأمّا النساء فكنّ يضعن أيديهنّ في آنية فيها ماء ويضع النبي ﷺ يده في الماء أيضاً وهذه البيعة للنبي ﷺ والأئمّة عليهم السلام من قبل الناس تأكيد على وفائهم ولذا فان نقضها يعد من الكبائر.

يقول الامام موسى بن جعفر عليه السلام:

«ثلاثة موبقات: نكث الصفقة وترك السنّة وفراق الجماعة»(٣).

ولسنا بصدد بحث مسألة البيعة لذا نكتفي بهذا القدر حول هذا الموضوع.

دفع الجزية باليد

ومن الموارد التي ذكرها القرآن حول اليد هي دفع الجزية من قبل غير المسلمين للدولة الاسلاميّة مقابل الدفاع عن سلامتهم وأمنهم، جاء في سورة التوبة قوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلاَ بِالْيَوْمِ الآخِرِ وَلاَ يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلاَ يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٤).

والجزية مشتقة من الجزاء وتعني مال يدفعه غير المسلمين الذين يعيشون في

---

(١) مقدّمة ابن خلدون: ص٢٠٩.

(٢) سورة الفتح: الآية ١٠.

(٣) التفسير الأمثل: ج٢٢، ص٧٠، عن البحار: ج٦٧، ص١٨٥.

(٤) سورة التوبة: الآية ٢٩.

ظلّ الدولة الاسلاميّة مقابل توفير الأمن لهم وحمايتهم[١].

وصاغر من مادة صِغر وتعني هذه المفردة الشخص الذي يستسلم ويرضى بالخضوع والآية تشترط دفع الجزية واعلان الخضوع للدولة الاسلاميّة والجزية نوع من الضرائب التي يوجبها الاسلام وعلى الافراد وليس الممتلكات أو الأراضي وهي ضريبة سنويّة تتعلّق بالأشخاص ويذهب البعض إلى انّ المفردة معرّبة وتعود الى جذر فارسي «كِزيت» وتعني الضريبة التي يدفعها المواطنون لتعزيز قدرات الجيش العسكريّة فيما يذهب غيرهم إلى انها عربية خالصة.

وقد عقدت معاهدات عديدة بين الدولة الاسلاميّة وأهل الكتاب أوجبت دفع الأخيرين ضريبة الجزية مقابل حماية الدولة الاسلاميّة لممتلكات أهل الكتاب أو أهل الذمّة وأرواحهم وتوفير الأمن لهم وصدّ العدوان الخارجي عنهم.

وفيما يلي نموذج لهذا النوع من المعاهدات بين خالد بن الوليد ممثلاً للدولة الاسلام وصلوابا بن نسطونا عن قومه من أهل الكتاب.

«هذا كتاب من خالد بن الوليد لصلوابا ابن نسطونا وقومه، إنّي عاهدتكم على الجزية والمنعة فلك الذمّة والمنفعة وما منعناكم فلنا الجزية وإلّا فلا. كتب سنة إثنىٰ عشرة في صفر»[٢].

وتشير الآية إلى أن دفع الجزية يجب أن يكون باليد ما يشير إلى أهميّة اليد في هذا الموضوع.

التكوين الفيزيائي لليد

تتكوّن اليد من ثلاثة أجزاء:

١ ـ العضد: ويتألّف من عظم واحد قوي متّصل بالكتف بمفصل واحد ولذا يمكنه التحرّك في جميع الجهات اذ ان رأس العظم مستدير مركب على رأس الكتف في حِق لتكون حركته سلسة ولتوثيق صلته فقد ربط برباط عضلي قوي.

٢ ـ الساعد: ويتألّف من عظمين متلاصقين طويلين (الزندين) العلوي أدق من السفلي ويلي الابهام والآخر يلي الخنصر وهو الأغلظ لأنّه الحامل وفائدة الزند العلوي تحريك الساعد إلى الالتواء والانبطاح وفائدة الزند السفلي تحريك الساعد إلى الانقباض والانبساط.

٣ ـ الكف: وتتألّف من أربعة عظام متباعدة وتتركّب عليها الأصابع الأربعة ويقابلها جميعاً الابهام فيدعمها واحدة واحدة واصبع الابهام غليظة قويّة مساوية لقوّة الأصابع الأربعة جميعاً.

والأصابع متفاوتة في الطول لتلتقي جميعاً في حالة القبض، في باطن راحة الكف فتصبح كالصندوق الذي يحفظ الشيء ثرء ثمّ يأتي الابهام ليكون كالقفل للصندوق.

وتنتهي الأصابع بالأظافر في ظاهر الكف وهي كالمرايا تعكس الحالة الصحيّة للانسان من خلال اللون التي يشف منها فاذا كان اللون ورديّاً فيعني ان الانسان في ذروة عافيته وصحّته.

ويقابل الاظفر في راحة الكف البنان الذي هو معجزة الخلق الالهي لأن كلّ انسان لديه بنان خاص يمثّل هويته.

القيمة الفقهيّة لليد

يولي الفقه الاسلامي أهميّة فائقة لليدين وأوجب دفع الدية الكاملة عنهما ولكلّ منهما نصف الدية:

«وفيهما الدية الكاملة وفي كلّ واحدة منهما نصف الدية بلا خلاف بين الفقهاء بل الاجماع بقسميه عليه بل لا خلاف في ذلك بين المسلمين»[(١)].

والروايات في هذا الباب كثيرة مثل صحيحة هشام بن سالم:

«هشام بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: كلّ ما كان في الانسان اثنان ففيهما الدية وفي أحدهما نصف الدية»[(٢)].

ويقول الامام الخميني:

«في اليدين الدية كاملة وفي كلّ واحدة نصفها من غير فرق بين اليمنى واليسرى ومن كان له يد واحدة خلقة أو لعارض فلها نصف الدية»[(٣)].

ويقول أيضاً:

«حدّ اليد التي فيها الدية المعصم أي المفصل الذي بين الكف والذراع، فلو قطعت إحداهما من المفصل ففيها نصف الدية، وإن كانت فيها الأصابع فلا دية للأصابع في الفرض ولو قطعت الأصابع منفردة ففيها خمسمئة دينار نصف الدية»[(٤)].

---

(١) مباني تكملة المنهاج: ج٢، ص٢٩٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٩، ص٢١٧.

(٣) تحرير الوسيلة: ج٢، ص٥٧٨.

(٤) نفس المصدر: ص٥٧٩.

قيمة اليد تكمن في أمانتها

تبلغ دية اليدين دية كاملة ولكلّ منهما نصف الدية يعني ثـمنه مـثقال ذهـباً مسكوكاً، وجاء في التاريخ انّ الشاعر والفيسلسوف أبا العلاء المعرّي دخل يوماً على الشريف المرتضى ﷺ وأنشد بيتاً من الشعر يعبّر عن احتجاجه أو استغرابه للحكم الفقهي حول دية اليد قائلاً:

يد بـخمس مـئين عسـجد وديت ... مـا بـالها قـطعت فـي ربـع ديـنار

ومعروف ان حكم السارق هو قطع يده.

فأجابه السيّد المرتضى على الفور قائلاً:

عـزّ الأمـانة أغـلاها وأرخـصها ... ذلّ الخيانة فـافهم حكـمة البـاري

وجاء في نقل آخر هذا البيت من الشعر:

حـراسـة الدم أغـلاها وأرخـصها ... حراسة المال فانظر حكمة البـاري

وقد جارى أحدهم جواب الشريف المرتضى قائلاً:

هـناك مـظلومة غـالت بـقيمتها ... وههنا ظلمت هـانت عـلى البـاري

وقال آخر نثراً: «لما كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت».

وصاغ أحدهم ذلك شعراً:

خـيانتها اهـانتها وكـانت ... ثمينة عند مـا كـانت أمـينة

المادّة الثامنة: حقّ البطن

«وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الْحَرَامِ وَلا لِكَثِيرٍ وَأَنْ تَقْتَصِرَ لَهُ فِي الْحَلالِ وَلا تُخْرِجَهُ مِنْ حَدِّ التَّقْوِيَةِ إِلَى حَدِّ التَّهْوِينِ وَذَهَابِ الْمُرُوَّةِ وَضَبْطُهُ إِذَا هَمَّ بِالْجُوعِ وَالظَّمَإِ فَإِنَّ الشِّبَعَ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى التَّخَمِ مَكْسَلَةٌ وَمَثْبَطَةٌ وَمَقْطَعَةٌ عَنْ كُلِّ بِرٍّ وَكَرَمٍ وَأَنَّ الرِّيَّ الْمُنْتَهِيَ بِصَاحِبِهِ إِلَى السُّكْرِ مَسْخَفَةٌ وَمَجْهَلَةٌ وَمَذْهَبَةٌ لِلْمُرُوَّةِ».

حاجة الانسان إلى الغذاء

الناس جميعاً بحاجة إلى الغذاء وإذا انقطع الطعام والغذاء عن الانسان مات جوعاً وتعذر عليه البقاء حياً، وكان البعض يتصوّرون انّ الأنبياء يستطيعون الحياة دون غذاء وطعام وقد فند القرآن الكريم هذا التصوّر الساذج في قوله تعالى:

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لاَ يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾[1].

واستنكر القرآن الكريم في مناسبة أُخرى اشكالات المشركين حول النبي ومشيه في الأسواق وتناوله الطعام:

﴿ وَقَالُوا مَا لِهَٰذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشي فِي الْأَسْوَاقِ ﴾[2].

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٨.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٧.

وكنا قد أشرنا فيما مضى إلى دعوة القرآن الكريم في أن ينظر إلى الانسان إلى طعامه:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾﴾(١).

انّ أقرب الأشياء إلى الانسان في العالم الخارجي حوله هو الطعام الذي يتناوله ويصبح خلال فترة وجيزة جزءً من تكوينه ونسيج الحياة القائمة فيه ولو انقطع الطعام عن الانسان مات وغادر الحياة.

ومن أجل هذا دعا القرآن الانسان إلى أن يتأمّل في الطعام الذي يتناوله والذي يمدّه بالحياة.

والآن ما الذي تعنيه هذه الدعوة إلى النظر؟ ومن المؤكّد أنّ المراد هذا النظر ليس هو الظاهر فقط وإنّما هي دعوة للتأمّل يعني عبور الجانب السطحي من النظر إلى ما هو أبعد وأعمق من التأمّل في تكوين المادّة الغذائيّة وتأثيراتها المدهشة في وجود الانسان والانتقال إلى التفكير في الخالق سبحانه وتعالى.

وقد ذهب البعض إلى انّ المراد من الدعوة هو النظر إلى ألوان الطعام لتحريك غدد اللعاب في الفم ما يساعد على هضم الطعام وهذا التفسير مستبعد تماماً ذلك انّ التأمّل في ما سبق آية النظر وما تلاها يكشف عن غاية من وراء هذه الدعوة الى النظر.

وقد ذهب آخرون الى أنّ مراد الآية أنّ ينظر الانسان إلى الطعام الموجود في الخوان والمائدة هل حصل عليه عن طريق الحلال أم الحرام؟ عن طريق مشروع

---

(١) سورة عبس: الآيات ٢٤ ـ ٢٦.

أوغير مشروع ؟ وفي هذا التفسير ابعاد أخلاقيّة وتشريعيّة.

وثمّة روايات عن أهل البيت عليهم السلام إلى انّ المراد من الآية أعلاه العلم وقد سئل الامام الباقر عن ذلك فقال (كما ورد في تفسير الآية) «علمه الذي يأخذه عمّن يأخذه»[1].

وإلى هذا المعنى يشير الامام الصادق عليه السلام في حديث له أيضاً غير انّ سياق الآيات يشير إلى انّ المقصود والمراد من الطعام هو الغذاء الذي يتناوله الانسان ويسهم في بناء الجسم فثمّة اشارات واضحة الى المطر الذي يغدق والى الأرض التي تنشق فتخرج من بين شقوقها النباتات.

على الانسان الذي يدقق في سلامة الطعام الذي يتناوله حتى لا يتعرّض جسمه الى تأثيرات سلبية مطالب أيضاً إلى أن يدقّق في الأفكار التي يضخها الى فكره وذهنه وأن يكون حساسّاً ازاء سلامته الفكريّة والنفسيّة والروحيّة.

فعليه أن يتأمّل أيضاً في أمطار الوحي الالهي التي انهمرت على فؤاد النبي صلى الله عليه وآله وكيف استحالت إلى ينابيع ثرّة في صدور الأئمّة من آله عليهم السلام وإلى أشجار الايمان والتقوى التي آتت أُكلها ووهبت ثمارها[2].

الزارع الحقيقي

قال سبحانه في محكم كتابه الكريم:

﴿أَ فَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ (٦٣) أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٦٤) لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ

---

(١) تفسير البرهان: ج٤، ص٤٢٩.

(٢) التفسير الأمثل: ج٢٦، ص١٤٦.

حُطاماً فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ﴾[١].

و«تحرثون»: من مادة حرث على وزن درس وهي حراثة الأرض ونثر البذور.

و«تزرعونه» بمعنى الانبات والحقيقة ان الانسان لا يقوم إلّا بعمليّة نثر البذور في التربة وعملية الري أما كيف تشق البذرة غلافها وتمتد الجذور إلى عمق التربة فيما يتّجه الساق إلى الفضاء ثمّ تتفرّع عنه الأغصان والأوراق فهذه العمليات لا دخل للانسان فيها بل انه لا يستطيع أن يدركها في نفس الوقت فالبذرة المقلوبة يخرج جذرها من الأعلى ثمّ ينعطف إلى الأسفل ممتدّاً في الأعماق أمّا الساق فانه ينبثق من الأسفل ثمّ سرعان ما ينعطف متجهاً الى الأعلى الى حيث الفضاء والآفاق.

انّ الزارع الحقيقي هو الله الذي يقدر أن يحيل هذه الزروع إلى حطام أي أنّ الزروع تجف وتيبس ثمّ تتحطّم وتتهشم.

وتفكّهون من مادة فاكهة وهي الفواكه والثمار والفكاهة تأتي بمعنى المزاح وذكر الطرائف التي هي ثمار وفاكهة مجالس الأنس على انّ المفردة تأتي احياناً بمعنى الدهشة والتعجّب والحيرة.

ولذا جاء في الحديث النبوي الشريف:

«لا يقولنّ أحدكم زرعت وليقل حرثت فانّ الزارع هو الله»[٢].

---

(١) سورة الواقعة: الآيات ٦٣ ـ ٦٥.

(٢) مجمع البيان: ج ٩، ص ٢٢٣؛ روح البيان: ج ٩، ص ٣٣٢.

تأثيرات الغذاء في النفس

لا يترك الغذاء آثاره الايجابيّة أو السلبيّة على بدن الانسان فحسب بل ان له آثار روحيّة ونفسيّة وأخلاقيّة في نفس الانسان وهي آثار ايجابيّة أوسلبيّة ترتبط بطبيعة الحال بنوعيّة الغذاء ومصدره ونقاوته.

إنّ أجهزة المختبر يمكنها أن تسجّل وترصد التأثيرات الكيميائيّة للغذاء وعناصره الطبيعية ومقدار ما يحمل من السعرات الحراريّة والفيتامينات أما أن يكون لها القدرة والقابلية على اكتشاف آثار الغذاء الروحيّة والنفسيّة فهذا ما تعجز عنه مهما تطورت ولنقل ان أجهزة العصر الحاضر غير قادرة وأن الحضارة والمدنية والتقدّم العلمي لم يصل إلى ابتكار وصناعة هكذا أجهزة حتّى الآن:

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إنّ الله تبارك وتعالى لم يبح أكلاً ولا شرباً إلّا لما فيه المنفعة والصلاح ولم يحرم إلّا ما فيه الضرر والتلف والفساد»[١].

ورؤية الأولياء عند ما تتحدّث عن الغذاء تمتد في الحديث عن الأضرار والمفاسد إلى الصعيدين الجسمي والروحي فالغذاء له ايجابيات وتأثيرات محمودة على الجسم والروح وأيضاً بعض الأغذية لها تأثيرات غير محمودة على الجسم والروح كذلك.

تناول الدم والقسوة

يقول الامام الصادق عليه السلام حول حرمة تناول الدم في بيان علّة التحريم:

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص٧١.

«ويسيء الخلق ويورث القسوة للقلب وقلّة الرأفة والرحمة ولا يؤمن أن يقتل ولده ووالده»(١).

آثار الخمر

وللامام الصادق عليه السلام حديث في آثار تناول الخمر جاء فيه:

«إنّ مدمن الخمر كعابد وثن ويورثه الارتعاش ويهدم مروّته وتحمله على أن يجسر على المحارم من سفك الدماء وركوب الزنا ولا يؤمن إذا سكر أن يثب على محارمه»(٢).

وهكذا فان لتناول الخمر آثار مدمّرة لا تقل عن تناول الدم من حيث انه يمهد الطريق للانسان لانتهاك حرمات كثيرة ويصل في النهاية إلى سفك الدم والاعتداء الجنسي على المحارم.

آثار الكحول في الجهاز العصبي وسائر أعضاء الجسم

يحتوي الخمر على مادة الكحول الاتيلي (Ethyl Alcohol) وهي المادّة الأساسيّة والسبب في جميع الأضرار الناجمة عن تعاطي الخمور بكافّة أنواعها.

وأكثر الأجهزة تأثراًبالخمر هو الدماغ ويتم امتصاص الخمر بسرعة فائقة عن طريق الفم والمعدة وحتى عن طريق الرئتين وبمجرّد وصول كأس الخمر إلى الفم يعني وصوله إلى الدم وإذا تمّ تناوله بمعدة فارغة أعطى تركيزاً عالياً في البدن

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

خلال مدّة قصيرة جدّاً ويتم انتشاره في أجزاء البدن حسب نسبة المـاء ذلك أنّ الكحول سريع الذوبان في الماء بل انه يصل إلى الجنين لدى المرأة الحـامل اذا تناولت هذه المادة المسكرة.

ويبلغ تركيزه في الدماغ أعلى من الدم بنسبة ١٠٪.

وأولى مضاره تراجع الشهية الأمر الذي يحرم الجسم من الغـذاء الذي هـو ضروري في بناء الجسم وسلامته.

ومن الأضرار التي يلحقها الكحول بالجسم:

١ ـ التسمّم الحاد الذي ينجم عن تناول كبيرة من الكحول سواء كان الشخص مدمناً أو غير مدمن وأكثر الأجهزة عرضة للتأثير الدمـاغ لأن الكـحول كـمادة مخدّرة يعمل عمل المثبط وتظهر أعراض السكر عند نسبة ٥ / ٠٪ في الدم وتزداد كلما زادت هذه النسبة لتنتهي إلى ٤ / ٠٪.

٢ ـ اعتلال الأعصاب ويصاب فيه المدمن عـلى الكـحول بـضعف عـضلي وهزال وآلام في الأطراف وقد يصاب بالشلل المؤقت.

٣ ـ التهاب العصب البصري وتراجع القدرة البصريّة وربما ينتهي إلى العمى.

وأمّا في الجهاز الهضمي فان تناول الكحول يؤدّي الى:

١ ـ تخريش مخاطية الفم والبلعوم وضمور الحليمات الذوقيّة فـي اللسـان وتشقق اللسان.

٢ ـ سرطان اللسان.

٣ ـ التهاب المريء واصابته بالسرطان فيما بعد.

٤ ـ التهاب المعدة الحاد.

٥ ـ سرطان المعدة.

٦ ـ تعرض المعدة إلى خطر الاصابة بالقرحة.

٧ ـ سوء الامتصاص المعوي بسبب اصابة الكبد والمعدة والامعاء والبنكرياس.

٨ ـ تشمع الكبد بعد تعرضه إلى التهاب حاد.

وعلى صعيد الاضطرابات الدموية فانه ونتيجة تراجع الشهية وقلة التغذية فان الكحول يؤدّي إلى اصابة المدمن بما يلي:

١ ـ فقر الدم من خلال نقص الحديد.

٢ ـ فقر الدم الخبيث بنقص فيتامين B12.

وعلى صعيد الحياة الزوجيّة والعلاقات الجنسيّة فانّ الكحول يؤدّي بالمدمن إلى تزايد رغبته الجنسيّة في مقابل تراجع في القدرة على أداء العلاقة الجنسيّة، وكذلك تعرض الخصيتين للضمور وتضخم الثدي (عند الرجل) خاصّة بعد اصابة الكبد، كما يظهر الاضطراب في سلوك المرأة جنسيّاً.

اضافة إلى الأمراض النفسيّة من قبيل الهذيان الارتعاشي وهي حالة حادة تتصف بالهلوسة والارتعاش وسرعة الاستثارة إلى جانب ضعف شديد في الذاكرة وهذيان وانعدام البصيرة وشلل في عضلات العين وبلادة في التفكير والدخول في غيبوبة وفقدان السيطرة العاطفيّة.

ويتسبّب الكحول بحدوث انخفاض شديد في سكر الدم وقد يتسبّب في الغيبوبة ومن ثمّ الموت ربما.

وفي احصائيّة قديمة (قبل أكثر من ربع قرن):

هناك ما يناهز العشر ملايين امريكي يعانون من الادمان وهذا يتسبّب في وفاة (٢٥) ألف حالة وفاة من حوادث السيارات (١٥) ألف حالة وفاة من الأمراض العضوية الناجمة عن الادمان على الكحول و(١٥) ألف حالة قتل وانتحار، كما ان الكحول مسؤول عن مليونين ونصف حالة للاعتقال سنويّاً ويكلف الكحول امريكا ١٥ بليون دولار سنويّاً عشرة بليون منها بسبب التغيب عن العمل و٢ بليون نفقات صحية و٣ بليون نتيجة تلف الممتلكات والخسائر[1].

وقد فشلت الولايات المتّحدة الامريكيّة في أكبر محاولة لتحريم ومنع الخمر عند ما اصدر الكونغرس الامريكي سنة ١٩١٩م قانوناً حرّم بموجبه صناعة الخمر في السرّ والعلن كما منع بيعها وتصديرها واستيرادها ونقلها وحيازتها وفرض عقوبات شديدة على كلّ من يخالف القانون بالسجن والغرامة وكليهما.

وقد بذلت الحكومة امكانات ضخمة لضمان تنفيذ القانون حيث انفقت على الدعاية ونشر الوعي بكل الوسائل الاعلاميّة والتعليميّة ستين مليون دولار ونشرت كتباً ونشرات ما يزيد عن عشرة ملايين اصدار وانفقت على تنفيذ القانون ما يناهز ٢٥٠ مليون دولار وكانت النتائج بعد ١٤ سنة مخيبة للآمال تماماً فقد انتشرت آلاف الحانات السرية وتصاعد الاقبال على تعاطي الخمور وتم زج نصف ميلون شخص في السجن لمخالفتهم القانون وصدور حكم بالاعدام على مئتي شخص بسبب حالات اجراميّة تسببت بها الخمرة وانتشرت أنواع رديئة من الخمور تفاقمت بسببها الأضرار الصحية فأدّت إلى وفاة ٧٥٠٠ شخص واصابة ١١٠٠٠ شخص بأمراض عضال وكلّ هذا حصل في عام واحد فقط كما ارتفعت نسبة الجريمة ٣٠٠٪، الأمر الذي اضطر الحكومة الامريكيّة إلى مراجعة القانون

(١) مع الطب في القرآن الكريم، محيد دياب وأحمد قرقوز: ص١٤٩.

حيث قرّر الكونغرس في عام ١٩٣٣ الغاء القانون ورفع الحظر عن تعاطي الخمور وصناعتها.

وقد ذكر الكاتب الامريكي حموئيل ميل: «إنّ القرار قد القى على أساس واقعي هو ان المنع قد فشل»[١].

أثر الكحول في الأجيال

وقد ذكرت بعض الدراسات أنّ تأثيرات الكحول تتجاوز الجيل الذي يتعاطاها إلى الأجيال التالية وذكر طبيب الماني ان الكحول يلقي بظلاله على لم تتناول ثلاثة أجيال حتّى لو المشروبات الكحوليّة[٢].

ومن أجل ذلك حرّم الاسلام تعاطي كافة أنواع المسكّرات والمشروبات الكحوليّة. ومن أجل هذا قال الامام السجاد عليه السلام: **«وَأَمَّا حَقُّ بَطْنِكَ فَأَنْ لا تَجْعَلَهُ وِعَاءً لِقَلِيلٍ مِنَ الْحَرَامِ وَلا لِكَثِيرٍ»**[٣].

وقد نجح الاسلام نجاحاً باهراً في تحريم الخمر دون مضاعفات جانبيّة وانتهج اسلوباً رائعاً ومتوازناً ومرحليّاً.

وقد لفت الأئمّة الأطهار عليهم السلام من آل رسول الله صلى الله عليه وآله إلى ظاهرة جديرة بالتأمّل وهي اهتمام الكثير من الناس بالطعام فهو عند ما يجلس إلى المائدة والمأدبة ينظر ويدقّق في نوع الطعام الذي يتناوله، في حين لا يهتمّ كثيراً بالأفكار التي يتلقاها عقله.

---

(١) المصدر السابق: ص ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) كبائر الذنوب: ج ١، ص ٢٣٥.

(٣) سفينة البحار: ج ١، ص ٤٢٧.

يقول الامام علي عليه السلام:

«ما لي أرى الناس إذا قرب إليهم الطعام ليلا تكلفوا إنارة المصابيح ليبصروا ما يدخلون بطونهم ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم ليسلموا من لواحق الجهالة والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم»(١).

وقال نجله الامام الحسن السبط عليه السلام:

«عَجَبٌ لِمَنْ يَتَفَكَّرُ فِي مَأْكُولِهِ كَيْفَ لا يَتَفَكَّرُ فِي مَعْقُولِهِ فَيُجَنِّبُ بَطْنَهُ مَا يُؤْذِيهِ وَيُودِعُ صَدْرَهُ مَا يُرْدِيهِ»(٢).

وقد أولت الشريعة الاسلاميّة مسألة الطعام والشراب أهميّة كبيرة وقد اشتهر الحديث الذي يقول انّ المعدة بيت الداء وأنّ الحمية رأس الدواء.

يروي سويد بن غفلة قال:

دخلت على علي بن أبي طالب عليه السلام العصر فوجدته جالساً بين يديه صحيفة فيها لبن حازر أجد ريحه من شدّة حموضته وفي يده رغيف أرى قشار (سبوس) الشعير في وجهه وهو يكسره بيده احياناً فاذا غلبه كسره بركبته وطرحه فيه (اللبن) فقال عليه السلام: ادن فاصب (كل) من طعامنا هذا.

فقلت: اني صائم.

فقال عليه السلام: من منعه الصوم من طعام يشتهيه كان حقّاً على الله أن يطعمه من طعام الجنّة ويسقيه من شرابها.

فقلت لجاريته وهي قائمة بقريب منه (بالقرب منه): ويحك يا فضّة ألا تتقين

---

(١) سفينة البحار، مادة طعم: ج٢، ص٨٤.

(٢) المصدر السابق.

الله في هذا الشيخ ؟! ألا تنخلون له طعاماً ممّا أرى فيه من النخالة ؟!

فقالت: قد تقدم إلينا (أمرنا) أن لا ننخل له طعاماً فأخبرته (الامام عليه السلام) فقال عليه السلام: بأبي وأُمّي من لم يُنخل له طعام ولم يشبع من خبز البر (القمح) ثلاثة أيّام حتّى قبضه (توفاه) الله عزّوجلّ[1]. يقصد بذلك رسول الله صلى الله عليه وآله.

وجاء في سيرة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام انه نظر في السفرة فلم يجد خضاراً فأمر بأن يؤتى بالخضار وقال انه لا يتناول طعاماً ليس فيه خضاراً[2].

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[3].

وقد أثبتت الدراسات الحديثة في هذا المضمار ان تناول الطعام بأكثر ممّا يحتاج الجسم يجلب على الانسان الأمراض لأن الطعام في حالة عدم امتصاصه يبقى في المعدة ويشكل عبءً ثقيلاً على القلب فالطعام في الاجسام يجب أن يحترق ويمنح الطاقة للجسم فاذا بقي انقلب إلى عكس ذلك من توليد السموم وانتشارها في البدن.

طبيب هارون الرشيد

اشتهر الطبيب بختيشوع بسعة العلم وكان طبيب هارون الخاص وقد اشكل مرّة على القرآن الكريم لخلوّه من علم الطب فقال له أحد علماء الاسلام: ان علم

---

(١) بحار الأنوار: ج ٤٠، ص ٣٣١.

(٢) انظر الطفل بين الوراثة والتربية: ج ١، ص ٢٥١.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٣١.

الطب في نصف آية وقرأ قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا﴾ وقال نبيّنا صلى الله عليه وآله:

«المعدة بيت الأدواء والحمية رأس الدواء واعط كلّ بدن ما عودته».

فقال الطبيب النصراني: «ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً»[١].

قواعد صحيحة أُخرى

الاكثار من الطعام والاقلال منه كلاهما مذمومان يقول الامام علي عليه السلام: **«قلّة الأكل تمنع كثيراً من أعلال الجسم»**[٢].

والمراد من قلّة الأكل ليس إلى حدّ الاضرار بالجسم وقد أشار الامام السجاد إلى ذلك.

وعن الامام علي عليه السلام أيضاً:

«كثرة الأكل والنوم تفسدان النفس وتجلبان المضرة»[٣].

وجاء عن الامام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: **«الحمية رأس الدواء والمعدة بيت الداء»**[٤].

اجتناب الأكل بعد الشبع

يقول النبي صلى الله عليه وآله:

«الأَكْلُ عَلَى الشِّبَعِ يُورِثُ الْبَرَصَ»[٥].

---

(١) تفسير الامثل: ج٦، ص١٥٣.

(٢) فهرست غرر الحكم.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سفينة البحار: ج١، ص٣٤٥.

(٥) المصدر السابق؛ مكارم الأخلاق: ص١٤٧.

وقال صلوات الله عليه و آله: «لا تُمِيتُوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ فَإِنَّ الْقُلُوبَ تَمُوتُ كَالزَّرْعِ إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ»(١).

اجتناب لقمة الحرام

عن النبي ﷺ: «مَنْ أَكَلَ لُقْمَةَ حَرَامٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَلَمْ تُسْتَجَبْ لَهُ دَعْوَةٌ أَرْبَعِينَ صَبَاحاً وَكُلُّ لَحْمٍ يُنْبِتُهُ الْحَرَامُ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»(٢).

وقال ﷺ: «إِذَا وَقَعَتِ اللُّقْمَةُ مِنْ حَرَامٍ فِي جَوْفِ الْعَبْدِ لَعَنَهُ كُلُّ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا دَامَتِ اللُّقْمَةُ فِي جَوْفِهِ لا يَنْظُرُ اللهُ إِلَيْهِ وَمَنْ أَكَلَ اللُّقْمَةَ مِنَ الْحَرَامِ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللهِ فَإِنْ تَابَ تَابَ اللهُ عَلَيْهِ وَإِنْ مَاتَ فَالنَّارُ أَوْلَى بِهِ»(٣).

وقال ﷺ: في مضمار أكل الحلال:

«من أكل الحلال أربعين يوماً نوّر الله قلبه وأجرى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»(٤).

سرّ السلامة والعافية

قال ﷺ: «مَنْ أَكَلَ الطَّعَامَ عَلَى النَّقَاءِ وَأَجَادَ الطَّعَامَ تَمَضُّغاً وَتَرَكَ الطَّعَامَ وَهُوَ يَشْتَهِيهِ وَلَمْ يَحْبِسِ الْغَائِطَ إِذَا أَتَاهُ لَمْ يَمْرَضْ إِلَّا مَرَضَ الْمَوْتِ».

ويوصي الامام السجاد عليه السلام بمراعاة حق البطن وحفظه من الافراط والتفريط في مسألة تناول الغذاء فاذا كان للتخمة آثارها المدمّرة في صحّة الجسم فان

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ١٥٠.

(٢) سفينة البحار: ج ١، ص ٢٤.

(٣) مكارمم الأخلاق: ص ١٥٠.

(٤) المحجّة البيضاء: ج ٣، ص ٢٠٤.

للجوع نفس الآثار وأكثر، والانسان الجائع يتعرّض إلى اضطرابات روحيّة وعقليّة ويتزلزل إيمانه ودينه وتتلاشى عواطفه وانسانيته ويتحوّل في ظروف قاسية إلى حيوان مفترس وقد حصلت حوادث يقشعرّ لها الجسم في مدينة «ستالين غراد» أثناء حصار الجيش النازي لها في الحرب العالميّة الثانية.

وفي تاريخ الاسلام عند ما اندلعت ثورة الزنج الكبرىٰ في جنوب العراق سنة ٢٥٥ هواستمرت ١٥ عاماً وكان لما ارتكبه الزنج من فظائع أن دمّرت الزراعة في اقليم البصرة وعم القحط واستشرى الجوع، حتّى أكل الناس لحوم الكلاب والقطط بل وأكلوا أجساد الموتى بل وصل الامر ان الجياع يتخطفون لحم الانسان وهو ما يزال يحتضر[١].

الحكم الفقهي للبطن

جاء في تكملة المنهاج:

«من داس بطن إنسان بحيث خرج منه البول أو الغائط فعليه ثلث الدية أو يداس بطنه حتى يحدث في ثيابه»[٢].

وأكثر الفقهاء يذهبون الى تبني ما ورد في الرواية المعتبرة عن السكوني عن الامام الصادق عليه السلام:

«عن ابي عبدالله عليه السلام قال: رُفع الىٰ أمير المؤمنين عليه السلام رجل داس بطن رجل حتىٰ أحدث في ثيابه فقضىٰ عليه أن يُداس في بطنه حتى يحدث في ثيابه كما أحدث أو يغرم ثلث الدية.

---

(١) انظر مروج الذهب: ج ٤، ص١٠٨.

(٢) مباني تكملة المنهاج: ج ٢، ص ٣٧١.

المادّة التاسعة: حقّ الفرج

«وَأَمَّا حَقُّ فَرْجِكَ فَحِفْظُهُ مِمَّا لا يَحِلُّ لَكَ وَالاسْتِعَانَةُ عَلَيْهِ بِغَضِّ الْبَصَرِ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْوَنِ الْأَعْوَانِ وَكَثْرَةِ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَالتَّهَدُّدِ لِنَفْسِكَ بِاللهِ وَالتَّخْوِيفِ لَهَا بِهِ وَبِاللهِ الْعِصْمَةُ وَالتَّأْيِيدُ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِهِ»[1].

الـ« فرج » وجمعه الفروج الفتحة أو الثقب بين شيئين[2] وهو عبارة عن مخرج البول والغائط لدى الرجل والمرأة على حدّ سواء، ويقع بين الرجلين ويطلق على القبل والدبر كناية ثمّ أصبح يعني الاثنين معاً من كثرة الاستعمال وجاء في مجمع البيان في ذيل الآية ٥ من سورة المؤمنون عن ليث انه اسم لسوأة المرأة والرجل وفي « أقرب الموارد »: « الفرج من الانسان العورة ويطلق على القُبل والدبر ».

(وقد استخدم المؤلّف كلمة « دامن » الفارسيّة التي تعني العفّة أو طهارة الثوب).

والمراد من حفظ الفرج كما ورد في الروايات هو ستره عن عيون الناظرين وجاء في حديث للامام الصادق عليه السلام:

«كلّ آية في القرآن في ذكر الفروج فهي من الزنا إلّا هذه الآية فانّها من النظر»[3].

---

(١) جاء في نسخة مكارم الاخلاق: « وأمّا حقّ فرجك أن تحصنه عن الزنا وتحفظه من أن ينظر إليه ».

(٢) قاموس معين (بالفارسيّة).

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٥٨٨.

والامام يشير إلى الآية ٣١ من سورة النور وهي قوله تعالى:

﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ ما ظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبائِهِنَّ أَوْ آباءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنائِهِنَّ أَوْ أَبْناءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَواتِهِنَّ أَوْ نِسائِهِنَّ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُنَّ أَوِ التّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلىٰ عَوْراتِ النِّساءِ وَلا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ ما يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعاً أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

الغريزة الجنسيّة

تعد الغريزة الجنسيّة من أقوى الغرائز في الانسان وفي طليعة مصادر اللذة في الحياة، وتدفع هذه الغريزة القويّة الجنسين معاً إلى بعضهما البعض فيحدث الانجذاب بينهما واقامة علاقة عاطفيّة جنسيّة ومن أجل ذلك كانت العلاقة الجنسيّة محور بحث ودراسة وجدل في الأوساط الدينيّة والعلميّة وانقسم الناس بشأنها إلى فريقين متضادين بين افراط وتفريط ووقف فريق ثالث في منطقة الوسط فكان يمثل حالة اعتدال وتوازن.

النظرية الافراطيّة

ويتزعمها عالم النفس المعروف فرويد ومن تابعه في مذهبه الذي يجعل من الغريزة الجنسيّة كلّ شيء في تفسير سلوك الانسان ومعالجة أمراضه النفسيّة.

فالغريزة الجنسيّة هي المرتكز الأساسي والأصل في سلوك الانسان من

الطفولة وإلى آخر مرحلة في حياته فحتى الأطفال الرضع وهم يلتقمون أثداء أمّهاتهم إنّما يدفعهم في الواقع الشعور باللذّة الجنسيّة وإن كبت هذه الغريزة هو السبب في اصابة الانسان وتعرّضه إلى مختلف الأمراض النفسيّة.

وقد تعرّضت نظريّة فرويد وآرائه إلى انتقادات شديدة جدّاً إذ أهمل تماماً كلّ العوامل الاجتماعيّة والاقتصاديّة التي تضغط على الانسان وتعرضه إلى خطر الاصابة بمختلف الأمراض والعقد النفسيّة، اذ من المستحيل مثلاً ان العامل الذي يطرد من عمله ويصبح عاطلاً عن العمل ويتعرض إلى ضغط الفقر والجوع مع اسرته وأطفاله فيصاب جرّاء ذلك بمرض نفسي ما أنْ يكون مرضه ناشئاً عن عوامل جنسيّة ومن المستحيل ان تشفيه وصفه فرويديّة لاشباع غريزته الجنسيّة[1].

الكنيسة والعلاقة الجنسيّة (النظريّة التفريطيّة)

ينظر أتباع الكنيسة وأتباع بعض الأديان وكذلك بعض الفلاسفة وعلماء الأخلاق إلى العلاقة الجنسيّة بين الرجل والمرأة على انها علاقة حيوانيّة منحطّة، ولهذا فان التدين في المعيار الكنسي يعني كبت هذه الغريزة وكبح جماحها وقد قال أحد (الأتقياء): اقطعوا شجرة الزواج بفأس العزوبيّة.

ومن أجل هذا نرى ان بولس الرسول وهو من أعمدة الكنيسة لم يتزوّج ولم يرتبط مع امرأة بعلاقة زوجيّة وكان يشجّع الرجال والنساء على الرهبنة والتبتل وعدم الزواج.

---

(١) أفكار فرويد: ص ٣٥ و ٧٠.

وقد جاء في رسالته الأولىٰ مخاطباً القرنتينيين: وأما حول ما كتبتم به إليّ فهو ان الرجل التقي فهو الذي لم يلمس امرأة، ومن أجل اجتناب الزنا فلكلّ رجل امرأته ولكلّ امرأة زوجها وأن يؤدي الزوج حق زوجته والزوجة حق زوجها إلى أن يقول متمنياً أن يكون كلّ الرجال مثله ويحذون حذوه، ولكن لكلّ رجل موهبته الخاصّة به من الله فهذا كذا وذاك كذا ثمّ يخاطب العزاب والعازبات ويشجّعهم علىٰ أن يكونوا مثله، فان لم يستطيعوا ضبط أنفسهم فليتزوّجوا، فالزواج أفضل من نار جهنم[١].

موقف الاسلام (نظرية الاعتدال)

أمّا المدرسة الاسلاميّة فانّها تنتهج الطريق الوسط بين الافراط والتفريط وتستنكرهما معاً فهذا الامام علي بن أبي طالب عليه السلام يعتبرها نتاج الجهل:

«لا يرى الجاهل إلّا مفرطاً أو مفرّطاً»[٢].

وان الله سبحانه وتعالى يبارك الاعتدال كما انه ينسجم مع الطبيعة البشريّة والتكوين الانساني وقوانين الخلق.

إذ ليس من الصحيح ترك العنان للغريزة الجنسيّة دون ضابط ينظمها ويضعها على الطريق الصحيح وكذلك من الخطأ الفادح كبت هذه الغريزة القويّة بل ينبغي الاعتراف بها ووضعها في الاطار الطبيعي ضمن قانون أخلاقي واجتماعي ينظّمها بما يحقّق مصلحة الفرد والمجتمع ويؤمن لهما الاشباع على النحو الصائب والصحيح.

---

(١) العلاقة الزوجيّة والأخلاق: ص٤٦ ـ ٥٠.

(٢) شرح غرر الحكم: ج٦، ص٣٨٩.

وهذا هو منهج الأنبياء والرسل فهم قد جاءوا من الله عزّوجلّ بالشريعة الربّانيّة التي تدعو الناس جميعاً إلى الزواج وفي نفس الوقت تحذر من الفوضى الجنسيّة والعلاقات بين الرجل والمرأة خارج اطار الزواج.

الاسلام والعلاقة الزوجيّة

قال الله عزّوجلّ في محكم كتابه:

﴿وَالَّذينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حافِظُونَ (٥) إلاَّ عَلىٰ أَزْواجِهِمْ أَوْ ما مَلَكَتْ أَيْمانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومينَ (٦) فَمَنِ ابْتَغىٰ وَراءَ ذٰلِكَ فَأُولٰئِكَ هُمُ العادُونَ (٧)﴾[١].

والغريزة الجنسيّة أكثر هياجاً بين الغرائز البشريّة ومن أجل هذا حثت الشريعة الاسلاميّة المسلمين وحضتهم على الزواج وحذّرتهم من اقامة أي شكل من أشكال العلاقات الجنسيّة غير المشروعة خارج مؤسّسة الزواج الدائم أو الزواج المؤقت.

وقد أشار رسول الله ﷺ إلى انّ الزواج أمر فطري ومن شأنه أن يكون كمالاً للانسان.

«من أحبّ فطرتي فليستنّ بسنّتي ومن سنّتي النكاح»[٢].

الزواج يعصم الانسان عن الذنب

«يا مَعْشَرَ الشَّبابِ مَنِ اسْتَطاعَ مِنْكُمُ الْباهَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَلْيَصُمْ فَإِنَّ الصَّوْمَ لَهُ وِجاءٌ»[٣].

---

(١) سورة المؤمنون: الآيات ٥ ـ ٧.

(٢) مكارم الأخلاق: ص١٩٦.

(٣) مستدرك الوسائل: ص ٥٣١.

وهكذا فانّ الذي لا يستطيع الزواج فان عليه أن يلجأ للصوم لما له من الأثر في كبح جماح الثورة الجنسيّة.

الزواج وصرح الحياة

يدعو الاسلام الناس إلى الزواج ويعد الزواج وتشكيل الاسرة أجمل بناء إنساني وما أجمل البيت الدافئ المفعم بالعاطفة الانسانيّة والحب بين الرجل والمرأة في ظلال الزواج.

«مَا بُنِيَ فِي الْإِسْلامِ بِنَاءٌ أَحَبُّ إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَأَعَزُّ مِنَ التَّزْوِيجِ»(١).

ومن هنا ينبغي الأسراع والمبادرة إلى بناء هذا الصرح الانساني وقد ورد في الروايات عن الامام الصادق عليه السلام انّ رسول الله صلى الله عليه وآله صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ جَبْرَئِيلَ أَتَانِي عَنِ اللَّطِيفِ الْخَبِيرِ فَقَالَ: إِنَّ الْأَبْكَارَ بِمَنْزِلَةِ الثَّمَرِ عَلَى الشَّجَرِ إِذَا أَدْرَكَ ثَمَرُهُ فَلَمْ يُجْتَنَى أَفْسَدَتْهُ الشَّمْسُ وَنَثَرَتْهُ الرِّيَاحُ وَكَذَلِكَ الْأَبْكَارُ إِذَا أَدْرَكْنَ مَا يُدْرِكُ النِّسَاءُ فَلَيْسَ لَهُنَّ دَوَاءٌ إِلَّا الْبُعُولَةُ وَإِلَّا لَمْ يُؤْمَنْ عَلَيْهِنَّ الْفَسَادُ لِأَنَّهُنَّ بَشَرٌ»(٢).

الزواج ستر

حثّ القرآن الكريم الرجل والمرأة على الزواج لأنّه ستر لهما ولباس فالمرأة تستر الرجل والرجل يستر المرأة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) فروع الكافي: ج ٥، ص ٣٣٧.

﴿ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ ﴾[١].

انّ الملابس تستر سوءات الانسان وعورته وعيوبه ويحفظه من الحرّ والبرد؛ وكذلك الزواج فهو يحفظ للانسان طهره ونقاءه.

يقول النبي الاكرم ﷺ:

«مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَلْقَى اللهَ طَاهِراً مُطَهَّراً فَلْيَتَعَفَّفْ بِزَوْجَةٍ»[٢].

ذمّ النبي ﷺ من يترك الزواج ويعرض عنه

ومن أجل أن يصون الانسان المسلم نفسه من الاثم والذنب فانّ الشريعة حثّت بقوّة المتمكّن من الزواج أن يبادر إلى ذلك وقد جاء في السيرة الشريفة انّ رجلاً يدعىٰ «عكّاف» دخل على النبي فسأله ﷺ: ألك زوجة؟

فقال عكّاف: لا يا رسول الله!

فقال ﷺ: ألك جارية؟

قال: لا يا رسول الله.

قال ﷺ: وأنت صحيح موسر.

قال: نعم.

فقال ﷺ: **«ويحك يا عكّاف، تزوّج تزوّج فانّك من الخاطئين، تزوّج وإلّا فانت من المذنبين، تزوّج وإلّا فأنت من رُهبان النصارى، تزوّج وإلّا فأنت من إخوان الشياطين»**[٣].

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٥٣٠.

(٣) المصدر السابق.

وجاء في سيرة أهل البيت عليهم السلام :

«**إِنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام فَقَالَتْ: أَصْلَحَكَ اللهُ إِنِّي مُتَبَتِّلَةٌ، فَقَالَ لَهَا: وَمَا التَّبَتُّلُ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: لا أُرِيدُ التَّزْوِيجَ أَبَداً، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَتْ: أَلْتَمِسُ فِي ذَلِكَ الْفَضْلَ فَقَالَ انْصَرِفِي فَلَوْ كَانَ فِي ذَلِكَ فَضْلٌ لَكَانَتْ فَاطِمَةُ عليها السلام أَحَقَّ بِهِ مِنْكِ إِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يَسْبِقُهَا إِلَى الْفَضْلِ**».

ومن هذين الحديثين ندرك انّ أولياء الله سبحانه كانوا ينهون بشدّة عن العزوبيّة وكانوا يحثّون المؤمنين رجالاً ونساءً على الزواج وتشكيل الاسرة وذلك من أجل تبقى نفوسهم طاهرة ومن أجل أن يصونوا أنفسهم من الآثام والذنوب.

موقف الاسلام من اعتزال النساء

قرّر بعض صحابة النبي صلى الله عليه وآله ومن أجل تزكية نفوسهم والسمو بأرواحهم اعتزال نسائهم وحرّموا على أنفسهم الافطار في النهار والنوم في الليل فانصرفوا إلى العبادة، وكانت السيّدة أمّ سلمة قد عرفت ذلك فاطلعت رسول الله صلى الله عليه وآله وأخبرته بعزم هؤلاء الصحابة فما كان من النبي صلى الله عليه وآله إلّا ان بادر إليهم.

«**أترغبون عن النساء إنّي آتي النساء وآكل بالنهار وأنام بالليل فمن رغب عن سنّتي فليس منّي**»(١).

وفي هذا الحديث تصريح واضح في ان اعتزال النساء والاعراض عن العلاقات الجنسيّة يتنافى مع سنّة الرسول صلى الله عليه وآله، بل انّ هذا الطريق في السمو الروحي محفوف بالاخطار وقد لا يحقّق الهدف المنشود.

---

(١) وسائل الشيعة: ج ١٤، ص٨.

الزنا من كبائر الذنوب

الذين يمتنعون عن الزواج وتكوين الأُسرة يواجهون خطر الوقوع في الحرام بسبب ضغط الغريزة الجنسيّة، لأنّ اقامة أيّة علاقة جنسيّة غير مشروعة أو ارتكاب عمل الزنا هو من الكبائر وقد حذّر القرآن الكريم بشدّة من الزنا في قوله تعالى:

﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾[1].

وفيما يلي اشارة إلى ثلاث نقاط:

الف ـ انّ الآية لم تقل لا تزنوا وإنّما قالت لا تقتربوا من هذا العمل المخجل ويتضمّن النص ـ واضافة إلى النهي عن ارتكاب هذا العمل ـ اشارة إلى عدم الاقتراب من مقدّمات الزنا ذلك انّ لهذا العمل ولا شكّ مقدّمات تمهد للوقوع في هذا الذنب الكبير، فاطالة النظر بقصد الشهوة والتلذّذ يضعف الارادة في النهاية ويدفع بالانسان إلى الاعراض عن صوت العقل والاصغاء إلى عربدة الغريزة الحيوانيّة؛ وكذا فانّ الكشف عن مفاتن الجسد يشدّد من الاغراء والانقياد لصوت الغريزة، وكذلك مشاهدة الأفلام الاباحيّة أو قراءة القصص التي تتضمّن أيضاً مشاهد اباحية تثير الخيال وتغذي نزعات الارضاء الجنسي بأي ثمن.

وأيضاً الاختلاء مع امرأة ليست بمحرم وقد جاء في الأثر:

ما اختلى رجل وامرأة أجنبيّة إلّا كان الشيطان ثالثهما.

ب ـ تشتمل جملة «انه كان فاحشة على ثلاثة تأكيدات (إنّ والاستفادة من الفعل الماضي وفاحشة) الأمر الذي يجعله في غاية الوضوح.

---

(١) سورة الإسراء: ٣٢.

ج ـ ان جملة «ساء سبيلاً» تعبر عن هذه الحقيقة وهي ان هذا العمل يفضي إلى مفاسد أُخرى ويجرّ الويلات على المجتمع.

فلسفة تحريم الزنا

١ ـ انتشار الفوضى ما يهدّد البناء الأسري ويقضي على العلاقة بين الآباء والأبناء والتي لا ينحصر أثرها في معرفة الانساب وإنّما يدمّر حالة الالتزام في حماية الآباء للأبناء وتنشئتهم نشأة صالحة، بل انّ الاسرة ضمان أكيد على استمرار العلاقات العائليّة الى نهاية العمر.

والتأمّل قليلاً في عواقب اباحة الزنا وزوال الزواج يقود إلى نتائج مرعبة حيث يولد الأبناء من دون هويّة ودون حماية ورعاية واحضان دافئة، وفي غياب الحنان ينشأ جيل يعاني من الأمراض النفسيّة والعقد وينتشر جرّاء ذلك العنف وتصبح الجريمة جزءً من ثقافة المجتمع بل انّ الحياة الانسانيّة تستحيل الى غابة تضج بالذئاب والكلاب والخنازير والضباع أي تتحوّل الحياة الانسانيّة إلى حياة حيوانيّة بهيميّة.

٢ ـ انّ هذا العمل القذر يتسبّب في تصدّعات اجتماعيّة ونزاعات وهذه القصص المثيرة من القتل والجريمة التي تكثر في مناطق ومراكز الدعارة تفوق ما يتصوّره الانسان عن الانحطاط الأخلاقي المخيف وتحول الانسان إلى حيوان.

٣ ـ إنّ الدراسات العلميّة كشفت عن خطورة الأمراض التي تنتشر في المجتمع جرّاء الزنا وهي أمراض عضال كالسيلان والسفلس وغير ذلك من الأمراض الزهرية.

٤ ـ انّ انتشار الزنا يؤدّي إلى ازدياد في عمليّات اجهاض الأجنّة واجهاض الجنين هو نوع من جرائم القتل التي قد تودي بحياة المرأة الحامل أيضاً.

٥ ـ ينبغي أن نلتفت إلى ان الهدف من الزواج ليس اشباع الغريزة الجنسيّة فقط بل الارتواء العاطفي وتلك العلاقة النبيلة التي تربط بين قلبين وبين انسانين يعيشان تحت سقف واحد يأنس أحدهما بالآخر ويجد كلّ منهما الدفئ والحنان لدى الآخر، ثمّ تزداد الحياة جمالاً وبهجة بولادة الأبناء واذا بضحكات الطفولة البريئة تملأ سماء الحياة الاسريّة العائليّة سعادة وتزيدها القاً وجمالاً ان كل ما أشرنا إليه لا يتحقّق للرجل والمرأة إلّا في ظلال الحياة الزوجيّة.

ارقام مثيرة

جاء في الموسوعة البريطانيّة الجزء ٢٣ الصفحة ٤٥ انه وفقاً للدراسات التي اجريت في الولايات المتّحدة الامريكيّة ان ٩٠٪ من السكّان يعانون بشكل وآخر من الأمراض الجنسيّة ويتلقىٰ ٣٦٠٠٠٠ العلاج في المستشفيات الحكوميّة.

ومن مجموع المستشفيات الامريكيّة تختصّ ٦٥٠ مستشفى بالأمراض الزهرية فقط إلى جانب نصف مليون شخص يراجعون أطبّاء وعيادات خاصّة للعلاج.

وجاء في كتاب «القوانين الجنسيّة» ص ٣٠٤ ان أربعين ألف طفل يموتون بسبب الأمراض الجنسيّة الوراثيّة وهي نسبة تفوق الوفيات بسبب أمراض أخرى ما عدا مرض السل.

وجاء في جريدة «اطلاعات» العدد (١٠٤١٤) انه ولد سنة ١٩٥٧ وحدها ٢٠١٧٧ طفل من دون زواج وبلغ عدد الامهات اللاتي حملن دون زواج ٢٤٠٠٠ امرأة سن الغالبيّة منهنّ أقل من ١٨ سنة.

وفي العاصمة الفرنسيّة باريس بلغ عدد الأطفال غير الشرعيّين ٤١٤٥ طفل من بين ٤٣٥١٥ طفل وفي السويد ولد ١٧٠٠٠ طفل خارج مؤسّسة الزواج.

ونشرت «كيهان» في العدد (٥٣٥٦) جانباً من مقال للدكتور والطبيب الانجليزي «مونتر» والذي يملك عيادة في جنوب العاصمة جاء فيه ان عدد عمليات اجهاض الجنين بلغ خمسين ألف عمليّة وانه من بين عشرين طفل يولدون ثمّة طفل غير شرعي[1].

الآثار الدنيويّة والاخرويّة للزنا

أشرنا إلى فلسفة التحريم وإلى الآثار التي تترتّب على هذا العمل القبيح وكذا بعض الأرقام والاحصاءات في دول الغرب وفي هذا الفصل نشير إلى بعض الروايات التي تتحدّث عن آثار الزنا في الدنيا والآخرة وما ينتظر الزناة من نتائج في الدنيا وعذاب في الآخرة.

يروي الامام علي عليه السلام انه سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:

«في الزنا ستّ خصال: ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فأمّا اللواتي في الدنيا فيذهب بنور الوجه ويقطع الرزق ويسرع الفناء وأمّا اللواتي في الآخرة فغضب الرب وسوء الحساب والدخول في النار أو الخلود في النار»[2].

---

(١) كبائر الذنوب: ج١، ص١٩٤.

(٢) تفسير مجمع البيان: ج٦، ص٤١٤.

الزنا وما يجرّه من الدمار

قال رسول الله ﷺ: «**الزنا يورث الفقر ويدع الديار بلا قع**»[١].

كما انّ الزنا يسهم في انتشار حالات الموت المفاجئ.

عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**وجدنا في كتاب علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: اذا كثر الزنا من بعدي كثر موت الفجأة**»[٢].

عذاب البرزخ

جاء في رواية:

«**مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ بِإِسْنَادِهِ عَنْ شُعَيْبِ بْنِ وَاقِدٍ، عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ زَيْدٍ، عَنِ الصَّادِقِ، عَنْ آبَائِهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي حَدِيثِ الْمَنَاهِي قَالَ: أَلا وَمَنْ زَنَى بِامْرَأَةٍ مُسْلِمَةٍ أَوْ يَهُودِيَّةٍ أَوْ نَصْرَانِيَّةٍ أَوْ مَجُوسِيَّةٍ حُرَّةٍ أَوْ أَمَةٍ ثُمَّ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ وَمَاتَ مُصِرّاً عَلَيْهِ فَتَحَ اللهُ تَعَالَى لَهُ فِي قَبْرِهِ ثَلاثَمِائَةِ بَابٍ يَخْرُجُ مِنْهَا حَيَّاتٌ وَعَقَارِبُ وَثُعْبَانٌ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَحْتَرِقُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَإِذَا بُعِثَ مِنْ قَبْرِهِ تَأَذَّى النَّاسُ مِنْ نَتْنِ رِيحِهِ فَيُعْرَفُ بِذَلِكَ وَبِمَا كَانَ يَعْمَلُ فِي دَارِ الدُّنْيَا حَتَّى يُؤْمَرَ بِهِ إِلَى النَّارِ**»[٣].

أجل هذا ما ينتظر الزناة من مصير في يوم القيامة.

ذكر الموت علاج

يشير الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام إلى ان في ذكر الموت علاج بعد

---

(١) وسائل الشيعة: ص١٨٧.

(٢) المصدر السابق: ص٢٣١.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٤٢.

غض البصر عن الحرام: «**وكثرة ذكر الموت**» الذي يكبح من جماح الغريزة الجنسيّة وبالتالي يمكن للانسان ضبط نفسه عن التورّط في ارتكاب هذا العمل الشائن، ومن المفيد أن نتوقّف عن ذكر الموت.

جاء في سورة ق قوله تعالى:

﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾[1].

والـ«سَكر» على وزن مكر وهي في الأصل سدّ مجرى الماء و«سِكر» على وزن فكر تعني المحل المسدود ولذا يستفاد من هذه الكلمة في اطلاقها على السكران لأنه ثمّة ما يحول أو يسدّ بين الانسان وعقله ويطلق على هذه الحالة كلمة «شكر» على وزن شكر.

وسكرة الموت حالة شبيهة بالسكر أثر اقتراب لحظات الموت حيث تجتاح الانسان حالة من الهيجان والتغيّر الهائل تكتنف العقل وتبعث الاضطراب في كيان الانسان والسبب في ذلك انّ الموت مرحلة انتقاليّة، يشهد فيها الانسان انقطاع كلّ علاقاته بعالم الحياة الدنيا الذي عاش فيه سنيناً طويلة ليضع قدميه ويخطو أولى خطواته في عالم جديد مجهول فيشعر بالوحشة جرّاء ذلك وتستغرقه حالة من الاضطراب الشديد تشبه السكر.

ماهية الموت

جاء في حديث للامام علي بن الحسين زين العابدين بعد ما سئل: ما الموت؟ فقال عليه السلام:

---

(١) سورة ق: الآية ١٩.

«لِلْمُؤْمِنِ كَنَزْعِ ثِيَابٍ وَسِخَةٍ قَمِلَةٍ وَفَكِّ قُيُودٍ وَأَغْلَالٍ ثَقِيلَةٍ وَ الإِسْتِبْدَالِ بِأَفْخَرِ الثِّيَابِ وَأَطْيَبِهَا رَوَائِحَ وَأَوْطَإِ الْمَرَاكِبِ وَآنَسِ الْمَنَازِلِ وَلِلْكَافِرِ كَخَلْعِ ثِيَابٍ فَاخِرَةٍ وَالنَّقْلِ عَنْ مَنَازِلَ أَنِيسَةٍ وَالإِسْتِبْدَالِ بِأَوْسَخِ الثِّيَابِ وَأَخْشَنِهَا وَأَوْحَشِ الْمَنَازِلِ وَأَعْظَمِ الْعَذَابِ»[١].

وللامام الحسين الشهيد كلمة قبل استشهاده في كربلاء وكان يتحدّث إلى أصحابه الكرام.

تفسير الامام الحسين عليه السلام للموت

«صَبْراً بَنِي الْكِرَامِ فَمَا الْمَوْتُ إِلَّا قَنْطَرَةٌ يَعْبُرُ بِكُمْ عَنِ الْبُؤْسِ وَالضَّرَّاءِ إِلَى الْجِنَانِ الْوَاسِعَةِ وَالنَّعِيمِ الدَّائِمَةِ فَأَيُّكُمْ يَكْرَهُ أَنْ يَنْتَقِلَ مِنْ سِجْنٍ إِلَى قَصْرٍ وَمَا هُوَ لِأَعْدَائِكُمْ إِلَّا كَمَنْ يَنْتَقِلُ مِنْ قَصْرٍ إِلَى سِجْنٍ وَعَذَابٍ إِنَّ أَبِي حَدَّثَنِي عَنْ رَسُولِ الله ٩ أَنَّ الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ وَ جَنَّةُ الْكَافِرِ وَ الْمَوْتُ جِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جِنَانِهِمْ وَجِسْرُ هَؤُلَاءِ إِلَى جَحِيمِهِم»[٢].

كيفيّة الموت لدى الامام الصادق عليه السلام

«قيل للصادق عليه السلام صِفْ لَنَا الْمَوْتَ قَالَ: لِلْمُؤْمِنِ كَأَطْيَبِ رِيحٍ يَشَمُّهُ فَيَنْعَسُ لِطِيبِهِ وَيَنْقَطِعُ التَّعَبُ وَالْأَلَمُ كُلُّهُ عَنْهُ وَلِلْكَافِرِ كَلَسْعِ الْأَفَاعِيِّ وَلَدْغِ الْعَقَارِبِ أَوْ أَشَدَّ»[٣].

هكذا الموت في ثقافة أهل البيت عليهم السلام نوم هادئ بعد استنشاق نسائم طيبة مفعمة بالشذى هذا للانسان المؤمن أما للكافر فهو كلدغ الأفاعي والحيات ولسع

---

(١) كفاية الموحّدين : ج٣، ص٢٠٣.

(٢) معاني الأخبار : ج٢، ص١٩٦.

(٣) كفاية الموحدين : ج٣، ص٢٠٣.

العقارب والحشرات ومع ذلك فان الموت يبقى جزءً من عالم المجهول الذي لا يمكن للانسان أن يعرف عمّا يكمن من أسرار وراء هـذا الجـدار يـقول الامـام علي عليه السلام:

«فَإِنَّكُمْ لَوْ قَدْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ وَلَكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ الْحِجَابُ»(١).

حقيقة الموت

انّ التصوّر الغالب عن الموت هو انه أمر عدمي والذي يعني الفناء الا ان هذا التصوّر لا ينسجم أبداً مع ما يرد في القرآن من آيات وكذلك مع الدلائل العقليّة.

ان الموت من وجهة نظر قرآنيّة هو أمر وجودي وهو في الحقيقة عمليّة انتقال وعبور من عالم إلى عالم آخر؛ ولذا فانّ التعبير السائد عن الموت في القرآن هو التوفّي ويعني استيفاء وقبض الروح وفصلها عن الجسد بواسطة المـلك المـوكّل بهذه المهمّة الانتقاليّة.

وورد في بعض الروايات ان ابن آدم يستوحش في ثلاثة أيّام؛ يوم ولادته وولوجه إلى عالم لا يعرف عنه شيئاً ويوم موته ووفاته وولوجه ومشاهدته عالم ما بعد الموت، ويوم دخوله عالم المحشر فهو يرى أحكاماً لم يرها من قبل(٢).

وقد قال سبحانه عن هذه الأيّام في شأن يحيى النبي صلى الله عليه وآله:

﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(٣).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص٣٢٧.

(٣) سورة مريم: الآية ١٥.

وجاء أيضاً في القرآن على لسان السيّد المسيح عيسى بن مريم عليه السلام:

﴿وَالسَّلامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(١).

وقال الامام الصادق عليه السلام عن ذكر الموت:

«ذكر الموت يميت الشهوات»(٢).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«اذكروا هادم اللذّات، فقيل: وما هو يا رسول الله؟ فقال: الموت»(٣)

ومن أجل هذا أشار الامام زين العابدين إلى أهميّة ذكر الموت في كبح جماح الغرائز التي تعربد وتضغط على الانسان وتدفعه نحو ارتكاب الموبقات.

ان تذكر الموت وعالم ما بعد الموت وما ينتظر الانسان من حساب وجزاء يهذّب تصرّفات الانسان وسلوكه ويحدّ من اندفاعه نحو أشباع غرائزه.

وقد جاء في القرآن الكريم في قصّة سيّدنا يوسف عليه السلام:

﴿وَإِلاَّ تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾(٤).

﴿وَمٰا أُبَرِّئُ نَفْسي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمّٰارَةٌ بِالسُّوءِ إِلاّٰ مٰا رَحِمَ رَبِّي﴾(٥).

حدّ الزنا في الرؤية الفقهيّة

سنّت الشريعة الاسلاميّة ومن أجل مكافحة ظاهرة الزنا التي تفتك في

---

(١) سورة مريم: الآية ٣٣.

(٢) مجموعة ورّام: ص٢٦٨.

(٣) المصدر السابق.

(٤) سورة يوسف: الآية ٣٣.

(٥) سورة يوسف: الآية ٥٣.

المجتمعات الانسانيّة قوانين وحدوداً تصون المجتمع في حال اجرائها من ظاهرة الزنا وما ينجم عنها من آثار مدمّرة وويلات تعرض الأمن الاجتماعي والأخلاقي في المجتمع للخطر.

وقد أشار القرآن الكريم في سورة النور إلى الحكم الفقهي للزنا وذلك في سورة النور:

﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّاني فَاجْلِدُوا كُلَّ واحِدٍ مِنْهُما مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُمْ بِهِما رَأْفَةٌ في دينِ اللهِ إنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذابَهُما طائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنينَ ﴾[1].

وتشتمل الآية أعلاه على ثلاثة أوامر:

١ ـ الحكم الجزائي للنساء والرجال الذين يقترفون هذا العمل المنكر والشائن والمراد من الزنا اقامة العلاقة الجنسيّة بين الرجل والمرأة خارج الاطار الشرعي.

٢ ـ التأكيد على الجانب الموضوعي العقلي بعيداً عن أي شكل من اشكال العاطفة لأنّ الرأفة في هكذا أُمور تؤتي نتائج عكسيّة وتعرقل من مهمّة مكافحة هذه الظاهرة السلبيّة ان الله سبحانه هو خالق الانسان وهو وحده الذي يعرف طبيعة عبادة ويعرف ما يردعهم عن ارتكاب الموبقات.

وقد جاء في الحديث النبوي الشريف في هذا المضمار:

«يُؤْتَى بِوالٍ نَقَصَ مِنَ الْحَدِّ سَوْطاً فَيَقُولُ رَبِّ رَحْمَةً لِعِبادِكَ فَيُقالُ لَهُ أَنْتَ أَرْحَمُ بِهِمْ مِنّي فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النّارِ وَيُؤْتَى بِمَنْ زادَ سَوْطاً فَيَقُولُ لِيَنْتَهُوا عَنْ مَعاصِيكَ فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النّارِ»[2].

---

(١) سورة النور: الآية ٢.

(٢) تفسير الفخر الرازي: ج٢٣، ص١٤٨.

أوّلاً: البلوغ، يعني ثبوت بلوغ المرأة والرجل ولذا فان الأطفال الذين لم يبلغوا سنّ الرشد لا تنفذ بهم هذه العقوبة.

ثانياً: الحريّة أي ان الفاعل قام بهذا الفعل بارادته وحريّته واختياره ولم يقسره أو يجبره أو يكرهه أو يضطره أحد غيره وان ثبت أحد هذه الموارد يتم ايقاف تنفيذ الحكم.

ثالثاً: العقل أي انّ الزاني قام بهذا الفعل عن وعي وفي كامل قواه العقليّة، فاذا كان مجنوناً أو معتوهاً فلا تنفذ فيه عقوبة الجرم(١).

ويضيف الامام الخميني إلى ذلك شرطاً رابعاً في قوله:

«والعلم بالتحريم حال وقوع الفعل منه اجتهاداً أو تقليداً، فلا حدّ على الجاهل بالتحريم»(٢).

ويستثنى من الحكم أعلاه (الجلد مئة سوط) المحصن الزاني والمحصنة أي من له زوجة ومن لها زوج اذ ترتفع العقوبة الى الاعدام، وهو أمر قابل للادراك لأنّهما لم يكونا مضطرين للقيام بهذا الفعل الشائن إذ كلاهما يمكنه اقامة علاقة جنسيّة مشروعة كما يستثنى من عقوبة الجلد أيضاً من يرتكب فعل الزنا مع أحد المحارم اذ عقوبة هذا الجرم هي الاعدام كذلك كما تشمل عقوبة الاعدام جريمة الاغتصاب الجنسي وهي ارتكاب فعل الزنا بالقوّة والعنف.

---

(١) مباني تكملة المنهاج.

(٢) تحرير الوسيلة: ج٢، ص٤٥٦.

اصول وشروط تنفيذ الحكم

١ ـ لا تثبت جريمة الزنا إلّا بأربعة شهود عدول أو ثلاثة مع امرأتين أو رجلين عدلين وأربع نسوة عادلات ويشهد الجميع على وقوع فعل الزنا.

٢ ـ يجب تطابق جميع الشهادات في خصوص مكان وقوع فعل الزنا.

٣ ـ يجب تطابق جميع الشهادات في خصوص زمان وقوع فعل الزنا.

٤ ـ يجب حضور الشهود جميعاً في وقت واحد لأداء شهادتهم.

٥ ـ اذا كانت افادات الشهود الأربعة حول أربعة أشخاص فلا تعد الشهادة حول وقوع الجرم كافية.

٦ ـ اذا شهد أربعة شهود عدول على وقوع فعل الزنا من دون معرفة هوية المرأة فان شهاداتهم مرفوضة.

٧ ـ اذا تقدم ثلاثة شهود وأجمعوا على وقوع فعل الزنا وامتنع الشاهد الرابع أو خالفهم فانّ الشهود الثلاثة يدانون بجريمة القذف وتنفذ فيهم عقوبة القذف[١].

---

(١) مباني تكملة المنهاج وشرح اللمعة وتحرير الوسيلة.

حقوق الأفعال العباديّة

المادّة العاشرة: حقّ الصلاة

«فَأَمَّا حَقُّ الصَّلاةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا وِفَادَةٌ إِلَى اللهِ وَأَنَّكَ قَائِمٌ بِهَا بَيْنَ يَدَيِ اللهِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَقُومَ فِيهَا مَقَامَ الْعَبْدِ الذَّلِيلِ الرَّاغِبِ الرَّاهِبِ الْخَائِفِ الرَّاجِي الْمِسْكِينِ الْمُتَضَرِّعِ الْمُعَظِّمِ مَنْ قَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِالسُّكُونِ وَالْإِطْرَاقِ وَخُشُوعِ الْأَطْرَافِ وَلِينِ الْجَنَاحِ وَحُسْنِ الْمُنَاجَاةِ لَهُ فِي نَفْسِهِ وَالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

يصوّر الامام زين العابدين في بيان رائع مشهداً أخاذاً عن الصلاة وحيث يقف الانسان بين يدي الرب تبارك وتعالى؛ انها علاقة الانسان بخالقه والعبد مع المعبود جلّ وعلا وحينئذٍ تكون الصلاة منطلقاً ورحلة إلى عالم الملكوت وتحرّراً من عالم المادّة، وفي هذه الرحلة الروحيّة يقطع صلاته التي تشدّه إلى الدنيا مستغرقاً في صلاته مستأنساً بمناجاة الرب عزّوجلّ.

انّ الصلاة رحلة من عالم الظلمات إلى عالم النور وفي هكذا رحلة ينبغي للانسان أن يعي مستلزماتها وخصائصها لكي يؤدّي حقّها كما يجب.

الصلاة أعظم العبادات

أفرد الدين الاسلامي الحنيف في برامجه العباديّة للصلاة مكانة خاصّة حيث جعلها في رأس العبادات فالصلاة أعظم عبادة يؤدّيها المسلم المؤمن وقد شدّد الاسلام على الصلاة وأكّد على أدائها؛ وما أن يبلغ الصبي والبنت سنّ البلوغ حتّى يصبحا محلاًّ للتكليف ويتوجب عليهما أداء الصلوات الخمس في أوقاتها فاذا تعذّر على المكلّف أداء الفريضة في وقتها وجب عليه القضاء وتبقى ديناً في عنقه حتّى يؤدّيها.

وقد بينت الشريعة أوقات الصلاة خلال اليوم والليلة وجعل من واجبات المصلّي معرفة مواقيت الصلاة.

مواقيت الصلاة في القرآن الكريم

أشار القرآن الكريم إلى مواقيت الصلاة من قبيل ما ورد في سورة هود:

﴿وَأَقِمِ الصَّلاٰةَ طَرَفَيِ النَّهٰارِ وَزُلَفاً مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنٰاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئٰاتِ ذٰلِكَ ذِكْرىٰ لِلذّٰاكِرِينَ﴾(١).

ويحتمل جدّاً انّ المراد من «طرفي النهار» صلاة الفجر وصلاة المغرب حيث الصبح والغروب هما طرفا النهار وأما «زلفاً من الليل» زُلف جمع زلفة بمعنى القرب أي في الشطر الأوّل من الليل وهو الشطر الأقرب من النهار ويصدق هذا الوقت على صلاة العشاء وينسجم هذا التفسير مع مفاد الروايات عن أهل

---

(١) سورة هود: الآية ١١٤.

البيت عليهم السلام حيث الآية أعلاه تشير إلىٰ صلاة الصبح وصلاتي المغرب والعشاء وكذا ما ورد في سورة الاسراء: ﴿أَقِمِ الصَّلاٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كٰانَ مَشْهُوداً﴾(١).

يعني أقم الصلاة وقت زوال الشمس في اشارة إلى صلاتي الظهر والعصر وحتّى بدء الليل في اشارة إلى صلاتي المغرب والعشاء ثمّ قرآن الفجر أي صلاة الفجر التي تشهدها الملائكة وأيضاً ما ورد في سورة البقرة:

﴿حٰافِظُوا عَلَى الصَّلَوٰاتِ وَالصَّلاٰةِ الْوُسْطىٰ وَقُومُوا لِلّٰهِ قٰانِتِينَ﴾(٢).

وهنا الاشارة إلى صلاتي الظهر والعصر.

الآية الأكثر أملاً في القرآن الكريم

يورد صاحب تفسير مجمع البيان رواية عن الامام علي عليه السلام في سياق كلامه حول تفسير الآية ١١٤ من سورة هود التي مرّ ذكرها وفيها ان أميرالمؤمنين سأل أصحابه عن الآية الأكثر رجاءً في القرآن الكريم فقال بعضهم:

﴿إِنَّ اللّٰهَ لاٰ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مٰا دُونَ ذٰلِكَ لِمَنْ يَشٰاءُ﴾(٣).

فقال الامام نعم ولكن ليست الآية اريد فقيل قوله تعالى:

﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللّٰهَ يَجِدِ اللّٰهَ غَفُوراً رَحِيماً﴾(٤).

ومرّة أُخرى قال الامام انّها ليست التي أُريد فقرأ بعضهم:

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٣٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٤٨.

(٤) سورة النساء: الآية ١١٠.

﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ﴾[١].

ولم تكن الآية التي يريدها ويعنيها الامام فلما تساءلوا عن الآية الأكثر رجاءاً قال الامام عليه السلام: قوله تعالى:

﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ اللَّيْلِ ﴾[٢].

رسول الله موسى بن عمران عليه السلام يتلقى أمر الصلاة

كان أوّل ما تلقّاه موسى بن عمران البشارة بالرسالة واصطفائه من لدن الله عزّوجلّ بحملها ثمّ تلا ذلك الأمر بالصلاة.

جاء في سورة طه قوله تعالى:

﴿ وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ (١٣) إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) ﴾[٣].

وتطرح الآية الكريمة الأصل الأوّل في العقيدة وهو التوحيد وهو أهم أصل في رسالات الأنبياء جميعاً ويلي أمر العبادة لله مباشرة اقامة الصلاة ويعني هذا الأمر انّ الصلاة هي التعبير الأقوى للعلاقة بين الرب وعباده والأكثر تأثيراً في عدم نسيان حقيقة الايمان بالخالق تبارك وتعالى.

وفي سياق الأوجه المتعدّدة لفلسفة الصلاة في هذه الآية وبدء رسالة نبي الله موسى بن عمران عليه السلام اشارة إلى ذكر الله عزّوجلّ إذ لا شكّ في انّ ما يصوّر طريق

---

(١) سورة النساء: الآية ١١٠.

(٢) مجمع البيان: ج٥، ص٢٠١.

(٣) سورة طه: الآيتين ١٣ ـ ١٤.

الانسان في حياته من عوامل تدفعه إلى الغفلة عن ذكر الله سبحانه و تعالى، ولذا كان من الضروري أن يكون له برنامج للذكر الالهي في أوقات محدّدة على امتداد اليوم والليلة؛ حيث يفتتح الانسان يومه بعد استيقاظه من النوم بذكر الله عزّوجلّ وأداء الصلاة وذلك قبل أن يبدأ نشاطه في يوم جديد، وهذا الذكر الربّاني ضروري في تصفية القلب و تطهير النفس قبل أن ينطلق إلى معترك الحياة.

وعند ما يستغرق في العمل وينهمك في أداء أعماله الدنيويّة فانه يذهب بعيداً عن ذكر الله فاذا انتصف النهار اذا بصوت الداعي يدعوه الى ذكر الله والى الصلاة: حيّ على الصلاة.

فينتبه ويتوضّأ ثمّ يقف خاشعاً في حضرة الرب تبارك وتعالى طالباً منه التوفيق، فينفض عن قلبه ما تراكم من غبار العمل وزحمة الحياة.

ثمّ يعود إلى ممارسة عمله مرّة أُخرى حتّى اذا انقضىٰ نقض النهار وغابت الشمس جاء صوت يدعوه إلى ذكر الله فيؤدّي صلاة المغرب ثمّ اذا مضى شطر من الليل نهض ليؤدّي صلاة العشاء ذاكراً رحمة الله سبحانه مسبّحاً ايّاه شاكراً النعمة التي أنعم بها عليه فينبض قلبه بالايمان وتشع روحه بالصفاء وتطمئن نفسه بذكر الله:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾[1].

ذكر الله في جميع الأحوال

جاء في سورة النساء ما يشير إلى صلاة القصر في السفر وصلاة الخوف في

---

(١) سورة الرعد: ٢٨.

ميادين الحرب والقتال ثمّ الاشارة إلى موضوع ذكر الله في جميع الأحول.

﴿فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلاَةَ فَاذْكُرُوا اللهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَىٰ جُنُوبِكُمْ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ فَأَقِيمُوا الصَّلاَةَ إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً﴾[1].

ولعلّ المراد من ذكر الله في حالات القيام والقعود وفي حالة النوم على الجنب هي فترات الاستراحة التي تتخلّل القتال والعمليّات العسكريّة وعادة ما تكون حالات الاستراحة للجندي على هذا النحو.

ومن هنا ندركِ أن ذكر الله أمر غاية في الأهميّة لا ينبغي الغفلة عنه حتّى في أشدّ الظروف صعوبة.

وثمّة تفسير للآية أعلاه يذهب إلى بيان كيفيّة أداء الصلاة للمرضى و«كتاباً موقوتاً» كما ورد في الروايات تعني «الثابت الواجب»[2].

الصلاة لدى محمّد الغزالي

الأصل روح الصلاة وهو الخشوع وحضور القلب خلال الصلاة فالمقصود من الصلاة استقامة القلب مع الحق تعالى وتجديد ذكر الله تعالى على سبيل الهيبة والتعظيم كما قال سبحانه وتعالى: «أقم الصلاة لذكري» وجاء في الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وآله: «صلّ صلاة مودع» يعني ودع نفسك وهوى نفسك بل ودع كلّ شيء سوى الحق تبارك وتعالى وأقبل بوجهك على الصلاة[3].

وفيما يلي اشارات إلى جانب من فلسفة الصلاة.

---

(١) سورة النساء: الآية ١٠٣.

(٢) التفسير الأمثل: ج٤، ص١٠٤ ـ ١٠٥.

(٣) كمياء السعادة: ج١، ص١٦٥ ـ ١٦٦.

الصلاة الحقيقيّة

يشير المرحوم الفيض الكاشاني في كتابه الحقائق إلى أنّ الحياة الحقيقيّة للصلاة تكمن في التزام ستّة أُمور هي:

١ ـ حضور القلب. ٢ ـ التفهّم. ٣ ـ التعظيم. ٤ ـ الهيبة. ٥ ـ الرجاء. ٦ ـ الحياء.

١ ـ حضور القلب: وهو فراغ القلب للصلاة وأفعالها وحضور القلب يحصل بسبب الهمّة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر إلّا فيما يهمك ومهما أهمك أمر حضر القلب شاء أم أبى فهو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلاة لم يكن متعطّلاً بل كان حاضراً فيما الهمّة معروفة إليه من أُمور الدنيا فلا حيلة ولا علاج لاحضار القلب إلّا بصرف الهمّة إلى الصلاة والرحمة لا تنصرف إليها ما لم يتبين أن الغرض المطلوب منوط بها وذلك هو الايمان والتصديق بأن الآخرة خير وأبقى وأنّ الصلاة وسيلة إليها فاذا أضيف إلى هذا حقيقة العلم بحقارة الدنيا ومهانتها حصل من مجموعها حضور القلب في الصلاة وبمثل هذه العلّة يحضر قلبك.

اذا حضرت بين يدي بعض الأكابر ممّن لا يقدر على مضرّتك ومنفعتك، فاذا كان لا يحضر عند المناجاة مع ملك الملوك الذي بيده الملك والملكوت والنفع والضر فلا تظنّنّ انّ له سبباً سوى ضعف الايمان فاجتهد الآن في تقوية الايمان.

٢ ـ التفهّم: وأمّا التفهّم فسببه بعد حضور القلب إمعان الفكر وصرف الذهن إلى ادارك المعنى وعلاجه ما هو علاج احضار القلب مع الاقبال على الفكر والتشمّر لرفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر الشاغلة قطع موادّها أعني النزع عن

تلك الأسباب التي تنجذب الخواطر إليها وما لم تنقطع تلك المواد لا ينصرف عنها الخواطر، فمن أحب شيئاً أكثر ذكره فذكر المحبوب يهجم على القلب بالضرورة؛ ولذلك ترى من أحبّ غير الله لا يصفو له عن الخواطر.

٣ ـ التعظيم: وأمّا التعظيم فهي حالة للقلب تتولّد من معرفتين: أحديهما معرفة جلال الله وعظمته وهي من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه.

الثانية معرفة حقارة النفس وخسّتها وكونها عبداً مسخراً مربوباً حتّى يتولّد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله فيعبّر عنه بالتعظيم وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الرب ممّا ينتظم حالة التعظيم والخشوع فان المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله لأنّ القرينة الاخرى وهي معرفة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

٤ ـ الهيبة: وأمّا الهيبة والخوف فحالة للنفس تتولّد من المعرفة بقدرة الله وسطوته ونفوذ مشيئته فيه مع قلّة المبالاة به وانه لو أهلك الأوّلين والآخرين لم ينقص من ملكه ذرّة هذا مع مطالعة ما يجري على الأنبياء والأولياء من المصائب وأنواع البلاء مع القدرة على الدفع على خلاف ما يشاهد من ملوك الأرض، وبالجملة كلّما زاد العلم بالله زادت الخشية والهيبة.

٥ ـ الرجاء: وأمّا الرجاء فسببه معرفة لطف الله وكرمه وعميم إنعامه ولطائف صنعه ومعرفة صدقه في وعده الجنّة بالصلاة فاذا حصل اليقين بوعده والمعرفة بلطفه انبعث من مجموعها الرجاء لا محالة.

٦ ـ الحياء: وأمّا الحياء فباستشعاره التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن القيام بعظيم حقّ الله ويقوى ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وآفاتها وقلّة اخلاصها وخبث دخيلتها وميلها الىٰ الحظ العاجل في جميع أفعالها مع العلم بعظيم ما يقتضيه جلال الله والعلم بأنّه مطّلع على السريرة وخطرات القلب وإن دقّت وخفيت وهذه المعارف اذا حصلت يقيناً انبعث منها بالضرورة حالة تسمّى الحياء[1].

وقد تحدّث الحاج ميرزا جواد ملكي التبريزي عن عظمة الصلاة مشيراً إلى ما كتب الشهيد الأوّل محمّد بن مكّي ﷺ حول الصلاة وجمعه ألف مسألة عن موضوع الصلاة وسمّى كتابه بذلك «الألفية» كما جمع ثلاثة آلاف مسألة مستحبّة حول الصلاة وسمّى كتابه بذلك «النفلية».

ثمّ أشار إلى جانب من فلسفة الصلاة في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[2].

فالصلاة الحقيقيّة تنهى الانسان المصلّي عن الفحشاء والمنكر وتصونه من الانحطاط الأخلاقي.

ومتى ما نهت الصلاة الانسان عن ارتكاب الفحشاء والمنكرات اكتسبت بذلك مصداقيتها لأنّ الآية القرآنيّة أعلاه صريحة في مفادها وتثبت هذه الخاصيّة للصلاة وقدرتها عن تهذيب الانسان.

والصلاة التي يرافقها ارتكاب للفحشاء والمنكر ليست بصلاة وتصوّر عن

---

(١) انظر المحجّة البيضاء: ج ١ كتاب أسرار الصلاة: ٣٧١ ـ ٣٧٢.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

حالة من النفاق اذ لو ان في الصلاة ذرّة من الروح لردعت الانسان عن الفحشاء وعمل المنكر(١).

وهكذا لا توجد عبادة كالصلاة تشتمل على هذا الحجم الكبير من المسائل وباب الصلاة من أكثر الأبواب تفصيلاً في كتب الفقه وما ذكرناه في شرح كلمات الامام السجاد المضيئة إلّا قطرات من بحر زخّار.

وللصلاة آثار أخلاقيّة اجتماعيّة وفرديّة نشير إليها بايجاز.

الآثار الفرديّة للصلاة

إنّ من آثار الصلاة على مستوى الفرد انه يقف أمام الله عزّوجلّ خمس مرّات يوميّاً فينمي قواه الروحيّة ويجدّد عزمه ويرسخه ويقوّي ارادته وبالتالي يصبح كالجبل في ثباته ورسوخه أمام عواصف الزمن.

ومن آثار الصلاة فرديّاً انه يبتعد عن عالم المادّة قليلاً ويقترب من عالم الربوبيّة فيغتسل القلب من ادران المادة وينفصل عن صخب الحياة الدنيا ويضع قدميه في عالم مفعم بالسكينة والطمأنينة والسلام.

وقد ورد في سيرة النبي الاكرم صلى الله عليه وآله: انه إذا نزل به كرب وهمّ لجأ إلى الصلاة ويستغرق في عبادة الله عزّوجلّ، ذلك انّ الصلاة لقاء مع الله سبحانه وتعالى وحريّ بالانسان أن يشتاق إلى لقاء ربّه فيناجيه ويبثّه شكواه وحزنه وهمومه.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا قام أحدكم يصلّي فإنّه يُناجي ربّه»(٢).

---

(١) أسرار الصلاة: ص١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) شرح رسالة الحقوق، القبانجي: ج١، ص٢٩٢.

فلا فاصلة بين العبد وربّه فانّ الله سبحانه يسمع ويرى، يسمع دعاءه ويرى خشوعه ودموعه والله سبحانه هو السميع المجيب، وقد قال عزّوجلّ: ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾.

ومن آثار الصلاة على صعيد الحياة الفرديّة للانسان انه يتخلّص من الأمراض النفسيّة كالانانيّة والغرور والتكبّر، ذلك انّ الانسان معرض للاصابة بهذه الأمراض فما ان يشعر بالثراء أو يتربّع على كرسي ومقام حتّى يتسلّل إلى داخل نفسه التكبّر والغرور والنرجسيّة وهذا ما يجعله بعيداً عن نيل الكمال الانساني الذي هو الهدف والغاية من حياة الانسان.

يقول الامام الخميني ﵀:

لما كانت الصلاة هي المعراج الكمالي للمؤمن وقربان أهل التقوى فهي متقوّمة بأمرين أحدهما مقدّمة للآخر.

الأوّل: ترك رؤية النفس وحبها وفي ذلك حقيقة التقوى وباطنها.

الثاني: حب الله وطلبه وهو حقيقة المعراج والقرب ولهذا ورد في الأحاديث الشريفة أن «الصلاة قربان كلّ تقي» كذلك فانّ القرآن الكريم هو نور الهداية ولكن للمتّقين يقول تعالى:

﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1].

واجمالاً فهذان الأمران يحصلان في المقامات الثلاثة: القيام، الركوع والسجود على نحو التدريج فيكون في القيام ترك لرؤية النفس بحسب مقام فاعلية الحق وقيموميته المطلقة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢.

وفي الركوع ترك لرؤية النفس بحسب مقام الصفات والأسماء ورؤية مقام أسماء الحق وصفاته.

وفي السجود ترك لرؤية النفس مطلقاً وحبّ الله وطلبه مطلقاً.

ومنازل السالكين جميعاً هي من شؤون هذه المقامات الثلاثة كما هو واضح لأهل البصيرة وأصحاب العرفان والسلوك[1].

ومن آثار الصلاة على حياة الفرد انّ المصلّي يتّجه نحو اصلاح نفسه وتحصيل الفضائل الأخلاقيّة إلى أقصىٰ ما يمكنه ذلك ويطهر قلبه من كلّ أشواك الرذائل.

ومن هنا نلاحظ القرآن الكريم يصف المؤمنين ويشير إلى فلاحهم وفوزهم من خلال أدائهم الصلاة على أحسن وجه وعلى أساس خشوعهم في صلاتهم.

قال تعالى في سورة المؤمنون:

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ۝٢﴾[2].

و «أفلح» من مادة «فلح وفلاح» وفي الأصل بمعنى الصدع والقطع ثمّ استخدمت للنصر والفلاح والفوز وبلوغ السعادة والنجاح وفي الحقيقة انّ الأشخاص الفائزين والمفلحين هم من اجتازوا الموانع وأزالوا العراقيل عن طريقهم حتّى وصلوا الهدف النهائي وشقوا طريقهم إليه.

وأشار الراغب الاصفهاني في «مفردات القرآن» ان معنيين للفلاح: دنيوي واخروي، وخلاصة الفلاح الدنيوي في ثلاث أُمور: البقاء والغنى والعزّة والفلاح

---

(١) آداب الصلاة ٤٨٩ ـ ٤٩٠.

(٢) سورة المؤمنون: الآيتين ١ ـ ٢.

الأُخروي في أربعة أُمور: البقاء من دون فناء والغنى من دون فقر والعزّة من غير ذل والعلم الخالي من الجهل، وفي هذه الآية يعرف المؤمنون بصفة الخشوع.

و «خاشعون» من مادة «خشوع» بمعنى حالة التواضع والأدب الجسمي والروحي الذي تظهر آثاره على الانسان عند ما يقف أمام عظيم.

وإلى هذا المعنى تشير الآية الكريمة أي إلى الصلاة الحقيقيّة التي تتجلّى آثارها في خشوع الانسان لا إلى مجرّد الألفاظ والحركات التي يؤدّيها المصلّي والتي تفتقد الروح.

العوامل المؤثّره في تكوّن الخشوع

١ ـ انّ أوّل عامل في ظهور وتكوّن الخشوع هو المعرفة: معرفة الله والوجود وفلسفة الخلق وحينئذٍ تصغر الدنيا في نظر الانسان، ولقد وصف الامام علي عليه السلام المتقين فكان من صفاتهم انه **«عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم»**[(١)].

٢ ـ عند ما يدخل في الصلاة فانه يستغرق فيها بحيث ينقطع عن كلّ شيء سوى الصلاة والتوجّه إلى الله ربّ العالمين.

٣ ـ يختار وينتخب مكاناً خاصّاً للصلاة بحيث لا يوجد فيه ما يخطف بصره ويشغل فكره ولذا جاء في آداب الصلاة كراهيّة الأداء أمام صور أو تمثال أو معبر أو أمام باب مفتوح.

٤ ـ اجتناب الذنوب التي تحول دون حصول حالة الخشوع.

٥ ـ وعي فلسفة الصلاة ومعانيها وحركاتها وأذكارها.

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٠٤.

٦ ـ أداء المستحبّات والالتزام بآداب الصلاة سواء في مقدّمات الصلاة وفي ذات الصلاة.

٧ ـ وهذا العمل كغيره من الأعمال يحتاج إلى تمرين وممارسة والىٰ المواظبة وعدم الغفلة(١).

الآثار الاجتماعيّة للصلاة

في طليعة الآثار الاجتماعيّة للصلاة هي تنمية حسّ المسؤوليّة ازاء الآخرين والتفكير في أوضاعهم الانسانيّة ولا شكّ في انّ الانسان اجتماعي في طبيعته وقد جبلت خلقته على ذلك اذ تنبعث ميوله ذاتياً نحو الحياة الاجتماعيّة ومن أجل هذا تكوّنت المجتمعات البشريّة.

والانسان يعاني بطبيعة الحال من الحياة الفرديّة اذ يشق عليه أن يعيش وحده ولذا فان السجن الانفرادي حيث يحبس المرء وحده في زنزانة انفرادية يعد أقسى أنواع العقوبات بحق البشر.

والانسان يشتمل على نوعين من الاحساس بالمسؤوليّة هما المسؤوليّة الفرديّة والمسؤوليّة الاجتماعيّة يقول القرآن الكريم:

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمٰا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾(٢).

وفي سورة النساء قوله تعالى: ﴿وَمٰا أَصٰابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾(٣).

---

(١) التفسير الأمثل: ج ١٤، ص ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٢) سورة المدثّر: الآية ٣٨.

(٣) سورة النساء: الآية ٧٩.

أمّا على صعيد المسؤوليّة الاجتماعيّة فيختفي الجانب الفردي فثمّة واجبات ومسؤوليّات اجتماعيّة يتحمّلها الفرد.

يقول الرسول الأكرم ﷺ: «**كلّكم راع وكلّكم مسؤول**».

ومن خصائص الصلاة انها توقظ في الانسان الاحساس بالمسؤوليّة الاجتماعيّة ومن أجل هذا حثت الشريعة الاسلاميّة على أداء الصلاة مع الجماعة وفضلت ذلك على أداء الفريضة فرادى ويبلغ التأكيد ذروته في الزام المسلم حضور صلاة الجمعة حيث يتجلّى البعد الاجتماعي واضحاً من خلال التعرّض الى القضايا ذات الصلة بالمجتمع وسياسة البلد وقضاياه المصيريّة[1]. وقد ندبت الشريعة وحببت للمصلّين في صلاة الجماعة رص الصفوف واقامتها على نحو منظّم ثمّ يستحب للمصلّي بعد الفراغ من الصلاة أن يصافح اخوانه عن اليمين وعن الشمال بعد الفراغ من الصلاة حيث تعمّ روح الاخوّة والمساواة فلا فرق بين الأسود والأبيض والغني والفقير وتذوب جميع اشكال الطبقية.

وعادة ما يحصل في صلاة الجماعة هذا الحس الاجتماعي في تفقّد الآخرين، فان كان السبب في التغيب مشكلة ما بادر اخوانه الى نجدته والتضامن معه وان كان مريضاً توجه اخوانه لعيادته وهكذا يتنامىٰ التماسك الاجتماعي وليزداد المجتمع قوّة بقوّة علاقات الافراد فيما بينهم وشيوع روح الاخوّة والتضامن الاجتماعي.

---

(١) ونشهد مؤخّراً دور صلاة الجمعة في الاطاحة بالأنظمة الاستبداديّة واجراء تغييرات جذريّة في الاصلاح الشامل سياسيّاً وثقافيّاً واجتماعيّاً واقتصاديّاً. «المترجم».

الآثار الأخلاقيّة للصلاة

ترتبط مسألة القرب الالهي يعني قرب الانسان من الله بما يبذله الانسان من جهد على صعيد صقل نفسه وتزكيتها وتنميتها أخلاقياً من خلال التخلّص من الصفات الرذيلة والتحلّي بالأخلاق الحسنة والصفات الحميدة.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم:

﴿ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى ﴿١٥﴾ ﴾[1].

والصلاة أداة للتنمية الأخلاقي حيث الاستمرار عليها والمواظبة في أدائها نمو مطرّد في جانب الخير وتراجع واضمحلال في جانب الشر في شخصية الانسان.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلاٰةَ تَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ ﴾[2].

فالصلاة هي الأداة الأكثر تأثيراً في تربية الانسان وصقل شخصيته وارساء دعائم الاتوازن والطمأنينة في أعماقه وإلى هذا تشير الآيات الشريفة في سورة المعارج:

﴿ إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً ﴿١٩﴾ إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً ﴿٢٠﴾ وَإِذا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً ﴿٢١﴾ إِلاَّ الْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ الَّذينَ هُمْ عَلىٰ صَلاٰتِهِمْ دٰائِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾[3].

وقد ذهب جمع من المفسّرين إلى انّ معنى «هلوعاً» هو الحرص الذي يبديه الانسان في حياته فيما ذهب آخرون إلى ان معنى الهلوع هو الجزوع.

---

(١) سورة الأعلى: الآيتين ١٤ ـ ١٥.

(٢) سورة العنكبوت: الآية ٤٥.

(٣) سورة المعارج: الآيات ١٩ ـ ٢٣.

وينطوي التفسير إلى الأوّل على ثلاث نقاط أخلاقيّة سلبيّة هي الحرص والجزع والبخل فيما يشير التفسير الثاني إلى نقطتين هما الجزع والبخل[1].

وهنا يبرز دور الصلاة في هذه الآية في اجراء عمليّة تغيير واصلاح حيث للصلاة دورها في مكافحة الحرص والطمع والجزع وانبثاق نبع الطمأنينة في نفس الانسان وذلك من خلال ادراك الانسان الأجوبة المقنعة عن الأسئلة ذات الصلة بمصير وغائيّة الحياة الانسانيّة.

وقد روى العلّامة النراقي في كتابه «جامع السعادات» عن الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام وقد سئل عليه السلام عن فلسفة وتأويل السجود فقال عليه السلام:

«السجدة الاولى تأويلها: اللهمّ منها خلقتنا يعني الأرض وتأويل رفع رأسك، ومنها أخرجتنا، والسجدة الثانية، وإليها تعيدنا، ورفع رأسك ومنها تخرجنا تارة أُخرى»[2].

الصلاة وموانع الكمال

انّ الصلاة هي التي تأخذ بيد الانسان وترشّد حركته في طريق الكمال ومن أجل هذا نرى أنّ الأئمّة من أهل البيت عليهم السلام كانوا يستغرقون في الصلاة وكانوا في صلاتهم المثل الأعلى على مرّ العصور.

وقد اشتهر صاحب رسالة الحقوق الامام علي بن الحسين بعبادته حتى اشتهر بـ«زين العابدين وسيّد الساجدين والامام السجّاد» مقتدياً بجدّه رسول الله صلى الله عليه وآله في عبادته وسيرته وخلقه العظيم.

---

(١) التفسير الأمثل: ج٢٥، ص٢٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦، ص٢٣١ حديث ٨١٠٨.

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتّى تورم قدماه ويظمأ في الصيام حتّى يعطب فوه فقيل له يا رسول الله: ألم يغفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والاولى، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله عزّوجلّ بشكر عشر العشر من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حمد نعمة منها على جميع ما حمد الحامدون، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا علانية، ولو لا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أو اديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثمّ لم أرددها حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين، وبكى عليه السلام وبكى عبدالملك وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من أين جاءته؛ ماله في الآخرة من خلاق.

وقال ابن حجر في صواعقه: «إن زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة».

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان عظيم التجاوز والعفو والصفح ولقد سألت عنه جارية فقالت: أطنب أم أختصر، فقلت اختصري، قالت: ما فرشت له ليلاً فراشاً، ولا أتيت له بطعام نهاراً قط. وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة عند كلّ نخلة ركعتان، وكانت الريح تميله مثل السنبلة.

وعن الباقر عليه السلام قال: «**لَقَدْ بَلَغَ أبي زين العابدين فِي العِبادَة ما لَمْ يَبْلُغْهُ أَحَدٌ،**

دَخَلْتُ عَلَيهِ يَوماً فَرَأَيْتُهُ قَدْ اصْفَرَّ لَوْنُهُ مِنَ السَّهَرِ وَرَمَصَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الـبُكَاءِ وَدَبِـرَتْ جَبْهَتُهُ السُّجُودِ وَتَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ مِنَ الْقِيَامِ فِي الصَّلاةِ وَقَالَ، فَلَمْ أَمْلِكْ نَفْسي حِينَ رَأَيْتُهُ بِتِلْكَ الْحَالَة، فَبَكَيْتُ رَحْمَةً لَهُ، فَإِذَا هُوَ يُفَكِّرُ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ بَعْدَ هُنَيْهَةٍ، فَقَالَ: يَا بُنَيَّ أَعْطِنِي بَعْضَ تِلْكَ الصُّحُفِ الَّتِي فِيهَا عِبَادَةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ؈، فَأَعْطَيْتُهُ فَقَرَأَ فِـيهَا شَـيْئاً يَسِيراً ثُمَّ تَرَكَهَا مِنْ يَدِهِ تَضَجُّراً وَقَالَ: مَنْ يَقْوَى عَلَى عِبَادَةِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب».

وكان؈ يتعب نفسه في العبادة ويجتهد جهداً عظيماً حتّى خافوا عليه مـن التلف، ورقت له القلوب، وكانوا يتأسّفون عليه غاية الأسـف، وأقـبلوا يـمنعونه ويحذّرونه لأجل ذلك لما يجدونه من الضعف والانكسار، وألحّوا عليه في تخفيف العبادة والبكاء ترحّماً على نفسه وعلى جميع أرحامه وأقاربه روحي له الفداء.

يحدّثنا المجلسي في (البحار):

إنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ الحُسَين؈ أَتَتْ إلىٰ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللهِ الأَنْصَارِيَّ فَقَالَتْ لَهُ: يَا صَاحِبَ رَسُولِ اللهِ إِنَّ لَنَا عَلَيْكُمْ حُقُوقاً، وَمِنْ حَقِّنَا عَلَيْكُمْ أَنْ إِذَا رَأَيْتُمْ أَحَدَنَا يُهْلِكُ نَفْسَهُ اجْتِهَاداً أَنْ تُذَكِّرُوهُ اللهَ عَلَى نَفْسِهِ وَتَدْعُوهُ إلى البقيا علىٰ نَفْسِهِ، وَهَذَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بَقِيَّةُ أَبِيهِ الْحُسَيْنِ؈ قَدِ انْخَرَمَ أَنْفُهُ وَثَفِنَتْ جَبْهَتُهُ وَوَرَمَتْ رُكْبَتَاهُ وَرَاحَتَاهُ، أذابَ نَفْسُهُ فِي الْعِبَادَةِ.

قال جابر: فأتيت إلى بابه واستأذنت عليه، فلمّا دخلت عليه وجـدته وقـد أضنته العبادة، جالساً في محرابه، فنهض الامام؈ وأجلسه بجنبه وسـأله عـن حاله سؤالاً خفيفاً، ثمّ أقبل جابر يقول: يابن رسول الله أما علمت أنّ الله خـلق الجنّة لكم ولمن أحبّكم، وخلق النار لمن أبغضكم وعاداكم فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟

ولقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقف في الصلاة حتّى تورم قدماه ويظمأ في الصيام حتّى يعطب فوه فقيل له يا رسول الله: ألم يغفر الله ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر، فقال: أفلا أكون عبداً شكوراً، الحمد لله على ما أولى وأبلى، وله الحمد في الآخرة والاولى، والله لو تقطّعت أعضائي وسالت مقلتاي على صدري لن أقوم لله عزّوجلّ بشكر عشر العشر من نعمة واحدة من جميع نعمه التي لا يحصيها العادون ولا يبلغ حمد نعمة منها على جميع ما حمد الحامدون، لا والله أو يراني الله لا يشغلني شيء عن شكره وذكره في ليل ولا نهار ولا علانية، ولو لا أن لأهلي علي حقاً ولسائر الناس من خاصّهم وعامهم عليّ حقوقاً لا يسعني إلّا القيام بها حسب الوسع والطاقة حتّى أو اديها إليهم لرميت بطرفي إلى السماء وبقلبي إلى الله ثمّ لم أرددها حتّى يقضي الله على نفسي وهو خير الحاكمين، وبكى عليه السلام وبكى عبدالملك وقال: شتان بين عبد طلب الآخرة وسعى لها سعيها وبين من طلب الدنيا من أين جاء ته؛ ماله في الآخرة من خلاق.

وقال ابن حجر في صواعقه: «إن زين العابدين هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادة».

وعن أبي حمزة الثمالي قال: كان علي بن الحسين عليه السلام يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة، وكان عظيم التجاوز والعفو والصفح ولقد سألت عنه جارية فقالت: أطنب أم أختصر، فقلت اختصري، قالت: ما فرشت له ليلاً فراشاً، ولا أتيت له بطعام نهاراً قط. وكان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة عند كلّ نخلة ركعتان، وكانت الريح تميله مثل السنبلة.

وعن الباقر عليه السلام قال: «**لَقَدْ بَلَغَ أبي زين العابدين فِي العِبادَة ما لَمْ يَبْلُغْهُ أحَدٌ**،

«يَا مَنْ أَحَازَ كُلَّ شَيْءٍ مَلَكُوتاً وَقَهَرَ كُلَّ شَيْءٍ جَبَرُوتاً أَوْلِجْ قَلْبِي فَرَحَ الإِقْبَالِ عَلَيْكَ وَأَلْحِقْنِي بِمَيْدَانِ الْمُطِيعِينَ لَكَ».

قَالَ ثُمَّ دَخَلَ فِي الصَّلاةِ فَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُهُ قَدْ هَدَأَتْ أَعْضَاؤُهُ وَسَكَنَتْ حَرَكَاتُهُ قُمْتُ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي تَهَيَّأَ لِلصَّلاةِ فَإِذَا بِعَيْنٍ تُفِيضُ بِمَاءٍ أَبْيَضَ فَتَهَيَّأْتُ لِلصَّلاةِ ثُمَّ قُمْتُ خَلْفَهُ فَإِذَا أَنَا بِمِحْرَابٍ كَأَنَّهُ مُثِّلَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ فَرَأَيْتُهُ كُلَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا ذِكْرُ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ يُرَدِّدُهَا بِأَشْجَانِ الْحَنِينِ فَلَمَّا أَنْ تَقَشَّعَ الظَّلامُ وَثَبَ قَائِماً وَهُوَ يَقُولُ:

«يَا مَنْ قَصَدَهُ الطَّالِبُونَ فَأَصَابُوهُ مُرْشِداً وَأَمَّهُ الْخَائِفُونَ فَوَجَدُوهُ مُعْقِلاً وَلَجَأَ إِلَيْهِ الْعَابِدُونَ فَوَجَدُوهُ مُوئِلاً مَتَى رَاحَةُ مَنْ نَصَبَ لِغَيْرِكَ بَدَنَهُ وَمَتَى فَرَحُ مَنْ قَصَدَهُ غَيرَ هِمّته، إِلَهِي قَدْ تَقَشَّعَ الظَّلامُ وَلَمْ أَقْضِ مِنْ خِدْمَتِكَ وَطَراً وَلا مِنْ حاض حِيَاضِ مُنَاجَاتِكَ صَدْراً صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَافْعَلْ بِي أَوْلَى الأَمْرَيْنِ بِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ».

فقال له: لَوْ صَدَّقْتَ وَتَوَكَّلْتَ مَا كُنْتَ ضَالاً وَلَكِنِ اتَّبِعْنِي وَاقْفُ أَثَرِي، فَلَمَّا أَنْ صَارَ بِجَنْبِ الشَّجَرَةِ أَخَذَ بِيَدِي فَخُيِّلَ إِلَيَّ أَنَّ الأَرْضَ تُمَدُّ مِنْ تَحْتِ قَدَمِي فَلَمَّا انْفَجَرَ عَمُودُ الصُّبْحِ قَالَ لِي أَبْشِرْ فَهَذِهِ مَكَّةُ قَالَ فَسَمِعْتُ الضَّجَّةَ وَرَأَيْتُ الْمَحَجَّةَ فَقُلْتُ بِالَّذِي تَرْجُوهُ يَوْمَ الآزِفَةِ وَيَوْمَ الْفَاقَةِ مَنْ أَنْتَ فَقَالَ لِي أَمَّا إِذْ أَقْسَمْتَ فَأَنَا عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ(١).

وروى طاووس اليماني قال:

رأيت في جوف الليل رجلاً متعلّقاً بأستار الكعبة وهو يقول:

أَلا أَيُّهَا الْمَأْمُولُ فِي كُلِّ حَاجَتِي ... شَكَوْتُ إِلَيْكَ الضُّرَّ فَاسْمَعْ شِكَايَتِي

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج١، ص٣٠٥؛ بحار الأنوار: ج٤٦، ص٧٨ ـ ٧٩.

أَلا يَـا رَجَـائِي أَنْتَ كَـاشِفُ كُـرْبَتِي فَهَبْ لِي ذُنُوبِي كُلَّهَا وَاقْضِ حَـاجَتِي
فَـــزَادِي قَـلِيلٌ مَـا أَرَاهُ مُـبَلِّغاً أَ لِـلزَّادِ أَبْكِـي أَمْ لِـبُعْدِ مَسَـافَتِي
أَتَـــيتُ بِـــأَعْمَالٍ قِـــبَاحٍ رَدِيَّـــةٍ فَمَا فِي الْوَرَى خَلْقٌ جَـنَى كَـجِنَايَتِي
أَتُـحْرِقُنِي بِـالنَّارِ يَـا غَـايَةَ الْـمُنَى فَـأَيْنَ رَجَـائِي ثُـمَّ أَيْـنَ مَـخَافَتِي

فتأملته فاذا هو علي بن الحسين!

ثمّ انه عليه السلام بكى وقال:

ـ سبحانك تعصى كأنك لا ترى و تحلم كأنّك لم تعص تتودّد إلى خلقك بحسن الصنيع كأن بك الحاجة إليهم وأنت يا سيّدي الغني عنهم.

ثمّ خرّ إلى الأرض ساجداً.

قال (طاووس): فدنوت منه وشلت برأسه ووضعته على ركبتي وبكيت حتّى جرت دموعي على خدّه، فاستوى جالساً وقال:

ـ من الذي أشغلني عن ذكر ربّي؟

فقلت: أنا طاووس يابن رسول الله، ما هذا الجزع والفزع ونحن يلزمنا مثل هذا ونحن عاصون جانون؟! أبوك الحسين بن علي وأُمّك فاطمة الزهراء وجدّك رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال (طاووس): فالتفت إليّ وقال:

«هيهات هيهات يا طاووس، دع عنك حديث أبي وأُمّي وجدّي، خلق الله الجنّة لمن أطاعه وأحسن ولو كان عبداً حبشياً وخلق النار لمن عصاه ولو كان ولداً قرشياً، أما سمعت قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلاَ أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلاَ يَتَسَاءَلُونَ ﴾[1]

---

(١) سورة المؤمنون: الآية ١٠١.

والله لا ينفعك غداً إلّا تقدمة (هدية) تقدّمها من عمل صالح»(١).

الصلاة وغفران الذنوب

يقول الامام زين العابدين عليه السلام في ختام حقّ الصلاة: «**وَالطَّلَبِ إِلَيْهِ فِي فَكَاكِ رَقَبَتِكَ الَّتِي أَحَاطَتْ بِهَا خَطِيئَتُكَ وَاسْتَهْلَكَتْهَا ذُنُوبُكَ**».

عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال: «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كان على باب دار أحدكم نهر واغتسل في كلّ يوم منه خمس مرّات أكان يبقى في جسده من الدرن شيء؟ قلت: لا، قال: فانّ مثل الصلوة كمثل النهر الجاري كلّما صلّى صلاةً كفرت ما بينهما من الذنوب**».

وهكذا تستحيل الصلاة إلى نهر يتدفق بالمياه الصافية يغتسل فيه المرء في اليوم خمس مرّات، فيتطهّر قلبه وتصفو نفسه وتسمو روحه.

وجاء في نهج البلاغة للامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«**قَالَ فِي كَلامٍ يُوصِي أَصْحَابَهُ: تَعَاهَدُوا أَمْرَ الصَّلاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا وَاسْتَكْثِرُوا مِنْهَا وَتَقَرَّبُوا بِهَا فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَاباً مَوْقُوتاً أَلا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ النَّارِ حِينَ سُئِلُوا مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ الذُّنُوبَ حَتَّ الْوَرَقِ وَتُطْلِقُهَا إِطْلاقَ الرِّبَقِ**».

أجل انّ الصلاة تحطّ الذنوب كما الأشجار النفضية التي تنفض عن نفسها الأوراق الذابلة والصلاة تحطم القيود والأغلال والسلاسل وتحرّر الانسان من ذلّ الأسار للشهوات والغرائز الحيوانية فتنطلق به إلى عالم أرحب تحلّق فيه الأرواح البيضاء منتشية بالحب الالهي.

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٦، ص٨١ ـ ٨٢.

المادّة الحادية عشرة: حقّ الصوم

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّوْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ حِجَابٌ ضَرَبَهُ اللهُ عَلَى لِسَانِكَ وَسَمْعِكَ وَبَصَرِكَ وَفَرْجِكَ وَبَطْنِكَ لِيَسْتُرَكَ بِهِ مِنَ النَّارِ وَهَكَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الصَّوْمُ جُنَّةٌ مِنَ النَّارِ فَإِنْ سَكَنَتْ أَطْرَافُكَ فِي حَجَبَتِهَا رَجَوْتَ أَنْ تَكُونَ مَحْجُوباً وَإِنْ أَنْتَ تَرَكْتَهَا تَضْطَرِبُ فِي حِجَابِهَا وَتَرْفَعُ جَنَبَاتِ الْحِجَابِ فَتَطَّلِعُ إِلَى مَا لَيْسَ لَهَا بِالنَّظْرَةِ الدَّاعِيَةِ لِلشَّهْوَةِ وَالْقُوَّةِ الْخَارِجَةِ عَنْ حَدِّ التَّقِيَّةِ للهِ لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَخْرِقَ الْحِجَابَ وَتَخْرُجَ مِنْهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

«الطرف» مصدر وجمعه «أطراف».

يقال: نظر بطرف خفي أي غضّ معظم عينه ونظر بباقيها من الخوف أو الحياء.

فلسفة الصوم في نظر الامام السجاد عليه السلام

يرى الامام علي بن الحسين زين العابدين ان معظم فلسفة الصوم كعبادة يكمن في صون النفس وضبطها ومنعها عن ارتكاب الذنب ذلك ان الذنوب تصدر في الغالب من ناحية اللسان والعين والاذن والبطن والغريزة الجنسيّة ولهذا فان الصوم يأتي هنا لينزل الستائر دون هذه الميول ويحفظ هذه الجوارح من ارتكاب الذنوب.

وذكر القرآن الكريم الى ان عبادة الصوم لم تختص بامة الاسلام وإنّما كانت

فريضة أوجب الله أداءها على الامم السابقة.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[١].

والكتابة في الآية تعني الفريضة والواجب الذي يجب تأديته والآية تخاطب الذين آمنوا لأن هذه العبادة يؤديها المؤمنون بما ينطوون عليه من القدرة والارادة حيث هذه الفريضة تعزز من ارادة الانسان المؤمن في نفس الوقت وبالتالي يمكن للانسان أن يصون نفسه من الانزلاق وارتكاب الذنوب والاستجابة لنداءات الغرائز.

ومن هنا نلاحظ الاشارة في ختام الآية إلى مسألة التقوى وضبط النفس وصونها عن ارتكاب المحرّمات.

و «الصوم» لغوياً يعني الامساك وضبط النفس واذا اختصّ الصوم بالالتزام بالصمت والامتناع عن الكلام دعي «صوم السكوت» وإلى هذا أشارت السيّدة مريم ابنة عمران كما ورد في القرآن الكريم:

﴿ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَداً فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمٰنِ صَوْماً فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيّاً ﴾[٢].

الصوم قبل الاسلام

تضمّنت الآية أعلاه في سورة البقرة إشارة صريحة إلى ان الله سبحانه فرض

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٣.

(٢) سورة مريم: الآية ٢٦.

الصوم على جميع الأُمم السابقة «كما كتب على الذين من قبلكم» فهل ان التشبيه من ناحية العدد من جهات أُخرى؟ ان وجه التشبيه كما ذهب إلى ذلك المفسّرون هو في وجوب عبادة الصوم ويحتمل أن يكون الصوم المفروض على الأُمم السابقة كان يشبه صوم الاسلام في العدد والوقت والزمان.

الصوم في التوراة

وردت عبادة الصوم في التوراة بالاشارة إلى صعود الجبل لاستلام الألواح وهي ألواح العهد حيث مكث النبي موسى بن عمران عليه السلام أربعين يوماً وأربعين ليلة في الجبل لم يأكل خبزاً ولم يشرب ماء»[1].

وفي الانجيل

وفي الانجيل جاء انّ عيسى عليه السلام أخذه الروح إلى الفلاة ليجرّب ابليس وبعد أربعين يوماً وليلة من الصوم شعر بالجوع[2].

كما وردت في انجيل لوقا اشارات إلى الحواريّين وصومهم بعد عيسى وامتناعهم عن الأكل والشرب أيّاماً[3].

ولا تتضمّن الاشارات في التوراة والانجيل شيئاً عن كيفيّة الصوم باستثناء عدد الأيّام وهو أربعين يوماً.

(١) انظر التوراة، سفر التثنية، الباب ٩، الرقم ٩.

(٢) انظر انجيل متى، الباب ٤، الرقم ١ ـ ٢.

(٣) انجيل لوقا، الباب ٥، الأرقام ٣٣ ـ ٣٥.

زمان الصوم في القرآن الكريم

﴿ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾(١).

والمراد من الأيّام المعدودات هي الأيّام المعيّنة المحدودة وحول هذا الموضوع ثمّة رأيان:

١ ـ انّ المقصود ليس شهر رمضان المبارك بل الأيّام الثلاثة من كلّ شهر وفقاً لما قاله ابن عبّاس اضافة إلى صوم يوم عاشوراء، وبعضهم يرى هذه الأيّام الثلاثة واجباً وبعضهم يراه مستحبّاً غير انّ هذا الرأي قد نسخ بشهر رمضان.

٢ ـ والرأي الثاني يقول انّ المقصود شهر رمضان المبارك وأكثر المفسّرون على هذه الرأي ويقولون انّ الله عزّوجلّ بيّن على نحو الاجمال في قوله «أيّاماً معدودات» وبيّن انّ الأيّام المعدودات هي شهر رمضان وهذا رأي أكثر اتقاناً ولا يحتاج إلى القول بالنسخ.

ويستفاد من الآية الكريمة وجوب الافطار بالنسبة للانسان المسافر والمريض إذ لا تشمله شروط وجوب الصوم حيث الآية تشير الى فرصة قضاء الصوم بعد العودة من السفر والشفاء من المرض اذ لا يجوز الصوم خلالهما.

وقد روى عبدالرحمن بن عوف عن رسول الله ﷺ قوله الشريف:

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

«الصائم في السفر كالمفطر في الحضر»[١].

وروى هذا الموضوع عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً:

«الصائم في شهر رمضان في السفر كالمفطر فيه في الحضر»[٢].

ويورد صاحب تفسير مجمع البيان في ذيل الآية الكريمة رواية تشير إلى سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسننه.

«رَوى الْعَيَّاشِيُّ بإسناده مَرفوعاً إلى مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله يَصُومُ فِي السَّفَرِ تَطَوُّعاً وَلا فَرِيضَةً يَكْذِبُونَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ وَرَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِكُرَاعِ الْغَمِيمِ عِنْدَ صَلاةِ الْفَجْرِ فَدَعَا رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِإِنَاءٍ فَشَرِبَ وَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يُفْطِرُوا فَقَالَ قَوْمٌ قَدْ تَوَجَّهَ النَّهَارُ وَلَوْ صُمْنَا يَوْمَنَا هَذَا فَسَمَّاهُمْ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْعُصَاةَ فَلَمْ يَزَالُوا يُسَمَّوْنَ بِذَلِكَ الاسْمِ حَتَّى قُبِضَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله»[٣].

مفردة رمضان

أصل مفردة رمضان من «رمض» وتعني اشتداد حرارة الشمس والتهاب الرمال ويبدو انّ شهر رمضان صادف موسم القيظ وارتفاع درجات الحرارة عند ما بدأت العرب تسمية الشهور.

وثمّة قول آخر يذهب إلى انّ رمضان من أسماء الله عزّوجلّ ولذا جاء في الأثر لا تقولوا رمضان وقولوا شهر رمضان.

---

(١) مجمع البيان: ج٢، ص٢٧٤.

(٢) نفس المصدر.

(٣) تفسير مجمع البيان: ج٢، ص٢٧٥.

وهناك قول ثالث يذهب إلى أنّ وجه التسمية جاء من أنّ رمضان يحرق الذنوب[١].

الصوم والصبر

«عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجلّ ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاٰةِ﴾ قال: الصبر الصيام، وقال: إذا نزلت بالرجل النازلة الشديد فليصم فإنّ الله عزّوجلّ يقول: واستعينوا بالصبر، يعني الصيام»[٢].

ويقول العلّامة المجلسي في كتابه «مرآة العقول»:

«أصل الصبر الحبس سُمّي الصوم صبراً لما فيه من حبس النفس عن الطعام والشراب والنكاح»[٣].

فضيلة الصوم وآثاره في الروايات

من خلال مطالعة الروايات الواردة في كتب الحديث نتعرّف على فضيلة الصوم وآثاره وهذه طائفة من الروايات في هذا المضمار:

الرواية الاولى:

«بُنِيَ الْإِسْلامُ عَلَى خَمْسَةِ أَشْيَاءَ عَلَى الصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ وَالْحَجِّ وَالصَّوْمِ وَالْوَلايَةِ»[٤].

---

(١) نفس المصدر.

(٢) مرآة العقول: ج١٦، ص٢٠١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه: ص١٩٧.

وقد عدّ العلّامة المجلسي هذا الحديث حسناً وذهب الى أن هذه الأشياء ربما من المكملات لأنّ الاسلام بدونها يتزلزل أو انّ الايمان بها جزء من الاسلام أو انّ المراد من الايمان هو الاسلام كما يحتمل انّ المراد من الولاية هي المحبّة زائداً على الاعتقاد بالامامة.

الرواية الثانية:

«عَن إسماعيل بن أبي زياد عن أبي عبدالله عن ببائه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله قَالَ لأَصْحَابِهِ: أَلا أُخْبِرُكُمْ بِشَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ فَعَلْتُمُوهُ تَبَاعَدَ الشَّيْطَانُ مِنْكُمْ كَمَا تَبَاعَدَ الْمَشْرِقُ مِنَ الْمَغْرِبِ؟ قَالُوا: بَلَى قَالَ: الصَّوْمُ يُسَوِّدُ وَجْهَهُ وَالصَّدَقَةُ تَكْسِرُ ظَهْرَهُ وَالْحُبُّ فِي اللهِ وَالْمُوَازَرَةُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ يَقْطَعُ دَابِرَهُ وَالإِسْتِغْفَارُ يَقْطَعُ وَتِينَهُ وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ وَزَكَاةُ الأَبْدَانِ الصِّيَامُ»[١].

الرواية الثالثة:

«عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ عَنْ بَعْضِ أَصْحَابِنَا عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: أَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَى مُوسَى عليه السلام مَا يَمْنَعُكَ مِنْ مُنَاجَاتِي؟ فَقَالَ: يَا رَبِّ أُجِلُّكَ عَنِ الْمُنَاجَاةِ لِخُلُوفِ فَمِ الصَّائِمِ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ: يَا مُوسَى لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدِي مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ»[٢].

ذكر المجلسي انّ السيّد الداماد يقول: الخلوف ـ بضمّ الخاء قبل اللام والفاء ـ رائحة الفم ثمّ يقول: ولا يدعي أحد انّ الروائح من الصفات التي لا تليق بالحق تعالى أو انه منزّه عن الرائحة لأنّنا نقول: المراد بـ«اطيب» أقبل ورائحة فم الصائم

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٨.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٠٣.

محل قبول الله تعالى أو انّ هذا الكلام يجري على سبيل الفرض يعني إذا تصوّر «الطيب» عند الله فرائحة الفم أطيب.

الرواية الرابعة:

«الصوم جُنَّةٌ مِنَ النار»(١).

الصوم وغفران الذنوب

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِاللهِ: يَا جَابِرُ هَـذَا شَـهْرُ رَمَضَانَ مَنْ صَامَ نَهَارَهُ وَقَامَ وِرْداً مِنْ لَيْلِهِ وَعَفَّ بَطْنُهُ وَفَرْجُهُ وَكَفَّ لِسَانَهُ خَرَجَ مِـنْ ذُنُوبِهِ كَخُرُوجِهِ مِنَ الشَّهْرِ، فَقَالَ: جَابِرٌ يَا رَسُولَ اللهِ مَا أَحْسَنَ هَذَا الْحَدِيثَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَا جَابِرُ وَمَا أَشَدَّ هَذِهِ الشُّرُوطَ»(٢).

ونلاحظ في هذه الحديث الشريف الآثار التي أشار إليها الامام زين العابدين عليه السلام في حقّ الصوم وهي حفظ اللسان والبطن والعفّة وغفران الذنوب وقد جاء في حديث للنبي صلى الله عليه وآله أيضاً:

«الصائمُ في عبادةٍ وإنْ كانَ على فراشِهِ ما لَمْ يَغْتَبْ مُسلماً»(٣)

الصوم ومساواة بين الفقراء والأغنياء

«إِنَّمَا فَرَضَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الصِّيَامَ لِيَسْتَوِيَ بِهِ الْغَنِيُّ وَالْفَقِيرُ وَذَلِكَ أَنَّ الْغَنِيَّ لَمْ يَكُنْ

---

(١) المحجّة البيضاء: ج٢، ص١٢٣.

(٢) بحار الأنوار: ج٢، ص٣٧١.

(٣) المحجّة البيضاء: ج٢، ص١٢٣.

لِيَجِدَ مَسَّ الْجُوعِ فَيَرْحَمَ الْفَقِيرَ لِأَنَّ الْغَنِيَّ كُلَّمَا أَرَادَ شَيْئاً قَدَرَ عَلَيْهِ فَأَرَادَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يُسَوِّيَ بَيْنَ خَلْقِهِ وَأَنْ يُذِيقَ الْغَنِيَّ مَسَّ الْجُوعِ وَالْأَلَمِ لِيَرِقَّ عَلَى الضَّعِيفِ فَيَرْحَمَ الْجَائِعَ»[١].

ونلاحظ في هذا الحديث عن الامام جعفر الصادق عليه السلام جانباً من فلسفة الصوم في شهر رمضان المبارك وذلك في ردم الهوّة بين طبقات المجتمع والتقليل من المسافة التي تفصل البؤساء عن الأثرياء.

ودائماً ما تلعب الثروة دوراً في تقسيم المجتمع إلى قطبين فقير وغني حيث تتمتع طبقة اجتماعيّة بالثراء فيما تعاني طبقة أُخرى من شقاء الفقر.

والأغنياء في الغالب لا يشعرون بمعاناة الفقراء لأنّهم لم يجرّبوا الجوع فيحسون بآلامه ولا يدركون معنى أن يبيت الفقير طاوياً من الجوع؛ لكن هذا الغني المترف عند ما يصوم في شهر رمضان يشعر آنذاك ماذا يعني الجوع وماذا يعني الظمأ وحينئذٍ تتحرّك عاطفته الانسانيّة تجاه الفقراء والجياع.

ومن الناحية الفقهيّة لا يجوز للغني أن يكلف الفقير الصيام بدله مقابل مبلغ من المال وهذا جزء من فلسفة الصوم.

الصوم في نهج البلاغة

يشتمل نهج البلاغة للامام علي عليه السلام على توصيفات عديدة للصوم فقد قال عليه السلام عنه: «زكاةُ البدنِ الصيامُ»[٢].

---

(١) المحجّة البيضاء: ج٢، ص١٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الحكمة ١٣٦.

وقال في مناسبة أُخرى:

«وصومُ شهرِ رَمضان فإنّهُ جُنَّةٌ مِنَ العِقابِ»[١].

وقال عليه السلام يصف اخوانه من المؤمنين المتّقين:

«خُمُصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ ذُبُلُ الشِّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ صُفْرُ الأَلْوَانِ مِنَ السَّهَرِ عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ الْخَاشِعِينَ أُولَئِكَ إِخْوَانِيَ الذَّاهِبُونَ»[٢].

وجاء في احدى حكمه عليه السلام:

«والصيامُ إبتلاءً لإخلاصِ الخلقِ»[٣].

وفي حكمة أُخرى كذلك:

«وَقالَ عليه السلام فِي بَعْضِ الأَعْيَادِ: إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ وَكُلُّ يَوْمٍ لا تَعْصِي اللهَ فِيهِ فَهُوَ يَوْمُ عِيدٍ»[٤].

وجاء في وصيّته:

«أُوصيكُم وَجميعَ وُلدي... وَصلاحُ ذاتِ البين أفضَلُ مِنْ عامَّةِ الصلاةِ والصيام»[٥].

صيام بلا طائل

وقال عليه السلام في خطبة مشهورة تدعى «القاصعة»:

«كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صَوْمِهِ إِلّا الظَّمَأُ وَالْجُوعُ وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ

---

(١) المصدر السابق: الخطبة ١١٠.

(٢) المصدر السابق: الخطبة ١٢٠.

(٣) المصدر السابق: الخطبة ٢٥٢.

(٤) المصدر السابق: الحكمة ٤٢٨.

(٥) المصدر نفسه: الوصية ٤٧.

إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ حَبَّذَا صَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ»[١].

«وَعَنْ ذَلِكَ مَا حَرَسَ اللهُ عِبَادَهُ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلَوَاتِ وَالزَّكَوَاتِ وَمُجَاهَدَةِ الصِّيَامِ فِي الْأَيَّامِ الْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِيناً لِأَطْرَافِهِمْ وَتَخْشِيعاً لِأَبْصَارِهِمْ وَتَذْلِيلاً لِنُفُوسِهِمْ وَتَخْفِيضاً لِقُلُوبِهِمْ وَإِذْهَاباً لِلْخُيَلاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذَلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ الْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعاً وَإِلْصَاقِ كَرَائِمِ الْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُراً وَلُحُوقِ الْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ الصِّيَامِ تَذَلُّلا»

وهذا جانب من خطب الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام وحكمه ووصاياه وتشتمل على اشارات هامّة خاصّة فيما يتعلّق بالاخلاص في أداء العبادات، ذلك انّ العبادة الحقيقيّة هي ما تصدر عن وعي وادراك مفعمة بالعاطفة النبيلة والاخلاص بعيداً عن كلّ اشكال الجهل والرياء وغياب الوعي والسطحيّة.

وقد جاء في الحكايات انّ أعرابيّاً رأى قرب السوق رجلاً يصلّي فأعجبته صلاة الرجل فتقدّم إليه وقال: ما أحسن صلاتك!

فقال الرجل: وأنا مع ذلك صائم.

فلمّا رأى الأعرابي ذلك اطمأنّ إليه فأودعه ناقته أمانة حتّى يرجع من السوق.

فلمّا عاد الأعرابي لم يجد الناقة ولم يجد الرجل فعرف انّه قد خُدع بصلاة الرجل فأنشد في الحال:

صلّى فأعجبني وصام فرابني ... نح القلوص عن المصلّي الصائم

وقد تحدّث شيخ الفقهاء محمّد حسن صاحب الجواهر في كتاب الصوم بعد الاشارة إلى الرواية والحديث القدسي:

---

(١) المصدر نفسه: الوصية ١٣٧.

«الصوم لي وأنا أجزى به».

يقول:

«كان وجه اختصاصه تعالى بالصوم أنّه أمرٌ مخفي لا يمكن الاطلاع عليه لغير الله تعالى بخلاف غيره كالحج والصلوة ولما في الصوم من ترك الشهوات والملاذ في البطن والفرج الموجب لصفاء العقل والفكر بواسطة ضعف القوى الشهويّة وقوّة القوى العقليّة فيصل بسببها إلى دقائق الحكمة وإلى كمال المعارف الربّانيّة التي هي أشرف أحوال النفس الإنسانيّة»[١].

آثار الصوم لدى الغزالي

يقول أبو حامد الغزالي انّ الصوم لله وله شرف خاص وبالرغم من انه عبادة كسائر العبادات ولكنّة يمتاز بشيئين:

١ ـ انّ الصوم «كف» وترك وهو أمر خفي لا يعلمه إلّا الله بينما سائر العبادات هي في معرض المشاهدة من قبل الناس أمّا الصوم فلا يعلمه أحد إلّا الله وهو عمل باطن يقترن بالصبر.

٢ ـ انّه ترك وفيه أكبر ضربة لعدو الله الشيطان لأنّ الشيطان إنّما يجري في الانسان مجرى الشهوات والشهوات تقوى بالأكل والشرب ومن هنا قال رسول الله ﷺ:

«إنّ الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيّقوا مجاريه بالجوع»[٢].

---

(١) جواهر الكلام: ج١٦، ص١٨٢.

(٢) كيمياء السعادة: ج١، ص٢٠٨.

فلا شيء يقهر الشيطان مثل الجوع في الصيام انّه يمثّل سدّاً قويّاً في مواجهة الشيطان وهو انتصار لله عزّوجل ومن ينصر الله فانّ الله ينصره.

قال تعالى:

﴿ إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدامَكُمْ ﴾[(١)].

فالصوم يحدث تغييراً في النفس الانسانيّة وتكون مستعدة لتلقي التوفيق من الله.

قال تعالى:

﴿ إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بِقَوْمٍ حَتّى يُغَيِّرُوا ما بِأَنْفُسِهِمْ ﴾[(٢)].

انّ قهر الشهوات يعني قهر الشيطان لأنّ الشهوات هي مراعي الشيطان، فاذا تركت الشهوات هكذا فانّ الشيطان سوف ينفذ إلى تلك المراعي ولن يخرج منها بسهولة والشيطان يحول دون رؤية الانسان لملكوت السماء.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لو لا أنّ الشياطين يحومون على قُلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماء»[(٣)].

الصوم والسلامة البدنيّة

انّ جزءً من فلسفة الصوم يكمن في تحقيق السلامة البدنيّة للانسان ونظرة علميّة في مضمار الأمراض التي تصيب الانسان ومنشأها العام ندرك انّ مصدرها

---

(١) سورة محمّد: الآية ٧.

(٢) سورة الرعد: الآية ١١.

(٣) المحجّة البيضاء: ج ٢، ص ١٢٥.

ما يدخل الجهاز الهضمي للانسان، وفيما يلي بعض الأحاديث التي تشير إلى ذلك:

١ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«المعدة بيتُ كلّ داءٍ والحميّةُ رأسُ كلِّ دَواءٍ»(١).

٢ ـ قال موسى بن جعفر عليه السلام:

«الحميّة رأسُ كلّ دواء والمعدَة بيتُ الأدواء»(٢).

وقال عليه السلام أيضاً:

«ليس من دواء إلّا ويهيج داء وليس شيء في البدن أنفع من امساك البدن ممّا يحتاج إليه»(٣).

٣ ـ قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«صومُوا تَصِحُّوا».

في الأحاديث الشريفة أعلاه التي تنبع من معين الوحي معالم مضيئة في طريق السلامة البدنيّة وهي جميعاً تشير إلى المعدة على انّها مركز الأمراض والاسقام.

٤ ـ **«وقال الأصبغ بن نباتة: سمعت أميرالمؤمنين عليه السلام يقول لابنه الحسن عليه السلام: «يا بُنيّ ألا أُعلّمُك أربع كلمات تستغني بها عن الطب؟ فقال: بلى يا أميرالمؤمنين، قال: لا تجلس على الطعام إلّا وأنت جائع ولا تقم عن الطعام إلّا وأنت تشتهيه وجوّد المضغ وإذا نُمت فأعرض نفسك على بيت الخلاء فاذا استعملت هذا استغنيت عن الطب»**(٤).

---

(١) سفينة البحار: ج٢، ص٧٨.

(٢) المصدر السابق: ص٧٩.

(٣) المصدر نفسه: ص٧٨.

(٤) المصدر نفسه.

وهذا الحديث هو الآخر يعزز ما أشرنا إليه في المعدة والطعام وطريقة تناول الغذاء وما يتّصل بكلّ ذلك هو الأساس في الصحّة والسلامة البدنيّة.

ومن هنا فانّ من المفيد أن نلقي نظرة على ما يرد من الطعام والشراب الى أعضاء البدن من ترشّحات أثناء النوم في الليل.

فحتىٰ الكلية لا تنسى حاجة الانسان إلى النوم فتقوم بالتقليل من ترشحاتها فلا يضطر إلى الاستيقاظ للادرار.

وهكذا الجلد والكبد وكلّ هذه الوظائف تقوم بها الأعضاء بصور غير إراديّة، ولكن الانسان وبإرادته يدخل ألواناً من الطعام والشراب، فبدل أن يتناول من طيّبات الطعام فانّه يتناول المشروبات الكحوليّة ويتنفّس الدخان المحمّل ببعض المواد الضارّة.

وقد أثبتت الدراسات العلميّة حاجة البدن إلى أوقات يتوقّف فيها الانسان عن تناول الطعام والشراب ومنح أعضاء البدن المختلفة فرصة للتخلّص من السموم لأن الاكثار والاستمرار في تناول الطعام يؤدّي إلى تراكم السموم وعدم التخلّص منها وبالتالي فان عدم منح أعضاء الجسم اجازة اعتياديّة سوف يضطرها إلى أخذ إجازة مرضيّة!

الصيام وصحّة الانسان

قبل البحث في موضوع الصيام من الوجهة الطبيّة، يجب أن نشير إلى ناحية هامة، وهي أنّ الصيام في القرآن عبادة يجب الامتثال بها لأمر الخالق العظيم، ولا يجوز تعليقها بما يكشفه لنا العلم، فمجال العلم، مهما ارتقى محدود، ولا يمكن له

أن يستوعب كامل حكمة الله، في كلّ ما يروض عليه الكائن البشري، أو كلّ ما يروض به هذا الكون بشكل عام؛ ولكن هذا لا يمنع من التحدّث عمّا تكشف عنه الملاحظة أو يكشف عنه العلم من فوائد للتوجيهات الالهيّة.

الصوم نظام حياتي غذائي دوري، يلتزم به الإنسان المؤمن شهراً في كلّ عام، وله تأثيره العميق على نفسيّته وجسمه، وهو تدبير وقائي، كما هو إجراء علاجي لكثير من الحالات المرضيّة، ولعلّ الجهاز الهضمي أكثر الأجهزة تأثّراً بهذاالنظام، ولذلك فسنبدأ البحث بلمحة موجزة عن غريزة الهضم عند الإنسان:

يشترك الفم وغدده اللعابيّة والمعدة وغددها ومفرزاتها، والكبد والبنكرياس ومفرزاتهما الهضميّة والصفراويّة، والأمعاء ومفرزاتها المعويّة، تشترك كلّها في عمليّة الهضم، لتحول لقمة الطعام، إلى مستحلب قابل للإمتصاص في الأمعاء، ويحمل الدم هذه الأغذية الممتصّة إلى الكبد حيث يقوم الكبد بتصفيتها، واختزان الزائد منها، وإعطاء البدن ما يحتاجه منها بشكل دقيق، ولا تنتهي عمليّة الهضم عند هذا الحد، بل تتوزّع الأغذية بواسطة شرايين البدن إلى كلّ خلية فيه ولكن بالشكل المبسط الذي تستطيع أن تستفيد منه في الحصول على طاقتها، وعلى العناصر الأساسيّة لها، من حموض أمينيّة ودسمة ومواد أُخرى لعمليّات البناء والتكاثر والنمو، وتعطي هذه الخلايا ما تحويه من فضلات وبقايا تلك العمليّات إلى الدم ليقوم بطرحها عبر الكليتين أو الرئتين أو الأمعاء، ويشارك في هذه العمليّات القلب وجهاز الدوران كما يشارك بها الدماغ والأعصاب.

وهكذا فعمليّة الطعام لا تنتهي ببلغ اللقمة، وإنّما تبتدأ بها، تلك اللقمة التي تحرّك أجهزة البدن كافّة لتدبيرها، وإذا كان أكثرنا يقصّر في أداء أعماله اليوميّة

سواء أكانت تلك الأعمال جهداً عضليّاً أو نفسيّاً أو فكريّاً. فالقليل منا من يقصّر في تشغيل معدته بما يلتهمه من الطعام طيلة النهار، ولذلك يغدو الجهاز الهضمي أكثر الأجهزة عملاً وتحملاً لأعباء الهضم الكبيرة، فإذا أمكن أن نريح أعضاء الجسم كافة والجهاز الهضمي خاصّة، بنظام ثابت، طيلة شهر كامل، لحصلنا بذلك على فوائد عديدة لا يمكن إنكارها ومنها:

١ ـ تخليص البدن من شحومه المتراكمة التي تشكل عبئاً ثقيلاً عليه، والتي تغدو مرضاً صعباً عند ما تزداد، ذلك المرض هو داء السمنة. فالجوع هو أحسن الوسائل الغريزيّة المجدية في معالجة السمنة وإذابة الشحوم المتراكمة وتصحيح استقلاب الدسم بالبدن ككل، كما تقي الإنسان من مضار الأدوية المخففة للشهيّة أو الهرمونات المختلفة، التي قد يلجأ لها المعالجة بدانته.

٢ ـ طرح الفضلات والسموم المتراكمة.

٣ ـ إتاحة الفرصة لخلايا الجسم وغدده لأن تقوم بوظائفها على الوجه الأكمل وخاصّة، المعدة والكبد والأمعاء.

إراحة الكليتين والجهاز البولي بعض الوقت في طرح الفضلات المستمر.

٥ ـ تخفيف وارد الدسم على الشرايين، والوقاية من إصابتها بالتصلب.

٦ ـ الجوع يولد في الجسم رد فعل بعد الصيام، يتجلّى برغبة من الطعام، وبشعور بالنشاط والحيويّة، بعد أن اعتاد على تناول الطعام بشكل ممل.

الصوم، إذا أُحسن الالتزام بآدابه التي سنّها لنا الرسول صلى الله عليه وآله، يمثّل أرقى أشكال المعالجة بالجوع، هذا الشكل من المعالجة الذي بدأت اوروبا مع بداية نهضتها بالاهتمام به في معالجة بعض الأمراض، فكتب الطبيب السويسري

بارسيلوس يقول: «إنّ فائدة الجوع في العلاج قد تفوّق بمرّات استخدام الأدوية».

أمّا الدكتور هيلبا Helba فكان يمنع مرضاه من الطعام لبضعة أيّام، ثمّ يقدم لهم بعدها وجبات غذائيّة خفيفة. وآلية تأثير الصيام، تعتمد على ما يمتلكه الجسم من قدرة على التأقلم مع مختلف الظروف، التي لا تتوفّر فيها الأسباب الضروريّة للحياة بشكل كافٍ، كنقص الغذاء والماء، حيث يضطر البدن لأن يعيش على حساب ما ادخره من مواد للحصول على طاقته ولبناء أنسجته، وفي هذه الظروف يختلف نمط الاستقلاب عنه في الحالة العادية، حيث يجري صرف الأغذية وفقاً لقواعد اقتصاديّة صارمة، ثمّ يأخذ بحل أنسجته الداخليّة وفقاً لأهميتها، فيبدأ بما يدخره من السكاكر، ثمّ بالنسيج الشحمي، ثمّ بالنسيج البروتيني الكهل... إذاً فتعتمد المعالجة بالصوم على هدم الأنسجة المتداعية وقت الجوع، ثمّ إعادة ترميمها من جديد عند العودة لتناول الطعام، ولعلّ هذا هو السبب الذي دعا بعض العلماء ومنهم باشوتين، لأن يعتبروا أنّ للصوم تأثيراً معيداً للشباب. ومن ناحية أُخرى فللصوم انعاسكات نفسيّة حميدة على الصائم، يتجلّى ذلك، برقة المشاعر، ونبل العواطف، وحبّ الخير، والابتعاد عن الجدل والمشاكسة، والميول العدوانيّة، ويحس الصائم بسمو روحه وأفكاره، وصدق الرسول ﷺ، إذ يقول **«الصيام جُنّةٌ»** فإذا كان أحدكم صائماً فلا يرفث، ولا يجهل. فإن امرؤٌ قاتلهُ أو شاتمهُ فليقل: إنّي صائم».

أمّا بالنسبة لعلاقة الصيام بالوظيفة الجنسيّة، فتعتمد على تقوية الإرادة النفسيّة للإنسان بمجاهدة نفسه، والعزوف عن المعاصي التي تثير الوظيفة الجنسيّة كالنظر

والتفكير بالمعاصي والرذيلة، والتي تسبّب زيادة إفراز الهرمونات الجنسيّة، ولذلك فقد كان الصيام، الدواء الناجع الذي وجّه إليه الرسول عليه الصلاة والسلام الشباب الذي لا يستطيع الزواج إذ قال: **«يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة، فليتزوّج، ومن لم يستطع فعليه بالصيام فانّه له وجاءٌ»** (أي وقاية من المعاصي) ولا شك أنّ انحراف الشباب في الحياة الجنسيّة، سواء بتفكيرهم أو بأعمالهم، يعود بالأساس لعدم تهذيب عواطفهم وغريزتهم، وهذا هو السبب الأساسي في فشل معظم شبابنا في أن يكونوا بقدر المسؤوليّة التي تواجه أُمّتهم، والتي تتطلّب منهم عطاءً أكبر في ميادين العلم والعمل، وإيماناً أقوى من كلّ المغريات، ومن كلّ الخطوب والمحن.

وبشكل عام فقد ثبت تأثير الصيام الجيّد على الكثير من الأمراض وأهمّها:

١ ـ أمراض جهاز الهضم: كما في التهاب المعدة الحاد حيث أنّ أساس المعالجة فيه هو الصيام لمدّة ٢٤ ساعة، كما يفيد الصيام في تهيج الكولون، وأمراض الكبد، وسوء الهضم.

٢ ـ البدانة.

٣ ـ تصلّب الشرايين، وارتفاع ضغط الدم، وخناق الصدر.

٤ ـ التهاب الكلية المزمن الحابس للصوديوم، أو المسبّب للوذمة.

٥ ـ الربو القصبي.

٦ ـ الاضطرابات النفسيّة والعاطفيّة.

وقبل أن نختم البحث يجب التنبيه إلى نقطتين هامتين:

أوّلاً: قد يسبّب الصيام ضرراً بالنسبة لبعض الفئات من الناس، أو الذين لا

يستطيعون تحمّله، أو يؤثر سلباً على بعض الأمراض، وهنا يفضل عدم الصوم إذا ثبت الضرر، والإفطار في تلك الحالات رخصة منحها الله لأُولئك الناس، حيث قال في سورة البقرة: ﴿وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾[١].

ثانياً: لكي نحصل على فائدة الصيام المثلى، يجب الالتزام الصحيح بآدابه التي منها: تأخير السحور، وتعجيل الفطور، وعدم الإسراف في الطعام كمّاً وكيفاً، فلا يجوز التهام كميات كبيرة من الطعام، كما لا يجوز الإسراف في تنويع الأطعمة، وللأسف، فان واقع الناس اليوم بالنسبة للصيام كواقعهم بالنسبة لمعظم العبادات هو اهتمام بالأسماء والمظاهر واهمال لروح تلك العبادات[٢].

أسرار الصوم وشروطه الباطنيّة

قال العلماء انّ الصوم ثلاث درجات صوم العموم وصوم الخصوص وصوم خصوص الخصوص.

أمّا صوم العموم فهو كفّ البطن والفرج عن قضاء الشهوة، وأمّا صوم الخصوص فهو كز السمع والبصر اللسان واليد والرجل وسائر الجوارح.

وجاء في كتب الحديث عن الامام الصادق عليه السلام:

«إذَا صُمْتَ فَلْيَصُمْ سَمْعكَ وَبَصَرُكَ وَشَعْرُكَ وَجِلْدُكَ وَعَدَّ أَشْيَاءَ غَيْرَ هَذَا وَقَالَ وَلا يَكُونُ يَوْمُ صَوْمِكَ كَيَوْمِ فِطْرِكَ، وزادَ في آخرِ الخبر: ودَع المِراء وأذى الخادم وليَكُنْ عَلَيْكَ وقارُ الصيام فإنَّ رسولَ الله صلى الله عليه وآله سَمِعَ امْرَأَةً تَسُبُّ جَارِيَةً لَهَا وَهِيَ صَائِمَةٌ فَدَعَا

---

(١) سورة البقرة: الآية ١٨٤.

(٢) مع الطب في القرآن الكريم: ص ٢٠١ ـ ٢٠٤.

رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله بِطَعَامٍ فَقَالَ: كُلِي، فَقَالَتْ: إِنِّي صَائِمَةٌ فَقَالَ: كَيْفَ تَكُونِينَ صَائِمَةً وَقَدْ سَبَبْتِ جَارِيَتَكِ إِنَّ الصَّوْمَ لَيْسَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ»[١].

وأمّا صوم خصوص الخصوص فصوم القلب عن الهمم والأفكار الدنيويّة وكفّه عمّا سوى الله بالكليّة، ويحصل الفطر في هذا الصوم بالفكر فيما سوى الله واليوم الآخر وبالفكر في الدنيا الّا دنيا تراد للدين فانّ ذلك زاد الآخرة وليس من الدنيا حتّى قال أرباب القلوب: من تحرّك همّته بالتصرّف في نهاره لتدبير ما يفطر عليه كتبت عليه خطيئة فانّ ذلك من قلّة الوثوق بفضل الله وقلّة اليقين برزقه الموعود وهذه رتبة الأنبياء والصدّيقين والمقرّبين ولا يطول النظر في تفصيله قولاً ولكن في تحقيقه عملاً فانه اقبال على الله وانصراف عن غير الله وتلبّس بمعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ اللهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾[٢].

وقد روي عن الامام الصادق عليه السلام انّه قال:

«الصوم جُنَّةٌ أي سِتْرٌ مِنْ آفاتِ الدُّنيا وَحِجابٌ مِنْ عذابِ الآخِرَةِ»[٣].

---

(١) المحجّة البيضاء: ج٢، ص١٣١.

(٢) سورة الأنعام: الآية ٩١.

(٣) المحجّة البيضاء: ج٢، ص١٣١.

المادّة الثانية عشرة: حقّ الحج

«وَحَقُّ الْحَجِّ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ وِفَادَةٌ إِلَى رَبِّكَ وَفِرَارٌ إِلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِكَ وَفِيهِ قَبُولُ تَوْبَتِكَ وَقَضَاءُ الْفَرْضِ الَّذِي أَوْجَبَهُ اللهُ تَعَالَى عَلَيْكَ»(١).

مفردة «الحج» في الأصل تعني القصد ولهذا اطلق على الجادة اسم «المحجّة» على وزن «مودّة» ذلك انّ المحجة توصل الانسان إلى مقصده وكذلك تطلق على الدليل والبرهان فيقال «حجة» فبها توضيح المقصود في البحث وأمّا اطلاقها على هذه المناسك الخاصة فلأن القصد من الحركة والاشتراك في أداء هذه المناسك هو زيارة بيت الله الحرام.

الكعبة أوّل بيت

جاء في القرآن الكريم في سورة آل عمران قوله تعالى:

﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً وَهُدىً لِلْعَالَمِينَ (٩٦) فيهِ آياتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِناً وَلِلّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمينَ (٩٧) ﴾(٢).

---

(١) مكارم الأخلاق ص٤١٩، جدير ذكره وكما أشرنا في المقدّمة لم يرد هذا الحق في نسخة «تحف العقول».

(٢) سورة آل عمران: الآيتين ٩٦ ـ ٩٧.

والكعبة أوّل بيت للتوحيد وأقدم معبد على الأرض فلا يوجد يومئذٍ بناء للدعاء والمناجاة مع الله عزّوجل إلّا هذا البناء ووفقاً لما ورد في تاريخ الاسلام والروايات والمدوّنات إنّ أبا البشر آدم عليه السلام هو من بنى بيت الله الحرام ثمّ تعرض للغرق في حادثة الطوفان في عهد نبي الله نوح عليه السلام فأعاد بناءه رسول الله ابراهيم الخليل والدليل على ذلك ما ورد في الآية (٣٧) من سورة إبراهيم وقوله تعالى على لسان ابراهيم عليه السلام:

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾.

وفي هذا اشارة صريحة إلى وجود آثار للكعبة وعند ما وصل سيّدنا إبراهيم عليه السلام الوادي في مكة ومعه زوجه السيّدة هاجر وابنه الرضيع اسماعيل عليه السلام.

وكذلك ما ورد في الآية (١٢٧) من سورة البقرة:

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

وفي النص القرآني ما يشير إلى وجود أسس وقواعد للبيت وجاء سيّدنا إبراهيم عليه السلام فرفع هذه القواعد يعاونه في ذلك ابنه اسماعيل عليه السلام.

وأيضاً ما ورد في احدى خطب أميرالمؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام:

«أَلا تَرَوْنَ أَنَّ اللهَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ اخْتَبَرَ الْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى الْآخِرِينَ مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لا تَضُرُّ وَلا تَنْفَعُ وَلا تُبْصِرُ وَلا تَسْمَعُ فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ الْحَرَامَ... ثُمَّ أَمَرَ آدَمَ وَوُلْدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَه»[1].

ومن هذه النصوص يتّضح انّ بناء الكعبة يعود إلى عهد أبي البشر آدم عليه السلام ثمّ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ١٩٢.

تعرض للغرق في الطوفان، حتّى جاء سيّدنا إبراهيم فرفع القواعد من بيت الله الحرام.

مزايا الكعبة

أشرنا إلى انّ الكعبة الشريفة وحسب النصّ القرآني الكريم هي أوّل بيت للتوحيد وفيما يلي اشارة الىٰ طائفة من مزاياها:

أوّلاً: انّها مباركة أي مفعمة بالبركات والخير المنافع والفوائد الماديّة والمعنويّة فمن الناحية المعنويّة هو ما نراه من مظاهر الجمال والحركة والحيويّة والوحدة خاصّة في أداء مناسك الحج حيث تتجلّى الروح الاخويّة والانسانية، وأمّا من الناحية الماديّة فقد ازدهرت مدينة مكّة عبر عصور التاريخ مع انها تقع في وادي جاف وفي ظروف مناخية قاسية فكانت مركزاً تجاريّاً حيويّاً ومكاناً مناسباً للسكنى والحياة والعمل.

ثانياً: انها «هدىً للعالمين» فهي مركز لهداية جميع الناس حتّى الو ثنيّين.

ثالثاً: انّها «آيات بيّنات» حيث تتجلّى في هذا البناء المقدّس آيات الله سبحانه وتتألّق في هذا المكان العظيم آيات التوحيد وما بقاؤها وصمودها رغم محاولات الأعداء على تدميرها إلّا آية كبرى.

وفي كلّ من معالمها ذكريات وأُصداء قصص خالدة فلكلّ من «زمزم» و«الصفا» و«المروة» و«الركن» و«الحطيم» و«الحجر الأسود» و«حجر اسماعيل» ذكريات عظيمة وآيات الهيّة كبرى ونحن نعلم انّ كلّ من الجوانب الأربعة للكعبة يدعى «الركن» وأنّ الحطيم هو الفاصلة بين الحجر الأسود وباب

الكعبة العظمى حيث يبلغ الزحام في هذه الفاصلة ذروته وهو المكان الذي تاب فيه آدم عليه السلام وتاب الله عليه وانّ «حجر اسماعيل» هو محل مقوّس الشكل في الضلع الشمالي الغربي للكعبة ويبرز مقام إبراهيم عليه السلام في طليعة معالم بيت الله الحرام حيث وردت إليه الاشارة في القرآن الكريم وهو يشير إلى المكان الذي وقف فيه إبراهيم لبناء الكعبة أو المكان الذي أذّن فيه للناس بالحج.

رابعاً: انه البيت الذي «من دخله كان آمناً» وقد استجاب الله سبحانه دعاء إبراهيم وقوله «رب اجعل هذا بلداً آمناً» وقد فصلت الكتب الدينيّة والفقهيّة في حرمة هذا المكان المقدّس واجنحة الأمان التي ترفرف فوقه وقد حرّمت كلّ اشكال الحرب والقتال والنزاع فيه حتّى الحيوانات يمنع ويحرم اصطيادها وعلى من ارتكب ذلك كفارة ثقيلة يتعيّن على الشخص دفعها.

الحج فريضة الهيّة

يجب على المسلم أداء مناسك الحج مرّة واحدة في العمر طبعاً اذا توفّرت فيه الشروط التي توجب عليه أداء الفريضة، وإذا لم يؤدّ المسلم هذه الفريضة في حياته يجب على ذريته ارسال من ينوب عنه في أداء مناسك الحج الواجب.

وقد حدّد كبار الفقهاء الشروط الموجبة للحج:

الأوّل: الاستطاعة البدنيّة.

الثاني: الاستطاعة الماليّة.

والثالث: فتح الطريق.

وكنّا قد أشرنا إلى الآية الكريمة التي تشير إلى وجوب الحج وهي قوله تعالى:

﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾.

والآية توجب الحج على جميع الناس وبذلك فهو دين الهي في أعناق العباد «لله على الناس».

ويستفاد من الآية أيضاً أنّ الوجوب لا يختص بالمسلمين فقط فالتعبير يشير إلى الناس وبالتالي فهو يشمل المسلمين وغير المسلمين.

وتقول القاعدة المعروفة: «الكفار مكلّفون بالفروع كما أنّهم مكلّفون بالأُصول» غير أن شرط القبول يتوقّف على اعتناق الاسلام وفي غير هذه الحالة فان عملهم يفقد قيمته الحقيقيّة ومن الممكن ان تشوبه الشبهة أيضاً[1].

ابن أبي العوجاء والامام الصادق عليه السلام

ابن أبي العوجاء من كبار الزنادقة في عصر الامام الصادق عليه السلام، وقد حضر في أحد مواسم الحج ومعه مجموعة من أصحابه وكان الامام الصادق يفتي الناس ويفسّر لهم آيات القرآن الكريم ويجيب عن المسائل بالحجج والبيّنات.

فطلب أصحاب ابن أبي العوجاء منه أن يقوم للامام ويسأله عن مسائل تفحمه وتحرجه أمام الناس. فتقدّم ابن أبي العوجاء وخاطب الامام قائلاً:

«إلى كم تدوسون هذا البيدر وتلوذون بهذا الحجر وتعبدون هذا البيت المرفوع بالطوب والمدر وتهرولون حوله هرولة البعير اذا نفر؟ من فكّر في هذا وقدّر علم أنّه فعل غير حكيم ولا ذي نظر، فقل فانك رأس هذا الأمر وسنامه وأبوك أُسّه ونظامه».

---

(١) انظر: التفسير الأمثل: ج٣، ص١٤ ـ ١٧.

فقال الامام الصادق عليه السلام:

«إنّ من أضلّه الله وأعمى قلبه استوخم الحق ولم يستعذ به وصار الشيطان وليّه وربّه ويورده مناهل الهلكة ولا يصدره».

وهذا بيت استعبد الله به خلقه ليختبر طاعتهم في اتيانه فحثّهم على تعظيمه وزيارته وجعله قبلة للمصلّين له فهو شعبة من رضوانه وطريق يؤدّي إلى غفرانه.

فقال ابن أبي العوجاء:

ـ لقد أحلت على غائب!

فقال الامام الصادق عليه السلام:

ـ كيف يكون يا ويلك غائباً من هو مع خلقه شاهد وإليهم أقرب من حبل الوريد، يسمع كلامهم ويعلم أسرارهم، لا يخلو منه مكان ولا يشغل به مكان ولا يكون من مكان أقرب من مكان، يشهد له بذلك آثاره ويدلّ عليه أفعاله، والذي بعثه بالآيات المحكمة والبراهين الواضحة محمّد صلى الله عليه وآله جاءنا بهذه العبادة، فان شككت في شيء من أمره فسل عنه أوضحه لك.

فبهت ابن أبي العوجاء وتلعثم ولم يقل شيئاً ثمّ انصرف خاسئاً لا يدري ما يقول.

فقال أصحابه له: لقد فضحتنا بحيرتك ما رأينا أحقر منك اليوم في مجلسه!

فقال لهم:

ـ انه ابن من حلق رؤوس من ترون وأشار بيده إلى الحجاج وأهل الموسم[1].

---

(١) بحار الأنوار: ج١٠، ص٢٠٩ ـ ٢١٠.

الحج رحلة روحيّة

يجب الانتباه إلى ان مناسك الحج وشعائره وأعماله إنّما هي في الحقيقة توضيح للمقامات الروحيّة والمعنويّة للأنبياء والأولياء، انّها عمليّة تحليل للمسيرة الروحيّة لاولئك السالكين إلى الله سبحانه والراحلين إلى المحبوب حيث يطوون المراحل ويقطعون المسافات والمنازل.. منازل العبوديّة ومحطّات القرب الربوبيّة وما حقيقة العبادة إلّا حركة الروح الانسانيّة إلى الله.

يقول النبي الأكرم ﷺ:

«إنّما فرضت الصلوة وأمر بالحج والطواف وأُشعرت المناسك لاقامة ذكر الله فاذا لم يكن في قلبك للمذكور الذي هو المقصود والمبتغى عظمة ولا هيبة فما قيمة ذكرك؟»[١].

وعليه انّ أعمال الحج ومناسكه وشعائره إنّما تمثّل السيرورة الروحيّة المنظمّة للانسان الكامل الذي يطوي مراحل العبوديّة بدقّة وحيث يقطع جميع علاقاته مع عالم الماديّة والبهارج الدنيويّة وينتشل نفسه من ظلمات الدنيا ليستغرق في أنوار عالم الربوبيّة.

انّ الحج الحقيقي حركة تحصل في داخل الروح، انّها مسيرة تغيير تتم في جوهر النفس.

وانّ مسألة الحج إنّما هي مسألة تكامل واستحالة الناقص إلى كامل، وانتقال ما هو بالقوّة إلى فعل واستحالة الخام الى ناضج وعمليّة كيمائيّة يتبدّل فيها العنصر

---

(١) الحج برنامج التكامل: ص٨٠ وص٩٣.

إلى عنصر آخر ليس الحج رحلة ترفيهيّة ومجموعة حركات يؤدّيها حفنة من الجهّال، أين هذه التصوّرات السطحيّة الصبيانيّة من حقائق الحج السامية والتحوّلات المزلزلة التي يحياها السالكون إلى الله.

يروي مالك بن أنس إمام المذهب المالكي في حديث له حول سيرة الامام الصادق عليه السلام:

-«... ولقد حججت معه سنة فلمّا استوت به راحلته عند الاحرام كان كلّما همّ بالتلبية انقطع الصوت في حلقه وكاد ان يخرّ من راحلته.

فقلت:

-قل يابن رسول الله ولابدّ لك من أن تقول:

فقال:

«يابن أبي عامر كيف أجسر أن أقول: لبّيك اللّهمّ لبّيك وأخشى أن يقول عزّوجل لا لبّيك ولا سعديك»[1].

انّ الانسان اذا أُحرم جوهر روحه وبلغ بقدمه الكعبة واستلم بيده الحجر الأسود وأقام قلبه في سفح جبل عرفات بلغ بروحه المشعر الحرام، وقطع بسكين اليقين والرضا هوى نفسه ثمّ إذا عاد من حجّه عاد يحمل ياقوت السماء فهو حاج والّا: فلست أنت بحاج إنّما الجمل المسكين يأكل شوكاً ويحمل أثقالاً.

الحج وغفران الذنوب

يقول الامام السجاد عن الحج «وفرار إليه من ذنوبك» فالحاج يعود إلى

---

(١) الخصال: ج١، ص١٦٠.

دياره قد غفرت ذنوبه كيوم ولدته أُمّه وفي هذا المضمار ثمّة روايات عديدة هذه اشارة إلى واحدة منها:

«في الصحيح عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ أَبِيهِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله لَـقِيَهُ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي خَرَجْتُ أُرِيدُ الْحَجَّ فَفَاتَنِي وَأَنَا رَجُلٌ مُمِيلٌ فَمُرْنِي أَنْ أَصْنَعَ فِي مَالِي مَا أَبْلُغُ بِهِ مِثْلَ أَجْرِ الْحَاجِّ قَالَ فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: انْظُرْ إِلَى أَبِي قُبَيْسٍ فَلَوْ أَنَّ أَبَا قُبَيْسٍ لَكَ ذَهَبَةٌ حَمْرَاءُ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ مَا بَلَغْتَ بِهِ مَا يَبْلُغُ الْحَاجُّ ثُمَّ قَالَ إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جَهَازِهِ لَمْ يَرْفَعْ شَيْئاً وَ لَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ فَإِذَا رَكِبَ بَعِيرَهُ لَمْ يَرْفَعْ خُفّاً وَلَمْ يَضَعْهُ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ فَإِذَا طَافَ بِالْبَيْتِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا سَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا وَقَفَ بِعَرَفَاتٍ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا وَقَفَ بِالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ فَإِذَا رَمَى الْجِمَارَ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ، قَالَ: فَعَدَّدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله كَذَا وَكَذَا مَوْقِفاً إِذَا وَقَفَهَا الْحَاجُّ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ ثُمَّ قَالَ: أَنَّى لَكَ أَنْ تَبْلُغَ مَا يَبْلُغُ الْحَاجُّ، قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: وَلا تُكْتَبُ عَلَيْهِ الذُّنُوبُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَتُكْتَبُ لَهُ الْحَسَنَاتُ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَ بِكَبِيرَةٍ».

الحج وسؤال غير الله

رأى الامام السجاد عليه السلام رجلاً متسوّلاً يسأل الناس فقال له عليه السلام:

«ويحك أغير الله تسأل في هذا المقام؟ انه ليرجى لما في بطون الجبال في هذا اليوم أن يكون سعيداً»[١].

---

(١) الوافي: ج٢، ص٤٢.

يقول المرحوم الفيض بشأن هذا الحديث انّ سعادة كلّ شيء تناسب شأنه وعليه ربما يكون المراد من السعادة هو ما في بطون الجبال من نبات ينمو ثمّ بعد تحوّلات متوالية يظهر بصورة نطفة يخلق منها انسان سعيد.

وجاءت مفردة «الجبال» في نقل آخر «الحبالى» وحينئذٍ يتّخذ معنى الحديث صورة أوضح.

وجاء في الروايات أنّ رجلاً سأل الامام الصادق في المسجد الحرام من أعظم الناس وزراً؟

فقال عليه السلام:

«من يقف بهذين الموقفين عرفة ومزدلفة وسعى بين هذين الجبلين ثمّ طاف بهذا البيت وصلّى خلف مقام ابراهيم ثمّ قال في نفسه أو ظنّ أنّ الله لم يغفر له فهو من أعظم الناس وزراً»[1].

وقال عليه السلام أيضاً:

«ما من رجل من أهل كورة وقف بعرفة من المؤمنين إلّا غفر الله لأهل تلك الكورة من المؤمنين وما من رجل وقف بعرفة من أهل بيت من المؤمنين إلّا غفر الله لأهل ذلك البيت من المؤمنين»[2].

طبعاً تجب الاشارة الىٰ أنّ أساس كلّ ذلك هو الايمان الذي هو ينبوع التقوى وأنّ الله عزّوجل إنّما يتقبّل من المتّقين.

---

(١) الوافي: ج ٢، ص ٤٢.

(٢) المصدر نفسه.

الدعوة للحج منّة الله على الانسان

لقد منّ الله سبحانه وتعالى على الانسان وتوّجه بالكرامة وأيقظ فطرته التي استغرقت في نوم الغفلة وفجّر في أعماقه نبع معرفة الحق وعاطفة الشكران فدعاه إلى حجّ بيته العتيق والطواف حوله.

﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً﴾[1].

ومن هنا فانّ الحج هو تعبير عن الشكران للمنعم سبحانه وتعالى الذي أنعم على الانسان إذ خلقه وكرّمه وجعله أشرف مخلوقاته.

بركات الحج الكبرى

من يتأمّل في الروايات الواردة حول ثواب الحج وما فيه من بركات وخيرات يمكنه أن يفهم جانباً من أسرار الحج وهذه أمثلة:

«عَنْ سَعْدٍ الْإِسْكَافِ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا جَعْفَرٍ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ الْحَاجَّ إِذَا أَخَذَ فِي جَهَازِهِ لَمْ يَخْطُ خُطْوَةً فِي شَيْءٍ مِنْ جَهَازِهِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ جَهَازِهِ مَتَى مَا فَرَغَ»[2].

«قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: الْحُجَّاجُ يَصْدُرُونَ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ صِنْفٌ يُعْتَقُ مِنَ النَّارِ وَصِنْفٌ يَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَهَيْئَةِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ وَصِنْفٌ يُحْفَظُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَذَاكَ أَدْنَى مَا يَرْجِعُ بِهِ الْحَاجُّ»[3].

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٩٧.

(٢) الكافي: ج ٤، ص ٢٥٤.

(٣) الوافي: ج ٢، ص ٤.

المادّة الثالثة عشرة: حقّ الصدقة

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّدَقَةِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا ذُخْرُكَ عِنْدَ رَبِّكَ وَوَدِيعَتُكَ الَّتِي لا تَحْتَاجُ إِلَى الْإِشْهَادِ فَإِذَا عَلِمْتَ ذَلِكَ كُنْتَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ سِرّاً أَوْثَقَ بِمَا اسْتَوْدَعْتَهُ عَلانِيَةً وَكُنْتَ جَدِيراً أَنْ تَكُونَ أَسْرَرْتَ إِلَيْهِ أَمْراً أَعْلَنْتَهُ وَكَانَ الْأَمْرُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِيهَا سِرّاً عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلَمْ تَسْتَظْهِرْ عَلَيْهِ فِيما اسْتَوْدَعْتَهُ مِنْهَا إِشْهَادَ الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ عَلَيْهِ بِهَا كَأَنَّهَا أَوْثَقُ فِي نَفْسِكَ لا كَأَنَّكَ لا تَثِقُ بِهِ فِي تَأْدِيَةِ وَدِيعَتِكَ إِلَيْكَ ثُمَّ لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ لِأَنَّهَا لَكَ فَإِذَا امْتَنَنْتَ بِهَا لَمْ تَأْمَنْ أَنْ تَكُونَ بِهَا مِثْلَ تَهْجِينِ حَالِكَ مِنْهَا إِلَى مَنْ مَنَنْتَ بِهَا عَلَيْهِ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ دَلِيلاً عَلَى أَنَّكَ لَمْ تُرِدْ نَفْسَكَ بِهَا وَلَوْ أَرَدْتَ نَفْسَكَ بِهَا لَمْ تَمْتَنَّ بِهَا عَلَى أَحَدٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

تعني مفردة «هجن» الامتهان والخنوع والقبح و«هجّن» الأمر عابه واستقبحه.

وقد أشار الامام السجاد عليه السلام في هذا المقطع بشكل عام إلى ثلاث نقاط:

الاولى: انّ الصدقة ذخر للمتصدّق ووديعة لا تقبل النفاد ولا الفناء وعليه فان على المتصدّق ألّا ينظر الى الصدقة التي ينفقها بأنها مال قد خرج من يديه بل العكس تماماً ولعلّ أفضل مصداق هو قوله تعالى:

﴿وَلا تَنْسَ نَصيبَكَ مِنَ الدنيا﴾[1].

فالصدقة باقية وخالدة وليست فانية.

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

الثانية : إنّ صدقة السرّ أفضل وأعظم درجة من صدقة العلانيّة لأنّ صدقة السرّ لا تشوبها شائبة من الرياء فهي خالصة لوجه الله ، كما ان كرامة الذي يستلم الصدقة وماء وجهه في مأمن من أعين الناظرين.

الثالثة : انّ الصدقة يجب الّا يشوبها المنّ لأنّ المنّ يمحق آثار الصدقة وسنشير إلى أن يد الله هي التي تستلم الصدقة قبل أن تقع بيد البائس والفقير ، لأنّ الله هو المالك الحقيقي والانسان المتصدّق مجرّد واسطة.

الصدقة في الرؤية القرآنيّة

ما أشار إليه الامام السجاد في حق الصدقة قد ورد في القرآن الكريم مع ذكر تشبيهات مختلفة وسنشير إليها الّا ان من الضروري ان نوضح بأن الصدقة عبارة عن شيء ينفقه الانسان من ماله قربة إلى الله وهي أعم من الزكاة وتطلق الصدقة على الواجب والمستحب الّا انّ الزكاة تطلق على القسم الواجب.

قال الله عزّوجلّ في سورة البقرة:

﴿ مَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمْ في سَبيلِ اللهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنابِلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضاعِفُ لِمَنْ يَشاءُ وَاللهُ واسِعٌ عَليمٌ ﴾[1].

وتصوّر الآية الكريمة الصدقة حبّة قمح تنبت منها سبع سنابل في كلّ سنبلة مئة حبّة ثمّ تضاعف إلى أكثر من ذلك لأنّ الله عزّوجل واسع عليم.

وهكذا يبارك الله عزّوجل في الصدقة حيث الذين ينفقون الصدقات حبوب بُرّ مباركة نامية فبقدر ما ينفق الانسان في سبيل الله فانّه ينمو ويبارك الله فيه.

---

(١) سورة البقرة : الآية ٢٦١.

والمثل في الحقيقة قصّة محققّة أو مفترضة ولها تشابه مع شيء آخر من جهات معينة فيورد المثل لكي يعي المخاطب الجهات المشتركة المطلوب فهمها منه وفي الآية تمثيل للشخص الذي ينفق ما له في سبيل الله إذ ان مثله مثل الشخص الذي يزرع بذره أو حبّة قمح في التربة فتنبت وتخرج منها سبع سنابل وفي كلّ سنبلة مئة حبّة.

حتّى لو لم تكن لهذه القصّة حقيقة ومصداق وكانت فرضيّة وخياليّة ذلك انّ المراد منها بيان موضوع رضوان الله الذي يكمن في القيام بأيّ عمل ايجابي في سبيل الله.

الانفاق والمشكلة الطبقية

في طليعة المشكلات الاجتماعيّة المستعصية التي رافقت مسار البشريّة قديماً وحتّى يومنا هذا هي مشكلة التفاوت الطبقي والتي أصبحت أكثر تعقيداً في الوقت الحاضر مع ما احرزه الانسان من تقدّم صناعي وتطوّر اقتصادي ونلاحظ في حياتنا المعاصرة كيف تتراكم الثروات الكبرى وتتركز في أيدي طبقة اجتماعيّة فيما تعيش طبقة أُخرى الحرمان والفقر والجوع.

ومن الطبيعي أن تفرز حالات التفاوت الطبقي أوضاعاً اجتماعيّة مضطربة وتترسب في العمق الاجتماعي توجّهات عدائيّة وشعور بالكراهيّة والحقد وقد تصل الأُمور إلى الانفجار العام واندلاع حالة من الحرب الأهليّة كنتيجة حتميّة للتصدّع الاجتماعي بسبب التفاوت الطبقي.

والتأمّل في آيات القرآن الكريم يكتشف مقاصد الشريعة الاسلاميّة وغاياتها

المنشودة في ردم الهوّة بين الفقراء والأغنياء، وتحقيق العدالة الاجتماعيّة بين أفراد المجتمع وهذا لا يتحقّق الّا من خلال الأخذ بأيدي الفقراء ومساعدتهم على الحياة في ظلال أوضاع تحقّق على الأقل توافر مستلزمات الحياة الكريمة.

ومن أجل ذلك نلاحظ انّ الشريعة الاسلاميّة حرّمت كلّ اشكال المعاملات الربويّة والزمت القادرين اقتصاديّاً بدفع الضرائب الشرعيّة والمستحقّات القانونيّة من قبيل الخمس والزكاة وغيرهما والحث الدائم على الانفاق وتقديم القروض الخالية من الفائدة (القرض الحسن) والمعونات الماليّة وكلّ هذه الأُمور تعد مفردات في البرنامج الاسلامي العام لمعالجة مظاهر التفاوت الطبقي في المجتمع.

البواعث والنتائج الانفاق

تشير الآية الكريمة إلى النتائج المترتّبة على الانفاق:

﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ كَالَّذي يُنْفِقُ مالَهُ رِئاءَ النّاسِ وَلا يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوانٍ عَلَيْهِ تُرابٌ فَأَصابَهُ وابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْداً لا يَقْدِرُونَ عَلىٰ شَيْءٍ مِمّا كَسَبُوا وَاللهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكافِرينَ ﴾(١).

و«الصفوان» جمع ومفردة «صفوانة» وهي الصخور الصلدة وتصوّر الآية القرآنيّة الذي ينفق أمواله رياءً كصخرة صمّاء تغطّيها قشرة رقيقة من التراب وقد نثرت فوقها البذور المستعدّة للنمو والانبات فهي في الهواء الطلق وتتلقّى أشعّة الشمس، وهنا تأتي زخات المطر فاذا بالمطر يزيل هذه القشرة من التراب بما فيها من بذور في حين انّ البذرة تحتاج إلى عمق من التراب كي تنبت وهذا لا يتوفّر في الصخرة الصمّاء التي تغطيها قشرة رقيقة من التراب.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٦٤.

والقرآن الكريم يمثّل الانفاق من أجل الرياء أو الانفاق المزيج بالمنّ والأذى الذي يصدر عن القلوب القاسية كالصخور الصمّاء المغطاة بقشرة رقيقة من التراب اذ من المستحيل أن تجدي نفعاً بل تذهب جهود الفلاح ادراج الرياح.

ومن أجل هذا يؤكّد الامام السجاد أن يكون الانفاق المالي خالصاً لوجه الله لأنّ الانفاق في حقيقة الأمر يعود بالنفع على النفس الانسانيّة بالخير والبركة وعلى الانسان أن يمزج بين هذا الأعمال وبين الرياء والمن والأذى «ثمّ لم تمتنّ على أحد لأنّها لك».

وقد ورد في التفسير حول هذه الآية.

١ ـ ان جملة «لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى» تفيد بأن بعض الأعمال قد تتعرّض نتائجها للاحباط.

٢ ـ انّ الآية تشبه عمل المرائي بصخرة صمّاء تغطيها قشرة من التراب وفي هذا تصوير رائع لقلوب المرائين فالصخرة المغطاة بالتراب تماماً كعمل المرائي الذي يبدو في ظاهره خيراً ويضمر في الباطن شرّاً وهذه الأعمال لا تمتلك جذوراً ثابتة، وسوف تتعرّض إلى تحدّيات الحياة وحوادثها فتكشف عن زيفها كما تكشف زخات المطر حقيقة الصخرة الصمّاء التي لا تنبت فيها بذور الخير[١].

مثال قرآني آخر:

﴿وَمَثَلُ الَّذينَ يُنْفِقُونَ أَمْوالَهُمُ ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللهِ وَتَثْبيتاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصابَها وابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَها ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْها وابِلٌ فَطَلٌّ وَاللهُ بِما تَعْمَلُونَ بَصيرٌ﴾[٢].

---

(١) التفسير الأمثل: ج٢، ص٢٤٣.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٦٥.

أما الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ورضوانه وترسيخ الصفات الانسانيّة في أنفسهم مثل جنّة غناء وبساتين خضراء فوق روابي خصبة تغمرها أشعّة الشمس وتهب عليها نسائم الهواء الطيّبة واذا بزخات من المطر تنهمر عليها، فتشرب الأشجار وترتوي النباتات ويسري النسغ في عروق الأشجار فتؤتي ثمارها أضعافاً تصور هكذا منظر خلاب لهذه المزرعة فوق الرابية حيث الأشجار السامقة المحملة بالثمار وقد ارتوت من مياه المطر وحيث نسائم الهواء المنعشة، هكذا الانسان الذي ينفق أمواله في سبيل الله ومرضاة الله وهكذا قلب الانسان المؤمن الذي ينبض بالخير والحب كرابية خضراء يسري في العروق نسغ الحياة.

وهنا نذكر نقطتين:

١ ـ انّ جملة «مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم» تبين بواعث الانفاق الصائب أوّلاً طلب مرضاة الله سبحانه وثانياً تقوية روح الايمان في القلب وانبعاث السكينة والطمأنينة في نفس الانسان جرّاء تنامي المشاعر الانسانيّة النبيلة والاحساس بالمسؤوليّة ازاء اخوته في الانسانيّة.

٢ ـ انّ جملة «والله بما تعملون بصير» في آخر الآية هي تحذير إلى كل الذين يريدون القيام بأعمال الخير عليهم أن يدركوا وأن ينتبهوا إلى صفاء النية فأوّل شائبة في النوايا تهدّد قبول العمل من لدن الله عزّوجل[1].

صدقة السرّ والعلانية

يؤكّد الامام السجاد عليه السلام على أن تكون الصدقات في السر بحيث يطرح صورة

---

(١) التفسير الأمثل: ج ٢، ص ٢٤٣.

معبّرة عن هذه السرّية تصل إلى خفاء الصدقة حتّى عن الآذان والعيون، وقد يبدو ان هذا يرتبط بالصدقة المستحبّة وإلّا فانه لا بأس في دفع الصدقات الواجبة كالزكاة علانية قال الله عزّوجلّ في ذلك:

﴿ إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾(١).

ولا شكّ في أن لكلّ من الانفاق في العلن والسرّ ايجابيّات وفوائد، فمثلاً انّ الانفاق الواجب في العلن ينطوي على حالة حث وتشجيع لافراد المجتمع في أداء هذا الواجب كما يدفع عن الانسان اتهامات حول تنصّله من هذه المسؤوليّة.

وفي حالة الانفاق المستحب فان الاعلان عنه يتضمّن حالة من التبليغ الديني العملي من أجل الاسهام في تخفيف معاناة المحرومين والقيام بأعمال خيريّة من أجل الصالح العام.

وعند ما يكون الانفاق في الخفاء فانّ ذلك يضمن خالصيته من الرياء على نحو أكيد كما انه يحفظ الكرامة الانسانيّة للفقراء والمحرومين.

وقد جاء في بعض الأحاديث الشريفة ما يشير إلى استحباب الاعلان في الصدقات الواجبة واخفاء الصدقات المستحّبة فقد روي عن علي بن ابراهيم كما ورد في تفسيره قول المعصوم عليه السلام:

«الزكاة المفروضة تُخرج علانية وتدفع علانية وغير الزكوة إنْ دفَعَهُ سِرّاً فهُوَ أفضل»(٢).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧١.

(٢) مجمع البيان: ج٢، ص٣٨٤.

ويستفاد من جملة «ويكفر عنكم سيّئاتكم» الدور الذي يؤدّيه الانفاق في سبيل الله في غفران الذنوب طبعاً ليس جميع السيّئات وعلى أيّة حال فان ما هو يؤثر في قيمة الانفاق هي النيّة الخالصة في العمل ولا يؤثّر اطلاع الناس أو عدم اطّلاعهم في هذا الامر شيئاً فما هو مهم علم الله سبحانه واحاطته وهو سبحانه يعلم السرّ وأخفى.

دور الانفاق والصدقة في حياة الانسان

﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدٰاهُمْ وَلٰكِنَّ اللهَ يَهْدي مَنْ يَشٰاءُ وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمٰا تُنْفِقُونَ إِلاَّ ابْتِغٰاءَ وَجْهِ اللهِ وَمٰا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاٰ تُظْلَمُونَ ﴾(١).

جاء في تفسير مجمع البيان حول شأن نزول هذه الآية الكريمة عن ابن عبّاس في أنّ المسلمين لم يكونوا مستعدّين للانفاق على غير المسلمين فنزلت الآية الكريمة تجيز لهم ذلك في حالة الضرورة ونفهم من جملة «وما تنفقوا من خير فلأنفسكم» في أنّ منافع الانفاق تعود حصراً على المنفق، ما يتضمّن حثّاً قويّاً على الانفاق باعتباره عمل انساني نبيل ذلك انّ الانسان عند ما يدرك عائديةالفائدة عليه ذاتيّاً فانّه سوف يندفع بقوّة للانفاق ويكون أكثر اقبالاً على أعمال الخير والاحسان. والانفاق له في الابعاد الماديّة والابعاد المعنويّة آثار جمّة فعلى الصعيد المعنوي ثمّة تأثير واسع في تنميه روح الايثار والسخاء وحالة من الحب والاخوة في نفسيّة المنفق وفي الحقيقة انّ الانفاق هنا أداة ووسيلة مؤثّرة في تنمية ورشد وارتقاء الشخصيّة الانسانيّة.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧٢.

أمّا على الصعيد المادي فانّ الانفاق سوف يسهم بشكل مؤثّر في التقليل من الهوة بين طبقات المجتمع وعند ما ينتشر على نطاق واسع فانّه سوف يقوم بردم هذه الهوة؛ ولقد أشرنا إلى ان وجود طبقة اجتماعيّة محرومة سوف يؤدّي إلى ترسّب مشاعر الحرمان في العمق الاجتماعي وهي مشاعر سلبيّة في النهاية قد يؤدّي تراكمها الى أن تتحوّل إلى ألغام خطيرة تهدّد الأمن الاجتماعي بخطر الانفجار، ما يعود بالاضطراب على الحياة الاجتماعيّة العامّة وسلامة الاقتصاد.

أمّا معنى «وجه الله» في الآية فان مفردة الوجه تعني الصورة وأحياناً تعني الذات ومن الممكن ان المعنى هو أنه يجب على المنفقين ان يهدفوا من وراء عملهم الذات الالهيّة حيث الوجه كناية عن ذلك لأنّ الله سبحانه وتعالى ليس بجسم حتّى يكون له وجه ولا صورة كما انّ في جملة «وما تنفقوا من خير يوف إليكم» تصريح بأن كلّ الفائدة إنّما تعود على المنفق اذا أنفق في سبيل الله ولا يوجد أدنى ظلم يلحق بالمنفق أبداً وتعدّ هذه الجملة في الآية الكريمة دليلاً واضحاً حول تجسّم الأعمال فالعمل سيعود على من قام به.

ونختتم هذا الفصل بذكر بعض الروايات في مضمار الانفاق.

الصدقة وآثارها في الروايات

للصدقة والتصدّق آثار جمّة أشارت إليها الروايات وفيما يلي طائفة منها:

الصدقة وزيادة الرزق

«عن الكوفي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تصدّقوا فإنّ الصدقة تزيد

في المال كثرة فتصدّقوا رحمكم الله»[١].

«عن أبي الحسنعليه السلام قال: استنزلوا الرزق بالصدقة»[٢].

«عن الرضا عن آبائهعليهم السلام قال: قال النبي صلى الله عليه وآله: خير مال المرء وذخائره الصدقة»[٣].

الصدقة والشفاء من الأمراض

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: داووا مرضاكم بالصدقة»[٤].

«عن عبدالله بن سنان قال: قال أبو عبدالله الصادقعليه السلام: داووا مرضاكم بالصدقة وادفعوا البلاء بالدعاء واستنزلوا الرزق بالصدقة فانّها تفكّ من بين لَحي سبعمئة شيطان»[٥].

«عن عبدالله بن سنان قال: عن أبي عبداللهعليه السلام قال: سمعته يقول: يستحب للمريض أن يعطي السائل بيده ويؤمر السائل أن يدعو له»[٦].

الصدقة والوقاية من البلاء

«عَنْ مُوسَى بْنِ أَبِي الْحَسَنِ عَنْ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَاعليه السلام قَالَ: ظَهَرَ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ قَحْطٌ شَدِيدٌ سِنِينَ مُتَوَاتِرَةً وَكَانَ عِنْدَ امْرَأَةٍ لُقْمَةٌ مِنْ خُبْزٍ فَوَضَعَتْهُ فِي فَمِهَا لِتَأْكُلَهُ

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦، ص٢٥٧.

(٢) المصدر السابق: ص٢٥٨.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٦٠.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه: ص٢٦٢.

فَنَادَى السَّائِلُ يَا أَمَةَ اللهِ الْجُوعُ، فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: أَتَصَدَّقُ فِي مِثْلِ هَذَا الزَّمَانِ؟! فَأَخْرَجَتْهَا مِنْ فِيهَا وَدَفَعَتْهَا إِلَى السَّائِلِ وَكَانَ لَهَا وَلَدٌ صَغِيرٌ يَحْتَطِبُ فِي الصَّحْرَاءِ فَجَاءَ الذِّئْبُ فَحَمَلَهُ فَوَقَعَتِ الصَّيْحَةُ فَعَدَتِ الأُمُّ فِي أَثَرِ الذِّئْبِ فَبَعَثَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَبْرَئِيلَ عليه السلام فَأَخْرَجَ الْغُلَامَ مِنْ فَمِ الذِّئْبِ فَدَفَعَهُ إِلَى أُمِّهِ، فَقَالَ لَهَا جَبْرَئِيلُ عليه السلام: يَا أَمَةَ اللهِ أَرَضِيتِ لُقْمَةً بِلُقْمَةٍ»[1].

أجل إنّ الامام السجّاد عليه السلام يقول في حقّ الصدقة: وأمّا حقّ الصدقة فأن تعلم انّها ذخرك عند ربّك ووديعتك التي لا تحتاج إلى الاشهاد وهكذا تكون الصدقة سدّاً يحمي الانسان من سهام البلاء وهذه رواية أُخرى يرويها علي بن إبراهيم باسناده عن سالم بن مكرم عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال:

مرّ يهودي (إلى أن قال) فقال النبي صلى الله عليه وآله إنّ هذه اليهودي يعضه أسود في قفاه فيقتله، قال فذهب اليهودي فاحتطب حطباً كثيراً فاحتمله فلم يلبث إن انصرف فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله (لليهودي): ضعه فوضع الحطب فاذا اسود في جوف الحطب عاض على عود فقال صلى الله عليه وآله: يا يهودي أي شيء عملت اليوم؟

فقال (اليهودي): ما عملت عملاً إلّا حطبي هذا احتملته فجئت به وكان معي كعكتان فأكلت واحدة وتصدّقت بواحدة على مسكين فقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

ـ بها دفع الله عنه.

«ثمّ قال صلى الله عليه وآله: إنّ الصدقة تدفع ميتة السوء عن الانسان».

«عَنْ حَنَانِ بْنِ سَدِيرٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتَدْفَعُ سَبْعِينَ بَلِيَّةً مِنْ بَلَايَا الدُّنْيَا مَعَ مِيتَةِ السَّوْءِ إِنَّ صَاحِبَهَا لا يَمُوتُ مِيتَةَ السَّوْءِ أَبَداً مَعَ مَا يُدَّخَرُ

---

(١) المصدر نفسه: ص ٢٦٢.

لِصَاحِبِهَا فِي الْآخِرَةِ»[١].

وكما أشرنا إلى ان الاعلان في الصدقة والاخفاء كلاهما له ثواب الّا ان الحث على صدقة السرّ ورد في كثير من الروايات:

«عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عَنْ أَبِيهِ عليهما السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»[٢].

«عَنْ عُمَرَ بْنِ يَزِيدَ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: صَدَقَةُ الْعَلانِيَةِ تَدْفَعُ سَبْعِينَ نَوْعاً مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلاءِ وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ»[٣].

«عَنْ الْفَضْلُ بْنُ الْحَسَنِ الطَّبْرِسِيُّ فِي مَجْمَعِ الْبَيَانِ قَالَ: وَقَالَ عليه السلام: صَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَتُطْفِئُ الْخَطِيئَةَ كَمَا يُطْفِئُ الْمَاءُ النَّارَ وَتَدْفَعُ سَبْعِينَ بَاباً مِنَ الْبَلاءِ»[٤].

«عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَرْضُ الْقِيَامَةِ نَارٌ مَا خَلا ظِلَّ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّ صَدَقَتَهُ تُظِلُّهُ»[٥].

وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«صدقة السر تكفر الخطيئة وصدقة العلانية مثراة للمال»[٦].

«قَالَ عليه السلام: سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلّا ظِلُّهُ إِلَى أَنْ قَالَ: وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لَمْ تَعْلَمْ يَمِينُهُ مَا تُنْفِقُ شِمَالُهُ»[٧].

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٦٨ ـ ٢٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٦٨ ـ ٢٧٧.

(٣) المصدر نفسه: ص٢٦٨ ـ ٢٧٧.

(٤) المصدر نفسه: ٢٧٧.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٥٦.

(٦) شرح الغرر الدرر: ج٤، ص٢٠٧.

(٧) وسائل الشيعة: ج٦، ص٢٧٧.

المادّة الرابعة عشرة: حقّ الهدْي

«وَأَمَّا حَقُّ الْهَدْيِ فَأَنْ تُخْلِصَ بِهَا الْإِرَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَالتَّعَرُّضَ لِرَحْمَتِهِ وَقَبُولِهِ وَلا تُرِيدَ عُيُونَ النَّاظِرِينَ دُونَهُ فَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ تَكُنْ مُتَكَلِّفاً وَلا مُتَصَنِّعاً وَكُنْتَ إِنَّمَا تَقْصِدُ إِلَى اللهِ وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ يُرَادُ بِالْيَسِيرِ وَلا يُرَادُ بِالْعَسِيرِ كَمَا أَرَادَ بِخَلْقِهِ التَّيْسِيرَ وَلَمْ يُرِدْ بِهِمُ التَّعْسِيرَ وَكَذَلِكَ التَّذَلُّلُ أَوْلَى بِكَ مِنَ التَّدَهْقُنِ؛ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ وَالْمَئُونَةَ فِي الْمُتَدَهْقِنِينَ فَأَمَّا التَّذَلُّلُ وَالتَّمَسْكُنُ فَلا كُلْفَةَ فِيهِمَا وَلا مَئُونَةَ عَلَيْهِمَا لِأَنَّهُمَا الْخِلْقَةُ وَهُمَا مَوْجُودَانِ فِي الطَّبِيعَةِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ.

مفردة «هدي»

«هدي» على وزن «فَلْس» الذبح الذي يقدّمه الحاج في بيت الله الحرام في موسم الحج وغيره ويدعى «أضحية» ولعلّ علّة التسمية هو الاحترام والتكريم للكعبة بيت الله الحرام حيث انه في الهدي والهداية معنى اللطف أو أن التسمية جاء من سياق الهدية إذ يقال: «هدى العروس إلى بعلها» ومعنى اصطحاب العروس إلى بيت بعلها[1].

وجاء في القرآن الكريم: ﴿وَلاَ تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ﴾[2].

---

(١) قاموس القرآن: ج٧، ص١٥٠.

(٢) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

وقد جاءت تسمية «الهدية» من اللطف الذي يقوم به شخص إلى شخص آخر كما جاء في القرآن الكريم على لسان السيّدة بلقيس وقولها: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[١].

وجاءت مفردة «الهدي» في القرآن الكريم سبع مرّات وهي تتحدّث جميعاً حول الذبح في الحج والعمرة ومفردها «الهدية» مثل «تمر» و«تمرة» والحج «هدْي» على وزن فعيل كما ورد في المجمع[٢].

القربان، الأضحية

وهو ثاني أعمال الحج الواجبة التي يقوم بها الحاج في منى ويقصد فيه القرب من الله عزّوجل جاء في مجمع البحرين: «القربان ما يقصد به القرب من رحمة الله من أعمال البر»[٣].

ونحن هنا بصدد شرح حق الهدي كما ورد في رسالة الحقوق ولذا من الضروري التطرّق إلى ما ورد منه في القرآن الكريم للكشف عن أهميّته.

﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُؤُسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ بِهِ أَذىً مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٤].

ونلاحظ في هذه الآية ان مفردة الهدي يتكرّر ذكرها ثلاث مرّات حيث

---

(١) سورة النمل: الآية ٣٥.

(٢) قاموس القرآن: ج٧، ص١٥٠.

(٣) مجمع البحرين: مادة «قرب».

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٦.

الاولى وقت الاحرام إلّا إذا حال مانع دون ذلك من مرض أو خوف، وهنا يجب القيام بالأضحية والثانية في يوم العيد قبل حلق الرأس وبعد رمي جمرة العقبة وما لم يقدّم القربان فلا يجوز حلق الرأس، الثالثة: بعد الأمن فكلّ حاج يريد أداء حجّ التمتّع فانّه تتعيّن عليه الأضحية في أرض منى:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلائِدَ وَلاَ آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنْ رَبِّهِمْ وَرِضْواناً﴾(١).

وتتضمّن هذه الآية ثمانية أوامر أحدها موضوع الهدي والقربان والأضحية والقربان في الحج أعم من أن تكون فيه علامة أم لا فيما الهدي جمع هدية بمعنى الماشية التي تقدّم أضحية وقرباناً الى بيت الله.

«القلائد» جمع قلادة حيث القلادة الشيء الذي يعلّق في عنق الانسان أو الحيوان، وتقصد الآية الماشية التي تقدم قرباناً في مناسك الحج وشعائره.

وفي هذه يطرح موضوع الهدي أيضاً:

﴿جَعَلَ اللهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلائِدَ﴾(٢).

وهذه الآية أيضاً:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ وَمَنْ قَتَلَهُ مِنْكُمْ مُتَعَمِّداً فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوا عَدْلٍ مِنْكُمْ هَدْياً بالِغَ الْكَعْبَةِ﴾(٣).

وحول محل ذبح هذه الكفّارة نجد انّ الأمر الالهي باهداء الذبح الى الكعبة

---

(١) سورة المائدة: الآية ٢.

(٢) سورة المائدة: الآية ٩٧.

(٣) سورة المائدة: الآية ٩٠.

ويجب الاشارة إلى ان المشهور بين الفقهاء هو ان كفّارة الصيد في حالة الاحرام للعمرة الذبح في مكّة والصيد في حالة الحج يكون الذبح في منى.

ثمّ نلاحظ طرح موضوع الهدي مرّة أُخرى:

﴿ هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفاً أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ ﴾[1].

وهذه سبعة موارد اشارة إليها القرآن الكريم في موضوع الهدي مؤكّداً أهميّة وادراك سرّ التشريع فيه وهو القرب من الله سبحانه حيث يكون الذبح عند بيته المحرّم.

نبذة عن تاريخ الأضاحي والقرابين

يثير موضوع القرابين والأضاحي الكثيرين ويدفعهم إلى السؤال عن تاريخ ظهور تقديم القرابين ومن المؤكّد كما أثبتت الدراسات العلميّة التاريخيّة والأثريّة ان كلّ الأُمم كان في طقوسها العباديّة تقديم القرابين بصور مختلفة، ومن حسن الحظ انّ القرآن الكريم أشار بصراحة إلى جذور هذه الظاهرة التي عاصرت ظهور الانسان على وجه الأرض إذ نلاحظ في قصّة ابني آدم قابيل وهابيل وكيف قدّما قرباناً:

﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَاناً فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِما وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة الفتح: الآية ٢٥.

(٢) سورة المائدة: الآية ٢٧.

ويستفاد من الآية الكريمة ان من الطرق في معرفة القرب من الحق هو في تقديم القربان حيث قدّم هابيل قرباناً وكذلك هابيل فتقبل من هابيل وظهرت أفضليته وقربه من الله سبحانه.

وكان رسول الله ابراهيم الخليل يقدّم القرابين[١] ويتصدّق بلحومها من أجل القربى من الله سبحانه وإلى هذا الموضوع أشار كتاب التوراة في سفر التكوين.

وكذلك أبناء ابراهيم وذريته كانوا يمارسون هذا الطقس العبادي تقرّباً إلى الله والزلفى لديه.

وكانت القرابين في عهد نبي الله موسى بن عمران عليه السلام على نحوين الأوّل كان للذبح والآخر يطلق في البريّة وكان القسم الذي يقدّم للذبح يقسم هو الآخر إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ ذبيحة المحرقة. ٢ ـ ذبيحة التكفير عن الخطيئة. ٣ ـ ذبيحة السلامة فالقربان الأوّل يحرق ويبقى جلده فقط الذي يخص به الكاهن والثاني نصف منه للحرق والنصف الآخر للكاهن والثالث يحل للجميع.

وكان الرومان يقدمون القرابين لآلتهم حيث يقوم الكهنة برش الماء والعسل وماء الورد أثناء الذبح.

وتفيد المدوّنات التاريخيّة انّ الانسان لم يقتصر في تقديم القرابين على الأغنام والماشية الأُخرى والحيوانات بل تعدى الأمر إلى التضحية بالانسان فكان يذبح قرباناً.

وقد مارست الشعوب القديمة هذا النوع من القرابين فكانت لدى الفينيقيين

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ١، ص ٣٦٥.

والكنعانيين والفرس والمصريّين والروم وفي سنة ٦٥٧م للميلاد أصدر مجلس الشيوخ الروماني قراراً يمنع ذلك.

وكان قدماء المصريّين يحضرون سنويّاً فتاة عذراء ويلبسونها أجمل الحلي ثمّ يتم اغراقها في مياه النهر بكلّ احترام ويمارسون ذلك كطقس عبادي وذلك تقرّباً لآلهتهم وقد استمرّت هذه الظاهرة النكراء حتّى أيّام الفتح الاسلامي فأبطلها عمرو بن العاص بموافقة الخليفة الثاني عمر بن الخطّاب.

وعند ما ظهر الاسلام منع جميع اشكال القرابين التي تقدّم إلى الأصنام وشرّع القربان الصحيح لاتباعه ومسألة تقديم القرابين مسألة تنسجم مع الفطرة البشريّة وقد جبل الانسان على ذلك فهو يحب أن يقدّم القرابين وقد ذكرت الشريعة على نحو صريح انه لا دماء القرابين ولا لحومها تصل إلى الله عزّوجل بل يناله التقوى والقرب منه ولذا يقصد في ذبح الأضاحي القرب من الله سبحانه حيث يذكر اسم الله عزّوجل حين المباشرة بالذبح.

الهدي أمر شرعي وعقلاني

ونستنتج ممّا مضى انّ الهدي أمر عقلاني وهو محل رضا وقبول الشارع المقدّس وذلك من أجل تهذيب النفس الانسانيّة والرقي بالروح وكذلك تعزيز النظام الاقتصادي في المجتمع حيث يشكل اللحم المادّة الغذائيّة الاساسيّة التي ينبغي توفيرها للشرائح الفقيرة من المجتمع حيث يكون ذبح الأضاحي فى سبيل الله وحده وقد ورد في الروات في علل الشرائع:

«عَنِ الصَّادِقِ عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: إِنَّمَا جَعَلَ اللهُ هَذَا الأَضْحَى

لِتَتَّسِعَ مَسَاكِينُكُمْ مِنَ اللَّحْمِ فَأَطْعِمُوهُمْ»(١).

«عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام: قَالَ: قُلْتُ لَهُ: مَا عِلَّةُ الأُضْحِيَّةِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ يُغْفَرُ لِصَاحِبِهَا عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا عَلَى الأَرْضِ وَلِيَعْلَمَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ مَنْ يَتَّقِيهِ بِالْغَيْبِ قَالَ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلٰكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوىٰ مِنْكُمْ ﴾ ثُمَّ قَالَ: انْظُرْ كَيْفَ قَبِلَ اللهُ قُرْبَانَ هَابِيلَ وَرَدَّ قُرْبَانَ قَابِيلَ»(٢).

ونلاحظ في الرواية اشارة إلى ثواب صاحب القربان حيث يغفر له عند أوّل قطرة من القربان والأضحية.

«عَنْ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ: لَوْ عَلِمَ النَّاسُ مَا فِي الأُضْحِيَّةِ لاسْتَدَانُوا وَضَحَّوْا إِنَّهُ لَيُغْفَرُ لِصَاحِبِ الأُضْحِيَّةِ عِنْدَ أَوَّلِ قَطْرَةٍ تَقْطُرُ مِنْ دَمِهَا»(٣).

وفي وسائل الشيعة: «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال لابنته فاطمة عليها السلام: **«اشهدي ذبح ذبيحتك فانّ أوّل قطرة منها يغفر الله بها كلّ ذنب عليكِ»** إلى أن قال: **«وهذا للمسلمين عامّة»**(٤).

عن أبي الحسن موسى عليه السلام: قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: استفرهوا ضحاياكم فانّها مطاياكم على الصراط»(٥).

---

(١) علل الشرائع: ص٤٣٧.
(٢) المصدر السابق: ص٢٣٨.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج١، ص٣٦٩.
(٥) علل الشرايع: ص٤٣٨، باب ١٧٩.

المادّة الخامسة عشرة: حقّ الحاكم

«فَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ جُعِلْتَ لَهُ فِتْنَةً وَأَنَّهُ مُبْتَلىً فِيكَ بِمَا جَعَلَهُ اللهُ لَهُ عَلَيْكَ مِنَ السُّلْطَانِ وَأَنْ تُخْلِصَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَنْ لا تُمَاحِكَهُ وَقَدْ بُسِطَتْ يَدُهُ عَلَيْكَ فَتَكُونَ سَبَبَ هَلاكِ نَفْسِكَ وَهَلاكِهِ وَتَذَلَّلْ وَتَلَطَّفْ لإِعْطَائِهِ مِنَ الرِّضَى مَا يَكُفُّهُ عَنْكَ وَلا يُضِرُّ بِدِينِكَ وَتَسْتَعِينُ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ بِاللهِ وَلا تُعَازَّهُ[1] وَلا تُعَانِدْهُ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ ذَلِكَ عَقَقْتَهُ[2] وَعَقَقْتَ نَفْسَكَ فَعَرَّضْتَهَا لِمَكْرُوهِهِ وَعَرَّضْتَهُ لِلْهَلَكَةِ فِيكَ وَكُنْتَ خَلِيقاً أَنْ تَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَشَرِيكاً لَهُ فِيمَا أَتَى إِلَيْكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

تعني مفردة السلطة القدرة وجاء في كتاب «المفردات» و«أقرب الموارد» ان السلطة تعني تمكّن القدرة من القهر وقيل: سلّطه عليه.

وفي هذا المقطع من رسالة الحقوق يطرق الامام السجاد عليه السلام حقوق القادة والحاكمين في المجتمع حيث يبيّن حقّ الحاكم والاداري الذي يقود المجتمع حيث المقصود من السلطان صاحب السلطة والذي يمسك بزمام الأُمور.

ولقد أجمعت المجتمعات الانسانيّة والشعوب والأُمم على ضرورة وجود القائد والحاكم والسلطان ففي ظلّ الحكومة والسلطة يمكن تنفيذ القوانين والضوابط الاداريّة واستتباب الأمن واقامة النظم وفي غياب النظام السياسي تسود الفوضى في المجتمعات وينهار النظام الاجتماعي.

---

(١) عازّه مُعازّة: الصراع معه ومحاولة كل طرف التسلّط.

(٢) عقّ: الايذاء وفي الغالب تستخدم في ايذاء الوالدين.

ضرورة وجود الحاكم في رؤية الامام علي عليه السلام

قال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«وَإِنَّهُ لابُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَيُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الأَجَلَ وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ»[١].

وقد صرّح الامام علي عليه السلام بضرورة الحاكم والنظام السياسي والسلطة أبان أزمّة الخوارج ورفعهم شعار «لا حكم إلّا لله».

ويتضمّن نص الامام اشارة إلى وظائف الحاكم في ادارة شؤون البلاد ونشر الأمن و تحقيق العدالة الاجتماعيّة.

ضرورة وجود الحاكم في رؤية الامام الرضا عليه السلام

يروي الفضل بن شاذان عن الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام حول هذا الموضوع في ضرورة وجود الحاكم والاداري فقد جاء في حديث طويل قوله عليه السلام:

«وَمِنْهَا أَنَّا لا نَجِدُ فِرْقَةً مِنَ الْفِرَقِ وَلا مِلَّةً مِنَ الْمِلَلِ بَقُوا وَعَاشُوا إِلّا بِقَيِّمٍ وَرَئِيسٍ لِمَا لابُدَّ لَهُمْ مِنْهُ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالدُّنْيَا فَلَمْ يَجُزْ فِي حِكْمَةِ الْحَكِيمِ أَنْ يَتْرُكَ الْخَلْقَ مِمَّا يَعْلَمُ أَنَّهُ لابُدَّ لَهُمْ مِنْهُ وَلا قِوَامَ لَهُمْ إِلّا بِهِ فَيُقَاتِلُونَ بِهِ عَدُوَّهُمْ وَيَقْسِمُونَ بِهِ فَيْئَهُمْ وَيُقِيمُ لَهُمْ جُمُعَتَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ وَيَمْنَعُ ظَالِمَهُمْ مِنْ مَظْلُومِهِم»[٢].

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٤٠.

(٢) الحياة: ج٢، ص٣٨٦.

وفي هذا النص بيان لفلسفة وجود الحاكم والاداري والنظام السياسي في المجتمع.

أئمّة العدل وصفاتهم

حسب التقسيم القرآني فانّ الأئمّة ينقسمون إلى قسمين: أئمّة عدل وأئمّة ظلم وجور ولكلّ صفات خاصّة وخصال نشير إليها باختصار:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ﴾[١].

والخصائص التي تبينها الآية الكريمة لأئمّة العدل انّهم ينصبون من لدن الله عزّوجل وان أولى خصالهم الهداية والارشاد اذ انهم يقومون بهداية مجتمعاتهم وارشاد الناس إلى جادّة الصواب.

والخصلة الثانية انّهم محل نزول الوحي الالهي الذي يتضمّن فعل الخير واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وعبادة الله عزّوجل وانّهم حلقة الوصل بين الخلق والخالق تبارك وتعالى كما ان ايتاء الزكاة يعبّر عن العلاقة بين الفقراء والأغنياء؛ وختاماً تشير الآية الى خصلة العبوديّة لله سبحانه حيث بلغوا الذروة في هذه الطريق وأصبحوا قادة لمجتمعاتهم.

القيادة عامل في الانتصار

يشير القرآن الكريم إلى اعتبار القدرة والقوّة شرطاً للامام العادل ويسوق

---

(١) سورة الأنبياء: الآية ٧٣.

مثالاً على ذلك في قصّة الملك طالوت، الذي كان رجلاً قوي الجسم آتاه الله بسطة في جسمه وقدرة في جهازه العصبي اضافة إلى قدراته الروحيّة وشخصيته العلميّة وطاقاته الاداريّة والقياديّة وقد ذهب البعض إلى انّ علّة انتخابه طالوت هي قامته المديدة وانه سمي «طالوت» لهذا السبب:

﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكاً نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴾(١).

وأخبرهم نبيّهم بأنّ الله قد اختار لهم طالوت قائداً وزعيماً:

﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكاً قَالُوا أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴾(٢).

وقد أشرنا في مطلع الحديث إلى ان القيادة عامل في الانتصار في حالة تمتّع القائد بالقوّة والقدرة الاداريّة والقياديّة والآية تشير إلى هذا الموضوع بوضوح فعند ما طلب بنو إسرائيل قائداً وزعيماً أخبرهم ودلّهم على رجل قوي من الناحية الجسمانيّة وينطوي على شخصية علميّة وقد اعترض البعض على هذا الترشيح متذرّعاً بالبعد الاقتصادي حيث معيار الزعامة لدية قدراته الاقتصاديّة وامكاناته الماليّة وقالوا كيف يكون قائداً علينا وهو رجل فقير؟! وقد فنّد القرآن هذا الرأي لأن الدخل الفردي الاقتصادي لا دخل له في شروط القائد الموفق والزعيم الذي يقود شعبه نحو النصر.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٤٦.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٧.

طالوت وقيادة الجيش

تصدّى طالوت لقيادة الجيش وأثبت جدارته في مدّة قصيرة كما أثبت قدرات اداريّة في ادارة شؤون بلاده فكان اداريّاً موّفقاً وقائداً عسكريّاً قويّاً، ثمّ عبّأ قوّاته لخوض حرب مصيريّة ضد الأعداء وأكّد على انّ الذين يرافقونه في هذه الحرب أن يكون همّهم الأوّل الجهاد في سبيل الله وكان عاقبة أمره أنّ انتصر بنوإسرائيل على عدوّهم جالوت.

وكان أحد الشروط الأساسيّة في ما حصل هو الاصطفاء الالهي لذي العلم والقدرة والتدبير حيث اختبر طالوت الفقير اقتصاديّاً ولكن العالم القوي: ﴿إِنَّ اللهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾.

وأشار الامام زين العابدين في حقّ القائد ذي السلطة إلى ذلك بقوله: «**وقد بسطت يده عليك**» وان عدم ادراكك لهذا الأمر يؤدّي بك إلى الهلاك والموضوع الآخر الذي ذكره الامام هو ان علاقة الحاكم والمحكوم هي امتحان للطرفين واختبار وقد أشار القرآن إلى هذا الموضوع في قصّة طالوت في قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلاَّ مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرِبُوا مِنْهُ إِلاَّ قَلِيلاً مِنْهُمْ﴾[١].

حسن استغلال السلطة في قصّة ذي القرنين

ذكر القرآن الكريم مثالاً آخر في قيادة المجتمع فكان شخص ذي القرنين الحاكم القدير والقيادي القوي الذي استثمر سلطته في انقاذ شعب مظلوم ففي

---

(١) سورة البقرة: ٢٤٩.

مقطع من قصّته القرآنيّة نقرأ خبر وصوله إلى أرض فيصادف شعباً مقهوراً يتعرّض لغزو ظالم باستمرار وذلك في منطقة جبليّة:

﴿ حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْماً لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلاً ﴾(١).

وكان أعداؤهم قوماً متوحشين فشكى زعماء ذلك الشعب من «يأجوج ومأجوج» وعرضوا عليه أموالاً من أجل بناء سدّ يحميهم من الغزو الوحشي.

﴿ قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجاً عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْماً ﴿٩٥﴾ آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّى إِذَا سَاوَى بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ انْفُخُوا حَتَّى إِذَا جَعَلَهُ نَاراً قَالَ آتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْراً ﴿٩٦﴾ ﴾(٢).

و «الردْم» في الأصل ملْ صدع بالصخور ثمّ اتّسع استعماله ليشمل معان أوسع فشمل بذلك أنواع السدود وحتّى التوصيلة في الثياب وقد ذهب فريق من المفسّرين إلى انّ الردم يعني السدّ المحكم والقوي والسد الحائل الذي يحجز بين شيئين أو يفصل بينهما.

وبعد ذلك أمرهم ذوالقرنين أن يهيّئوا قطعاً كبيرة من الحديد حيث «زُبُر» جمع «زُبْرَة» علا وزن غُرفة بمعنى القطع الكبيرة والضخمة من الحديد فلما تم تجهيزها أمر بوضعها فوق بعض حتّى ملأ الوادي بين الجبلين و «صَدَف» بمعنى جانب الجبل والمفازة بين الجبلين حيث الممرّ الذي يعبر منه الغزاة والمغيرون وكانت آخر خطوة أن أمرهم بافراغ النحاس المذاب فكان سدّاً فولاذيّاً مغطى

---

(١) سورة الكهف: الآية ٩٣.

(٢) سورة الكهف: الآية ٩٤ ـ ٩٦.

بالنحاس يمنع من نفوذ الهواء والماء ويحفظ الحديد من التآكّل والتأكسد والخراب وقد نجح السدّ في صد هجمات يأجوج ومأجوج وهنا نرى ذا القرنين في منتهى التواضع والأدب والانسانيّة فلم يتباهة بعمله الجبّار وانجازه الكبير بل عبّر عن ذلك بأنه رحمة الله فكان ذا القرنين مثالاً للحاكم[١] القدير والقوي الذي استثير سلطانه في خدمة الشعب والمجتمع وهذه من خصائص السلطان العادل الذي يعمل على انقاذ المجتمع ونجاته:

«فإنّ الرعية الصالحة تنجو بالامام العادل ألا وإنّ الرعيّة الفاجرة تهلك بالامام الفاجر»[٢].

معرفة القائد العادل وطاعته

قال الامام الصادق عليه السلام:

«خَرَجَ الْحُسَيْنُ بْنُ عَلِيّ عليه السلام عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ جَلَّ ذِكْرُهُ مَا خَلَقَ الْعِبَادَ إِلَّا لِيَعْرِفُوهُ فَإِذَا عَرَفُوهُ عَبَدُوهُ فَإِذَا عَبَدُوهُ اسْتَغْنَوْا بِعِبَادَتِهِ عَنْ عِبَادَةِ مَا سِوَاهُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا بْنَ رَسُولِ اللهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَمَا مَعْرِفَةُ اللهِ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ أَهْلِ كُلِّ زَمَانٍ إِمَامَهُمُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِمْ طَاعَتُهُ»[٣].

نجاة الشعب المصري على يد الحاكم العالم العادل

جاء في قصّة يوسف النبي صلى الله عليه وآله القرآنيّة انّ يوسف عليه السلام لمّا اطلق من السجن

---

(١) التفسير الأمثل: ج١٢، ص٥٣٤.

(٢) الحياة: ج٢، ص٣٨٥.

(٣) المصدر السابق: ص٣٩٣ نقلاً عن بحار الأنوار: ج٥، ص٣١٢.

واتّضحت للحاكم براءته ومنزلته العلميّة وعرض عليه تسنّم موقع حكومي قال يوسف عليه السلام مقترحاً:

﴿ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

وأصبح سيّدنا يوسف عليه السلام عزيز مصر ومسؤولاً كبيراً جدّاً في البلاد وقد تعهّد بالمحافظة على ثروة البلاد وممتلكات الناس كما بين خبرته في ادارة الاقتصاد وانقاذ مصر من الأزمة المصيريّة القادمة وقد تحقّق ذلك من خلال خططه الاروائيّة والاقتصاديّة وتمّ انقاذ الشعب المصري من مجاعة خطيرة في سنوات القحط والجفاف التي استمرت سبع سنين عجاف.

السلطان العادل جدير بالاحترام

جاء في العديد من الروايات عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام توصيات تؤكّد على وجوب احترام السلطان العادل والحاكم المنصف وهذه طائفة على سبيل المثال لا الحصر:

١ ـ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقّروا السلاطين وبجّلوهم فانّهم عزّ الله وظلّه في الأرض إذا كانوا عدولاً»[2].

٢ ـ «وعن عمر قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله أخبرني عن هذا السلطان الذي ذلت له الرقاب وخضعت له الأجساد ما هو؟ قال: ظِلُّ الله في الأرض فاذا أحسن فله الأجر وعليكم الشكر وإذا أساء فعليه الإصر وعليكم الصبر»[3].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥٥.

(٢) شرح رسالة الحقوق للقبانچى: ج ١، ص ٣٨٢.

(٣) المصدر السابق.

ونلاحظ في حديث النبي ﷺ توصية بالشكر في مقابل وجود الحاكم العادل.

٣ـ وجاء عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام انه قال لشيعته: «لا تذلّوا رقابكم بترك طاعة سلطانكم فان كان عادلاً فاسئلوا الله إبقائه وإن كان جائراً فاسئلوا الله إصلاحه فإنّ صلاحكم في صلاح سلطانكم وإنّ السلطان العادل بمنزلة الوالد الرحيم فأحبّوا له ما تحبّون لأنفسكم وأكرهوا له ما تكرهون لأنفسكم»[١].

وهنا نرى انّ الحاكم العادل يؤدّي دور الأب الرحيم والوالد الشفيق في ادارة شؤون البلاد وتنظيم أُمور العباد.

٤ ـ وقال النبي ﷺ: «زيّن الله السماء بثلاثة الشمس والقمر والكواكب وزين الارض بثلاثة العلماء والمطر والسلطان العادل»[٢].

وندرك من خلال الحديث انّ السلطان العادل باعث في انتشار العمران في البلاد وتقدم الحياة الانسانيّة نحو الامام.

استفتاء هولاكو

عند ما قام هولاكو باحتلال بغداد سنة ٦٥٦ هـ أمر بجمع علماء بغداد في المدرسة المستنصريّة وتمّ توجيه السؤال التالي:

ـ أيما أفضل السلطان الكافر العادل أو السلطان المسلم الجائر؟

واحجم العلماء عن الجواب، وكان السيّد رضي الدين حاضراً وكان عالماً مبرزاً له احترامه بين العلماء فلمّا رأى أحجامهم أخذ الورقة التي فيها السؤال

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٨٣.

وأفتى بتفضيل العادل الكافر على المسلم الجائر وحينئذٍ بادر العلماء فامضوا فتوى السيّد ابن طاووس رحمه الله.

وقد انطلق السيّد ابن طاووس في فتواه من حديث مسند إلى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وقوله الشريف: «**يبقى الملك بالعدل مع الكفر ولا يبقى بالجور مع الايمان**»[١].

العلم والاطلاع على خصائص ومقوّمات الحكم

إنّ من خصائص الحاكم الاسلامي العلم والاطلاع على قضايا الحكم وقد أشرنا في قصّة طالوت إلى انّ الحاكم المطلوب أن يكون عالماً مدبّراً ومديراً والعلم بالنسبة للحاكم كالسراج الساطع الذي يضيء للحاكم طريقه في ادارة شؤون بلاده ومواطنيه فيخرجهم من الظلام إلى النور وقد قال بعض الحكماء: إنّ السلطان إذا كان مفتقراً إلى العلم كان كالفيل الهائج لا يمرّ بشيء إلّا دمّره ليس له زاجر من عقل ولا رادع من علم.

تقوى الله

ومن خصائص الحاكم الموفّق الخوف من الله تعالى وهذه الخصلة هي أصل الخير ولُساسه ومفتاح النجاح لأنّ السلطان إذا خاف الله انتشر الأمن بين عباد الله وقد جاء في سيرة الامام علي عليه السلام انه نادى على أحد غلمانه فلم يجبه فناداه مراراً والغلام لا يجيب!

فدخل عليه رجل وأخبره قائلاً: يا أميرالمؤمنين انه بالباب واقف يسمع صوتك ولا يجيبك.

---

(١) المصدر نفسه: ص٣٨٥.

فخرج الامام ورآه فقال: أما سمعت صوتي؟ قال الغلام: بلى، فقال الامام عليه السلام: فما منعك عن اجابتي؟ قال الغلام: أمنت عقوبتك، قال الامام عليه السلام: الحمد لله الذي جعلني ممّن يأمنه خلقه.

العفو والصفح

ومن خصائص الحاكم المنشود العفو والصفح عن الذنوب والصفوات والعفو من أكبر خصال الخير لأنّه بالعفو تجتذب القلوب وتصلح النوايا وقد قال تعالى في محكم كتابه:

﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ﴾[1].

وقال الامام علي عليه السلام وهو من تربى في ظلال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إذا قدرت على عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»[2].

وجاء في كتابه عليه السلام إلى مالك الأشتر لمّا نصبه حاكماً على مصر:

«ولا تندمنّ على عفو ولا تبجحنّ عقوبة»[3].

ونقرأ في مقطع آخر من عهده هذا إلى مالك الأشتر:

«فأعطهم من عفوك وصفحك مثل الذي تحب وترضى أن يعطيك الله من عفوه وصفحه فانّك فوقهم ووالي الأمر عليك فوقك والله فوق من ولاك»[4].

---

(١) سورة النور: الآية ٢٢.

(٢) نهج البلاغة: الكلمات القصار ١٠.

(٣) نهج البلاغة، كتاب ٥٣.

(٤) المصدر نفسه.

الوفاء بالعهد

ومن الصفات البارزة في الحاكم المطلوب الالتزام بالعهود والمواثيق والوفاء بالوعود وقد قال سبحانه في كتابه الكريم:

﴿ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلاً ﴾[1].

وعي ما يجري في البلاد والعلاقة بالشعب

ومن الخصائص الهامّة في الحاكم أن يكون واعياً لما يجري من شؤون البلاد والعباد والعلاقة القويّة المباشرة مع الشعب ليمكنه الاطلاع عن كثب وقرب بما يحتاجه البلد وما يحتاجه الناس والاطلاع على مشكلاتهم ورؤية الأُمور في احجامها الطبيعيّة بحيث لا يحصل خلط فلا يُصغّر الأمر الكبير ولا يضخم الأمر البسيط والصغير.

يقول الامام علي عليه السلام في عهده المذكور أعلاه:

«فَلا تُطَوِّلَنَّ احْتَجَابكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ وَالإحْتِجَابُ مِنْهُمْ يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتُجِبُوا دُونَهُ فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمْ الْكَبِيرُ وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ»[2].

وفميا يلي نشير إلى دور الحاكم الطاغية وخصائص الطغاة وصفاتهم وتأثيرهم في مجتمعاتهم وشعوبهم.

---

(١) سورة الاسراء: ٣٤.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٥٣.

الحكام الطغاة

أشار القرآن الكريم إلى وجود نوعين أو قسمين من الحكّام في المجتمعات الانسانيّة حكّام إلهيون يتّصفون بالعدالة والانسانيّة وحكّام طغاة مستبدّون، وقد أشار القرآن إلى دور الطغاة في حركة الأُمم وحياتها ومصيرها:

﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ يُنْصَرُونَ﴾(١).

والسؤال هنا: كيف يجعل الله أئـمّة وحكّـاماً يـحكمون بـالباطل يـقودون مجتمعاتهم إلى المصير الأسود؟ والجواب انّ ذلك يحصل باختيارهم وارادتـهم ذلك أنّ الله سبحانه أرسل أنبياءه ورسله يدعون الناس إلى الخير، والذي يحصل هو تمرّد على دعوة الأنبياء والمرسلين واتّباع الطغاة ومن أجل هذا لعنهم الله في الدنيا والآخرة ومصيرهم يوم القيامة العذاب الأبدي.

﴿وَأَتْبَعْنَاهُمْ في هٰذِهِ الدُّنْيا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحينَ﴾(٢).

واللعنة الالهيّة هي الطرد من رحمته والحرمان من رأفته فهم مورد غضب الله وتطاردهم لعنة ولعنة ملائكته ولعنة المؤمنين.

وقد أشار الامام الصادق عليه السلام الى ان من خصائص أئمّة الهدى انّهم يقدّمون أمر الله على أمرهم فيما أئمّة الضلال يقدّمون أمرهم على أمر الله(٣).

وفيما كان الامام الحسين عليه السلام في قافلته باتّجاه الكوفة سأله رجل في أحـد

---

(١) سورة القصص: الآية ٤١.

(٢) سورة القصص: الآية ٤٢.

(٣) التفسير الأمثل: ج١٦، ص٩٢.

منازل الطريق عن تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(١)، فقال الامام عليه السلام:

«إِمَامٌ دَعَا إِلَى هُدًى فَأَجَابُوهُ إِلَيْهِ وَإِمَامٌ دَعَا إِلَى ضَلالَةٍ فَأَجَابُوهُ إِلَيْهَا هَؤُلاءِ فِي الْجَنَّةِ وَهَؤُلاءِ فِي النَّارِ وَهُوَ قَوْلُهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾(٢).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«أَنَّ فِي وِلايَةِ الْوَالِي الْجَائِرِ دُرُوسَ الْحَقِّ كُلِّهِ وَإِحْيَاءَ الْبَاطِلِ كُلِّهِ وَإِظْهَارَ الظُّلْمِ وَالْجَوْرِ وَالْفَسَادِ»(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وآله:

«لكُلّ شيء آفةٌ يُفسدُهُ وآفة هذا الدين ولاة السوء»(٤).

وقال الامام الباقر عليه السلام:

«ثَلاثَةٌ لَيْسَ لَهُمْ حُرْمَةٌ صَاحِبُ هَوًى مُبْتَدِعٌ وَ الْإِمَامُ الْجَائِرُ وَالْفَاسِقُ الْمُعْلِنُ بِالْفِسْقِ»(٥).

النظام الطاغوتي خروج من النور ودخول في الظلام

قال تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾(٦).

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٧١.

(٢) تفسير نور الثقلين: ج٣، ص١٩٢.

(٣) الحياة: ج٢، ص٤٠٥.

(٤) نهج الفصاحة: حديث ٢٢٥٥.

(٥) الحياة: ج٢، ص٤٠٥.

(٦) سورة البقرة: الآية ٢٥٧.

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«لا دِينَ لِمَنْ دَانَ اللهَ بِوَلايَةِ إِمَامٍ جَائِرٍ لَيْسَ مِنَ اللهِ وَلا عَتْبَ عَلَى مَنْ دَانَ بِوَلايَةِ إِمَامٍ عَادِلٍ مِنَ اللهِ قُلْتُ لا دِينَ لِأُولَئِكَ وَلا عَتْبَ عَلَى هَؤُلاءِ قَالَ: نَعَمْ لا دِينَ لِأُولَئِكَ وَلا عَتْبَ عَلَى هَؤُلاءِ، ثُمَّ قَالَ: أَلا تَسْمَعُ لِقَوْلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ: ﴿ اللهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[1].

الحاكم الخائن

ورد في رسالة الامام علي عليه السلام إلى أحد ولاته ويدعى «مصقلة بن هبيرة الشيباني» وكان حاكماً على «اردشير خُرّه» وهي مدينة في بلاد فارس:

«أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ، بَلَغَنِي أَنَّكَ تَقْسِمُ فَيْءَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ اعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ، فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقّاً لَتَجِدَنَّ لَكَ عَلَيَّ هَوَاناً وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَاناً فَلا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ وَلا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً»[2].

وجاء في نقل آخر في بحار الأنوار قوله عليه السلام:

«أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِنْ أَعْظَمِ الْخِيَانَةِ خِيَانَةَ الْأُمَّةِ وَأَعْظَمُ الْغِشِّ عَلَى أَهْلِ الْمِصْرِ غِشُّ الْإِمَامِ وَعِنْدَكَ مِنْ حَقِّ الْمُسْلِمِينَ خَمْسُمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ فَابْعَثْ بِهَا إِلَيَّ حِينَ يَأْتِيكَ رَسُولِي»[3].

---

(١) الحياة: ج٢، ص٤٠٦.

(٢) نهج البلاغة: كتاب ٤٠.

(٣) بحار الأنوار: ج٣٣، ص٤١٦.

ونلاحظ كيف يندّد الامام بالحاكم الذي يخون الأُمّة لأن خيانة الأُمّة هـي خيانة عظمى من وجهة نظر الامام علي عليه السلام.

طلب أبي ذر

«جاء عن أبي ذر رحمه الله قال: قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثمّ قال: يا أباذر انك ضعيف وانّها أمانة وإنّها يوم القيمة خزي وندامة إلّا من أخذها بحقّها وأدّى الذي عليه فيها»[1].

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچی: ج١، ص ٣٧٤.

المادّة السادسة عشرة: حقّ الأُستاذ والمعلّم

«وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْعِلْمِ فَالتَّعْظِيمُ لَهُ وَالتَّوْقِيرُ لِمَجْلِسِهِ وَحُسْنُ الاسْتِمَاعِ إِلَيْهِ وَالإِقْبَالُ عَلَيْهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا لا غِنَى بِكَ عَنْهُ مِنَ الْعِلْمِ بِأَنْ تُفَرِّغَ لَهُ عَقْلَكَ وَتُحَضِّرَهُ فَهْمَكَ وَتُذَكِّيَ لَهُ قَلْبَكَ وَتُجَلِّيَ لَهُ بَصَرَكَ بِتَرْكِ اللَّذَّاتِ وَنَقْصِ الشَّهَوَاتِ وَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ فِيمَا أَلْقَى إِلَيْكَ رَسُولُهُ إِلَى مَنْ لَقِيَكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ فَلَزِمَكَ حُسْنُ التَّأْدِيَةِ عَنْهُ إِلَيْهِمْ وَلا تَخُنْهُ فِي تَأْدِيَةِ رِسَالَتِهِ وَالْقِيَامِ بِهَا عَنْهُ إِذَا تَقَلَّدْتَهَا وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

أمّا النصّ الوارد في كتاب مكارم الأخلاق فقد تضمّن ما يلي:

«وَأَنْ لا تَرْفَعَ عَلَيْهِ صَوْتَكَ وَلا تُجِيبَ أَحَداً يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يُجِيبُ وَلا تُحَدِّثَ فِي مَجْلِسِهِ أَحَداً وَلا تَغْتَابَ عِنْدَهُ أَحَداً وَأَنْ تَدْفَعَ عَنْهُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَكَ بِسُوءٍ وَأَنْ تَسْتُرَ عُيُوبَهُ وَتُظْهِرَ مَنَاقِبَهُ وَلا تُجَالِسَ لَهُ عَدُوّاً وَلا تُعَادِيَ لَهُ وَلِيّاً فَإِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ شَهِدَتْ لَكَ مَلائِكَةُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ بِأَنَّكَ قَصَدْتَهُ وَتَعَلَّمْتَ عِلْمَهُ لِلهِ جَلَّ وَعَزَّ اسْمُهُ لا لِلنَّاس».

واشتمل النصان على مجموعة من الحقوق يمكن ايجازها بما يلي:

١ ـ اجلال المعلم والاستاذ وتكريمه.

٢ ـ معاونته بحسن الاصغاء في انتهال العلم والمعرفة.

٣ ـ ايجاد الأرضيّة اللازمة للتعلّم من خلال الاقبال على المعلّم.

٤ ـ عدم رفع الصوت على صوت المعلّم والاستاذ والتحدّث في حضرته بهدوء.

٥ ـ عدم الاجابة إذا سأله أحد غيرك.

٦ ـ عدم الاغتياب في حضرته.

٧ ـ الدفاع عنه إذا ما انتقصه أحد في غيابه.

٨ ـ التستّر على عيوبه.

٩ ـ عدم التحدّث مع أحد في حضرته.

١٠ ـ ذكر ايجابياته وخصاله الحسنة في المجالس.

١١ ـ عدم مجالسة أعدائه.

١٢ ـ عدم معاداة أصدقائه.

منزلة العلم

قبل البدء في الحديث عن حقوق الاستاذ والمعلّم من الضروري الحديث بايجاز عن منزلة العلم وقيمته في الرؤية الاسلاميّة والقرآن الكريم.

إنّ قيمة العلم ومنزلته واضحة جدّاً للجميع والانسان يحب بفطرته وتكوينه العلم وهو خاضع في رحاب العلم وكانت أولى الكلمات المقدّسة التي تلقّاها رسول الله صلى الله عليه وآله تتمحور حول العلم ﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذي خَلَقَ ﴾[1] حيث مسألة الربوبيّة وقضية الخلق والخليقة من القضايا الجوهريّة في العلوم.

ويلي أمر القراءة باسم الرب طرح مسألة القلم وموضوع العلم والتعليم ﴿ الَّذي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسانَ ما لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾[2] وعند ما يبدأ الوحي بهذه الكلمات

(١) سورة العلق: الآية ١.

(٢) سورة العلق: الآية ٤ ـ ٥.

وهذه المواضيع فانّه يعبّر بوضوح عن منزلة العلم الرفيعة وقممه الشاهقة وما يسمو إليه الانسان من خلاله إلى الدرجات العلى والانتقال من عالم الناسوت إلى عالم الملكوت وبلوغ مرحلة القرب الالهي.

يبلغ الانسان شأواً لا يرى غير الاله.

فتأمّل كم هو رفيع مقام الآدمي.

قال تعالىٰ في كتابه العزيز: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّما يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبابِ﴾[١].

ويقول القرآن الكريم: ﴿قُلْ لا يَسْتَوِي الْخَبيثُ وَالطَّيِّبُ﴾[٢].

ويقول:

﴿وَما يَسْتَوِي الأَعْمىٰ وَالْبَصيرُ ﴿١٩﴾ وَلاَ الظُّلُماتُ وَلاَ النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلاَ الظِّلُّ وَلاَ الْحَرُورُ ﴿٢١﴾﴾[٣].

وبهذا فهو يحشد مفردات الخبث والعمى والظلمات في مصاف الجهل فيما يعبّر عن العلم بمفردات الطيب والابصار والنور والظلال والوارفة.

ثمّ يبلغ بالعالم المنزلة الرفيعة عند ما يضعه القرآن الكريم الى جانب الله عزّوجل في الشهادة على صدق الرسالات الالهيّة.

﴿قُلْ كَفىٰ بِاللهِ شَهيداً بَيْني وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتابِ﴾[٤].

وقد شاء الله سبحانه أن يرفع العلم والعلماء الىٰ الدرجات العالية:

---

(١) سورة الزمر: الآية ٩.

(٢) سورة المائدة: الآية ١٠٠.

(٣) سورة الزمر: الآيات ١٩ ـ ٢١.

(٤) سورة الرعد: الآية ٤٣.

﴿ يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ الَّذينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ ﴾[١].

مقام المعلّم والأستاذ

«عَنِ النبي صلى الله عليه وآله: زِيَارَةُ الْعُلَمَاءِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ تَعَالَى مِنْ سَبْعِينَ طَوَافاً حَوْلَ الْبَيْتِ وَأَفْضَلُ مِنْ سَبْعِينَ حَجَّةً وَعُمْرَةً مَبْرُورَةً مَقْبُولَةً وَرَفَعَ اللهُ لَهُ سَبْعِينَ دَرَجَةً وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ الرَّحْمَةَ وَشَهِدَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ أَنَّ الْجَنَّةَ وَجَبَتْ لَهُ»[٢].

وقال صلى الله عليه وآله يحثّ على مجالسة العلماء:

«قَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وآله: الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ قِيَامِ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُصَلَّى فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفُ رَكْعَةٍ وَالْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مُذَاكَرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللهِ مِنْ أَلْفِ غَزْوَةٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ»[٣].

«قال النبي صلى الله عليه وآله: مَا مِنْ مُؤْمِنٍ يَقْعُدُ سَاعَةً عِنْدَ الْعَالِمِ إِلَّا نَادَاهُ رَبُّهُ عَزَّوَجَلَّ جَلَسْتَ إِلَى حَبِيبِي فَوَعِزَّتِي وَجَلالِي لأَسْكَنْتُكَ الْجَنَّةَ مَعَهُ وَلا أُبَالِي»[٤].

وفي هذا الحديث نلاحظ انّ الاستاذ الذي يكون في حالة تدريس العلوم يكون حبيباً لله ويعده الله عزّوجلّ بالجنّة مع الذي يطلب العلم ويصغي إلى المعرفة ويتلقّى المعرفة؛ مع الاشارة إلى ان هذا الحديث يشمل الاستاذ والطالب الذي يدرس العلم ويتلقّاه في سبيل الله ورضوانه.

---

(١) سورة المجادلة: الآية ١١.

(٢) الحياة: ج٢، ص٢٧٢، نقلاً عن عدّة الداعي: ص٦٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه نقلاً عن البحار: ج١، ص٢٠٣.

دور المعلم والاستاذ

«عَنِ الجوادعليه السلام: مَنْ أَصْغَى إِلَى نَاطِقٍ فَقَدْ عَبَدَهُ فَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنِ اللهِ فَقَدْ عَبَدَاللهَ وَإِنْ كَانَ النَّاطِقُ عَنْ إِبْلِيسَ فَقَدْ عَبَدَ إِبْلِيسَ»[1].

وهكذا نكتشف مدى تأثير البيان والحديث والأفكار ومدى دورها في المجتمع ولدى المستمعين ومن هنا ندرك قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه.

وصايا الامام علي عليه السلام لمالك الأشتر

جاء في عهد الامام علي عليه السلام لمالك الأشتر:

«وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَافَثَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَهْلُ بِلادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ مِنْ قَبْلِكَ»[2].

دور الاستاذ

١ ـ كان عمر بن عبدالعزيز يلعب مع اقرانه من صبيان بني أُميّة وكان يترنّم بأشعار في هجو وذم ولعن الامام علي عليه السلام، وذات يوم مرّ به استاذه فسمعه يقرأ تلك الأشعار.

فلمّا جاء عمر إلى معلّمه واستاذه عامله بشدّة فسأله عمر عن سبب غضبه

---

(١) تحف العقول: ص٣٣٦.

(٢) نهج البلاغة: كتاب رقم ٥٣.

فقال له: لقد سمعتك تشتم عليّاً فمتى علمت انه يستحق الشتم؟

فوعده عمر أن لا يكرّر ذلك أبداً، فلمّا أصبح خليفة أبطل لعن الامام علي عليه السلام على منابر الاسلام في كلّ انحاء الدولة وأمر الخطباء أن يقرأوا بدل ذلك الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ فكان هذا بتأثير من معلّمه[١].

٢ ـ وهذا معاوية بن يزيد بن معاوية لما جلس على كرسي الخلافة بعد هلاك أبيه أعلن من على المنبر ادانته لسياسة جدّه وأبيه وانّهما نازعا أصحاب الحق واغتصبا الخلافة، ثمّ أعلن استقالته، وحاول مروان ثنيه عن ذلك كما حاولت أُمه أيضاً ولكن دون جدوى.

وقد أثار هذا الاعلان هواجس بني أُميّة فأجروا تحقيقاً في ذلك واكتشفوا انّ معلمه «عمر المقصوص» هو الذي بذر حب عليّ وذريّته في نفسه فنشأ على حب أهل البيت، فحفروا له حفرة ودفنوه حيّاً[٢] وحتّى معاوية توفي بعد أربعين يوماً في ظروف غامضة وهكذا ندرك مدى تأثير المعلم في حياة الانسان وفي حياة الامم والشعوب.

انتخاب الأُستاذ

قال تعالى في محكم كتابه العزيز:

﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾[٣].

---

(١) انظر: الكامل لابن الأثير: ج٥، ص٤٢.

(٢) حياة الحيوان: ج١، ص٨٨.

(٣) سورة عبس: الآيات ٢٤ ـ ٢٧.

ويبدو من ظاهر الآيات أنّ الانسان ينبغي أن ينظر إلى طعامه فثمّة حديث عن انصباب الماء ثمّ انشقاق الأرض وخروج النباتات منها غير أن علماء الوحي الالهي فسّروا ذلك أيضاً بالغذاء الروحي.

فقد جاء في تفسير الصافي عن الفيض الكاشاني هذه الرواية:

«عن الامام الباقر عليه السلام: أنّه قيل له في قوله تعالى «فلينظر الإنسان إلى طعامه» ما طعامه؟ قال: علمه الذي يأخذه عمن يأخذه»(١).

وحينئذٍ يقول الفيض في هذا الموضوع إنّ الطعام قسمان: جسماني وروحاني ولأن الانسان مركّب من جسم وروح فكما أنه بحاجة إلى غذاء جسماني فهو كذلك بحاجة الىٰ غذاء روحي، وكما أنّ عليه أن ينظر إلى طعامه كيف ينزل المطر من السماء وكيف تنبت الزروع والأشجار في الأرض فكذلك عليه أن ينظر إلى غذائه من علوم يتلقاها ومعارف يطلبها وكيف ينزل الوحي من السماء على أرض النبوّة وقلب النبي الأكرم وأرواح من لديهم قابليّة الاستفادة من غيث الوحي والمقصود من هذا الغذاء أخذ العلم عن أهل البيت عليهم السلام.

ومن الواضح ان للغذاء المسموم تأثيره السلبي على جسم الانسان وقد يؤدي بحياته كذلك فانّ للأفكار الضالّة المنحرفة تأثيرها السلبي على روح الانسان وقد تدمّر صرح سعادته وتكوينه الآدمي الانساني وتؤدّي به الىٰ خراب الدنيا والآخرة ولقد تحدّثنا في هذا الموضوع في حق السمع.

احترام حقوق الاستاذ

«قال الباقر عليه السلام: إِذَا جَلَسْتَ إِلَى عَالِمٍ فَكُنْ عَلَى أَنْ تَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْكَ عَلَى أَنْ تَقُولَ

---

(١) تفسير الصافي: ج٢، ص٧٨٩.

وَتَعَلَّمْ حُسْنَ الإسْتِمَاعِ كَمَا تَتَعَلَّمُ حُسْنَ الْقَوْلِ وَلا تَقْطَعْ عَلَى أَحَدٍ حَدِيثَهُ»[١].

وهنا نلاحظ أنّ القدرة على الاصغاء من أبرز الصفات التي على الطالب وبشكل عام الانسان أن يتحلّىٰ بها، وهكذا يكون حسن الاستماع من آداب طلب العلم والمعرفة.

كما ان عدم قطع الحديث على الاستاذ وبشكل عام على كلّ متحدّث من أبرز الصفات في المجالس وآداب اللقاءات الاجتماعيّة.

حقّ الاستاذ عند الامام عليعليه السلام

«عن الصادقعليه السلام قال: كان أميرالمؤمنينعليه السلام يقول: إنَّ مِنْ حَقِّ الْعَالِمِ أَنْ لا تُكْثِرَ عَلَيْهِ السُّؤَالَ وَلا تَجُرَّ بِثَوْبِهِ وَإِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ وَعِنْدَهُ قَوْمٌ فَسَلِّمْ عَلَيْهِمْ جَمِيعاً وَخُصَّهُ بِالتَّحِيَّةِ دُونَهُمْ وَاجْلِسْ بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا تَجْلِسْ خَلْفَهُ وَلا تَغْمِزْ بِعَيْنَيْكَ وَلا تُشِرْ بِيَدِكَ وَلا تُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ قَالَ فُلانٌ وَقَالَ فُلانٌ خِلافاً لِقَوْلِهِ وَلا تَضْجَرْ بِطُولِ صُحْبَتِهِ فَإِنَّمَا مَثَلُ الْعَالِمِ مَثَلُ النَّخْلَةِ تَنْتَظِرُ بِهَا مَتَى يَسْقُطُ عَلَيْكَ مِنْهَا شَيْءٌ»[٢].

لاحظ كيف يفرد الامام عليعليه السلام للاستاذ والمعلّم منزلة رفيعة انه يبلغ به إلى أن يشبهه بالنخلة الباسقة التي تهب الظلال وينظر إليها الانسان وينتظر من متىٰ يساقط رطبها وتعطي ثمرها وتمرها.

منزلة المعلّم في القرآن الكريم

تتضمّن سورة الكهف قصّة سيّدنا موسى بن عمرانعليه السلام مع العبد الصالح

---

(١) الحياة: ج٢، ص٢٧٣، ح١، ص٢٢٢.

(٢) المصدر السابق نقلاً عن اصول الكافي: ج١، ص٣٧.

الخضر عليه السلام وكيف قطع سيّدنا موسى عليه السلام المسافات الطويلة للقاء ذلك الانسان الصالح الذي أوتي علماً الهياً وكان مع سيّدنا موسى عليه السلام وصيّه «يوشع بن نون» ذلك الفتى الشجاع والرجل الرشيد في بني إسرائيل.

﴿ فَوَجَدَا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنّا عِلْماً ﴾(١).

وكان في طليعة خصال وخصائص ذلك الانسان الصالح أنه وصل مقاماً رفيعاً وهو العبوديّة لله عزّوجل وعند ما يصل الانسان إلى هذا المقام الشامخ حينئذٍ يفيض عليه العلم الربّاني ويتلقى الاشراق الالهي ومن أجل ذلك فقد علمه الله سبحانه.

ومن المؤكّد انّ التلميذ وهو سيّدنا موسى الذي هو نبي بل هو من أولي العزم من الرسل يفوق استاذه في أبعاد مختلفة ومع ذلك فان لدى الخضر علماً يفتقده رسول الله موسى عليه السلام ومن أجل هذا تحمّل النبي عليه السلام عناء السفر والبحث عنه فلمّا التقاه عند شاطئ البحر:

﴿ قالَ لَهُ مُوسىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلىٰ أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمّا عُلِّمْتَ رُشْداً (٦٦) قالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطيعَ مَعِيَ صَبْراً (٦٧) وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلىٰ ما لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْراً (٦٨) قالَ سَتَجِدُني إِنْ شاءَ اللهُ صابِراً وَلا أَعْصي لَكَ أَمْراً (٦٩) ﴾(٢).

ونلاحظ هنا آداب التلمذة وطلب العلم؛ ذلك انّ سيّدنا موسى عليه السلام يقول للخضر عليه السلام:

١ ـ هل اتّبعك؟ أي انه على استعداد لاتباع الاستاذ وقد عرض عليه ذلك بكلّ أدب وتواضع.

---

(١) سورة الكهف: الآية ٦٥.

(٢) سورة الكهف: الآيات ٦٦ ـ ٦٩.

٢ ـ ان اقتراح سيّدنا موسى جاء عن طريق السؤال وهذا منتهى التواضع.

٣ ـ عبّر سيّدنا موسى عليه السلام عن جهله ازاء استاذه وطلب منه أن يضيء بعلمه الذي تلقّاه ظلام الجهل الذي يعاني منه التلميذ.

٤ ـ ان من وظائف التلميذ ازاء استاذه هي النقاط التي اشير إليها الاتباع، التعلّم، الخدمة يعني انّ التلميذ يتوجب عليه في الخطوة الأُولى أن يكون تابعاً لاستاذه لكي يتسنّى له بلوغ ذروة التعلّم من علمه وفكره.

٥ ـ ومن خلال قول سيّدنا موسى عليه السلام «على أن تعلّمن» فاننا ندرك ان النبي عليه السلام كان ينشد العلم فقط ولم يكن يبحث عن جاه أو مقام أو مال وهذه نقطة جوهريّة في العمليّة التعليميّة ينبغي أن يضعها التلاميذ والطلبة نصب أعينهم فلا ينبغي عليهم أن يتوقّعوا من الاستاذ أكثر من ذلك.

٦ ـ ومن جملة «ممّا عُلّمت» تصريح من النبي موسى عليه السلام في أن ما لدى الخضر من علم هو أساساً من الله عزّوجل ونستنتج من ذك بأن مقام الاستاذيّة هو من السماوات الالهيّة وأن الانسان يأخذ علمه من الله عزّوجل.

٧ ـ وتعني كلمة «رشد» ان سيّدنا موسى عليه السلام كان يطلب مسترشداً الخضر وكان يريد الارشاد من ذلك العبد الصالح.

النقاط التربويّة في حديث الاستاذ

١ ـ يستفاد من جملة «انك لن تستطيع معي صبراً» ان العمليّة التعليميّة تتطلّب الصبر وأن الاستعجال وانعدام الصبر يضرّ بها كثيراً، كما نفهم المقام الرفيع للصابرين وأهميته.

٢ ـ انّ الاستاذ نفى أن يكون لسيّدنا موسى عليه السلام الصبر الكافي الذي يؤهله لتلقي العلوم ولعلّ الاستاذ كان يهدف إلى اعداد تلميذه نفسيّاً لكي يمكنه ادراك فلسفة ما سيقوم به من أعمال.

٣ ـ انّ موسى عليه السلام قد تحمّل الكثير من الجهد والتعب بحثاً عن استاذ قدير ما يعني انّ الحصول على الاستاذ اللائق يتطلّب العنا في البحث وتحمل المشاق، وقد لاحظنا في توصيات أهل البيت عليهم السلام تأكيداً على عدم طلب العلم إلّا من منابعه الصافية.

وحينئذٍ نلاحظ تلك الرحلة العلميّة لسيّدنا موسى مع معلّمه واستاذه كيف يقوم الاستاذ بثقب السفينة وكيف يسدّد ضربة قاضية لصبي وكيف يقوم باصلاح حائط كان على وشك الانهيار من دون طلب الأُجرة وكان التلميذ في كلّ مرّة يعترض وفي النهاية يعرف أسرار ما قام به استاذه.

وقد وردت هذه القصّة في سورة الكهف والغاية من وراء ذلك أن يدرك الانسان ما أشرنا إليه في النقاط أعلاه.

منزلة الاستاذ في رؤية الغزالي

يقول الغزالي:

انّ للانسان في علمه أربعة أحوال: فحالة في اقتناء الأموال إذ لصاحب المال حال الاستفادة فيكون مكتسباً، وحال ادخار لما اكتسبه فيكون به غنيّاً عن السؤال، وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعاً، وحال بذل لغيره فيكون به سخيّاً متفضّلاً وهو أشرف أحواله.

فكذلك العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني عن السؤال وحال استبصار وهو التفكّر في المحصّل والتمتّع به، وحال تبصير وهو أشرف الأحوال، فمن علم وعمل وعلّم فذلك الذي يدعى عظيماً في ملكوت السماوات، فانّه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة، وكالمسك الذي يطيّب غيره وهو طيّب والذي يعلم ولا يعمل به كالدفتر الذي يفيد غيره وهو خال عن العلم وكالمسنّ الذي يشحذ غيره وهو لا يقطع، والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية، وذبالة المصباح تضيء لغيرها وهي تحترق.

وفي مثله قيل:

وما هو إلّا ذبالة وقدت — تضيء للناس وهي تحترق[١]

الاستاذ أو الطبيب الروحي

انّ على التلميذ أن ينظر إلى استاذه كما لو انه الطبيب الروحي فكما انّ المريض ينظر إلى طبيبه الذي يعالجه تلك النظرة من الإجلال لأنّه يقوده نحو استرداد عافيته وصحته كذلك يجب على التلميذ أن ينظر إلى استاذه تلك النظرة المقدّسة لأنّه يقوده إلى السلامة الروحيّة والعقليّة وعليه أن يستفيد من مواعظه ونصائحه وعليه أن يصغي إلى كلامه وأن يحذر من نزعات الغرور والتكبّر التي قد تنتاب التلميذ بعد حصوله على العلم[٢].

---

(١) المحجّة البيضاء: ج١، ص١١٩.

(٢) آداب التعليم والتعلم في الاسلام: ص٣٣٣.

تمجيد الاستاذ تمجيد لمقام العلم

كان أحد علماء السلف الصالح في فترة طلبه العلم و تحصيله إذا أراد الجلوس عند استاذه والاصغاء إلى درسه تصدّق ودعا الله سبحانه أن يخفي عنه عيوب معلّمه وأُستاذه وأن يحصل على بركة علمه ومعارفه وكان عالم آخر يقول: كنت أتصفّح كتابي بهدوء تام هيبة لاستاذي أن يسمع خشخشة الأوراق(١).

وهذا السلوك يعكس مدى ما وصل إليه طالب العلم من رقي أخلاقي.

يروي حمدان الاصفهاني انه زار «شريكاً» فدخل عليه أحد أبناء الخليفة العبّاسي المهدي فاستند إلى الجدار ووجّه السؤال إلى شريك حول حديث من الأحاديث، ولكن شريكاً لم يعبأ به ولم يكترث له، فأعاد الفتى السؤال ولكن شريك لا يجيب.

فقال الفتى: اتستخف بأولاد الخلفاء؟

فقال له شريك: لا ولكن العلم عند الله أعزّ.

فجثا ابن الخليفة أمامه وقال: هكذا ينبغي طلب العلم(٢).

أجل من هنا قال السجاد عليه السلام انّ على طالب العلم أن يعظم معلّمه واستاذه وأن يصغي في حضرته وأن يوقّره.

انّ المعلّم هو الأب الروحي الذي يغذو أبناءه بالغذاء الروحي السليم من كل السموم.

وعلى التلميذ أن يسعى جاهداً في ستر عيوب استاذه وأن يثني عليه في

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه.

المحافل العامّة والمجالس، وعليه أن يدرك أنّ له من الحق في عنقه ما لا يقل عن حقوق الوالدين.

وقد سئل الاسكندر المقدوني: لم تحترم معلّمك وتجلّه أكثر من والديك؟

فقال: إنّ أبويّ سبب في حياتي الفانية والمعلّم سبب في حياتي الباقية.

إنّ من مراحل التكامل الاجتماعي ما يتوقّف على وجود الاساتذة الأكفاء والمعلّمين الذين يحملون هموم المسؤوليّة ازاء مجتمعهم والمعلّمون هم من ينهض من أجل بناء المجتمع والنهوض به حضاريّاً.

ولقد أُلقي سقراط في السجن وسعى تلامذته إلى انقاذه فعرضوا عليه مخطّط لتهريبه من السجن ولكنّه رفض ذلك اذا كان ثمنه الاخلال بالنظام العام وانتهاك القانون.

وقد جاء في سيرة الامام الحسين الشهيد عليه السلام ان «أبا عبدالرحمن سلمى» علم أحد أبنائه سورة الحمد، فما كان من الامام الحسين يكرمه بألف دينار من الذهب وألف حلّة وملأ فمه باللؤلؤ.

وقد استكثر بعضهم هذه الهدايا الضخمة فردّ الامام الحسين عليه قائلاً:

ـ وأين يقع هذا من عطائه (يعني تعليم ابنه سورة الحمد)[1].

المادّة السابعة عشرة: حقّ المولى

«وَأَمَّا حَقُّ سَائِسِكَ بِالْمُلْكِ فَنَحْوُ مَنْ سَائِسُكَ بِالسُّلْطَانِ إِلَّا أَنَّ هَذَا يَمْلِكُ مَا لا يَمْلِكُهُ ذَاكَ تَلْزَمُكَ طَاعَتُهُ فِيمَا دَقَّ وَجَلَّ مِنْكَ (إِلَّا أَنْ يُخْرِجَكَ مِنْ وُجُوبِ حَقِّ اللهِ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ حَقِّهِ) وَحُقُوقِ الْخَلْقِ فَإِذَا قَضَيْتَهُ رَجَعْتَ إِلَى حَقِّهِ فَتَشَاغَلْتَ بِهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وجاء في نسخة مكارم الأخلاق:

«وأمّا حقّ سائسك بالملك فان تطيعه ولا تعصيه إلّا فيما يسخط الله عزّوجل فانّه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق».

ومن خلال هذا النص ندرك انّ حقّ المالك يناظر إلى حد كبير حقّ السلطان أو الحاكم باستثناء الحقوق الخاصّة في مجال الطاعة التي يجب إلّا تتعارض أو تحول دون أداء حقوق الله عزّوجلّ وحقوق الناس.

تاريخ الرق

لا توجد معلومات أكيدة حول تاريخ ظهور الرق والعبوديّة وثمّة آراء حول نشأتها مختلفة ويذهب «مونتسكيو» إلى أن عوامل نشأتها قد تعود إلى أحد الأسباب التالية:

١ ـ انّ الحقوق والقوانين الدولية أوجبت اعتبار أُسرى الحرب بحكم العبيد لحمايتهم من القتل.

٢ ـ انّ القانون المدني الروماني أجاز بيع المدين العاجز عن دفع ما بـذمّته ديون أو يصبح عبداً للدائن.

٣ ـ انّ القانون الطبيعي يجعل من ابن العبد عبداً وعلى هذا فان الابن يتبع أباه.

٤ ـ انّ الاستعباد ناشئ من احتقار أُمّة لأُمّة أُخرى على أساس الاختلاف في التقاليد والعادات.

٥ ـ إنّ المنشأ الرئيسي للرق والاستعباد هو وجود فرد قوي وآخر ضعيف في المجتمع الانساني فيستدعي ذلك طغيان القوي واستغلاله للضعيف.

ويخلص مونتسكيو إلى القول:

إنّ أرسطو يريد اثبات قوله في ان وجود العبد أمر فطري وانه سيبقى ذلك إلى الأبد وهذا يعني انّ الله خلق بعض الناس لكي يكونوا عبيداً للآخـرين ولو انـنا وافقنا قول هذا الفيسلوف ونظرنا إلى الرق على انه أمر فطري فان العـمل عـلى تحرير العبيد سوف يكون أمراً عديم الجدوى ومخالفاً للفطرة.

وهذا موجز عن منشأ ظهور الرق في حياة البشر كما بحثه مونتسكيو في كتابه روح القوانين[١].

الاسلام والرق

يرفض الاسلام أن يكون الرق أمراً فطريّاً لأنّ الله سبحانه خلق الناس جميعاً أحراراً خلافاً للمنطق الأرسطي.

«قال علي عليه السلام: الناس كلّهم أحرار إلّا من أقرّ على نفسه بالعبوديّة»[٢].

---

(١) انظر روح القوانين: ص٣٠٨ ـ ٤١٣.

(٢) الاسلام وحقوق الانسان: ص١٩٨.

وقال عليه السلام كلمته المشهورة مخاطباً الانسان:

«لا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً»(١).

وهذان التصريحان صدرا عن انسان رفع لواء الحريّة والكرامة الانسانيّة في ظلال رسالة الاسلام كما جاء بها رسول الله صلى الله عليه وآله آخر المرسلين وخاتم النبيّين.

فالانسان يولد حرّاً وإذا ما أصبح رقيقاً وعبداً فان ثمّة ظروف خارجيّة تسمه بهذا الميسم اللانساني، وقد عانى الانسان في تاريخه الطويل من النظم الجائرة التي حاولت أن تجعل من الرق امراً فطريّاً كما هو الحال في امبراطوريّة روما حيث قاسىٰ العبيد ما قاساه من الظلم والقهر والاضطهاد.

يقول «البيرمالو» في كتابه تاريخ روما انّ العقائد الرومانيّة لا تنظر إلى الرقيق على انّهم بشر وإنّما سلع وأدوات ووسائل يمكنها النطق ولهذا فليس للعبد أي شكل من اشكال الحقوق»(٢).

ويذكر مونتسكيو: انّ قانون أفلاطون يسلب من العبد حق الدفاع الطبيعي عن النفس، ففي حالة حدوث هجوم وفي حالة تعرض العبد للهجوم فلا يجوز له الدفاع عن نفسه بموجب القانون، وبهذا يكون قد خالف القانون اذا دافع عن نفسه، وفي نفس الوقت لا يجوز له مراجعة المحاكم فقد سلبه أفلاطون أيضاً حق الدفاع المدني.

ولهذا فان قوانين حكومة اسبرطه قد قضت بأنه لا يمكن للعبد أن يتقدّم بالشكوى اذا تعرّض للتعذيب والايذاء الجسدي بل ويبلغ الاضطهاد الذي انصب

---

(١) نهج البلاغة: كتاب ٣١.

(٢) الاسلام وحقوق الانسان: ص ٢٠٠.

على العبيد في اسبرطه ذروته انّ العبد لا يعد عبداً لشخص واحد بل للمجتمع الاسبرطي بأسره[1].

ذروة القسوة والنذالة

لقد وصل الانسان الروماني في تلك العهود الغابرة إلى مستويات رهيبة من الانحطاط الانساني بحيث اخترع أشراف روما من العبيد مادة للتسلية والترفيه بعد أن زجوا بآلاف العبيد البائسين في حلبات المصارعة بعد أن قاموا بتجويع الأسود والنمور ثمّ زجّ العبيد للتصارع معها، وتبلغ المتعة ذروتها عند ما تمزق تلك الحيوانات المفترسة أجساد العبيد المغلوب على أمرهم حينئذٍ تصجّ الملاعب بالتصفيق الحاد وصرخات المتفرّجين بالبهجة والانتشاء.

استراتيجية الاسلام في تحرير العبيد والغاء الرق

انّ من مسلّمات التاريخ في موضوع الرق انّ الاسلام ناهض ظاهرة الرق وانتهج أُسلوباً تدرّجياً في تحرير العبيد، ذلك انّ الاسلام يقف على النقيض من ذلك تماماً فهو يدعو إلى حريّة الانسان ويمجد كرامته.

لكن السؤال هنا لماذا انتهج الاسلام أُسلوباً تدرجياً في مكافحة ظاهرة الرق والعبوديّة ولم يستخدم أُسلوباً آخر باصدار قرار مثلاً في الغاء نظام الرق؟

وفي معرض الجواب عن هذا السؤال يمكن القول انّ الاسلام ظهر في بيئة يشكل الرق أحد أعمدتها في الحياة الاقتصاديّة ومن هنا فقد كان الرق يشكل

---

(١) روح القوانين: ص٤٢٦.

وضعاً اجتماعيّاً واقتصاديّاً قائماً كما انه جزء من النظام الدولي السائد آنذاك.

ومن هنا لا يمكن الغاء نظام سائد من دون استكشاف ومعالجة جميع امتداداته الأُخرى.

وهكذا جاء الاسلام ليجد ظاهرة الرق نظاماً دولياً يشكل قاعدة عريضة للاقتصاد العالمي وأيضاً كان عرفاً دوليّاً تتعامل به جميع الدول المتحاربة التي تعمد الى استرقاق الاسرى.

ولهذا عمد الاسلام إلى انتهاج اسلوب يكفل تجفيف الرق.

كما انّ الغاء نظام الرق دفعة واحدة وبجرّة قلم كما يقال واصدار قانون بذلك سوف يترك مضاعفات خطيرة في الكيان الاجتماعي ولو أقدم على ذلك فقد ينفجر غضب العبيد وتتفجّر عقد الاضطهاد فينقضوا على أسيادهم في ثورة هائجة وتسيل أنهار من الدماء وتعم الفوضى.

وقد حدث نظير لذلك من قبيل ما أشار إليه مونتسكيو حول المفاسد التي تنجم عن الاقدام على تحرير العبيد واطلاقهم دفعة واحدة ليس من الصالح اطلاق اعداد كبيرة من العبيد بقانون لأن ذلك يؤدّي إلى الاخلال بالنظام الاجتماعي؛ فعلى سبيل المثال ما حدث في «فلسيني» ذلك انّ العبيد الذين تمّ تحريرهم واطلاقهم أصبح من حقهم الانتخاب والتصويت وأصبحوا يمثلون الأغلبيّة فيها فسنّوا قانوناً يقضي بأن يقوم كلّ شخص من الأحرار يقدم على الزواج بتسليم زوجته إلى أحد هؤلاء العبيد الذين تمّ اطلاقهم في ليلة الزفاف الاولى ليضاجعها ثمّ يقوم بتسليمها إلى زوجها في الليلة الثانية[1].

---

(١) روح القوانين: ص٤٢٨.

كما يمكن الاشارة إلى ما كتبه غوستاف لوبون في العبيد الذين عاشوا سنين متمادية حياة طفيلية بسبب نظام الرق الذي يحرمهم من الحريّة لهذا فقد نشأوا دون مهارات وتجارب كافية تمكنهم من الحياة المستقلّة؛ ولذا يمكن القول بأن الاسلام لو أقدم على تحرير العبيد دفعة واحدة فان افتقارهم للتجربة الكافية والمهارة المطلوبة سيجعلهم عاجزين عن تشكيل حياة مستقلّة حرّة وسيحدث ما حدث للعبيد في القارة الامريكيّة حيث تعرّضوا بسبب ذلك إلى الفناء(١).

وفي ضوء الأسباب أعلاه يمكن القول انّ الشريعة الاسلاميّة لم تقدم على اطلاق العبيد وتحريرهم دفعة واحدة بل انتهجت منهجاً تدرجياً مكّنهم من استعادة حريتهم.

وبدء ينبغي أن نلاحظ الآليات التي اعتمدها الاسلام فقهياً وجعلها في الصميم من الشريعة ومن ثم المنهج الأخلاقي الذي استند إليه في تحقيق الهدف النهائي وهو الغاء ظاهرة الرق من الحياة الاجتماعيّة.

طرق تحرير العبيد من الناحية الفقهيّة

١ ـ المكاتبة وهي حقّ المملوك في أن يشتري نفسه من مالكه ولو بالاقساط وألزم المالك بقبول المكاتبة إذا علم بأن المملوك قادر على الوفاء كما حثّ المالك وغيره على معاضدة المملوك في ذلك واذا ما عجز المملوك من الوفاء في دفع المبلغ المطلوب يقوم الحاكم الشرعي بدفع ما تبقى من المبلغ من بيت المال.

٢ ـ التدبير وهي قول المالك للعبد: أنت مدبر أي أنت حرّ بعد ادباري عن

---

(١) تاريخ الحضارة الاسلاميّة والعرب: ص٤٦٧.

الدنيا أو بعد موتي.

٣ـإذا أصبح المالك أباً، اماً، جداً، ابناً، ابناً لابن اخت، عمّة، خالة ابنة أخ ابنة اخت فان يطلق فوراً.

٤ ـمن أعتق حصّته من مملوك فانّه يؤدّي إلى عتقه كلّه.

٥ ـ اذا انجبت الجارية من سيّدها تصبح حرّة.

٦ ـاذا خرج الارقاء من دار الكفر ودخلوا دار الاسلام فانه يصبحون أحراراً بموجب ذلك.

٧ ـمن آذىٰ مملوكه أو قطع عضواً من أعضائه أو اخصاه فانه يصبح حرّاً.

٨ ـ إذا اصيب المملوك بالعمى أو الجذام أو البرص أو العرج أو العجز، فانه يصح حرّاً ويتم الانفاق عليه من بيت المال.

٩ ـاذا توفي رجل ثري وليس له وارث فان العبد يتم شراؤه من ماله ويصبح حرّاً ثمّ يورّث ثروة الرجل المتوفى.

١٠ ـجاء في وسائل الشيعة من الأخبار ما يشتشف منها أنّ المملوك المؤمن يعتق بعد سبع سنوات من الخدمة.

١١ ـانّ أحد مصارف الزكاة الثمانية شراء العبيد وعتقهم.

١٢ ـمن نذر ولم يف بنذره أو أقسم وحنث بقسمه أو أفطر عن عمد أو قتل أحداً بالخطأ أو ظاهر امرأته فان احدى كفارات هذه الموارد عتق رقبة[١].

---

(١) الاسلام وحقوق الانسان، نقلاً عن الكتب الفقهيّة من قبيل الجواهر وعلل الشرائع والوسائل.

الطرق العمليّة والأخلاقيّة

اعتمد الاسلام المنهج الأخلاقي لدعم برامجة الاقتصاديّة والاجتماعيّة وجعل من الأخلاق محوراً أساسيّاً في صقل الشخصيّة الانسانيّة وعلى صعيد مكافحة ظاهرة الرق تبرز السيرة النبويّة الشريفة لتمثل زخماً أخلاقيّاً ومثلاً أعلى وقدوة كبرى.

وقد أقدم النبي صلى الله عليه وآله على عتق غلامه «زيد بن حارثة» وحينئذٍ بدأ المسلمون من الصحابة بالتأسّي بالنبي صلى الله عليه وآله وراحوا يعتقون غلمانهم.

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وآله باعتاق زيد بن حارثة بل وزوّجه ابنة عمّته زينب بنت جحش وعاش معها مدّة قصيرة كما قام بتنصيب ابنه أُسامة بن زيد قائداً عاماً للجيش الاسلامي وهو ما يزال في مقتبل العمر وتحت رايته انضوى كبار المهاجرين والأنصار.

وجاء في سيرة الامام علي عليه السلام انه اعتق ألف مملوك وكانت الأموال التي يحصل الامام عليها من كدّ يده أي كان يعمل في حفر الآبار وتفجير العيون ثمّ يقوم بشراء العبيد وعتقهم[١].

وكتب جرجي زيدان ان عبدالله بن عمر اعتق ألف مملوك وأعتق محمّد بن سليمان سبعين ألف مملوك[٢].

---

(١) سفينة البحار: ج ٢، مادة «عتق».

(٢) تاريخ الحضارة الاسلاميّة: ص ٦٨٤.

القواعد الأخلاقيّة

وعد الاسلام الذين يطلقون عبيدهم ويهبوهم الحريّة في سبيل الله جزيل الثواب وعظيم الأجر يوم القيامة ويكمن في هذا حثّ وتشجيع على تحرير العبيد واسترداد كرامتهم الانسانيّة يقول القرآن الكريم:

﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَاناً وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلاَ اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْإِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيماً ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْمِسْكِيناً ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾[1].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«من أعتق مؤمناً أعتق الله بكلّ عضو منه عضواً من النار».

ومثله هذا الحديث عن الامام الصادق عليه السلام:

«من أعتق مؤمناً أعتق الله له بكلّ عضو عضواً من النار».

وفي ختام هذه المادّة نذكّر ان رسالة الحقوق صدرت في وقت كان فيه نظام الرق واقعاً دولياً قائماً وكان من الضروري تنظيم العلاقة الحقوقيّة والأخلاقيّة بين المالك والمملوك.

المادّة الثامنة عشرة: حقّ المرؤوسين

«فَأَمَّا حُقُوقُ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّكَ إِنَّمَا اسْتَرْعَيْتَهُمْ بِفَضْلِ قُوَّتِكَ عَلَيْهِمْ فَإِنَّهُ إِنَّمَا أَحَلَّهُمْ مَحَلَّ الرَّعِيَّةِ لَكَ ضَعْفُهُمْ وَذُلُّهُمْ فَمَا أَوْلَى مَنْ كَفَاكَهُ ضَعْفُهُ وَذُلُّهُ حَتَّى صَيَّرَهُ لَكَ رَعِيَّةً وَصَيَّرَ حُكْمَكَ عَلَيْهِ نَافِذاً لا يَمْتَنِعُ مِنْكَ بِعِزَّةٍ وَلا قُوَّةٍ وَلا يَسْتَنْصِرُ فِيمَا تَعَاظَمَهُ مِنْكَ إِلَّا بِاللهِ بِالرَّحْمَةِ وَالْحِيَاطَةِ وَالْأَنَاةِ وَمَا أَوْلاكَ إِذَا عَرَفْتَ مَا أَعْطَاكَ اللهُ مِنْ فَضْلِ هَذِهِ الْعِزَّةِ وَالْقُوَّةِ الَّتِي قَهَرْتَ بِهَا أَنْ تَكُونَ للهِ شَاكِراً وَمَنْ شَكَرَ اللهَ أَعْطَاهُ فِيمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وجاء في نسخة مكارم الأخلاق:

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالسُّلْطَانِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُمْ صَارُوا رَعِيَّتَكَ لِضَعْفِهِمْ وَقُوَّتِكَ فَيَجِبُ أَنْ تَعْدِلَ فِيهِمْ وَتَكُونَ لَهُمْ كَالْوَالِدِ الرَّحِيمِ وَتَغْفِرَ لَهُمْ جَهْلَهُمْ وَلا تُعَاجِلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ وَتَشْكُرَ اللهَ عَزَّوَجَلَّ عَلَى مَا آتَاكَ مِنَ الْقُوَّةِ عَلَيْهِم».

ونلاحظ في هذا النص انّ الامام السجاد عليه السلام يجعل من العدالة والرحمة للمرؤوسين أداء الشكر على هذا المقام كما ويطالب المرؤوسين بالامتثال والطاعة للرئيس، الذي يطالبه الامام بأن يكون كالوالد الرحيم الشفيق الذي يعطف على أبنائه.

ومطالبته للرئيس أن يكون كالأب الرحيم تعني ضمناً انّ المرؤوسين قد يتصرّفون كالأنبياء وهم ليسوا بمنأى عن الخطأ ولذا فالمطلوب من الرئيس الوالد أن يتجاوز عن اخطائهم ويصفح عنهم ويرشّد حركتهم وسلوكهم.

العدالة

يطلق أبناء النوع الانساني على أحد أفراد نوعهم ممّن لا يقصدهم بسوء ولا ينتهك حقوقهم ولا يميز بينهم ويقف على مسافة واحدة من الجميع وينظر إليهم نظرة مساوية مصطلح «العادل» وفي مقابل ذلك يصف من يتجاوز على حقوق الآخرين ويمارس التمييز في علاقاته ويقف إلى جانب القوي بالباطل بأنّه ظالم.

وعليه يمكن القول ان الالتزام بالاستحقاقات واعطاء كلّ ذي حق حقّه هو الذي يجسد المعنى الحقيقي للعدالة الاجتماعيّة الانسانيّة والتي يجب الالتزام بها في القانون البشري وهذا هو معنى العدالة الذي يستند الى المنظومة الحقوقية.

يقول مولانا جلال الدين في بعض أشعاره:

ما هو العدل؟ وضع الشيء موضعه.

ـ ما هو الظلم؟ وضعه في غير موضعه، ما هو العدل؟

أن تسقي الأشجار ماءً، ما هو الظلم سقى الشوك ماء.

ويقول الخواجه نصير الدين الطوسي في احدى رباعياته التي ينقلها «رياض العارفين»:

ربما لا يوجد حكم سوى حكم.

الحق هو حكم جاء من حكم الحق ان ما هو موجود هو الذي ينبغي.

وكل ما لا ينبغي يجب ألّا يكون.

وقد دعا الله سبحانه جميع البشر إلى العدالة.

﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسٰانِ ﴾[١].

وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله:

«الملك يبقى مع الكفر ولا يبقى مع الظلم»[٢].

وعنه صلوات الله عليه وآله:

«عدل ساعة خير من عبادة ستّين سنة».

الاختلاف بين الجود والعدل

يقول الامام علي عليه السلام في الفرق بين العدل والجود:

«العدل يضع الأمور مواضعها والجود يخرجها من جهتها والعدل سائس عام والجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما وأفضلهما»[٣].

الأنبياء والدعوة الى العدل

بعث الله سبحانه وتعالى رسله وأنبياء لدعوة الناس إلى الحق والعدل وإلى سلوك طريق التكامل الانساني الذي ينتهي بالسعادة.

ويزخر القرآن الكريم في العديد من آياته بالدعوة إلى اقامة العدالة في الحياة:

١ ـ ﴿ يٰا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّٰامينَ لِلّٰهِ شُهَدٰاءَ بِالْقِسْطِ وَلاٰ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلىٰ أَلاّٰ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوىٰ وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ خَبيرٌ بِمٰا تَعْمَلُونَ ﴾[٤].

---

(١) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٢) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج١، ص٣٨٥.

(٣) نهج البلاغة: الكلمات القصار رقم ٤٢٩.

(٤) سورة المائدة: الآية ٨.

تعدّ مسألة العدل في طليعة قضايا الاسلام ومن محاوره الأساسيّة الكبرى ذلك ان مسألة العدل تضرب بجذورها في جميع الاصول والفروع، حيث العدل من أُصول الدين تماماً كالتوحيد. فالعدل يدخل في نسيج القضايا الاسلاميّة العقائديّة والسلوكيّة الفرديّة والاجتماعيّة. الأخلاقيّة والحقوقيّة وهو لا ينفك عن مسألة التوحيد أبداً وكذلك فاننا لا نجد أية قضية خالية من روح العدل وعليه فلا غرو أن يكون العدل أحد أُصول الدين وأحد أهم الدعائم التي تكوّن البنية التحتيّة للفكر الاسلامي.

العدل في القول

٢ ـ ﴿ وَلاٰ تَقْرَبُوا مٰالَ الْيَتيمِ إلاّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ حَتّٰى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْميزٰانَ بِالْقِسْطِ لاٰ نُكَلِّفُ نَفْساً إلاّ وُسْعَهٰا وَإِذٰا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كٰانَ ذٰا قُرْبىٰ وَبِعَهْدِ اللهِ أَوْفُوا ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(١).

ونلاحظ انّ التعبير القرآني يستخدم فعل النهي «لا تقربوا» وهذا ما نلاحظه في بعض الذنوب الاخرى، ويبدو أنّ القرآن يستخدم هذا التعبير في النهي عن ارتكاب بعض الذنوب التي تتعرّض فيها النفس للوسوسة في ارتكابها من قبيل الزنا والفحشاء وأموال اليتامى إذ يحذر القرآن من الاقتراب منها وتجنب الوقوع فيها:

العدل في الحكم

٣ ـ ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمٰانٰاتِ إِلىٰ أَهْلِهٰا وَإِذٰا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّٰاسِ أَنْ تَحْكُمُوا

---

(١) سورة الانعام: الآية ١٥٢.

بِالْعَدْلِ إِنَّ اللهَ نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللهَ كانَ سَميعاً بَصيراً ﴾(١).

ونلاحظ في هذه الآية الكريمة انّ الدعوة إلى اقامة العدالة في الحكم تأتي بعد أداء الأمانات إلى أهلها، والدعوة إلى العدالة موعظة رائعة ونصيحة حسنة وهي من صفات الله السميع البصير ما يعني أن على الحاكم أن يكون يقظاً وأن يدرك أنّ الله يعلم كلّ أقواله وأفعاله.

ونلاحظ اقتران العدل والاحسان في آية أُخرى أيضاً:

٤ ـ ﴿ إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسانِ وَإِيتاءِ ذِي الْقُرْبىٰ وَيَنْهىٰ عَنِ الْفَحْشاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾(٢).

٥ ـ ﴿ يا داوُدُ إِنّا جَعَلْناكَ خَليفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النّاسِ بِالْحَقِّ وَلا تَتَّبِعِ الْهَوىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبيلِ اللهِ إِنَّ الَّذينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبيلِ اللهِ لَهُمْ عَذابٌ شَديدٌ بِما نَسُوا يَوْمَ الْحِسابِ ﴾(٣).

وفي مطلع الآية الكريمة أعلاه نلاحظ ان جعل الخلافة في الأرض كان من لدن الله عزوجل ثمّ تحذير من الانحراف عن العدالة واقامة العدل، ثمّ الاشارة إلى أن آفة العدل هو اتباع الأهواء والذي هو بداية الضلال والضياع ونسيان يوم القيامة والحساب ويوم المعاد.

وهذه آيات خمس مباركات تعبر بوضوح عن أهميّة مسألة العدالة في الحياة الانسانيّة ووجوب أن يكون الحاكم الاسلامي عادلاً وفيما يلي نظرة إلى هذا

---

(١) سورة النساء: الآية ٥٨.

(٢) سورة النحل: الآية ٩٠.

(٣) سورة ص: الآية ٢٦.

الموضوع من خلال الروايات الواردة عن النبي ﷺ وآله الأطهار:

«أَبُو عَلِيٍّ الْأَشْعَرِيُّ عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ الْكُوفِيِّ عَنْ عُبَيْسِ بْنِ هِشَامٍ عَنْ عَبْدِ الْكَرِيمِ عَنِ الْحَلَبِيِّ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: الْعَدْلُ أَحْلَى مِنَ الْمَاءِ يُصِيبُهُ الظَّمْآنُ مَا أَوْسَعَ الْعَدْلَ إِذَا عُدِلَ فِيهِ وَإِنْ قَلَّ»[1].

«عَنْهُ عَنِ ابْنِ مَحْبُوبٍ عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: الْعَدْلُ أَحْلَى مِنَ الشَّهْدِ وَأَلْيَنُ مِنَ الزُّبْدِ وَأَطْيَبُ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ»[2].

«ففي الفقيه باسناده عَنِ ابْنِ أَبِي يَعْفُورٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام: بِمَ تُعْرَفُ عَدَالَةُ الرَّجُلِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى تُقْبَلَ شَهَادَتُهُ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ؟ قَالَ: فَقَالَ: أَنْ تَعْرِفُوهُ بِالسَّتْرِ وَالْعَفَافِ وَالْكَفِّ عَنِ الْبَطْنِ وَالْفَرْجِ وَالْيَدِ وَاللِّسَانِ وَيُعْرَفَ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ الَّتِي أَوْعَدَ اللهُ عَلَيْهَا النَّارَ مِنْ شُرْبِ الْخَمْرِ وَالزِّنَا وَالرِّبَا وَعُقُوقِ الْوَالِدَيْنِ وَالْفِرَارِ مِنَ الزَّحْفِ وَغَيْرِ ذَلِك»[3].

الحقوق المتقابلة بين الحاكم والشعب

قال الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقّاً وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْ لا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْ مَا تَعْلَمُوا وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ»[4].

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص١٤٦.

(٢) المصدر السابق: ج١٤٧.

(٣) الميزان: ج٦، ص٢٢١.

(٤) نهج البلاغة: الخطبة ٣٤.

ونلاحظ من خلال هذا النص انّه ثمّة حقوق متقابلة بين الحاكم والشعب فمن واجبات الحاكم ازاء شعبه ترشيد الناس في حركتهم وتأمين المتطلّبات الاقتصاديّة وتأمين عمليّة التعليم والتربية وفي مقابل هذه الواجبات فان للحاكم حقوقاً على شعبه في طليعتها الوفاء لبيعته وتقديم النصح اللازم في السرّ والعلن والمشهد والمغيب وتلبية أوامره والاستجابة له والطاعة لقيادته.

ويقول عليه السلام في مناسبة أُخرى:

«وَأَعْظَمُ مَا افْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ الْحُقُوقِ حَقُّ الْوَالِي عَلَى الرَّعِيَّةِ وَحَقُّ الرَّعِيَّةِ عَلَى الْوَالِي فَرِيضَةٌ فَرَضَهَا اللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ فَجَعَلَهَا نِظَاماً لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزّاً لِدِينِهِمْ فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِصَلاحِ الْوُلاةِ وَلا تَصْلُحُ الْوُلاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ الرَّعِيَّةِ فَإِذَا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ وَجَرَتْ عَلَى أَذْلالِهَا السُّنَنُ فَصَلَحَ بِذَلِكَ الزَّمَانُ وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الْأَعْدَاء»[١].

ونلاحظ في هذا النص ان ثمّة معادلة حقوقيّة طرفاها الجهاز الحاكم والشعب، وان صلاح الشعب يرتبط بصلاح الحكم وصلاح الحكم يستند إلى استقامة الشعب وعلى هذه المعادلة الحقوقيّة تنهض دولة قويّة ومجتمع صالح.

ويقول الامام عليه السلام مستطرداً:

«وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ وَكَثُرَ الْإِدْغَالُ فِي الدِّينِ وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ فَعُمِلَ بِالْهَوَى وَعُطِّلَتِ الْأَحْكَامُ وَكَثُرَتْ عِلَلُ النُّفُوسِ فَلا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ وَلا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ يفْعِلَ فَهُنَالِكَ تَذِلُّ

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٠٧.

الأَبْرَارُ وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللهِ عِنْدَ الْعِبَاد»[١].

والاخلال بهذه المعادلة الحقوقيّة بين الحاكم والشعب يؤدّي الى شيوع الفوضى وانتكاس المعايير الأخلاقيّة وتراجع الحق أمام الأباطيل وانهيار الحياة الاجتماعيّة.

ويقول الامام علي عليه السلام في رسالة له إلى حرس الحدود:

«فَإِنَّ حَقّاً عَلَى الْوَالِي أَنْ لا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوّاً مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفاً عَلَى إِخْوَانِه»[٢].

وهكذا ينبغي أن يكون الحاكم أباً رحيماً عطوفاً على شعبه قريباً منهم يشعر بآلامهم ويتعاطف معهم.

ويسمو الامام علي عليه السلام بأخلاقيّة الحاكم إلى مستوى القدوة ومشاركة أبناء الشعب في حياتهم حيث يكون في الخط الأوّل أمام عاديات الزمن يقول عليه السلام:

«أَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ وَلا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْر»[٣].

ومن أجل هذا قال الامام زين العابدين عليه السلام حفيد صوت العدالة والانسانيّة: إنّ على الحاكم أن يكون كالوالد الرحيم يغضّ النظر عن أخطاء أبناء شعبه ويجعل من العفو عن مسيئهم شكراً لله على ما آتاه من السلطة والنفوذ.

وعوداً إلى الامام علي عليه السلام وتصريحاته وأحاديثه في هذا الموضوع نذكر جانباً من كتابه عليه السلام إلى مالك الأشتر لمّا عينه حاكماً على مصر إذ يطلب منه الرحمة

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه: كتاب ٥٠.

(٣) المصدر نفسه (نسخة صبحي صالح): كتاب ٤٥.

والحب لشعبه ويحذره من أن يكون ذئباً كاسراً يفترس مواطنيه:

«وَأشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ بِالرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطف بِهِمْ وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْق»[1].

ونلاحظ في هذا النص هذه اللافتة الكبرى حيث يتساوى الناس جميعاً ولا يفرّق بينهم عرق ولا دين ولا انتماء؛ فهم إمّا أُخوة في الدين أو الانسانيّة.

ومن قبل قال عليه السلام: **«إذا كان الراعي ذئباً فالشاة من يحفظها؟!»**

ثمّ يلفت نظره إلى مسألة غاية في الأهميّة اذ يحذّره من التفتيش في مساوىء أفراد شعبه.

«فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوباً الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا وَلا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَك».

انّ على الحاكم أن يتغافل عن عيوب مواطنيه وقد قال الامام عليه السلام في مناسبة: إنّ أفضل أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم وحتّى لا يصاب الحاكم بالغرور وهو المرض الذي عادة ما يبتلى به الحاكمون فانّ الامام علي عليه السلام ينصح الحاكم بأن ينظر إلى عظمة ملك الله عزّوجل الذي لا يعتدي على أهل مملكته وهو الرحمن الرحيم وقد ورد في أدعية أهل البيت عليهم السلام:

«سبحان من لا يعتدي على أهل مملكته».

---

(١) المصدر نفسه (فيض الاسلام): كتاب ٥٣.

المادّة التاسعة عشرة: حقّ التلميذ والطالب

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِالْعِلْمِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَكَ لَهُمْ فِيمَا آتَاكَ مِنَ الْعِلْمِ وَوَلاَّكَ مِنْ خِزَانَةِ الْحِكْمَةِ فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِيمَا وَلاَّكَ اللهُ مِنْ ذَلِكَ وَقُمْتَ بِهِ لَهُمْ مَقَامَ الْخَازِنِ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ لِمَوْلاهُ فِي عَبِيدِهِ الصَّابِرِ الْمُحْتَسِبِ الَّذِي إِذَا رَأَى ذَا حَاجَةٍ أَخْرَجَ لَهُ مِنَ الْأَمْوَالِ الَّتِي فِي يَدَيْهِ كُنْتَ رَاشِداً وَكُنْتَ لِذَلِكَ آمِلاً مُعْتَقِداً وَإِلاَّ كُنْتَ لَهُ خَائِناً وَلِخَلْقِهِ ظَالِماً وَلِسَلَبِهِ وَعِزِّهِ مُتَعَرِّضاً».

وجاء في نسخة مكارم الأخلاق:

«فَإِنْ أَحْسَنْتَ فِي تَعْلِيمِ النَّاسِ وَلَمْ تَخْرَقْ بِهِمْ وَلَمْ تَضْجَرْ عَلَيْهِمْ زَادَكَ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ وَإِنْ أَنْتَ مَنَعْتَ النَّاسَ عِلْمَكَ أَوْ خَرِقْتَ بِهِمْ عِنْدَ طَلَبِهِمُ الْعِلْمَ مِنْكَ كَانَ حَقّاً عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ أَنْ يَسْلُبَكَ الْعِلْمَ وَبَهَاءَهُ وَيُسْقِطَ مِنَ الْقُلُوبِ مَحَلَّكَ».

تشتمل هذه المادّة من رسالة الحقوق على موضوعات عديدة هي:

١ ـ انّ العلم والحكمة التي يلقيها الأُستاذ والمعلّم إلى تلامذته من نعم الله عليه فهو ذاتياً لا يملك شيئاً ومن هنا فعليه أن يتواضع وأن يحذر من الغرور العلمي.

٢ ـ انّ الأُستاذ والمعلّم خازن للعلم والحكمة وعليه أن يوزع ما ائتمن عليه على الآخرين بالسويّة وأن يكون شفيقاً رحيماً عطوفاً على طلّابه وتلامذته.

٣ ـ انّ الامام السجاد يعتبر المعلّم والاستاذ خازناً للعلم والحكمة وعليه أن يكون سخيّاً في الانفاق كما هو الحال في انفاق المال فلا يكون بخيلاً في نشر

الحكمة والعلم والمعرفة.

٤ ـ إذا قام الأُستاذ بواجبه وأدّىٰ وظيفته فهو أمين موفق في أداء الامانة وإن لم يقم بما عليه فقد خان الأمانة ويكون ظالماً لغيره.

وفي النتيجة على الأُستاذ والمعلم ان ينهج منهجاً ايجابيّاً يشوّق الطلّاب والتلاميذ على الاقبال على طلب العلم والانتهال من المعرفة فكلّما كان طيّباً في تعامله مع طلّابه كانوا أكثر اقبالاً على طلب العلم وبالعكس. فان الأُستاذ كلّما كان فظّاً عصبي المزاج خشن الأُسلوب عنيف الطبع فانّ الطلّاب سوف يصابون بالبرود وسوف يتراجعون علميّاً لأنّه بأُسلوبه الفظ سوف يطفئ الحماس في التعلم ويخمد شعلة طلب العلم ما يدفع بالكثيرين إلى ترك الدراسة؛ كما انتهاج مثل هذه الأساليب يعكس بخلاً في نشر العلم والمعرفة.

إنّ المعلّم القدير والموفّق هو من تشتمل شخصيته علىٰ الصفات والخصائص التالية:

١ ـ انّه لا يجلس على كرسي التدريس حتّى يتمتّع بالأهليّة وبعد أن يؤيّده الصالحون.

٢ ـ الأمانة فلا يؤدّي إلى تحقير مقام العلم يعني ألّا يستودع علمه لدى غير أهله.

٣ ـ أن يكون عاملاً بعلمه فيكون كالشجرة وعلمه كالثمار يقطفها طلّابه من وجوده وسيرته فإذا لم يكن كذلك كان مصداق قوله تعالى:

﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ﴾[1].

---

(١) سوة البقرة: الآية ٤٤.

ويقول الامام الصادق عليه السلام في تفسير قوله تعالى:

﴿ إِنَّما يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ الْعُلَماءُ ﴾[١].

«مَنْ صَدَّقَ فِعْلُهُ قَوْلَهُ وَمَنْ لَمْ يُصَدِّقْ فِعْلُهُ قَوْلَهُ فَلَيْسَ بِعَالِمٍ»[٢].

٤ ـ أن يكون حسن الخلق متواضعاً يرعى تلامذته محبّاً لهم وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«عُلَمَاءُ أُمَّتِي كَأَنْبِيَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[٣].

فكما انّ العلم والتواضع وحسن الخلق من صفات الأنبياء فكذلك هي من صفات العلماء.

٥ ـ ألّا يمتنع عن تعليم البعض بحجّة عدم اخلاصهم في النوايا بل عليه أن يقبلهم وأن يؤثّر عليهم أثناء التدريس شيئاً فشيئاً في ايجاد الخلوص في النيّة في أنفسهم، وقد قال الامام علي عليه السلام انّ العلم لدى البعض في غياب النوايا المخلصة كالجواهر لدى الخنازير:

قال اميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«لا تُعَلِّقُوا الجَواهِرَ في أعناقِ الخَنازير»[٤].

٦ ـ أن يبذل العلم متى ما راى الاستعداد لتلقي العلم كما ينبز الفلاح بذوره في الأرض الخصبة، روى جابر الجعفي عن الامام الباقر عليه السلام قوله الشريف:

---

(١) سورة فاطر: الآية ٢٨.

(٢) أُصول الكافي: ج١، ص٣٦.

(٣) منية المريد: ص١٨٢.

(٤) المصدر السابق: ص١٨٤.

«زَكاةُ العلمِ أنْ تُعلّمهُ عِباد الله»[١].

٧ ـ أن يكون ثمّة تناغم وانسجام بين أفعال المعلّم وأقواله وألّا تنقض أفعاله أقواله، كما لو يمارس عملاً يقول بحرمته.

٨ ـ أن يظهر الحق في زمن البدع والفتن وفوضى الأفكار بعيداً عن المجاملة.

قال رسول الله عليه السلام:

«إِذَا ظَهَرَتِ الْبِدَعُ فِي أُمَّتِي فَلْيُظْهِرِ الْعَالِمُ عِلْمَهُ فَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ»[٢].

واجبات الأُستاذ ازاء التلاميذ والطلّاب

١ ـ أن يعلّمهم الآداب والأخلاق الحسنة وأن يرشدهم إلى الصلاح ويرشّد حركتهم وسلوكهم ويزهّدهم في الدنيا.

٢ ـ أن يوضح لهم فضيلة العلم ومنزلته الرفيعة وأن يرسّخ في أذهانهم بأن مقام العلماء كمقام الأنبياء.

٣ ـ أن يرتضي لتلاميذه وطلّابه ما يرتضي لنفسه وأن يكره لهم ما يكره لنفسه.

٤ ـ أن ينهاهم عن اقتراف السيّئات وانتهاك القيم الأخلاقيّة ويحذّرهم من عواقب ذلك.

٥ ـ اجتناب التعالي والاستعلاء على التلاميذ والطلّاب.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لَيِّنُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِمَنْ تَتَعَلَّمُونَ مِنْهُ». وذلك بالتواضع للجميع.

---

(١) أُصول الكافي: ج ١، ص ٤١.

(٢) أُصول الكافي: ج ١، ص ٥٤.

٦ ـ تفقّدهم وتفقّد أحوالهم فاذا غاب أحدهم عن حضور الدرس ينبغي للمعلّم والأُستاذ أن يسأل عن علّة غيابه فإن كان مريضاً عاده أو كانت عنده مشكلة وقف إلى جانب وسانده أو قضى حاجته.

٧ ـ أن يعرفه باسمه ومشخّصاته.

٨ ـ أن يتحرّى الطريقة السهلة في التعليم وأن يعلّم تلامذته ما يتوجب معرفته آخذاً بنظر الاعتبار أفهامهم وظروفهم.

٩ ـ أن يتوجّه إلى محل التدريس بشوق وحب وألا يطرح المسائل الصعبة التي يشق فهمها على طلّابه وتلامذته.

١٠ ـ أن يساوي بين تلامذته حتّى في النظر فلا يفضل بعضاً على بعض فإن كان ثمّة اختلاف في السن فعليه أن يقدّم ذوي الفهم فيعاملهم باحترام أكثر لكي يكون ذلك حافزاً لغيرهم على الدراسة وطلب العلم والمعرفة.

الآداب التي ينبغي التزامها أثناء التدريس

١ ـ الخروج إلى محلّ التدريس في وقار كامل وزيّ نظيف وبدن نظيف.

٢ ـ ذكر الله أثناء الخروج وقراءة بعض الأدعية المأثورة عن النبي ﷺ والأئمّة الأطهار والتي تشتمل على مضامين راقية والطلب من الباري تعالى ذكره أن يجنبك الضلال والاضلال والشروع بالتدريس بعد الدعاء.

٣ ـ السلام على الحضور وإن كان محل التدريس في المسجد فالأفضل أداء ركعتين تحيّة المسجد والدعاء بأن يصونك الله سبحانه من الخطأ.

٤ ـ وبعد الجلوس في طمأنينة وسكينة ووقار نبدأ الدرس الذي أعددت نفسك له.

٥ ـ الجلوس باتّجاه القبلة ما أمكن ذلك واجتناب اللغو من الكلام الذي لا طائل من ورائه.

٦ ـ أن تكون نيّتك في التدريس خالصة لوجه الله سبحانه ونشر العلم والمعرفة.

٧ ـ اجتناب المزاح الباطل الّا ما قلّ فانه كالملح في الطعام حيث يكون للطائف دور في الترفيه عن النفس اذا أتعبها الدرس وقد قيل انّ النفوس تتعب كما الأبدان فاهدوا إليها طرائف الحكم.

٨ ـ الجلوس في مكان يمكن جميع التلاميذ من رؤية الأُستاذ اذي يتعيّن عليه توزيع نظراته بالتساوي واذا سئل عليه أن يقبل على السائل باهتمام كامل.

٩ ـ أن يكون وجه الأُستاذ هشّاً بشّاً أثناء التدريس وألّا يكون عبوساً مكفهر الوجه.

١٠ ـ أن يبدأ الدرس بآيات من القرآن الكريم والتبرّك بالتلاوة.

١١ ـ وفي طليعة الأُمور المهمّة للأُستاذ اذا سئل عن شيء لا يعلم جوابه أن يقول لا علم لي بذلك وقد جاء عن الامام علي عليه السلام قوله:

«إذا سئلتم عمّا لا تعلمون فاهربو. قالوا: وكيف الهرب؟ قال عليه السلام: تقولون: الله أعلم»[١].

منزلة طلّاب العلم لدى رسول الله صلى الله عليه وآله

أورد الشهيد الثاني زين الدين الجبعي العاملي في كتابه «منية المريد» العديد

---

(١) اقتباساً من كتاب منية المريد: ص ٢٠٤ ـ ٢١٠.

من الأحاديث النبويّة الشريفة حول طلّاب العلم ومنزلتهم:

١ ـ «مَنْ طَلَبَ عِلْماً فَأَدْرَكَهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلَيْنِ مِنَ الأَجْرِ وَمَنْ طَلَبَ عِلْماً فَلَمْ يُدْرِكْهُ كَتَبَ اللهُ لَهُ كِفْلاً مِنَ الأَجْرِ»[1].

٢ ـ «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى عُتَقَاءِ اللهِ مِنَ النَّارِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى الْمُتَعَلِّمِينَ فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْ مُتَعَلِّمٍ يَخْتَلِفُ إِلَى بَابِ الْعَالِمِ إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ عِبَادَةَ سَنَةٍ وَبَنَى اللهُ بِكُلِّ قَدَمٍ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ وَيَمْشِي عَلَى الأَرْضِ وَهِيَ تَسْتَغْفِرُ لَهُ وَيُمْسِي وَيُصْبِحُ مَغْفُوراً لَهُ وَشَهِدَتِ الْمَلائِكَةُ أَنَّهُمْ عُتَقَاءُ اللهِ مِنَ النَّارِ»[2].

٣ ـ «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ فَهُوَ كَالصَّائِمِ نَهَارَهُ الْقَائِمِ لَيْلَهُ وَإِنَّ بَاباً مِنَ الْعِلْمِ يَتَعَلَّمُهُ الرَّجُلُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبُو قُبَيْسٍ ذَهَباً فَأَنْفَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ»[3].

٤ ـ «مَنْ جَاءَهُ الْمَوْتُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لِيُحْيِيَ بِهِ الإِسْلامَ كَانَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الأَنْبِيَاءِ دَرَجَةٌ وَاحِدَةٌ فِي الْجَنَّةِ»[4].

---

(١) منية المريد: ص١٠٠.
(٢) نفس المصدر.
(٣) نفس المصدر.
(٤) نفس المصدر.

المادّة العشرون: حقّ الزوجة

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ النِّكَاحِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَهَا سَكَناً وَمُسْتَرَاحاً وَأُنْساً وَوَاقِيَةً وَكَذَلِكَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمَا يَجِبُ أَنْ يَحْمَدَ اللهَ عَلَى صَاحِبِهِ وَيَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ نِعْمَةٌ مِنْهُ عَلَيْهِ وَوَجَبَ أَنْ يُحْسِنَ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللهِ وَيُكْرِمَهَا وَيَرْفَقَ بِهَا وَإِنْ كَانَ حَقُّكَ عَلَيْهَا أَغْلَظَ وَطَاعَتُكَ بِهَا أَلْزَمَ فِيمَا أَحَبَّتْ وَكَرِهَتْ (مَا لَمْ تَكُنْ) مَعْصِيَةً فَإِنَّ لَهَا حَقَّ الرَّحْمَةِ وَالْمُؤَانَسَةِ وَمَوْضِعَ السُّكُونِ إِلَيْهَا قَضَاءَ اللَّذَّةِ الَّتِي لا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَذَلِكَ عَظِيمٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وجاء في نسخة مكارم الأخلاق:

«فإنَّ لَها عَليكَ أنْ ترحَمها لأنَّها أسيرُكَ وتُطعِمُها وتَكسوها فإذا جَهلَتْ عَفَوتَ عَنها».

أشرنا في ما مضى إلى موضوع الزواج وتشكيل الأُسرة ودور ذلك في حماية المجتمع من انتشار الفحشاء والأمراض الناجمة جرّاء اقامة العلاقة الجنسية خارج اطار الزواج.

وقد كنّا ذكرنا انه ما بني في الاسلام بناء أكثر بركة من الزواج وهذا البناء المبارك ينهض على ميثاق مقدّس يربط بين الرجل والمرأة والقائم إلى آخر دقيقة في العمر والصرح الاسري لا ينهض على الفولاذ والحديد والاسمنت ولا يقوم على الآجر والطين وإنّما هو بناء ينهض على الحب والأُنس والمودّة والطمأنينة بناء ينعم بظلال كلمة الله عزّوجلّ الذي جعل من آياته هذا الحب بين المرأة

والرجل بعد الزواج والانتخاب المشترك للحياة الزوجيّة تحت ظلال سقف واحد ومشاركة مستمرّة في شؤون الحياة وفي ظلال هـذه الشـجرة المـباركة تـزدهر وتنفتح الأزهار وتظهر الثمار التي هي الأولاد والأبناء من بنين وبنات ينشأون في ظلال الوالدين ثمّ عند ما يكبرون يدخلون في خضم الحياة الاجـتماعيّة شـباباً صالحين.

المودّة والرحمة

وأولى الخصائص التي يشير إليها الامام السجاد عليه‌السلام هذا الشـعور بـالسكينة والطمأنينة حيث جعل الله سبحانه من ذلك آية من آياته الكبرى التي تدلّ عليه وعلى عظمته سبحانه:

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْواجاً لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ في ذٰلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[١].

وجاء في سورة الاعراف ما يشير إلى مسألة السكينة والطمأنينة أيـضاً فـي قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها لِيَسْكُنَ إِلَيْها﴾[٢].

وفي هاتين الآيتين اشارة واضحة إلى ان مسألة السكينة الطمأنينة والسكينة هبة الهيّة كبرى، والسكينة هنا تشمل بعدي الجسـم والروح والبـعدين الفـردي والاجتماعي.

---

(١) سورة الروم: الآية ٢١.

(٢) سورة الاعراف: الآية ١٨٩.

ولا يمكن ان ينكر أحد الأمراض التي يتعرّض لها الانسان في اعراضه عن الزواج وكذلك ما يعانيه المرء على صعيد التوازن الروحي والحالة النفسيّة من الناحية الاجتماعيّة فانّ الأفراد العزاب لا يشعرون بالمسؤوليّة الاجتماعيّة أو ان هذا الشعور يكون في أدنى درجاته، ولهذا نجد ان معدلات الانتحار تكثر في أوساط الشباب الغير متزوّجين وهكذا في الاحصاءات الخاصّة بمعدلات الجريمة.

إنّ الانسان عند ما يودّع حياة العزوبيّة ويدخل عالم الزواج ويعيش حياة مشتركة في ظلال سقف الزوجيّة والحياة الاسريّة هو انسان آخر؛ ذلك ان شخصيته تكتسب أبعاداً جديدة وينمو لديه الشعور بالمسؤوليّة الاجتماعيّة وهو شعور في غاية الأهميّة.

وأيضاً تشير الآيتان الى جانب المودّة والرحمة أي النبع الفيّاض بالحب الذي يفجّره الزواج لدى الرجل والمرأة.

وهذه العلاقة الحميمة هي التي تربط بينهما وما عبّر عنه القرآن بالمودّة والرحمة حيث تمتزجان معاً وتسهمان في تعزيز صلابة وقوّة الصرح الأسري وقد يختلف الاثنان في ابعاد عديدة من قبيل:

١ ـ إنّ المودّة هي الباعث الابتدائي في بدء العلاقة الزوجيّة ثمّ يشهد تراجعاً أمام احساس الرحمة المتبادل بين الزوجين.

٢ ـ إنّ المودّة تكون لدى الكبار وهي الباعث الأساسي في الحياة المشتركة أمّا الصغار فانّهم ينشأون في ظلال الرحمة والرأفة والعطف الأبوي.

٣ ـ إنّ المودّة عادة ما تكون معادلة لها طرفان أمّا الرحمة فمن جانب واحد

ولها بعد يتجلّى في الايثار[١].

وهكذا نلاحظ انّ الحياة المشتركة بين الزوجين تكون مفعمة بالسكينة والطمأنينة حيث ترفرف أجنحة الحب والتعاطف والمودّة في فضاء ينعم بالسلام.

أمّا البناء الذي يقف في الطرف الآخر من الصرح الاسري فانّما هو بناء متزلزل ينهض على أساس ضعيف قد ينهار بين لحظة وأُخرى.

إنّ الحياة الزوجيّة مدرسة اجتماعيّة يتعلّم فيها المرء الحقوق المتبادلة بين المرأة وزوجها والرجل وزوجته وهي حقوق لها بعد أن قانوني وأخلاقي فالحقوق القانونيّة تقضي بأن يتحمّل الرجل مسؤوليّة الانفاق على المرأة وتوفير الغذاء والكساء والسكن العيش الكريم في مقابل طاعة المرأة لزوجها وهذه الحقوق عبارة عن الدعائم الأساسيّة للصرح الأسري بما يمثّل الهيكل العام للبناء العائلي.

وأمّا الحقوق الأخلاقيّة فهي الحقوق التي ينبغي الالتزام بها من قبل الزوجين وبالرغم من غياب الطابع القانوني أي عدم وجود الالزام القانوني الّا انها من جهة أُخرى تؤدّي إلى بناء اسري في غاية الجمال ينعم بالسلام والأمن العائلي حيث يعمل على تفجير نبع من المحبّة والحنان داخل البيت فاذا كان الجانب الحقوقي القانوني في العلاقة الزوجيّة بمثابة الهيكل الحديدي للبناء الاسري، فانّ الجانب الحقوقي الأخلاقي يمثل الطابع الجمالي حيث يبدو الصرح العائلي في غاية الروعة والجمال.

ولقد قضى قانون الخليقة ومن أجل تعزيز العلاقة بين الرجل والمرأة فتنشأ علاقة اسريّة تنهض على ميثاق العلاقة الزوجيّة المقدّس فتكون الاسرة الدعامة

---

(١) انظر التفسير الأمثل: ج١٦، ص٣٩٣.

الرئيسيّة للسعادة الانسانيّة.

لقد قضى هذا القانون أن يكون الرجل بحاجة إلى المرأة والمرأة بحاجة إلى الرجل، حيث يحتاج أحدهما الآخر فمن الناحية المالية تستند المرأة الى الرجل في حين أنه في تأمين الشعور بالسلام والحنان يلجأ الرجل إلى المرأة التي هي نبع فياض بالحنان والحب حيث يجد الرجل ظلالاً وارفة مفعمة بالسكينة والهدوء وفراغ البال[١].

المسؤوليّة في النظام الأسري

﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَا أَنْفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ اللهُ وَاللَّاتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَاهْجُرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَاضْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْنَكُمْ فَلَا تَبْغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلاً إِنَّ اللهَ كَانَ عَلِيًّا كَبِيراً﴾[٢].

يجب أن نعرف بأنّ الاسرة هي وحدة اجتماعيّة صغيرة وانها بحاجة إلى قيادة ومسؤول والرجل هو رئيس الاسرة وامرأته بمثابة المعاون والوزير المساند وبسبب بعض مواصفات الرجل والمقوّمات المتوافرة فيه فانه مؤهل لهذا الموقع في الاسرة، فمثلاً أنّ بعد التفكير لديه أقوى من الجانب العاطفي الذي يعدّ الطابع العام في سلوك المرأة وهو بعد يؤهلها للقيام بوظائف لا يمكن أن يؤدّيها الرجل كما انّ القوّة الجسمانيّة لدى الرجل أقوى من المرأة.

---

(١) نظام حقوق المرأة في الاسلام: ص٢٤٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٤.

فالرجل بما يمتلكه من قدرات عقليّة وتفوق هذا الجانب على الجانب العاطفي وبما يمتلكه من القدرات الجسمانيّة مؤهل لموقع المسؤوليّة في الاسرة فهو يضع الخطط في قيادة الأسرة وعليه مسؤوليّة الحفاظ عليها والدفاع عنها.

والجملة «بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا» تشير هي الاخرى إلى هذه الحقيقة، جدير ذكره انّ اسناد مسؤوليّة الاسرة الى الرجل لا يعني تفوقه على المرأة في صعيد الانسانيّة ولا يعد هذا امتيازاً له لأن الله سبحانه قد ساوى بين عباده في الشخصيّة والكرامة الانسانيّة وأن قيادة الاسرة ليس منصباً يتبجج به الرجل انما هي مسؤولية وأمانة الهيّة ومجموعة من الالتزامات القانونيّة والأخلاقيّة.

والآية الشريفة تشير إلى وجود مجموعتين من النسوة الاولى، النسوة اللاتي صالحات قانتات حافظات للغيب ملتزمات بالنظام الأسري واعيات لحقوقهنّ وواجباتهنّ التي تحدّدها الشريعة الالهيّة فهن يؤدين وظائفهنّ على النحو المشروع بما حفظ الله.

الثانية: النسوة اللاتي لا يؤدين واجباتهنّ ولا يقمن بوظائفهن والتزاماتهن في النظام الأسري وما يتعيّن القيام به في الحياة الزوجيّة المشتركة.

والمجموعة الاولى تحظى بالمدح والثناء والتمجيد.

أمّا المجموعة الثانية من النسوة فقد أشار القرآن إلى ضرورة التدرج معهنّ من الوعظ والارشاد والنصح إلى اتّخاذ اجراءات تأديبيّة[١] من أجل اعادتهنّ إلى الالتزام بالنظام العائلي واستحقاقات الحياة الأسريّة والزوجيّة المشتركة.

---

(١) التفسير الأمثل: ج٣، ص٣٧٢.

والغرض من ذكر الآية الكريمة هو الالتفات الى مسؤوليّة الانفاق على الاسرة وعلى المرأة إنّما تقع على عاتق الرجل وقد ذكّر الامام السجاد عليه السلام الرجل بضرورة الالتزام بهذه الواجبات وتأمين الغذاء والكساء والسكن للمرأة وانطلاقاً من ذلك أفتى كبار الفقهاء بالاجماع في وجوب النفقة على الرجل.

«أمّا نفقة الزوجة الدائمة فتجب على الزوج وهي الطعام والكسوة والسكنى والفراش والغطاء وآلة التنظيف وسائر ما تحتاج إليه بحسب حالها بشرط أن تكون عنده فاذا خرجت من عنده تاركة له من دون مسوغ شرعي لم تستحقّ النفقة والمشهور أنّ وجوب النفقة مشروط بعدم النشوز»(١).

وقد أشرنا إلى وجود نوعين من الحقوق للمرأة: الأوّل الحقوق القانونيّة التي هي عبارة عن تأمين نفقتها وفي حالة امتناع الرجل عن أداء هذا الحق للمرأة فانّ الشريعة وقانون الاسلام يمكنها من استعادة حقوقها من الرجل.

الثاني: الحقوق الأخلاقيّة والانسانيّة الذي يؤدّي التزامها من قبل الرجل إلى تأمين السعادة في الحياة الزوجيّة التي هدف الجميع، ذلك انّ الشريعة الاسلاميّة حدّدت قيماً أخلاقية علياً وأوصت طرفي العلاقة في الحياة الأسرية بضرورة الالتزام بها الأمر الذي يفضي الىٰ اشاعة أجواء من الصفاء والتفاهم والحياة الهادئة ونجاح الأسرة وموفقيتها.

وفيما يلي اشارة الى طائفة من التوصيات الأخلاقيّة الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وآله الأطهار عليهم السلام.

---

(١) منهاج الصالحين: ج ٢، ص ٢٧٩.

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي»[١].

«قَالَ صلى الله عليه وآله: عِيَالُ الرَّجُلِ أُسَرَاؤُهُ فَمَنْ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَلْيُوَسِّعْ عَلَى أُسَرَائِهِ»[٢].

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: أَوْصَانِي جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِالْمَرْأَةِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ لا يَنْبَغِي طَلاقُهَا إِلَّا مِنْ فَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ»[٣].

«من احتمل من امرأته ولو كلمة واحدة أعتق الله رقبته من النار وأوجب له الجنة وكتب له مائتي ألف حسنة ومحا عنه مائتي ألف سيئة ورفع له مائتي ألف درجة وكتب الله عزّو جل له بكل شعرة على بدنه عبادة سنة»[٤].

ومن هذه الأحاديث الشريفة ندرك أنّ على الرجل أن يقود الأُسرة في الطريق التي تؤدّي إلى السعادة وانه عليه أن يتحمل الكثير من أجل استقرار وأمن أُسرته.

ولا شكّ انّ الحياة الزوجيّة المشتركة فيها الكثير من المنغصات وان منعطفات الحياة تفرز احياناً مشاعر سلبيّة قد تنعكس على سلوك الزوجين ومن هنا يوصي الاسلام الزوجين أن يعملا على تجنب الاصطدام والعمل على اشاعة أجواء التفاهم والمحبّة.

ومن هنا فانه ينبغي على الزوجين أن يبديا أقصى درجات التحمل والصبر وغض الظرف عن الاساءة وقد جاء في سيرة الامام الصادق عليه السلام:

«سَأَلَ إِسْحَاقُ بْنُ عَمَّارٍ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ حَقِّ الْمَرْأَةِ عَلَى زَوْجِهَا، قَالَ: يُشْبِعُ بَطْنَهَا

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢١٦.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٤، ص١٢٢.

(٤) المصدر نفسه.

وَيَكْسُو جُثَّتَهَا وَإِنْ جَهِلَتْ غَفَرَ لَهَا إِنَّ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلَ الرَّحْمَنِ عليه السلام شَكَا إِلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ خُلُقَ سَارَةَ فَأَوْحَى اللهُ عَزَّوَجَلَّ إِلَيْهِ أَنَّ مَثَلَ الْمَرْأَةِ مَثَلُ الضِّلْعِ إِنْ أَقَمْتَهُ انْكَسَرَ وَإِنْ تَرَكْتَهُ اسْتَمْتَعْتَ بِه»(١).

ثواب من أعان زوجته في شؤون المنزل

قال رسول الله صلى الله عليه وآله لوصيّه علي عليه السلام:

«اسْمَعْ مِنِّي وَمَا أَقُولُ إِلَّا مِنْ أَمْرِ رَبِّي مَا مِنْ رَجُلٍ يُعِينُ امْرَأَتَهُ فِي بَيْتِهَا إِلَّا كَانَ لَهُ بِكُلِّ شَعْرَةٍ عَلَى بَدَنِهِ عِبَادَةُ سَنَةٍ صِيَامٍ نَهَارُهَا وَقِيَامٍ لَيْلُهَا وَأَعْطَاهُ اللهُ مِنَ الثَّوَابِ مِثْلَ مَا أَعْطَاهُ الصَّابِرِينَ دَاوُدَ النَّبِيِّ وَيَعْقُوبَ وَعِيسَى عليهم السلام»(٢).

ومن المؤكّد انّ هذا الحديث سوف يدفع بالرجال إلى مساعدة أزواجهم وتقديم العون لهنّ وسوف يكون في نفس الوقت رادعاً لهم عن أيّ سلوك وتصرّف فيه شدّة وقهر.

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ مَنْ كَانَ فِي خِدْمَةِ عِيَالِهِ فِي الْبَيْتِ وَلَمْ يَأْنَفْ كَتَبَ اللهُ اسْمَهُ فِي دِيوَانِ الشُّهَدَاءِ وَكَتَبَ اللهُ لَهُ بِكُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيدٍ وَكَتَبَ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوَابَ حَجَّةٍ وَعُمْرَةٍ وَأَعْطَاهُ اللهُ تَعَالَى بِكُلِّ عِرْقٍ فِي جَسَدِهِ مَدِينَةً فِي الْجَنَّة»(٣).

«وَقَالَ صلى الله عليه وآله: يَا عَلِيُّ خِدْمَةُ الْعِيَالِ كَفَّارَةٌ لِلْكَبَائِرِ وَيُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ وَمُهُورُ حُورِ الْعِينِ وَيَزِيدُ فِي الْحَسَنَاتِ وَالدَّرَجَات»(٤).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢١٦.

(٢) جامع السعادات: ج٢، ص١٤٢.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه: ص١٤٣.

ذمّ الرجال المتشدّدين مع المرأة

«قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ضَربَ امرأة بِغَيْرِ حَق فَأنا خَصْمُهُ يَومَ القِيامَةِ لا تَضْرِبُوا نِساءَكُم فَمَنْ ضَرَبَهُم بِغيرِ حَق فَقَد عَصَى اللهَ وَرَسُولَهُ»(١).

«وقَالَ ﷺ: لَيْسَ مِنّا مَنْ وُسِعَ عليه ثُمّ قَتر على عيالِهِ»(٢).

وَقَالَ أبوالحسن الرضا عليه السلام: يَنْبَغِي لِلرَّجُلِ أنْ يُوَسِّعَ عَلَى عِيَالِهِ كَيْلا يَتَمَنَّوْا مَوْتَه»(٣).

وإلى هنا تطرقنا إلى ما ينبغي أن تكون عليه معاملة الرجال لأزواجهم وثواب من يقوم بمساعدة زوجته في انجاز الأعمال المنزليّة والتحذير من اضطهاد الرجل للمرأة.

وفي مقابل ذلك ثمّة حقوق للرجل على المرأة وثمّة واجبات للمرأة ازاء الرجل.

حقوق الرجل على المرأة

روى الحَسَن بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ مَالِكِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلِمٍ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا حَقُّ الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ؟ فَقَالَ لَهَا: أَنْ تُطِيعَهُ وَلا تَعْصِيَهُ وَلا تَصَدَّقَ مِنْ بَيْتِهِ إِلّا بِإِذْنِهِ وَلا تَصُومَ تَطَوُّعاً إِلّا بِإِذْنِهِ وَلا تَمْنَعَهُ

---

(١) ارشاد القلوب: ج١، ص١٧٥.

(٢) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٦٤٣.

(٣) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٢٤٩.

نَفْسَهَا وَإِنْ كَانَتْ عَلَى ظَهْرِ قَتَبٍ وَلا تَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهَا إِلّا بِإِذْنِهِ وَإِنْ خَرَجَتْ مِنْ بَيْتِهَا بِغَيْرِ إِذْنِهِ لَعَنَتْهَا مَلائِكَةُ السَّمَاءِ وَمَلائِكَةُ الأَرْضِ وَمَلائِكَةُ الْغَضَبِ وَمَلائِكَةُ الرَّحْمَةِ حَتَّى تَرْجِعَ إِلَى بَيْتِهَا. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقّاً عَلَى الرَّجُلِ؟ قَالَ وَالِدُهُ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللهِ مَنْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَقّاً عَلَى الْمَرْأَةِ؟ قَالَ: زَوْجُهَا قَالَتْ فَمَا لِي عَلَيْهِ مِنَ الْحَقِّ مِثْلُ مَا لَهُ عَلَيَّ؟ قَالَ: لا وَلا مِنْ كُلِّ مِائَةٍ وَاحِدَةٌ قَالَ فَقَالَتْ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيّاً لا يَمْلِكُ رَقَبَتِي رَجُلٌ أَبَداً»(١).

وعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله أَنَّهُ قَالَ: حَقُّ الرَّجُلِ عَلَى الْمَرْأَةِ إِنَارَةُ السِّرَاجِ وَإِصْلاحُ الطَّعَامِ وَأَنْ تَسْتَقْبِلَهُ عِنْدَ بَابِ بَيْتِهَا فَتُرَحِّبَ وَأَنْ تُقَدِّمَ إِلَيْهِ الطَّسْتَ وَالْمِنْدِيلَ وَأَنْ تُوَضِّئَهُ وَأَنْ لا تَمْنَعَهُ نَفْسَهَا إِلّا مِنْ عِلَّةٍ»(٢).

وأَنَّهُ صلى الله عليه وآله قَالَ: لا تُؤَدِّي الْمَرْأَةُ حَقَّ اللهِ عَزَّوَجَلَّ حَتَّى تُؤَدِّيَ حَقَّ زَوْجِهَا»(٣).

وقال الصادق عليه السلام: أيّما امرأة باتت وزوجها عليها ساخط في حقّ لم تقبل منها صلاة حتّى يرضى عنها»(٤).

جهاد المرأة

عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ كَتَبَ عَلَى الرِّجَالِ الْجِهَادَ وَعَلَى النِّسَاءِ الْجِهَادَ فَجِهَادُ الرَّجُلِ أَنْ يَبْذُلَ مَالَهُ وَدَمَهُ حَتَّى يُقْتَلَ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ وَجِهَادُ الْمَرْأَةِ أَنْ تَصْبِرَ عَلَى مَا تَرَى مِنْ أَذَى زَوْجِهَا وَغَيْرَتِهِ».

---

(١) مكارم الأخلاق: ص ٢١٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

ونلاحظ في هذا الحديث الشريف انّ جهاد الرجل الانفاق على العيال وبذل المال والتضحية بالنفس والروح في سبيل الله، أمّا جهاد المرأة فالصبر على أذى زوجها ومشاعر الغيرة التي تضايق المرأة عادة.

فالمرأة تنتقل من بيت والديها إلى بيت زوجها، فهي تعيش حالة الحرمان من حب الأم ومن حياة هادئة وعلى الرجل أن يعوّضها عن ذلك، وقد تصادف المرأة في حياتها الزوجيّة ما قد يضايقها خاصّة مشاعر الغيرة ولذا فمن الضروري أن تسلك المرأة طريقها وتتصرّف على نحو لا يثير مشاعر الغيرة لدى زوجها.

«يقول الصادق عليه السلام: أَيُّمَا امْرَأَةٍ تَطَيَّبَتْ لِغَيْرِ زَوْجِهَا لَمْ تُقْبَلْ مِنْهَا صَلاةٌ حَتَّى تَغْتَسِلَ مِنْ طِيبِهَا كَغُسْلِهَا مِنْ جَنَابَتِهَا»[1].

وقال عليه السلام: أيما امرأة قالت لزوجها ما رأيت منك خيرا قط فقد حبط عملها»[2].

إنّ هذه الكلمات جارحة لأحاسيس وعاطفة الرجل ولا ينبغي أن تقول الزوجة لزوجها هذه الكلمات القاسية.

انّ الالتزام بوصايا الاسلام من قبل الزوجين يكفل للحياة الأسريّة السعادة والصفاء ويشبع أجواء المحبّة بينهما كما يضمن للمجتمع المسلم الاحساس بالأمن الاجتماعي.

جاء في سورة البقرة:

﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ﴾[3].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) سورة البقرة: الآية ١٨٧.

وهو تعبير لطيف جداً حيث تكون المرأة لباساً للرجل يستر عيوبه ويؤمن له حالة الدفئ وكذلك عند ما يكون الرجل حلّة للمرأة يسترها وتتجمّل به.

ومصطلح اللباس يتّسع ليشمل الحياة الانسانيّة كلّها لأنّه لا يمكن للانسان أن يستغني عن الكساء والزي واللباس في حياته الاجتماعيّة؛ من أجل هذا على الرجل أن يساند زوجته وعلى المرأة أن تقف إلى جانب زوجها عليهما أن يتعاضدان وأن يمسك أحدهما بيد الآخر ويمشيان سويّة في طريق الحياة.

وعند ما يقف أحدهما ضدّ الآخر وعند ما يتنازعان فانّهما سوف يسقطان معاً والنزاع الزوجي لا يؤدّي إلّا الىٰ هزيمتهما لأنّه لا يوجد أي رابح في النزاعات الزوجيّة وسوف يحرق دخان المعارك عيون الجميع بما في ذلك عيون الأبناء.

وفي مقابل ذلك فانّ الحب في الحياة الزوجيّة سوف يدخل البهجة والفرح والسعادة في الحياة الزوجيّة والاسريّة وسوف يكفل للأبناء أجواءً صحيّة للنمو الجسمي والروحي ويشيع الصحّة النفسيّة لدى الجميع.

وقد روى الامام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف:

«قَوْلُ الرَّجُلِ لِلْمَرْأَةِ إِنِّي أُحِبُّكِ لا يَذْهَبُ مِنْ قَلْبِهَا أَبَداً»[1].

---

(١) فروع الكافي: ج ٥، ص ٥٦٩.

المادّة الحادية والعشرون: حقّ المملوك

«وَأَمَّا حَقُّ رَعِيَّتِكَ بِمِلْكِ الْيَمِينِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ خَلْقُ رَبِّكَ وَلَحْمُكَ وَدَمُكَ وَأَنَّكَ تَمْلِكُهُ لا أَنْتَ صَنَعْتَهُ دُونَ اللهِ وَلا خَلَقْتَ لَهُ سَمْعاً وَلا بَصَراً وَلا أَجْرَيْتَ لَهُ رِزْقاً وَلَكِنَّ اللهَ كَفَاكَ ذَلِكَ بِمَنْ سَخَّرَهُ لَكَ وَائْتَمَنَكَ عَلَيْهِ وَاسْتَوْدَعَكَ إِيَّاهُ لِتَحْفَظَهُ فِيهِ وَتَسِيرَ فِيهِ بِسِيرَتِهِ فَتُطْعِمَهُ مِمَّا تَأْكُلُ وَتُلْبِسَهُ مِمَّا تَلْبَسُ وَلا تُكَلِّفَهُ مَا لا يُطِيقُ فَإِنْ كَرِهْتَ خَرَجْتَ إِلَى اللهِ مِنْهُ وَاسْتَبْدَلْتَ بِهِ وَلَمْ تُعَذِّبْ خَلْقَ اللهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

للامام السجاد عليه السلام في حقّ المولى نص تطرقنا إليه والنص الحالي يرتبط بحقوق الرقيق وكنا قد أشرنا فيما مضى إلى انّ الاسلام ظهر والنظام الرقّي قائم وله دافع دولي عالمي وقد اعترف الاسلام به على أساس الأمر الواقع ولم يشرّع قانوناً يلغي نظام الرق دفعة واحدة بل عمل على وضع آليات لتحرير الرقيق وتجفيف منابع الرق ذلك ان البعد الاقتصادي لم يكن يسمح يومئذٍ بالغاء هذا النظام الدولي القائم آنذاك وبجرّة قلم كما يقال، الّا انه حثّ المسلمين على معاملة الرقيق معاملة انسانيّة وشرّع لهم حقوقاً ألزم اتباعه بالاذعان لها وتأديتها.

الاسلام وقيمة المماليك

١ ـ الغى الاسلام الحدود الفاصلة بين السيّد والعبد فهم أُخوة جميعاً على صعيد الانسانيّة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِخْوَانُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ وَلْيَكْسُهُ مِمَّا يَلْبَسُ وَلا يُكَلِّفْهُ مَا يَغْلِبُهُ فَإِنْ كَلَّفَهُ مَا يَغْلِبُهُ فَلْيَبِعْهُ»(١).

٢ ـ انّ النبي صلى الله عليه وآله أعاد إليهم الاعتبار الانساني الكامل بحيث يحذر من اطلاق مفردات لا تليق بكرامتهم الانسانيّة، فقال صلى الله عليه وآله:

«لا يقُل أحدكم هذا عبدي وهذه أمتي وليقل: فتاي وفتاتي»(٢).

٣ ـ إنّ الاسلام جعل ايذاء المملوك بملك اليمين من أكثر الشرور التي يرتكبها المسلم فالذي يضرب عبده هو أكثر الناس شرّاً على سطح الأرض فقد روى الامام الصادق عليه السلام عن جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله قوله الشريف:

«أَلا أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ النَّاسِ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: مَنْ سَافَرَ وَحْدَهُ وَمَنَعَ رِفْدَهُ وَضَرَبَ عَبْدَهُ»(٣).

الامام علي عليه السلام وفتاه

جاء في سيرة الامام علي عليه السلام انه دخل سوقاً من أسواق الكوفة فاشترى قميصين أحدهما بثلاثة دراهم والآخر بدرهمين فأعطى الذي اشتراه بثلاثة دراهم إلى فتاة قنبر وأخذ الذي بدرهمين، فقال قنبر: يا أميرالمؤمنين أنت تخطب بالناس فخذ الذي بثلاثة دراهم، فقال عليه السلام: وأنت شاب ولك شرخ الشباب وأنا

---

(١) الاسلام وحقوق الانسان: ص٢٠٤، نقلاً عن نهج الفصاحة: ص١٢٠.

(٢) المصدر السابق نقلاً عن شبهات حول الاسلام.

(٣) المصدر السابق نقلاً عن بحار الأنوار: ج١٦، ص٤٠.

أستحيي أن أتفضّل عليك وقد سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُون»[١].

بل انّ رسول الله ﷺ أمر بتقديم العون لهم في انجاز الأعمال الشاقّة التي قد يكلّفون انجازها.

أبوذر واقتسام الثياب

واقتدى أبوذر برسول الله ﷺ في معاملته مع فتاه فقد اشترى بردتين ارتداهما مدّة ثمّ اعطى أحداهما إلى غلامه واكتفى بواحدة فقيل لو لبستهما معاً لكان أجمل فقال لهم لكني سمعت رسول الله ﷺ يقول:

«أَلْبِسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَأْكُلُون»[٢].

ورأى النبي ﷺ رجلاً راكباً على دابته وخلفه غلامه يمشي فقال له النبي ﷺ اردفه فانه أخوك وروحه مثل روحك[٣].

وهذه سيرة أهل البيت عليهم السلام تزخر بالمثل العليا في تعاملهم الانساني مع غلمانهم، هذا علي بن موسى الرضا عليه السلام يأكل معهم على مائدة واحدة ويأمرهم ألّا يمتثلوا أمره اذا كانوا على المائدة يأكلون حتّى يفرغوا من الأكل وتناول الطعام[٤].

وهذا جدّه الامام الصادق عليه السلام يعامل أحد غلمانه بكلّ لطف ومحبّة وقد كان

---

(١) المصدر نفسه، نقلاً عن نهج الفصاحة.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

غلامه دائم النوم في الليل والنهار فاستدعاه وعاتبه قائلاً له: انك لتنام في الليل والنهار فالليل لك والنهار للعمل[١].

وقام النبي صلى الله عليه وآله بأعظم خطوة في ردم الهوة بين الأحرار والعبيد حسب القيم السائدة آنذاك فقد عمد للمؤاخاة بين بعض الغلمان من قبيل بلال وزيد وغيرهما مع أحرار من قبيل خالد بن رويحة الخثعمي وحمزة بن عبدالمطلب عمّ النبي صلى الله عليه وآله بل زوج زينب السيدة القرشيّة من زيد بن حارثة الذي كان بالأمس غلاماً للنبي صلى الله عليه وآله وقصة زواج جويبر الذي يعدّ من في أدنى ذلك السلم الاجتماعي الجاهلي من ابنة زعيم قبيلة في مستوى زياد بن لبيد؛ قصّة مشهورة ثمّ وصلت ذورة الاجراءات النبويّة في مكافحة هذه الثقافة الجاهليّة والتمييز الاجتماعي في تعيينه أُسامة بن زيد بن حارثة قائداً أعلى على الجيش الاسلامي حيث انضوى تحت قيادته جميع صحابة الرسول من قبيل أبي بكر وعمر بن الخطاب وسائر المهاجرين الأنصار[٢].

ثواب العتق

حثت الشريعة الاسلاميّة المؤمنين على عتق العبيد وتحريرهم من نير العبوديّة وقد تضمنت بعض الكتب أبواباً مستقلّة تحت عنوان «كتاب العتق» من قبيل كتاب وسائل الشيعة حيث مطلع الباب حول استحباب العتق كعمل يترتّب عليه الأجر والثواب.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

تقول الرواية الاولى في هذا الباب:

«مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بِإِسْنَادِهِ عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ سَعِيدٍ، عَنِ ابْنِ أَبِي عُمَيْرٍ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ عَمَّارٍ، وَحَفْصِ بْنِ الْبَخْتَرِيِّ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ فِي الرَّجُلِ يُعْتِقُ الْمَمْلُوكَ قَالَ: يُعْتِقُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ»(١).

وجاء في الرواية الرابعة:

«عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنْ مُعَلَّى بْنِ مُحَمَّدٍ، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ، عَنْ أَبَانٍ، عَنْ بَشِيرٍ النَّبَّالِ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: مَنْ أَعْتَقَ نَسَمَةً صَالِحَةً لِوَجْهِ اللهِ كَفَّرَ اللهُ عَنْهُ مَكَانَ كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ»(٢).

وجاء في الرواية السادسة عن الامام الصادق عليه السلام: انّ أميرالمؤمنين علي عليه السلام اعتق ألف مملوك من كدّ يده.

وجاء في الباب الثاني من الكتاب عن الامام الصادق عليه السلام أيضاً قوله:

ومن كلّ ما سبق يتجلّى الجانب الانساني والأخلاقي في ما ورد من قيم رفيعة في نص رسالة الحقوق في هذا المضمار وقول الامام السجاد عليه السلام بشأن حقوق المملوك بملك اليمين:

وأمّا حق رعيتك بملك اليمين فأن تعلم أنه خَلْقُ ربّك ولحمك ودمك وأنك تملكه لا أنت صنعته دون الله ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً ولا أجريت له رزقاً ولكن الله كفاك ذلك ثمّ سخّره لك وائتمنك عليه واستودعك إيّاه لتحفظه فيه وتسير بسيرته، فتطعمه ممّا تأكل وتلبسه ممّا تلبس ولا تكلّفه ما لا يطيق.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢ ـ ٤.

(٢) المصدر نفسه.

حقوق الأقارب

المادّة الثانية والعشرون: حقّ الأم

«فَحَقُّ أُمِّكَ أَنْ تَعْلَمَ أَنَّهَا حَمَلَتْكَ حَيْثُ لا يَحْمِلُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَطْعَمَتْكَ مِنْ ثَمَرَةِ قَلْبِهَا مَا لا يُطْعِمُ أَحَدٌ أَحَداً وَأَنَّهَا وَقَتْكَ بِسَمْعِهَا وَبَصَرِهَا وَيَدِهَا وَرِجْلِهَا وَشَعْرِهَا وَبَشَرِهَا وَجَمِيعِ جَوَارِحِهَا مُسْتَبْشِرَةً بِذَلِكَ فَرِحَةً مُؤَمِّلَةً مُحْتَمِلَةً لِمَا فِيهِ مَكْرُوهُهَا وَأَلَمُهَا وَثِقْلُهَا وَغَمُّهَا حَتَّى دَفَعَتْهَا عَنْكَ يَدُ الْقُدْرَةِ وَأُخْرِجْتَ إِلَى الْأَرْضِ فَرَضِيَتْ أَنْ تَشْبَعَ وَتَجُوعَ هِيَ وَتَكْسُوكَ وَتَعْرَى وَتُرْوِيَكَ وَتَظْمَأَ وَتُظِلَّكَ وَتَضْحَى وَتُنَعِّمَكَ بِبُؤْسِهَا وَتُلَذِّذَكَ بِالنَّوْمِ بِأَرَقِهَا وَكَانَ بَطْنُهَا لَكَ وِعَاءً وَحِجْرُهَا لَكَ حِوَاءً وَثَدْيُهَا لَكَ سِقَاءً وَنَفْسُهَا لَكَ وِقَاءً تُبَاشِرُ حَرَّ الدُّنْيَا وَبَرْدَهَا لَكَ وَدُونَكَ فَتَشْكُرُهَا عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلا تَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا بِعَوْنِ اللهِ وَتَوْفِيقِهِ».

مفردة الأُم

الأُم تعني الأصل والأساس في كلّ شيء وتنضوي تحته أشياء أُخرى.

وقد جاء في الحديث: «اجتنبوا الخمر فانّها أُمّ الخبائث» ويمكن القول انّ الأُم هي القاسم المشترك المعنوي ومعناها الجامع والأصل والأساس[1].

---

(١) النهاية لابن الأثير «أُم».

وقد اشتهر استخدام هذه المفردة للأُم الحقيقيّة بحيث ينصرف الذهن لدى سماعها إلى الأُم على نحو المعنى الحقيقي وفي غيرها إلى المعنى المجازي.

موارد استخدام مفردة «أُم» في القرآن الكريم

١ ـ الأُم الحقيقيّة: ﴿وَأَوْحَيْنا إِلىٰ أُمِّ مُوسىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾[١].

٢ ـ الأصل والأساس: ﴿هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتابِ وَأُخَرُ مُتَشابِهاتٌ﴾[٢].

ويذهب الراغب الاصفهاني وآخرون الى ان كون مكّة أُمّ القرى انطلاقاً من أن الأرض امتدت من تحتها وبموجب الروايات ان أوّل بقعة انعقدت وجفّت هي مكّة المكرّمة.

واطلق القرآن الكريم على أزواج النبي ﷺ مصطلح أُمّهات المؤمنين وذلك في قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْواجُهُ أُمَّهاتُهُمْ﴾[٣].

وبالنظر إلى المعاني الثلاثة أعلاه يعني: «الأم الحقيقية، الأصل والأساس ومركز الشيء ومعظمه» فانّه يتّضح لنا الترابط بينها فالأم بمنزلة الجذور والأصل والأساس للشجرة حيث الابن بمثابة الغصن الذي ينتمي في وجوده إليها ومن جذورها يستمد مقومات حياته وهذا يرتبط بنوع الجذور والأصل فكلما كان الأصل رفيعاً شريفاً كان الابن امتداداً لأصالة الأم وسمو مكانتها.

---

(١) سورة القصص: الآية ٧.

(٢) سورة آل عمران: الآية ٧.

(٣) سورة الأحزاب: الآية ٦.

الأم وتحمل المشاق والمعاناة

وبعد أن اتّضح لنا المعنى اللغوي لمفردة «الأُم» نتطرّق إلى ما ورد في هذه المادة من حقوق للأُم، حيث يشير الامام السجاد عليه السلام إلى فترة الحمل ومشاقها وإلى معاناة الأم وهي تحمل في بطنها جنيناً يتغذى على ثمرة قلبها وهي مع ذلك مستبشرة فرحة يحدوها الأمل برؤية طفلها.

وقد تطرّق القرآن الكريم إلى معاناة الأُم في حملها ووضعها قال تعالى في سورة الاحقاف:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ إِحْساناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً وَحَمْلُهُ وَفِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً حَتّى إِذا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعينَ سَنَةً قالَ رَبِّ أَوْزِعْني أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلىٰ والِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صالِحاً تَرْضاهُ وَأَصْلِحْ لي في ذُرِّيَّتي إِنّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنّي مِنَ الْمُسْلِمينَ﴾[١].

وجاء في سورة لقمان:

﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسانَ بِوالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلىٰ وَهْنٍ وَفِصالُهُ في عامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصيرُ﴾[٢].

وفترة الحمل من أصعب الفترات التي تمرّ بها الأم فهي تتحمّل المشاق منذ اليوم الأوّل من انعقاد النطفة حيث تتعرّض الأم إلى حالات تغيير وتعاني من الآلام حيث ظاهرة الوحام جزء ممّا تعانيه المرأة الحامل وقد ذهب بعض الأطبّاء

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) سورة لقمان: الآية ١٤.

في تفسير هذه الظاهرة إلى انّ الأُم تعاني من نقص في بعض عناصر الجسم التي تؤثر بها الأُم جنينها لكي ينمو ويكبر وتتحمّل هي مضاعفات هذا النقص في المواد.

فترة الحمل

وفي هذه الفترة وكلّما كان الجنين يتقدّم في نموه أكثر فانه يمتصّ من عصارة الروح التي ينمو في أعماقها فيترك النمو آثاره حتّى على عظام أُمّه وأعصابها ويسلبها احياناً حلاوة النوم وفترات الاستراحة وتناول الطعام.

وفي آخر فترة الحمل تعاني الأُم في المشي وحتّى الجلوس والنهوض يصبح بالنسبة لها شاقّاً الّا ان الأُم تتحمّل كلّ ذلك بصبر؛ يتألّق في عينيها الأمل الذي يمدّها بالقوّة للمزيد من التحمّل والصبر، اذ تواجه كلّ هذه الصعوبات بابتسامة عريضة تشرق على وجهها وفي عينيها.

ثمّ تأتي فترة المخاض ووضع الحمل التي هي من أشدّ اللحظات عذاباً وألماً وقد يبلغ الألم احياناً مديات خطيرة تفقد الأُم خلال ذلك حياتها.

وفي هذه الفترة يتعيّن على الام الحامل أن توصل المسافر والأمانة إلى المحطّة الأخيرة بسلام وأمان ولذا فان الام تكون في غاية الحذر من أجل الحفاظ على الأمانة فهي حذرة في كلّ حركة من حركاتها وسكناتها في مشيها وفي ما تتناوله من غذاء وطعام.

والمسافر الذي تحمله في رحلة شاقة تستغرق شهوراً طويلة رحلة لا تستغرق شهراً أو شهرين أو ثلاثة وإنّما تسعة شهور متواصلة تتضاعف مشاق

الرحلة يوماً بعد آخر واسبوع بعد آخر حيث تدخل الرحلة مرحلة أكثر صعوبة بعد ولوج الروح في الجنين وذلك بعد مرور أربعة أشهر وعشرة أيّام تقريباً بعد بدء الحمل حيث تبدأ تعاني من ضغوطات على البطن والجنين ولكن الأُم تشكر الله سبحانه لأنّ جنينها ينعم بالحياة فهي تصغي منتشية الى دقات القلب.

وبعد هذه الفترة الطويلة الشاقة التي تعاني منها الأُم ما اطلق عليه القرآن الكريم في قوله تعالىٰ: «وهناً على وهن» أي الضعف المتوالي بعد ذلك تبدأ مرحلة شاقّة أُخرى وهي فترة الرضاع ورعاية الوليد حيث تبدأ مرحلة السهر الدائم والرعاية المستمرة وتأمين كلّ ما يحتاجه الوليد من احتياجات وتلبية كلّ ما هو لازم وضروري من أجل أن ينمو ويكبر.

واذ يتعيّن على الأُم أن تكتشف ذلك بنفسها لأنّ الطفل لا يعبر عن احتياجاته بالكلام وإنّما هو يبكي احياناً وعلى الأُم أن تدرك سرّ بكائه فهي تهبّ لنجدته وتتفحص طفلها بلهفة؛ ترضعه ان كان جائعاً وتضمه إلى صدرها لتشعره بالحنان والدفئ والأمان وتقلّبه إن استمر في بكائه تتفحصه بعينين ثاقبتين وقد تبادر الى الطبيب المختص إن تعذر عليها اكتشاف ما قد يتهدّد صحّة طفلها.

فترة الرضاع

تستغرق هذه الفترة بحسب ما يشير القرآن الكريم عامين كاملين وقد جاء في سورة البقرة قوله تعالى:

﴿وَالْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضٰاعَةَ﴾[1].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

وجاء في سورة الأحقاف اشارة إلى انّ مجموع فترة الحمل والرضاعة تستغرق ثلاثين شهراً:

﴿وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً﴾(١).

وعند ما نقوم بطرح فترة الارضاع البالغة عامين كاملين من مجموع الفترة وهي ثلاثين شهراً فانّ المدّة المتبقيّة للحمل تصبح ستّة أشهر فقط، فهل بالامكان أن تكون فترة الحمل ستّة شهور فقط؟

وقد استنبط الفقهاء والمفسّرون من الروايات والآيات ان أقل فترة للحمل هي ستّة شهور وأن أقصر مدّة للرضاع هي عامان، وقد روي عن جالينوس وابن سينا مشاهدات لهم عن اطفال ولدوا بعد ستة أشهر من الحمل.

وقد استنتج البعض من الآية أعلاه أن مدّة الرضاعة تقل وتزيد بحسب مدّة الحمل فاذا كانت مدّة الحمل تسعة شهور فان مدّة الرضاعة ينبغي أن تكون واحداً وعشرين شهراً على أساس انّ مدّة الحمل الرضاع كلّها ثلاثون شهراً وإلى هذا يذهب ابن عبّاس(٢).

وهذا ما يؤيّده القانون الطبيعي فالنواقص التي يعانيها الطفل بسبب قصر فترة الحمل تعوض في فترة الارضاع ولهذا نرى التعبير القرآني: «وفصاله في عامين» وفي آية أُخرى: «حولين كاملين».

وعلى أيّة حال فانّ الأُم خلال هذه المدّة البالغة ٣٣ شهراً (فترة الحمل والارضاع) تقوم بأكبر التضحيات والفداء من الناحية الروحيّة والعاطفيّة ومن

---

(١) سورة الأحقاف: الآية ١٥.

(٢) التفسير الأمثل: ج٢١، ص٣٢٧.

الناحية الجسميّة من أجل طفلها.

وما يلفت الانتباه انّ القرآن يوصي بالوالدين بداية ولكن عند بيان المعاناة فانّه يشير إلى ما تعانيه الأم فينبه إلى عظيم فدائها وجليل ايثارها ثمّ يقول: ﴿أَنِ اشْكُرْ لي وَلِوٰالِدَيْكَ﴾ إذ الشكر يجب أن يكون موجّهاً في البداية إلى المنعم الأصلي ثمّ إلى الوالدين اللذين هما واسطة الفيض الالهي وانتقال هذه النعمة إليك أيّها الانسان.

سهم الأُم في بناء الولد

في الآيتين السالفتي الذكر من سورتي الاحقاف ولقمان تعبير «ووصّينا الانسان بوالديه» ففي عنقه حقوق لهما أما أيّهما سهمه أكثر؟ فانّ القرآن يشير إلى الأُم وما تعانيه في فترة الحمل والرضاعة حيث سهم الأب والأُم سواء في مسألة انعقاد النطفة ثمّ تنفرد الأُم بالمراحل التالية من خلال الحمل من تغذية ونمو في الرحم يقول الكسيس كارليل: للأب والأُم في بناء الخلية الاولى دور متساو في تكوّنها وحتّى في جميع الخلايا التي نجم ظهورها عن الانقسام الّا ان الأُم واضافة إلى النصف في نواة الخلية لها كل البرتوبلازم الذي يحيط بالنواة وعليه فان دورها أكبر في تكوين الجنين وأهم.

إنّ دور الأب في التكاثر قصير ولكن دور الأُم يمتدّ إلى تسعة شهور وخلال هذه المدّة يتغذّى الجنين على المواد التي يحملها دم الأُم بعد تصفيتها فهو ينمو ويكبر على ذلك[١].

---

(١) الطفل (فلسفي): ج١، ص٩٦، نقلاً عن الانسان ذلك المجهول: ص٨٥ـ٨٦.

التأثيرات النفسيّة للأُم في الجنين

يتأثّر الجنين بجميع الحالات النفسيّة والجسميّة للأُم ذلك انّ الجنين في بطن أُمّه هو جزء منها وبمثابة عضو من أعضائها فكما أنّ المواد الغذائيّة التي تتناولها الأم تترك تأثيراً على الجنين كذلك فان اخلاق الام وأفكارها وحالاتها النفسيّة تترك هي الاخرى آثارها في جسم وروح الطفل.

فاذا كانت الأم أيّام الحمل تعاني من الخوف الشديد فان آثار ذلك تنعكس على الطفل، فقد ينخطف لون وجه الأُم في حالات الخوف ولكن الجنين يعاني صدمة أكبر جرّاء ذلك؛ جاء في كتاب «معجزة الغذاء»:

«إذا خافت المرأة أثناء الحمل إلى حد انخطف لون وجهها واجتاحتها حالة من الارتجاف، فان ندوباً تظهر على جسم الطفل[1].

انّ الغصص والهموم التي تجتاح الأُم والاضطرابات التي تواجهها وتشاؤمها واحقادها وحسدها بل وجميع الصفات السيّئة وكذلك الصفات الحسنة تؤثّر في الطفل[2].

فترة الرضاعة في القرآن الكريم

﴿وَالْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضٰاعَةَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاٰ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاّٰ وُسْعَهٰا لاٰ تُضٰارَّ وٰالِدَةٌ بِوَلَدِهٰا

(١) معجزة الغذاء: ص ١٧٢.

(٢) الطفل: ج ١، ص ١١٨.

وَلاٰ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الْوٰارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ فَإِنْ أَرٰادٰا فِصٰالاً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْهُمٰا وَتَشٰاوُرٍ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلاٰدَكُمْ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللّٰهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّٰهَ بِمٰا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[1].

تعني الوالدة في اللغة العربية الأم الّا ان مفردة الأم لها معنى أوسع فهي تطلق على الأم المباشرة وعلى الجدّة أو أم الأم واحياناً تطلق على أساس وجذر الشيء وأصله وقد أشرنا في مضى إلى ذلك.

وتشتمل الآية أعلاه على مجموعة أمور في مسألة الرضاعة والحقوق المختلفة للأم والأب والأبناء وهي عبارة عن سبعة أمور:

١ ـ للأم حق ارضاع ولدها عامين كاملين ولها حق الحضانة وبالرغم من أن الولاية للأب الّا أن تغذيته جسمياً وروحياً خلال هذه المدّة يجب أن تكون بلبن الأم من خلال عمليّة الارضاع التي ترافقها عاطفة الأمومة.

ومن هنا يصبح حقّ الحضانة للام خلال هذه الفترة:

﴿ وَالْوٰالِدٰاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كٰامِلَيْنِ ﴾.

٢ ـ انّ مدّة الرضاعة ليست سنتين بالضرورة ذلك انّ السقف الأعلى للارضاع هو هذه المدّة ﴿ لِمَنْ أَرٰادَ أَنْ يُتِمَّ الرَّضٰاعَةَ ﴾ إلّا انّ للأمّهات اختصار هذه المدّة بما لا يلحق ضرراً بسلامة الطفل.

٣ ـ يتحمّل الأب جميع نفقات الأم خلال فترة الارضاع من غذاء وكساء حتّى في حالة الانفصال والطلاق لكي يمكن للأم ارضاع الطفل في ظروف طبيعيّة ﴿ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ ﴾ حيث يتحمّل الأب هنا تغطية نفقات الام والطفل من غذاء وكساء.

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

٤ ـ لا يحق للأب ولا للأُم الاستغلال والتلاعب بمصير الطفل في النزاع بينهما لأنّ ذلك سوف يتركه آثاره النفسيّة الخطيرة على الطفل ﴿لاٰ تُضٰارَّ وٰالِدَةٌ بِوَلَدِهٰا وَلاٰ مَوْلُودٌ لَهُ بِوَلَدِهِ﴾ وعلى الرجل رعاية حقّ المرأة في حضانة طفلها أثناء فترة الرضاعة ويتوجب على الأم هنا ألّا تستغل هذا الحق ضد زوجها الذي هو والد طفلها.

٥ ـ في حالة وفاة الأب فعلى الورثة التعهّد في تحمّل مسؤوليّة الأُم أثناء فترة الارضاع ﴿وَعَلَى الْوٰارِثِ مِثْلُ ذٰلِكَ﴾.

٦ ـ يحق للأب والأُم فطام طفلهما بالرغم من وجود سقف محدّد لفترة الرضاعة غير انه يجوز للأب والأُم أن يتوافقا حول تحديد مدّة الارضاع مع الأخذ بنظر اعتبار الوضع الصحي للطفل ﴿فَإِنْ أَرٰادٰا فِصٰالاً عَنْ تَرٰاضٍ مِنْهُمٰا وَتَشٰاوُرٍ فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْهِمٰا﴾.

٧ ـ لا يجوز مصادرة حقّ الارضاع وحرمان الأُم من حضانة ولدها إلّا في حالة امتناع الأُم عن ذلك أو وجود ما يحول دونه وفي هذه الحالة ﴿فَلاٰ جُنٰاحَ عَلَيْكُمْ إِذٰا سَلَّمْتُمْ مٰا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ﴾ وتأمين حقوق المرضعة[1].

انّ مسألة الرضاعة حقّ للأُم الأمر الذي يجعل لها حقّاً في حضانة الطفل طوال تلك الفترة المقرّرة قرآنيّاً كسقف أعلى.

كيف يكون اللبن؟

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعٰامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمّٰا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَناً خٰالِصاً

---

(١) التفسير الأمثل: ج ٢، ص ١٣١ ـ ١٣٥.

سائِغاً لِلشَّارِبِينَ ﴾[١].

وتفيد الآية الكريمة انّ اللبن يتكوّن من «الفرث» الذي هو الغذاء المهضوم داخل المعدة ومن «الدم» وقد أثبتت الدراسات هذه الحقيقة القرآنيّة حيث يتمّ امتصاص الطعام وانتقاله إلى ملايين الأوعية الدمويّة المشعريّة التي تتّجه الى الثدي.

ومادام الطفل جنيناً في بطن اُمّه فانّه يتغذّى على عصارة الغذاء في دم الأُم عبر الحبل السري.

وبعد الولادة يقطع الحبل السري وحينئذٍ تتوقّف تغذيته من خلال الدم حيث ينتقل مصدر غذائه إلى حلمة الثدي وثمّة تحول في كيفيّة الغذاء لأن الدماء التي تتدفق الى الثدي عبر الأوعية الدمويّة تتحوّل إلى لبن سائغ هو مركّب وسط يجمع بين الفرث والدم؛ فهو ليس بالدم المصفى ولا بالغذاء المهضوم فهو أعلى من الثاني ولا يصل إلى الأوّل وتقوم الحلمة بالاستفادة من الحامض الاميني المخزون في الجسم في تكوين المواد البروتينيّة للبن. ولا توجد بعض مواد اللبن في الدم حيث تصنع في غدد الثدي من قبيل الكازوئين وبعضه الأجزاء الأُخرى موجودة في اللبن وتدخل من خلال الترشح من بلازما الدم من قبيل الفيتامينات وملح الطعام والفوسفات وبعض آخر من المواد من قبيل السكر الموجود في لبن (لاكتوز) الذي يؤخذ من السكر الموجود في الدم حيث يعمل الثدي عليه ويكون له دور في تغييره.

ويلاحظ ان انتاج اللبن يأتي من خلال امتصاص المواد الغذائيّة عن طريق

---

(١) سورة النحل: الآية ٦٦.

الدم والاتصال المباشر بين الدم وغدد الثدي وما يلفت الانتباه هنا لا رائحة الفرث ولا لون الدم ينتقل إلى اللبن ويقول العلماء يلزم انتاج لتر واحد من اللبن أو حليب الأُم عبر ثدي واحد تدفق ما يعادل خمسمئة ليتر من الدماء إلى الثدي لكي يمكن للثدي امتصاص ما يلزمه لانتاج لتر واحد من الحليب وهنا تتجلّى بشكل واضح العبارة القرآنيّة «من بين فرث ودم»[١].

والمواد المعدنيّة في الحليب عبارة عن الصوديوم، البوتاسيوم، الكالسيوم، المغنيزيوم، الالمنيوم، النحاس ونسبة من الحديد وكذلك الفسفور والكلور، اليود والكبريت، ويوجد في اللبن بعض الغازات من قبيل الأُوكسجين والنتروجين أو الاوزوت وأيضاً حامض الكربونيك وتوجد المواد السكريّة بقدر كاف في حالة (لاكتوز) اضافة إلى الفيتامينات المحلولة فيه «B . P . A . D» ولذا ورد عن النبي ﷺ قوله:

«ليس يُجزي مكان الطعام والشراب إلّا اللبن»[٢].

اللبن ضئيل في حجمه عظيم في فائدته

اللبن غذاء طيب سائغ خالص مفيد لكلّ الناس من كافّة الفئات العمريّة فهو هام وحيوي للأطفال، مفيد جدّاً للشيوخ ولذا يجوّز الأطبّاء لمرضاهم تناول اللبن وهو مؤثّر جدّاً في نمو العظام وقوّتها ولهذا ينصح الاطبّاء المصابين بالكسور تناول الحليب وأحد معاني الخلوص الآصرة ولعلّ في التعبير القرآني وتوصية الحليب «لبناً خالصاً» اشارة إلى تأثيراته القويّة في بناء العظام.

---

(١) أوّل جامعة وآخر نبي: ج٦، ص ٧١ ـ ٧٧.

(٢) المصدر السابق: ص ١٠٠.

ومن المهم التطرق إلى مسألة الرضاع ودخولها في أحكام الشريعة الاسلاميّة إذ نرى الفقهاء يصرّحون بأنّ الطفل اذا رضع من حليب غير أُمّه حتّى يشتدّ عظمه وينبت فانها تصبح من محارمه.

ويقول الفقه الاسلامي بأن خمسة عشر رضعة متوالية بل الرضاع المستمر مدّة يوم وليلة يجعل هذا الحكم نافذاً.

ألا يمكن الاستنتاج من الحكمين أعلاه انّ الرضاعة المستمرّة مدّة يوم وليلة يؤثر في اشتداد العظم وانبات اللحم(١).

ويجدر ذكره انّ الشريعة الاسلاميّة تولي أهميّة فائقة إلى حليب «آغوز» الذي يطلق عليه العرب «لباء» بحيث نجد الكتب الفقهيّة تقول: انّ حياة الطفل تتوقّف عليه ولهذا تعد ذلك من الواجبات(٢).

وثمّة اشارة إلى الرضاعة في سورة القصص في قصّة سيّد موسى بن عمران عليه السلام:

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾(٣).

انّ كثيراً من الصفات والسجايا تنتقل من الأُم إلى طفلها عن طريق الرضاعة وقد خاطب الامام علي عليه السلام ابنه محمّد بن الحنفيّة عند ما أمره بالتقدّم في حرب الجمل فتهيب الهجوم أمام وابل كثيف من السهام التي كانت تتّجه نحوه كالمطر.

---

(١) التفسير الأمثل: ج١١، ص٢٩٢.

(٢) شرح اللمعة، كتاب النكاح: ج٥، ص٤٥٢.

(٣) سورة القصص: الآية ٧.

حينئذٍ أخذ الامام الراية منه قائلاً:

«أدركك عرق من أُمّك».

فنسب تردّده إلى ما ورث من أُمّه ونقرأ في طفولة سيّدنا محمّد ﷺ انه امتنع عن الرضاعة من بعض المرضعات ورضع من السيّدة حليمة السعديّة.

الأُم توقف كلّ حياتها على طفلها

منذ الصرخة الاولى التي يطلقها الطفل إيذاناً بالقدوم إلى هـذا العـالم والأُم توقف كلّ وقتها وحياتها ووجودها على طفلها ذلك أن أدنى غفلة من الأُم عـن طفلها الصغير يعني المجازفة بمصيرة وقد يكلّفه ذلك حياته.

ولذا نلاحظ الأُم ترعى ابنها ليل نهار وتسهر الليل من أجل أن يـنام طـفلها بسلام، وهي تفعل كلّ ذلك دون شكوى وتضجّر، بل تقبل على هذه التضحيات والمعاناة بلذّة «مستبشرة بذلك» كما يقول الامام السجاد عليه السلام.

عاطفة الأُمومة

الحب من حاجات الانسان الأساسيّة، يولد الانسان ويولد لديه البحث عن الحب، حتّى يمكن القول انّ الحب يأتي بعد الغذاء والماء في سلسلة احتياجات الانسان.

ويؤكّد علماء النفس أنّ أقوى النزعات الروحـيّة الحـنان والحب حـيث لا يقتصر ذلك في مرحلة الطفولة بل ان هذه النزعة ترافق الانسان في جميع مراحل الحياة.

وتتجلّى نزعة الحب وحالة الانفراد به لدى الاطفال بشكل واضح للعيان حتّى انّ التقليل من التدليل للطفل يدفعه إلى محاولة استعادة المكانة بمختلف الممارسات واذا ما لاحظ الطفل ان والديه يتّجهان بجزء من العاطفة والحنان الى طفل آخر تفجرت لديه حالة من الغيرة والحسد ازاء ذلك الطفل. وفي عالم الكبار نشاهد هذه الحالة واضحة في عالم المرأة التي لا تنظر باتياح أبداً إلى ضرّتها، وفي عالم اليافعين والفتيان نلاحظ حالة شديدة من التنافس للفوز بالحب واختطاف القلوب.

ويذهب بعض علماء النفس إلى أنّ الأطفال يشعرون باحتياج خاص إلى الاحساس بالدفء لا يمكن تأمينه الّا في احضان الأُم الدافئة لهذا نلاحظ الطفل يلجأ إلى حضن أُمّه ليستشعر الدفء، واذا لم يتوفر هذا الاحساس وإذا تعذّر تأمين هذه المشاعر فانّ ذلك سوف يلقي بظلال قاتمة على روح الطفل وعالمه النفسي.

وقد ذهب أحد كبار علماء النفس إلى القول بأنّه يجب أن يوضع الطفل في احضان أُمّه بعد الولادة مباشرة وعدم نقله إلى قسم الرضاعة لأن ذلك المكان لا يؤمّن له الاحساس بالدفء الذي هو مطلب أساسي جدّاً.

وذهب آخرون إلى ضرورة وجود أُم إلى جانب الطفل الوليد اذا تعذّر وجود أُمّه الحقيقيّة إلى جانبه حتّى يمكن تأمين هذا الحنان ولهذا تسعى الدول إلى ايجاد مؤسّسات للحضانة تتوفّر فيها هذه الرعاية.

هل يدرك الطفل فقدان الدفء والحنان

لا يستطيع الطفل في هذه الفترة الكلام ليعبّر عن ذلك ولذا يبقى الجواب عن

هذا السؤال فارغاً، غير انه يمكن القيام بعدّة اختبارات ورصد نتائجها فقد اتّجه العلماء إلى اجراء هذه الاختبارات على مجموعة من القردة حيث أوكلت رعاية بعض صغار القردة إلى آلة فشوهد انّ الصغار تتعامل معها كما تتعامل الصغار مع الأم.

وقد لوحظ انّ الصغار تتّجه أكثر إلى عصا ملفوفة بالاسفنج والقماش علماً بأنّ الأم الآلة كانت تمنح لبناً دافئاً ومع ذلك فانّ الصغار كانوا يفضلون الأُم الاسفنجيّة حيث امكان الاحتضان فيها أفضل.

وقد لوحظ في هذه الاختبارات انّ الصغار تهب للجوء إلى تلك الأُم البديلة بمجرّد الشعور بالانزعاج والضغط، فهل يمكن الاستنتاج من هذه الاختبارات انّ صغار القردة تحتاج إلى الشعور بالدفء والحنان من خلال بدن الأُم وهكذا بالنسبة للأطفال أيضاً[1].

ايثار الأم

تؤثر الأُم وجود ابنها على وجودها وحياته على حياتها ولذا فهي تغذّي نفسها من أجله وتضحي بحياتها من أجل انقاذ حياته كما يمكنها أن تتحمّل شوكة في عينها الّا انّها لا تحتمل أنين طفلها.

يقول الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام:

«فرضيت أن تشبع (ابنها) وتجوع (هي) وتكسوك وتعرى وترويك وتظمأ وتظلك وتضحى وتنعمك ببؤسها وتلذذك بالنوم بأرقها.

---

(١) المصدر السابق: ص ٤٣٤.

وللأُم عاطفتان ازاء ابنها احداهما مفعمة بالمشاعر العاطفة والحنان العميق والأُخرى عقلانيّة فالعاطفة الجياشة بالحنان هي عدم تحمّلها لأن ترى الدموع في عينيه أو تسمع أنينه والعقلانيّة هي أنها تبادر إلى أخذ ولدها إلى الطبيب في حالة مرضه فتضعه بين يدي الطبيب يجري عليه ما يرى من الجراحة وهي تعلم انّ الطبيب الجراح سوف يفتح بطنه ويستأصل جزءاً من أمعائه ومع ما يصاحب هذه الجراحة من دماء تتدفق منه ومع ذلك فهي تتحمل كلّ ذلك بقلب منفطر وعينين دامعتين.

فاذا سئلت لماذا تضعين طفلك بين مباضع الجرّاح قالت لأنّها تؤثر سلامته وعافيته ولا يمكن تحقيق ذلك إلّا بتحمّل هذه الآلام واجراء هذه الجراحة.

الجنّة تحت أقدام الأمّهات

وقد بلغت منزلة الأُم شأواً بعيداً حتّى بلغت المدى الأبعد بحيث نرى سيّدنا محمّد صلى الله عليه وآله يشير إلى الجنّة فاذا هي عند قدمي الأُم، فاذا كانت الجنّة تحت ظلال السيوف، سيوف الذين يسيرون في طريق الله فانها أيضاً تحت أقدام الأُمّهات.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الجنّة تَحت أقدام الأمّهات»[١].

وجاء في الأحاديث والأخبار:

«قال موسى بن عمران: يا ربّ أوصني! قال: أوصيك بي. قال: ربّ أوصني! قال: اوصيك بي ثلاثاً، قال: ربّ اوصني! قال: اوصيك بأُمّك. قال: يا ربّ أوصني! قال: اوصيك

---

(١) ميزان الحكمة: ج١٠، ص٧١٢ ـ ٧١٣.

بامّك. قال: يا ربّ أوصني! قال: اوصيك بأبيك».

«جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله من أبرّ؟ قال: أُمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أُمّك، قال: ثمّ من؟ قال أُمّك، قال: ثمّ من؟ قال: أباك».

ومن الروايتين أعلاه يتّضح على نحو جليّ أنّ حقّ الأم أهم وأعظم من حقّ الأب بل يمكن أن نستنتج بأنه يمثل ثلاثة أضعاف حق الأب فالأُم تتحمّل ثلاث مراحل مرحلة الحمل ومرحلة الرضاعة ومرحلة التربية.

وبالرغم من أن الأب يتحمّل مسؤوليّة الانفاق على الأم والطفل إلّا ان ارتباطه بالطفل أضعف قياساً بالأُم وعلاقتها الوثيقة بطفلها ورعايتها له.

خدمة الأُم أم الجهاد؟!

جاء رجل وأُمّه إلى النبي ﷺ وهو يريد الجهاد وأُمّه تمنعه فقال النبي ﷺ: عند امّك قِرّ وإنّ لك من الأجر عندها مثل مالك من الجهاد»[1].

---

(١) المصدر السابق.

المادّة الثالثة والعشرون: حقّ الأب

«وَأَمَّا حَقُّ أَبِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ أَصْلُكَ وَأَنَّكَ فَرْعُهُ وَأَنَّكَ لَوْلاهُ لَمْ تَكُنْ فَمَهْمَا رَأَيْتَ فِي نَفْسِكَ مِمَّا يُعْجِبُكَ فَاعْلَمْ أَنَّ أَبَاكَ أَصْلُ النِّعْمَةِ عَلَيْكَ فِيهِ وَاحْمَدِ اللهَ وَاشْكُرْهُ عَلَى قَدْرِ ذَلِكَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

بداية يشير الامام زين العابدين عليه السلام في هذه المادّة الحقوقيّة الأخلاقيّة إلى أصل علمي فلسفي وإلى هذه الحقيقة العلميّة وهي انّه لو لا وجود العلّة ما وجد المعلول واذن فان وجود المعلول وجود غير مستقل وهو وجود مرتبط بغيره.

وتتجلّى هذه القاعدة في كلّ ثنايا الوجود فنرى الامام يذكّر الأبناء بمنزلة الأب ودوره في وجودهم، وليعلموا انّ الآباء هم الأصل والجذور وانّهم فروع من تلك الأُصول.

فكلّ ما ينبع من الابن وكلّ ما يتجلّى فيه من تفوّق وعبقريّة فانّ عليه أن يعلم انه مدين في كلّ ذلك إلى والده وأنّ عليه أن يشكر الله عزّوجل على هذه النعمة حيث الأب هو أصلها.

والموضوع المهم الآخر الذي يشير إليه الامام السجاد عليه السلام هو ان الابن عند ما يولد ويلج ميدان الحياة المادية فانه يبدأ حركته التكامليّة.

أما الأب فمن الممكن أن يكون في ظروف قد استكمل فيها نموه المادّي أو في الخطى الأخيرة من حركة نموه فهو بعد ذلك يتّجه نحو النقصان.

واذن فان الأب يغادر القمة متّجهاً نحو الوادي في حين يتحرّك الابن في السفح متّجهاً نحو القمّة.

وفي الوقت الذي يعاني فيه الأب من الضعف والاجهاد وتراجع قواه يوماً بعد آخر فان الابن يشتد ساعده وتتنامى قدراته ونشاطه ويصبح أكثر قوّة من والده، وربما يؤثّر هذا المشهد عليه فيغترّ بقوته وينتابه شعور بتفوقه على أبيه ما يجعله ينسى أو يتناسى ضرورة احترامه لوالده ويقصّر في واجبه ازاءه.

من أجل هذا فانّ الامام عليه السلام يذكّر الابن بهذه الحقيقة اذا ما انتابته مشاعر التفوّق والغرور والاعجاب بالذات والنرجسيّة؛ انّ عليه أن يضع نصب عينيه ان كلّ ما فيه وما يتمتع به إنّما يعود إلى الأصل في وجوده وهو الأب فالوالد يمثل الجذع في شجرته وانه مجرّد غصن وفرع يستند إلى الأصل وانه لو لا الأب ما كان له وجود.

والموضوع الثالث الذي جاء في النصّ الحقوقي أعلاه هو ضرورة وعي هذه النعمة واثارة حِس الشكر ازاء هذه النعمة إذ يتعيّن على الابن أن يستكشف دقائق نعم الله سبحانه وأن يؤدّي شكرها فيكون بارّاً بأبيه ووالده كما أمر الله تبارك وتعالى وأن ينقذ نفسه من شرور السقوط في براثن العقوق.

ويختتم الامام كلامه في هذا المضمار مشيراً إلى حق الأب ومعرفة نعمة وجوده والتوفيق في أداء شكر هذه النعمة من خلال رعاية حقوق الأب إنّما هو توفيق من الله سبحانه ينعم به على عباده الصالحين وهذا لا يتيسّر إلّا بلطفه سبحانه فعليه أن يسأل الله عزّوجل ذلك.

وكنّا فيما مضى قد ذكرنا آيات في القرآن الكريم وردت في سورتي لقمان

والأحقاف وتشتمل على وصايا الهيّة ببرّ الوالدين والاحسان إليهما وفيما يلي اشارة إلى ما بعض وما ورد في الروايات في بيان منزلة الأب في سياق تفسير بعض الآيات ذات الصلة.

منزلة الأب في الروايات

«مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى، عَنْ أَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى، وَعَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ أَبِيهِ، جَمِيعاً، عَنِ الْحَسَنِ بْنِ مَحْبُوبٍ، عَنْ أَبِي وَلَّادٍ الْحَنَّاطِ، قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام عَنْ قَوْلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿وَبِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً﴾[1] مَا هَذَا الْإِحْسَانُ؟ فَقَالَ: الْإِحْسَانُ أَنْ تُحْسِنَ صُحْبَتَهُمَا وَأَنْ لا تُكَلِّفَهُمَا أَنْ يَسْأَلاكَ شَيْئاً مِمَّا يَحْتَاجَانِ إِلَيْهِ وَإِنْ كَانَا مُسْتَغْنِيَيْنِ أَلَيْسَ يَقُولُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ: ﴿لَنْ تَنالُوا الْبِرَّ حَتّٰى تُنْفِقُوا مِمّا تُحِبُّونَ﴾».

«قالَ أبو عبدالله عليه السلام: وَأَمَّا قَوْلُ اللهِ عَزَّوَجَلَّ ﴿إِمّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُما فَلا تَقُلْ لَهُما أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُما﴾ قَالَ: إِنْ أَضْجَرَاكَ فَلا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلا تَنْهَرْهُمَا إِنْ ضَرَبَاكَ، قَالَ: ﴿وَقُلْ لَهُما قَوْلاً كَرِيماً﴾ قَالَ: إِنْ ضَرَبَاكَ فَقُلْ لَهُمَا غَفَرَ اللهُ لَكُمَا فَذَلِكَ مِنْكَ قَوْلٌ كَرِيمٌ قَالَ: ﴿وَاخْفِضْ لَهُما جَناحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ قَالَ: لا تَمْلَأْ عَيْنَيْكَ مِنَ النَّظَرِ إِلَيْهِمَا إِلَّا بِرَحْمَةٍ وَرِقَّةٍ وَلا تَرْفَعْ صَوْتَكَ فَوْقَ أَصْوَاتِهِمَا وَلا يَدَكَ فَوْقَ أَيْدِيهِمَا وَلا تَقَدَّمْ قُدَّامَهُمَا»[2].

واستكمالاً للرواية أعلاه جاء ما يلي:

«ابْنُ مَحْبُوبٍ، عَنْ خَالِدِ بْنِ نَافِعٍ الْبَجَلِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ مَرْوَانَ، قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: إِنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ أَوْصِنِي فَقَالَ: لا تُشْرِكْ بِاللهِ

---

(١) سورة الإسراء: الآية ٢٣.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص١٥٧.

شَيْئاً وَإِنْ حُرِّقْتَ بِالنَّارِ وَعُذِّبْتَ إِلاّ وَقَلْبُكَ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَوَالِدَيْكَ فَأَطِعْهُمَا وَبَرَّهُمَا حَيَّيْنِ كَانَا أَوْمَيِّتَيْنِ وَإِنْ أَمَرَاكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ أَهْلِكَ وَمَالِكَ فَافْعَلْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنَ الإِيمَانِ»[١].

وفي هذا الحديث الشريف توصية أكيدة من النبي ﷺ لكلّ مسلم في برّ الوالدين حيّين أو ميّتين وطاعتهما حتّى لو وصل الأمر الى التخلّي عن المال والأهل وعدّ ذلك ﷺ من الايمان.

وجاء في الرواية الخامسة من هذا الباب ما يبيّن بعض تفاصل حقّ الأب على الابن:

«عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عِيسَى بْنِ عُبَيْدٍ، عَنْ يُونُسَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ دُرُسْتَ بْنِ أَبِي مَنْصُورٍ، عَنْ أَبِي الْحَسَنِ مُوسَى عليه السلام قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ رَسُولَ اللهِ ﷺ مَا حَقُّ الْوَالِدِ عَلَى وَلَدِهِ؟ قَالَ: لا يُسَمِّيهِ بِاسْمِهِ وَلا يَمْشِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلا يَجْلِسُ قَبْلَهُ وَلا يَسْتَسِبُّ لَهُ»[٢].

واذن فانّ الابن لا ينبغي له أن يسمّي والده باسمه وألّا يتقدّمه في المشي ولا يجلس قبل والده وألّا يعمل أمراً يوجب سبّه من قبل الآخرين.

وجاء في الرواية الثالثة عشرة من هذا الباب:

«مُحَمَّدُ بْنُ يَحْيَى... عَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ شُعَيْبٍ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام إِنَّ أَبِي قَدْ كَبِرَ جِداً وَضَعُفَ فَنَحْنُ نَحْمِلُهُ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ فَقَالَ إِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَلِيَ ذَلِكَ مِنْهُ فَافْعَلْ وَلَقِّمْهُ بِيَدِكَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ لَكَ غَداً»[٣].

---

(١) نفس المصدر: ص١٥٨.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ص١٦٢.

لقد كان الوالد فيما مضى يحنو على ولده الصغير ويطعمه بيده ويأخذ بيده هنا وهناك ويحمله على عاتقه ثمّ يكبر الابن ويضعف الأب فيصبح شيخاً كبيراً ضعيفاً يحتاج إلى الرعاية وفي هذه الحالة على الابن أن يؤدّي واجبة تجاه أبيه فيحنو عليه ويطعمه بيده ويحمله اذا تطلب الأمر ذلك.

وفي عالمنا اليوم تنتشر مؤسّسات لرعاية المسنّين لايواء الشيوخ والعجزة والمسنّين والفقراء والمرضى وهي ظاهرة حضاريّة وعمل خيري.

إلّا انّه من المؤسف جدّاً أن تتحوّل هذه الدور إلى جحيم لا يطاق بالنسبة الىٰ الأجداد أو الشيوخ الذين يقسو عليهم أبناؤهم فيأتوا بهم إلى هذا المكان فيعانون الغربة والوحدة بعد أن اجتثّوا من بين أبنائهم وأحفادهم اجتثاثاً.

وما أكثر الذين لم يتحمّلوا هذه الصدمة فتسرع بهم الخطىٰ إلى الموت كمداً وحسرة بعد أن تنتابهم مشاعر مؤلمة جدّاً بأنّهم قد باتوا شيئاً اضافيّاً وعبءً على المجتمع وأشياء لا أهميّة لها ولا شأن.

انّ حقوق الوالدين كبيرة جداً ويجب أداؤها حتّى لو لم يكونا مسلمين وحتّى لو لم يكونا صالحين.

عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيمَ... عَنْ عَنْبَسَةَ بْنِ مُصْعَبٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: ثَلاثٌ لَمْ يَجْعَلِ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ لِأَحَدٍ فِيهِنَّ رُخْصَةً: أَدَاءُ الْأَمَانَةِ إِلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ بَرَّيْنِ كَانَا أَوْ فَاجِرَيْنِ»[١].

واجبات الشباب

ومن خلال الروايات في مضمار برّ الوالدين وطاعتهما فان من واجب

---

(١) المصدر نفسه.

الشباب المؤمن بشريعة الاسلام السمحاء والذين يؤدّون رسول الله ﷺ وآله الأطهار ويتّبعوا أمره أن يعوا جيداً حقوق الآباء والأُمّهات وما جعل الله لهما من عظيم المنزلة، وأن يدركوا جيداً ان كلمة «أُف» أو التأفف منهما أمر تحاسب عليه الشريعة الالهيّة بل وحتّى حدّة النظر إليهما ولو كان الحق إلى جانبه وانّهما يضطهدانه.

قال الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ نَظَرَ إِلَى أَبَوَيْهِ نَظَرَ مَاقِتٍ وَهُمَا ظَالِمَانِ لَهُ لَمْ يَقْبَلِ اللهُ لَهُ صَلاةً»[١].

الآثار الدنيويّة لقتل الأب

يروي محمّد بن سهل انّه حضر في بلاط المنتصر ذات يوم ووقعت عيناه على سجّادة ايرانيّة وقد نقشت عليها صور بعض السلاطين وإلى جانبها كتابات باللغة الفارسيّة فقرأ بعضها وكانت تقول هذه صورة «شيرويه» الذي قتل أباه خسرو برويز ولم يحكم سوى ستّة أشهر.

وتقول الرواية انّ محمّد بن سهل نظر إلى وجه المنتصر وأدرك انّه لن يحكم أكثر من ستّة أشهر كذلك؛ فقد جاء إلى الحكم بعد قتل أباه.

أجل كان المتوكّل هو الخليفة العبّاسي وقد اشتهر بحقده وكراهيته للامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام.

وكان المخنثون في بلاطه يقومون بحركات سخيفة بهدف الاساءة إلى مقام أميرالمؤمنين عليه السلام وقد شعر المنتصر ولي العهد بالغضب ازاء هذه السلوكيّات ما

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٣٤٩.

حمله على انتقاد والدة بمرارة الأمر الذي دفع بالمتوكل إلى أن يـأمر المـطربين والمهرجين بأن يغنّوا هذا البيت الشعري الهابط:

غضب الفتى لابـن عـمّه رأس الفتى في حـرّ امّـه

بل ودفعه إلى ما هو أبعد من ذلك بعد أن اقتنع بضرورة خلعه من ولاية العهد واغتياله.

ولكن المنتصر راح هو الآخر ينسق مع بعض القادة الاتراك وفـيهم ضـباط كبار للقيام بمحاولة انقلابيّة قبل يومين فقط من تنفيذ خطة اغتيال المنتصر ونجح الانقلاب العسكري الذي انتهى بمصرع المتوكّل وكبير وزرائه الفتح بـن خـاقان وأعلن عن خلافه المنتصر الذي كان في الخامسة والعشرين من عمره كان ذلك في ٣ شوال ٢٤٧ هواستمرت خلافة المنتصر ستّة أشهر فقط.

لم يكن المتوكّل أباً طيّباً وهو ممّن يشملهم الحديث النبويّ الشريف حيث قال النبي صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام:

«يَا عَلِيُّ لَعَنَ اللهُ وَالِدَيْنِ حَمَلا وَلَدَهُمَا عَلَى عُقُوقِهِمَا»[1].

ومع ذلك لم يعش المنتصر أكثر من ستّة أشهر بعد والده الطاغية الأرعن الذي كان كثيراً ما يتعمّد اهانة ولده أمام أركان حكمه.

يقول الامام علي عليه السلام:

«الافراط في الملامة تشب نيران اللجاج».

الحقوق الفقهيّة للأب على الابن

يقول المحقّق الأردبيلي:

---

(١) من لا يحضره الفقيه: ج ٤، ص ٣٧١.

«العقل و النقل يدلان على تحريم العقوق و يفهم وجوب متابعة الوالدين وطاعتهما من الآيات والأخبار... وقال الفقهاء في كتبهم للأبوين منع الولد عن الغزو والجهاد ما لم يتعين عليه بتعيين الإمام أو بهجوم الكفار على المسلمين»[١].

ويقول الشهيد الأوّل في القواعد:

«لا ريب أنّ كلّ ما يحرم او يجب للأجانب يحرم أو يجب للأبوين وينفردان بأمور: ١ ـ تحريم السفر المباح بغير اذنهما وكذا السفر المندوب. ٢ ـ قال بعضهم: يجب عليه طاعتهما في كلّ فعل وإن كان شبهة لأنّ طاعتهما واجبة وترك الشبهة مستحب. ٣ ـ لو دعواه إلى فعل وقد حضرت الصلوة فليتأخّر عن الصلوة وليطعهما. ٤ ـ لهما منعه من الصلوة جماعة في بعض الأحيان. ٥ ـ لهما منعه من الجهاد مع عدم التعين»[٢].

---

(١) هامش اصول الكافي: ج٢، ص٣٤٩.

(٢) المصدر نفسه.

المادّة الرابعة والعشرون: حقّ الابن

«وَأَمَّا حَقُّ وَلَدِكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ مِنْكَ وَمُضَافٌ إِلَيْكَ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا بِخَيْرِهِ وَشَرِّهِ وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الْأَدَبِ وَالدَّلالَةِ إِلَى رَبِّهِ وَالْمَعُونَةِ لَهُ عَلَى طَاعَتِهِ فِيكَ وَفِي نَفْسِهِ فَمُثَابٌ عَلَى ذَلِكَ وَمُعَاقَبٌ فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ بِحُسْنِ أَثَرِهِ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا الْمُعَذِّرُ إِلَى رَبِّهِ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ بِحُسْنِ الْقِيَامِ عَلَيْهِ وَالْأَخْذِ لَهُ مِنْهُ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

يتضمّن النص أعلاه نقاطاً حول حقوق الابن على الأب يتوجب أن يأخذها بنظر الاعتبار وهي:

١ ـ على الأب ألّا ينسى أبداً أنّ الابن إنّما هو منه وإليه في الدنيا والآخرة.

٢ ـ ان المسؤوليّة التربويّة للابن تقع على عاتق الأب وعليه أن يرشده ويرشّد حركته في الحياة.

٣ ـ على الأب ألّا ينسى آثار هذه المسؤوليّة فهو سيثاب على ذلك بحسن تربيته ويعاقب اذا أهمل في هذه الجانب.

٤ ـ على الأب أن يبذل قصارى جهده في تربية ابنه بحيث يكون معذوراً أمام الله سبحانه.

وقد ألمحنا فيما مضى وأوردنا ما قاله امامنا وسيّدنا السجاد عليه السلام في حق الأبوين والوالدين وما يتوجب على الابن من وظائف ازاء والدته ووالده وفي

مقابل ذلك يورد الامام السجاد حقوقاً للابن على والديه وأبويه.

ولا شكّ ان دعائم شخصيّة الابناء إنّما تتشكّل منذ اللحظات التي يلتقي فيها الرجل والمرأة في ظلال كلمة الله سبحانه ويعيشا معاً تحت ظل سقف واحد وعند ما تتشكّل هذه الأُسرة وتنبت شجرة الزواج المقدّسة فان ثمارها ولا ريب هم الابناء.

ومن المؤكّد ان مجموعة من السجايا والأخلاق والطباع التي سيتحلّى بها الأبناء إنّما تعود إلى ما يرثه الأبناء عن الآباء من الارث الجيني؛ حيث الابناء مرآة تنعكس فيها طبائع الآباء والأُمّهات وهذا هو قانون الخليقة فالجيل الجديد يرث عن الجيل السابق بحكم القوانين الحيويّة والطبيعيّة التي تسود عالم النبات والحيوان والانسان وهذا الموضوع بحد ذاته يحتاج إلى تفصيل لا مجال له في هذه الدراسة الموجزة.

ومنذ أن يفتح الطفل عينيه ويلج عالم الحياة الدنيا فان شريعة الاسلام السمحاء تحدّد مجموعة من الوظائف والمسؤوليّات التي يتعيّن على الأبوين القيام بها وأدائها حيث يتوجب على الآباء والأُمّهات معرفتها أوّلاً والطلب من الله سبحانه والتوفيق للعمل بها ثانياً وفيما يلي نشير إلى هذه الواجبات بايجاز.

وبغية تحقيق السعادة والموفقيّة والنجاح للأبناء يتعيّن على الآباء الانتباة إلى أمرين أساسيين أوّلاً بعث القابليّات البنّاءة وثانياً القضاء على النزعات الضارّة والهدّامة.

انّ المربّي الموفّق هو من يكشف عن القابليّات والامكانات التي يشتمل عليها الطفل ومن ثمّ تربية وتوجيه الطفل بما يحقّق وينمّي هذه القابليّات الايجابيّة

البنّاءة ومن جهة أُخرى محاصرة النزعات السلبيّة التي قد يرثها الأبناء عن الآباء والقضاء عليها.

يقول الامام الصادق عليه السلام في هذا المضمار:

«وَيَجِبُ لِلْوَلَدِ عَلَى وَالِدِهِ ثَلاثُ خِصَالٍ: اخْتِيَارُهُ لِوَالِدَتِهِ وَتَحْسِينُ اسْمِهِ وَالْمُبَالَغَةُ فِي تَأْدِيبِهِ»(١).

ويقول الامام السجّاد عليه السلام في الصحيفة السجّادية في أحد أدعيته:

«وأعنّي على تربيتهم وتأديبهم وبرّهم»(٢).

ومن هذا النص ندرك ان مسؤوليّة التربية مسؤوليّة كبيرة وحسّاسة بحيث يطلب الامام عليه السلام من الله أن يمدّه بالقدرة على أدائها.

حقوق الأبناء

منذ اللحظة التي يفتح فيها الطفل والابن عينيه على هذه الدنيا اذا بالشريعة الاسلاميّة تسنّ له حقوقاً أكيدة له وفي طليعتها انتخاب اسم حسن جميل له وفي هذا المضمار روايات وأخبار كثيرة نشير إلى بعضها:

«قال النبي صلى الله عليه وآله: مِنْ حَقِّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَه»(٣).

«وَعَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله قَالَ: سَمُّوا أَوْلادَكُمْ أَسْمَاءَ الأَنْبِيَاءِ وَأَحْسَنُ الأَسْمَاءِ عَبْدُاللهِ وَعَبْدُالرَّحْمَنِ»(٤).

---

(١) تحف العقول: ص٢٣٨.

(٢) الصحيفة السجاديّة، دعاؤه عليه السلام لولده.

(٣) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٦١٨.

(٤) مكارم الأخلاق: ص٢٢٠.

ونلاحظ في الحديث أعلاه انّ النبي ﷺ يجعل إلى جانب حق الابن في الحصول على التعليم وأيضاً حقه في الزواج وأن تكون له حياته الزوجيّة المستقلّة فان انتخاب اسم جميل له من حقوقه الأكيدة أيضاً.

وقال الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة حول حقوق الابن على الأب:

«وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ»[1].

ونلاحظ في هذا الحديث أيضاً مسألة انتخاب الاسم الذي ينبغي أن يكون انتخاباً موفقاً.

النبي ﷺ يغيّر الأسماء القبيحة

عرف عن رسول الله ﷺ انه كان يغيّر الأسماء القبيحة ويضع بدلها أسماء جميلة حسنة، وكان هذا يؤثّر نفسيّاً في شخصيّة الانسان بل انّه صلوات الله عليه كان يغيّر حتّى أسماء البلدان.

«عَنْ جَعْفَرِ بنِ مُحمّد، عَنْ آبَائِهِ عليهم السلام أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يُغَيِّرُ الْأَسْمَاءَ الْقَبِيحَةَ فِي الرِّجَالِ وَالْبُلْدَانِ»[2].

«وعن ابن عمر ابنة لعمر كان يقال لها عاصية، فسمّاها رسول الله ﷺ جميلة»[3].

«وعن أبي رافع انّ زيبن بنت أُمّ سلمة كان اسمها برّة، فقيل تزكّي نفسها، فسمّاها رسول الله ﷺ زينب»[4].

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار ٣٩١.

(٢) قرب الاسناد: ص٤٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) صحيح مسلم: ج٦، ص١٧٣.

«عَنْ أَحْمَدَ بْنِ أَشْيَمَ عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: قُلْتُ لَهُ: لِمَ يُسَمِّي الْعَرَبُ أَوْلادَهُمْ بِكَلْبٍ وَفَهْدٍ وَنَمِرٍ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ؟ قَالَ: كَانَتِ الْعَرَبُ أَصْحَابَ حَرْبٍ فَكَانَتْ تُهَوِّلُ عَلَى الْعَدُوِّ بِأَسْمَاءِ أَوْلادِهِمْ»[١].

الاسم القبيح عامل تحقير

كان جارية بن قدّامة زعيم قومه وقد وقف إلى جانب أميرالمؤمنين عليه السلام ضد معاوية.

ومعنى «جارية» الحيّة من جنس الأفعى كما ورد في أقرب الموارد.

كان الرجل قويّاً بليغاً في خطابه صريح اللهجة وشاء القدر بعد استشهاد الامام عليه السلام في المحراب وتنازل الامام الحسن عن الخلافة حقناً للدماء أن يقف وجهاً لوجه مع معاوية وقد أراد الأخير انتهاز الفرصة في اهانة جارية بن قدامة السعدي فقال له:

ـ ما كان أهونك على قومك أن سمّوك جارية.

فقال جارية على الفور:

ـ ما كان أهونك على قومك اذ سموك معاوية وهي الانثى من الكلاب.

فاستاء معاوية وقال: اسكت ثكلتك أُمّك!

فقال جارية: يا معاوية انّ القلوب التي أبغضناك بها ما تزال في صدورنا.

فقال معاوية: لا أكثر الله في الناس مثلك يا جارية[٢].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥، ص١١٥.

(٢) المستطرف: ج١، ص٥٨.

ومثال آخر: كان شريك بن الأعور سيّد قومه وقد التقى معاوية يوماً وكان معاوية يحاول التنكيل بخصومه دائماً فقال له: اسمك شـريك وليس لله شـريك وأنت ابن الأعور والصحيح خير من الأعور فكيف أصبحت سيّداً لقومك؟!

فقال شريك: والله أنت معاوية وما معاوية إلّا كلبة عوت واستعوت فسميت معاوية وأنت بن حرب والسلم خير من الحرب وأنت ابن صخر والسهل خير من الحزن فكيف أصبحت أميرالمؤمنين؟!

فلم ينبس معاوية ببنت شفة وطلب منه مغادرة المجلس[1].

فكما ان عدم التناسق في اشكال الجسم ووجود عاهات بدنيّة يؤثّر في إشارة الاحساس بالنقص فكذلك الاسلام يبعث في النفس ذات التأثير السلبي، ومن هنا تأتي توصيات الشريعة الاسلاميّة في ضرورة انتخاب أسماء جميلة للأبناء لأنّ الاسم الجميل يؤثّر تأثيراً ملحوظاً في بناء الشخصيّة وفي السلامة النفسيّة ويصون الابن من عقدة الصغار والاحساس بالدونية.

لقد تحدّثنا حتّى الآن بايجاز عن واجبات الآباء ازاء أبنائهم فـيما يـحض انتخاب الأسماء الجميلة لابنائهم وبناتهم ونتحدّث فيما يلي حول واجب آخـر أشار إليه الامام السجاد عليه السلام وهو قوله عليه السلام:

«وَأَنَّكَ مَسْئُولٌ عَمَّا وُلِّيتَهُ مِنْ حُسْنِ الأَدَبِ وَالدَّلَالَةِ إِلَى رَبِّهِ».

وسنذكر بعض الروايات في هذا المضمار:

دور الحب في تربية الأبناء

لا شكّ ولا ريب في انه مثلما ان الطفل يحتاج من الناحية الجسميّة الغـذاء

---

(١) ثمرات الأوراق: ص٥٩.

اللازم الذي ينميه فانه من الناحية الروحيّة والنفسيّة أيضاً يحتاج إلى ما يلزمه من غذاء.

إنّ غذاء الجسم يتمّ تأمينه من حليب الأم وما أودعه الله في اللبن من المواد الغذائيّة تتناسب مع أوضاع الجسم ومزاجه، الّا أن غذاء الروح إنّما يتم تأمينه من خلال التعاليم اللازمة والاشراف الدقيق الذي ينهض بمسؤوليّة الأب والأُم.

انّ الطفل بحاجة إلى الغذاء وبحاجة إلى الحب والعاطفة والحنان.

قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله:

«أَحِبُّوا الصِّبْيَانَ وَارْحَمُوهُمْ وَإِذَا وَعَدْتُمُوهُمْ شَيْئاً فَفُوا لَهُمْ فَإِنَّهُمْ لا يَدْرُونَ إِلَّا أَنَّكُمْ تَرْزُقُونَهُمْ»(١).

ويشتمل هذا الحديث الشريف على موضوعين تربويين أحدهما حبّ الأبناء وغمرهم بالحنان والآخر الوفاء بالوعود لهم؛ لأن عدم الوفاء لهم سيفتح لهم باب الخيانة والغدر وعدم الوفاء؛ والتعبير عن الحب والحنان للأبناء يتمّ بالقبلة والمسح على الرأس واحتضان أكفّهم الصغيرة بلطف.

قال النبي صلى الله عليه وآله:

«قَبِّلُوا أَوْلادِكُمْ فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ قُبْلَةٍ دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ مَسِيرَةَ خَمْسِمِائَةِ عَامٍ»(٢).

وقال الامام علي عليه السلام:

«قُبْلَةُ الْوَلَدِ رَحْمَةٌ وَقُبْلَةُ الْمَرْأَةِ شَهْوَةٌ وَقُبْلَةُ الْوَالِدَيْنِ عِبَادَةٌ وَقُبْلَةُ الرَّجُلِ أَخَاهُ دِينٌ»(٣).

وقد حدّدت الشريعة الاسلاميّة لهذه الممارسات والقبلة تحديداً سقفاً زمنياً

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢١٩.

(٢) المصدر السابق: ص٢٢٣.

(٣) مكارم الأخلاق: ص٢٢٠.

بعدها ينبغي الامتناع عن التقبيل.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«إِذَا بَلَغَتِ الْجَارِيَةُ سِتَّ سِنِينَ فَلا تُقَبِّلْهَا وَالْغُلامُ لا يُقَبِّلُ الْمَرْأَةَ إِذَا جَازَ سَبْعَ سِنِينَ»(١).

وقد جاء في التاريخ:

قبّل رسول الله صلى الله عليه وآله الحسن والحسين عليهما السلام فقال الأقرع بن حابس: انّ لي عشرة من الأولاد ما قبّلت واحداً منهم.

فقال صلى الله عليه وآله: ما عليّ إن نزع الله الرحمة منك!

أو (قال)كلمة نحوها.

لقد وصف النبي صلى الله عليه وآله الأقرب بن حابس بالقسوة لأنّه لم يقبّل أبناءه العشرة أبداً.

الافراط في الحب

وفي الوقت الذي تحث فيه الشريعة الآباء على محبّة أولادهم والحنان عليهم إلّا انّها تحذّر من الافراط في ذلك لما يترتّب على هذا الافراط من آثار سلبيّة في تربيتهم حيث تظهر آثار ذلك في المستقبل.

جاء في الأحاديث الشريفة:

«شرّ الآباء من دعاه البرّ إلى الافراط وشرّ الأبناء من دعاه التقصير إلى العقوق»(٢).

---

(١) مكارم الأخلاق: ص٢٢٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج٢ ص٣٢٠.

ومن خلال هذا الحديث ندرك ان مصدر المشكلات هو من الافراط في الحب إلى حدّ الدلال هذا من جهة الآباء وعلاقتهم بالأبناء ومن الجانب الآخر عند ما يبلغ تقصير الأبناء ازاء آبائهم حدّاً يوصلهم إلى العقوق.

انّ الافراط في حبّ الابن سوف يجعل منه نرجسيّاً مستبدّاً فيما بعد وسوف تكون هذه النرجسيّة خطراً عليه وعلى الآخرين، ذلك انّ الافراط في الحب يؤدّي بالابن إلى تتضخم ذاته بشكل مخيف لا يمكنه بعد ذلك أن يرى الآخر، فيكون انانياً نرجسيّاً معقّداً نفسيّاً.

يقول الامام علي عليه السلام:

«شرّ الأمور الرضا عن النفس»[1].

البنات خير الأولاد

ينبغي أن نعي جيداً قدر ما انعم الله سبحانه على الآباء من الذريّة والأبناء؛كما ينبغي أن نعي انّ الأبناء إنّما هم أمانة الهيّة واننا نتحمّل المسؤوليّة ازاء هذه الأمانة فنسعى في تربيتهم ليكونوا أفراداً صالحين.

وفي الشريعة الاسلاميّة ومن خلال الأحاديث الشريفة ندرك انه ينبغي على المسلم المؤمن بالله ورسوله وأهل بيته أن يغمر أبناءه بالحنان وأن يكون نصيب البنت أكثر من الصبي.

«عن حذيفة اليماني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خير أولادكم البنات»[2].

---

(١) شرح الغرر والدرر: ج ٤، ص ١٧٣.

(٢) مكارم الأخلاق: ص ٢١٩ ـ ٢٢٠.

«وعنه قال: الْبَنَاتُ حَسَنَاتٌ وَالْبَنُونَ نِعْمَةٌ فَالْحَسَنَاتُ يُثَابُ عَلَيْهَا وَالنِّعْمَةُ يُسْأَلُ عَنْهَا»(١).

«وَبُشِّرَ النَّبِيُّ ﷺ بِابْنَةٍ فَنَظَرَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ فَرَأَى الْكَرَاهَةَ فِيهِمْ فَقَالَ: مَا لَكُمْ رَيْحَانَةٌ أَشَمُّهَا وَرِزْقُهَا عَلَى الله»(٢).

«قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: نِعْمَ الْوَلَدُ الْبَنَاتُ الْمُخَدَّرَاتُ مَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ وَاحِدَةٌ جَعَلَهَا اللهُ سِتْراً مِنَ النَّارِ وَمَنْ كَانَتْ عِنْدَهُ اثْنَتَانِ أَدْخَلَهُ اللهُ بِهَا الْجَنَّةَ وَمَنْ يَكُنْ لَهُ ثَلاثٌ أَوْ مِثْلُهُنَّ مِنَ الْأَخَوَاتِ وُضِعَ عَنْهُ الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ»(٣).

«وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: مَنْ دَخَلَ السُّوقَ فَاشْتَرَى تُحْفَةً فَحَمَلَهَا إِلَى عِيَالِهِ كَانَ كَحَامِلِ صَدَقَةٍ إِلَى قَوْمٍ مَحَاوِيجَ وَلْيَبْدَأْ بِالإِنَاثِ قَبْلَ الذُّكُورِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرَّحَ ابْنَةً فَكَأَنَّمَا أَعْتَقَ رَقَبَةً مِنْ وُلْدِ إِسْمَاعِيلَ»(٤).

التربية الهادفة

يقول الامام السجاد عليه السلام في حقّ الأبناء مخاطباً الأب:

«فَاعْمَلْ فِي أَمْرِهِ عَمَلَ الْمُتَزَيِّنِ يَحْسُنْ أَثَرُهُ عَلَيْهِ فِي عَاجِلِ الدُّنْيَا».

أي أن تكون تربيته هادفة حيث ينظر الأب إلى ابنه كمشروع واعد بالعطاء في المستقبل يؤتي أكله بعد حين؛ حيث يطمح الأب إلى أن يرى ابنه موفّقاً ناجحاً وانساناً صالحاً محمود السيرة.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢ ص٦١٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

وقد أشرنا فيما مضى إلى ان الافراط في الحب والدلال سوف يفضي الى أن يصبح الابن نرجسيّاً أنانيّاً مستبدّاً ونضيف إلى ذلك انه لن يكون معتمداً على نفسه وسيبقى مستنداً إلى الغير، وعند ما يصطدم بالواقع فيما بعد؛ فانه سوف يضحي بكرامته.

إنّ على الآباء ان يربّوا أبناءهم على العزّة والكرامة والاستقلال وأن يعتمد الابن على نفسه في انجاز بعض الأعمال ليكون ذلك تمريناً له عند ما يدخل ميادين الحياة في المستقبل.

يقول الامام الصادق عليه السلام وهو يروي عن تجربة لقمان الحكيم في تربيته لابنه:

«عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلامُ قَالَ: قَالَ لُقْمَانُ: يَا بُنَيَّ إِنْ تَأَدَّبْتَ صَغِيراً انْتَفَعْتَ بِهِ كَبِيراً وَمَنْ عَنَى بِالْأَدَبِ اهْتَمَّ بِهِ وَمَنِ اهْتَمَّ بِهِ تَكَلَّفَ عِلْمَهُ وَمَنْ تَكَلَّفَ عِلْمَهُ اشْتَدَّ لَهُ طَلَبُهُ وَمَنِ اشْتَدَّ لَهُ طَلَبُهُ أَدْرَكَ بِهِ مَنْفَعَة»(١).

وجاء في مقطع آخر من هذه الوصايا المصيريّة:

«بُنَيَّ أَلْزِمْ نَفْسَكَ التُّؤَدَةَ فِي أُمُورِكَ وَصَبِّرْ عَلَى مَئُونَاتِ الْإِخْوَانِ نَفْسَكَ وَحَسِّنْ مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ خُلُقَكَ يَا بُنَيَّ إِنْ عَدِمَكَ مَا تَصِلُ بِهِ قَرَابَتَكَ وَتَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى إِخْوَانِكَ فَلا يَعْدَمَنَّكَ حُسْنُ الْخُلُقِ وَبَسْطُ الْبِشْرِ فَإِنَّهُ مَنْ أَحْسَنَ خُلُقَهُ أَحَبَّهُ الْأَخْيَارُ وَجَانَبَهُ الْفُجَّارُ وَاقْنَعْ بِقَسْمِ اللهِ لِيَصْفُوَ عَيْشُكَ فَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَجْمَعَ عِزَّ الدُّنْيَا فَاقْطَعْ طَمَعَكَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ فَإِنَّمَا بَلَغَ الْأَنْبِيَاءُ وَالصِّدِّيقُونَ مَا بَلَغُوا بِقَطْعِ طَمَعِهِم»(٢).

وهنا نلاحظ انّ لقمان الحكيم يربّي في نفس ابنه روح العزّة والكرامة والسمو على الماديات، وأشار إلى ان هذا هو طريق الأنبياء.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

المادّة الخامسة والعشرون: حقّ الأخ

«وَأَمَّا حَقُّ أَخِيكَ فَتَعْلَمُ أَنَّهُ يَدُكَ الَّتِي تَبْسُطُهَا وَظَهْرُكَ الَّذِي تَلْجَأُ إِلَيْهِ وَعِزُّكَ الَّذِي تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ وَقُوَّتُكَ الَّتِي تَصُولُ بِهَا وَلا تَتَّخِذْهُ سِلاحاً عَلَى مَعْصِيَةِ اللهِ وَلا عُدَّةً لِلظُّلْمِ بِحَقِّ اللهِ وَلا تَدَعْ نُصْرَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى عَدُوِّهِ وَالْحَوْلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ شَيَاطِينِهِ وَتَأْدِيَةَ النَّصِيحَةِ إِلَيْهِ وَالإِقْبَالَ عَلَيْهِ فِي اللهِ فَإِنِ انْقَادَ لِرَبِّهِ وَأَحْسَنَ الإِجَابَةَ لَهُ وَإِلَّا فَلْيَكُنِ اللهُ آثَرَ عِنْدَكَ وَأَكْرَمَ عَلَيْكَ مِنْهُ».

أشار الامام السجاد عليه السلام في حقّ الأخ إلى ثلاثة مواضيع:

١ ـ انّ الأخ بمثابة اليد والسند والقوّة.

٢ ـ الّا يدع الانسان نصرته ومساندته ومدّ يد العون إليه والوقوف إلى جانبه ضدّ عدوّه.

٣ ـ أن يقوم الانسان بحماية أخيه من تسلّط الشيطان عليه فينصحه ويرشّد حركته ومسيرته لتكون في طريق الله.

أقسام الأُخوّة في الاسلام

تُعدّ مسألة الأُخوّة واحدة من أهم المسائل الاسلاميّة والقرآنيّة وتنقسم إلى قسمين:

الأوّل: الأخ الحقيقي الذي يشاطر المرء في الوالدين حيث الأب والأم من

أقرب العلاقات بينهما وما يوجب التوارث عن بعضهما حيث يصنّف من الطبقة الثانية في مسألة الارث في الفقه الاسلامي وتترتّب على ذلك الأحكام في هذا المضمار.

الثاني: الأخ الايماني حيث المسلمون في الحقيقة أُخوة أنّ هذه الأُخوّة عامل للوحدة بين المسلمين في جميع أنحاء العالم.

الأخ في اللغة الرفيق والصاحب وجذر ذلك «أخو» وفي الأصل تطلق على من يشترك مع الشخص في الأب والأُم أو أحدهما وفي «المفردات» تطلق مفردة الأخ على الأخ بالرضاعة أيضاً.

واستعمال الأخ كالأب والأُم واسع جداً. وقد ورد في كتاب المفردات وبعد ذكر معناه الأصلي ان كلّ من اشترك مع غيره من القبيلة أو في الدين أو في الصنعة أو في المعاملة أو في المودّة أو في غير ذلك فانّه يطلق عليه «أخ».

وقد ورد استخدام المفردة في القرآن الكريم فاطلقها على المعنى الحقيقي وعلى المعنى المجازي أيضاً واستخدمها للاثنين معاً ويذهب فريد وجدي في دائرة المعارف إلى ان مفردة «إخوان» هي جمع «أخ» بمعنى الرفيق أما إذا كانت مفردة «أخ» بمعناها الحقيقي في الاشتراك في الأبوين أو في أحدهما فان جمعها يكون في هذه الحالة «اخوة» غير انّ هذا يصطدم مع القرآن الكريم الذي استخدم مفردة «اخوانهنّ» في سورة النور لتدلّ على المعنى الحقيقي وفي ضوء الاستخدام القرآني فان الفرق بين «الأُخوّة» و«الاخوان» هي ان مفردة اخوان تطلق على الأُخوّة بالنسب وغيره يعني على المعنى الحقيقي والمجازي أيضاً فيما الأُخوة فتطلق على المعنى الحقيقي فقط كما هو الحال في سورة يوسف: ﴿لاَ تَقْصُصْ

رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ ﴾[١] وفي سورة النساء: ﴿ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُ ﴾[٢] أمّا في الآية: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾[٣] فانّ القرآن الكريم يعبّر الاخوّة الايمانيّة أُخوّة حقيقيّة[٤].

اهمية الأُخوّة الاسلاميّة

يقول القرآن الكريم: ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾[٥].

ترفع هذه الآية الكريمة أحد أهم الشعارات العميقة والمؤثّرة البالغة الدلالة والمعنى، حيث الاسلام يعتبر المؤمنين جميعاً أُخوة تربطهم آصرة قويّة للغاية فهم أُخوة؛فالماسمون في الرؤية الاسلاميّة كالجسد الواحد والأسرة الواحدة وتتجلّى هذه المعاني العميقة في موسم الحج في صورة معبّرة ومؤثّرة.

لقد جاءوا من كلّ حدب وصوب ومن الجهات الأربع فالتقوا في ظلال بيت الله ومناسك الحج الأكبر أُخوة متحابّين.

وبعد هذا البيان القرآني الكريم يأتي الرسول الأرم ﷺ فيقول:

«المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يخذله ولا يسلمه»[٦].

---

(١) سورة يوسف: الآية ٥.

(٢) سورة النساء: الآية ١١.

(٣) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٤) قاموس القرآن: ج١، ص٣٧ ـ ٣٨.

(٥) سورة الحجرات: الآية ١٠.

(٦) المحجّة البيضاء: ج٢، ص٣٣٢.

وقال صلى الله عليه وآله في حديث آخر:

«مثل الاخوين مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى»[١].

وهذه صور أُخرى معبّرة عن هذا التلاحم بين الاخوين.

المؤمن أخو المؤمن

قال الامام أبو عبدالله الصادق عليه السلام:

«المؤمن أخو المؤمن عينه ودليله، لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشّه ولا يعده عدةً فيخلفه»[٢].

وجاء في حديث آخر:

«عن أبي بصير قال: سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: المؤمن أخو المؤمن كالجسد الواحد إن اشتكى شيئاً منه وجد ألم ذلك في سائر جسده وأرواحهما من روح واحدة وانّ روح المؤمن لأشدّ اتّصالاً بروح الله من اتّصال شعاع الشمس بها»[٣].

وقد نسب إلى أميرالمؤمنين عليه السلام قوله:

أخاك أخاك انّ مـن لا أخـاً له ... كساع إلى الهيجا بغير سلاح

الأُخوة نعمة كبرى

قال الله تبارك وتعالى في كتابه العزيز:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً

---

(١) المصدر السابق.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص١٦٦.

(٣) المصدر السابق.

﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَاناً﴾[(١)].

وقد نزلت الآية الكريمة أعلاه بشأن ما حصل من نزاع بين قبيلتي الأُوس والخزرج الكبيرتين، على خلفية نعرات جاهليّة قديمة.

وكان النبي ﷺ عند ما هاجر إلى المدينة المنوّرة تمّ الاعلان عن ميلاد مجتمع جديد هو المجتمع المسلم حيث المسلمون أُخوة يجمعهم الدين الواحد فتآلفت القلوب بين القبيلتين وانصهروا ضمن بوتقة الأنصار الذين نصروا رسول الله ورسالته غير أن الأيادي الخبيثة التي لم يرق لها هذه العلاقات الاخوية الايمانيّة فاندسوا في مجلس ضم رجالاً من القبيلتين وغاظهم هذه الروح الاخوية، فانشدوا اشعاراً تعود إلى حقبة الصراع الدامي بين الأُوس والخزرج واستيقظت الروح الجاهليّة والحميّة والعصبيّة والاحقاد القديمة وكادت الفتنة أن تقع بعد تبادر الفريقان إلى حمل السلاح والاصطفاف للحرب، وقبل أن تندلع شرارة المعركة حضر رسول الله ﷺ وتمكّن بكلماته المؤثّرة من اطفاء نار الفتنة.

وقد أوصى رسول الله ﷺ ومن أجل ترسيخ حالة الاخوة بين المسلمين قائلاً:

«اذا أحب أحدكم أخاه فليخبره»[(٢)].

ثواب زيارة الأخ المؤمن

يشتمل الكتاب الجليل الموسوم بـ«الكافي» على باب تحت عنوان «باب

(١) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

(٢) المحجّة البيضاء: ج ٣، ص ٣٣١.

زيارة الاخوان» حيث يتضمّن روايات عديدة في ثواب زيارة الاخوان وهذه أمثلة في ذلك:

«عن أبي عبدالله (الصادق)عليه السلام قال: من زار أخاه في الله قال الله عزّوجل: إيّاي زرت وثوابك عليّ ولست أرضى لك ثواباً دون الجنّة»(١).

وجاء في رواية أُخرى:

«عن أبي حمزة عن أبي جعفر (الباقر)عليه السلام قال: إنّ العبد المسلم إذا خرج من بيته زائراً أخاه لله لا لغيره التماس وجه الله رغبةً فيما عنده وكل الله عزّوجل به سبعين ألف ملك ينادونه من خلفه إلى أن يرجع إلى منزله ألا طبت وطابت لك الجنة»(٢).

ومن خلال هذه الأحاديث ندرك ان المسلمين يمثّلون نسيجاً واحداً وجسداً واحداً وأسرة واحدة حيث الاسلام حبل الله المتين وميثاقه الالهي العظيم الذي يوحد المؤمنين ويصهرهم في بوتقة واحدة مفعمة بالحب والمودّة والاخوة الراسخة.

الاخوان صنفان

«الْإِخْوَانُ صِنْفَانِ إِخْوَانُ الثِّقَةِ وَإِخْوَانُ الْمُكَاشَرَةِ فَأَمَّا إِخْوَانُ الثِّقَةِ فَهُمُ الْكَفُّ وَالْجَنَاحُ وَالْأَهْلُ وَالْمَالُ فَإِذَا كُنْتَ مِنْ أَخِيكَ عَلَى حَدِّ الثِّقَةِ فَابْذُلْ لَهُ مَالَكَ وَبَدَنَكَ وَصَافِ مَنْ صَافَاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ وَاكْتُمْ سِرَّهُ وَعَيْبَهُ وَأَظْهِرْ مِنْهُ الْحَسَنَ وَاعْلَمْ أَيُّهَا السَّائِلُ أَنَّهُمْ أَقَلُّ مِنَ الْكِبْرِيتِ الْأَحْمَرِ وَأَمَّا إِخْوَانُ الْمُكَاشَرَةِ فَإِنَّكَ تُصِيبُ لَذَّتَكَ مِنْهُمْ فَلا تَقْطَعَنَّ ذَلِكَ

---

(١) المصدر السابق: ص١٧٧.

(٢) المصدر نفسه.

مِنْهُمْ وَلا تَطْلُبَنَّ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ مِنْ ضَمِيرِهِمْ وَابْذُلْ لَهُمْ مَا بَذَلُوا لَكَ مِنْ طَلاقَةِ الْوَجْهِ وَحَلاوَةِ اللِّسَانِ»[١].

وفي هذا النص يحدّد الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام واجبات الانسان والتزاماته ازاء الأصدقاء والاخوان وكيفيّة التعامل بينهم حسب شدّة العلاقة السائدة فيما بينهم.

فهناك حالة من التلاحم بين الأصدقاء الصميميّين الحميمين حيث تسود حالة التلاحم والتضامن والتكافل والتضحية والايثار، أمّا أصدقاء المجاملات فانّ العلاقة السائدة لا تتعدى ذلك.

التزام منهج الانصاف

يقول الامام علي عليه السلام:

«مع الانصاف تدوم الاخوة»[٢].

وجاء في سيرة النبي صلى الله عليه وآله في طفولته:

«فلما صار ابن سبع سنين قال لأمه حليمة: يا أمي أين إخوتي؟ قالت: يا بني إنهم يرعون الغنم التي رزقنا الله إياها ببركتك. قال: يا أماه ما أنصفتني، قالت: كيف ذلك يا ولدي؟ قال: أكون أنا في الظل وإخوتي في الشمس والحر الشديد وأنا أشرب منها اللبن»[٣].

وفي هذا يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله:

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٦١.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٠٨.

(٣) الحديث: ج١، ص٢٨٥.

«سَيِّدُ الأَعْمَالِ ثَلاثَةٌ: إِنْصَافُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى لا تَرْضَى بِشَيْءٍ إِلّا رَضِيتَ لَهُمْ مِثْلَهُ وَمُوَاسَاتُكَ الأَخَ فِي الْمَالِ وَذِكْرُ اللهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ»(١).

أنواع الاخوان

قال الامام الصادق عليه السلام:

«الإِخْوَانُ ثَلاثَةٌ فَوَاحِدٌ كَالْغِذَاءِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ فَهُوَ الْعَاقِلُ وَالثَّانِي فِي مَعْنَى الدَّاءِ وَهُوَ الأَحْمَقُ وَالثَّالِثُ فِي مَعْنَى الدَّوَاءِ فَهُوَ اللَّبِيبُ»(٢).

حقوق المؤمن على أخيه المؤمن

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«لِلْمُسْلِمِ عَلَى أَخِيهِ ثَلاثُونَ حَقّاً لا بَرَاءَةَ لَهُ مِنْهَا إِلّا بِالأَدَاءِ أَوِ الْعَفْوِ يَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَيَرْحَمُ عَبْرَتَهُ وَيَسْتُرُ عَوْرَتَهُ وَيُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَيَقْبَلُ مَعْذِرَتَهُ وَيَرُدُّ غِيبَتَهُ وَيُدِيمُ نَصِيحَتَهُ وَيَحْفَظُ خُلَّتَهُ وَيَرْعَى ذِمَّتَهُ وَيَعُودُ مَرْضَتَه.

وَيَشْهَدُ مَيْتَتَهُ وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيَقْبَلُ هَدِيَّتَهُ وَيُكَافِئُ صِلَتَهُ وَيَشْكُرُ نِعْمَتَهُ وَيُحْسِنُ نُصْرَتَهُ وَيَحْفَظُ حَلِيلَتَهُ وَيَقْضِي حَاجَتَهُ وَيَشْفَعُ مَسْأَلَتَهُ وَيُسَمِّتُ عَطْسَتَهُ.

وَيُرْشِدُ ضَالَّتَهُ وَيَرُدُّ سَلامَهُ وَيُطَيِّبُ كَلامَهُ وَيُبِرُّ إِنْعَامَهُ وَيُصَدِّقُ أَقْسَامَهُ وَيُوَالِي وَلِيَّهُ وَلا يُعَادِيه وَيَنْصُرُهُ ظَالِماً وَمَظْلُوماً فَأَمَّا نُصْرَتُهُ ظَالِماً فَيَرُدُّهُ عَنْ ظُلْمِهِ وَأَمَّا نُصْرَتُهُ مَظْلُوماً فَيُعِينُهُ عَلَى أَخْذِ حَقِّهِ وَلا يُسْلِمُهُ وَلا يَخْذُلُهُ وَيُحِبُّ لَهُ مِنَ الْخَيْرِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ وَيَكْرَهُ لَهُ مِنَ الشَّرِّ مَا يَكْرَهُ لِنَفْسِه»(٣).

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٣٠٨.

(٢) تحف العقول: ص٢٣٩.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٤، ص٢٣٦.

الحقوق العامّة

المادّة السادسة والعشرون: حقّ المنعم بالولاء

«وَأَمَّا حَقُّ الْمُنْعِمِ عَلَيْكَ بِالْوَلاءِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ أَنْفَقَ فِيكَ مَالَهُ وَأَخْرَجَكَ مِنْ ذُلِّ الرِّقِّ وَوَحْشَتِهِ إِلَى عِزِّ الْحُرِّيَّةِ وَأُنْسِهَا وَأَطْلَقَكَ مِنْ أَسْرِ الْمَمْلَكَةِ وَفَكَّ عَنْكَ حَقَّ الْعُبُودِيَّةِ وَأَوْجَدَكَ رَائِحَةَ الْعِزِّ وَأَخْرَجَكَ مِنْ سِجْنِ الْقَهْرِ وَدَفَعَ عَنْكَ الْعُسْرَ وَبَسَطَ لَكَ لِسَانَ الْإِنْصَافِ وَأَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا فَمَلَّكَكَ نَفْسَكَ وَحَلَّ أَسْرَكَ وَفَرَّغَكَ لِعِبَادَةِ رَبِّكَ وَاحْتَمَلَ بِذَلِكَ التَّقْصِيرَ فِي مَالِهِ فَتَعْلَمَ أَنَّهُ أَوْلَى الْخَلْقِ بِكَ بَعْدَ أُولِي رَحِمِكَ فِي حَيَاتِكَ وَمَوْتِكَ وَأَحَقُّ الْخَلْقِ بِنَصْرِكَ وَمَعُونَتِكَ وَمُكَانَفَتِكَ فِي ذَاتِ اللهِ فَلا تُؤْثِرْ عَلَيْهِ نَفْسَكَ مَا احْتَاجَ إِلَيْكَ أَحَداً».

نلاحظ في هذا المقطع أنّ الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام يكشف عن عدد من الحقوق للمولى الذي يقوم باطلاق عبد من أسر العبوديّة والرق وذلك للاعتبارات التي أثبتها سلام الله عليه وفي طليعتها انه قام بتحريره من ذلك الرق إلى عزّ الحريّة والانسان الذي يعيش حالة الرق هو أكثر الناس شعوراً بقيمة ما حصل عليه من انطلاق في الدنيا وكأنّه قد حصل على جناحين يطير بهما في سماء الحياة؛ لقد كان مجرّد أداة وآله أما الآن فهو حرّ في العمل والسكن وحتّى في التفكير واتّخاذ القرار والاسهام في النشاط الاجتماعي.

ولقد كنّا تطرقنا في فصول سابقة إلى حقّ المالك وحق العبد وذكرنا بـضعة أُمور تتعلّق بالموضوع ومنها ظهور العبوديّة والرق والمنهج الذي ابتدعه الاسلام في القضاء على هذه الظاهرة تدريجيّاً.

ولذا لن نكرّر ما أشرنا إليه إنّما نستكمل الموضوع بالاشارة إلى حريّة العقيدة والرأي.

حريّة الفكر

تعد حرّ الفكر والتفكير في طليعة الحقوق الانسانيّة أصالة، ونعني بحريّة الفكر هو حق الانسان أن يفكّر في أي موضوع بالطريقة التي يؤمن بها من دون أن تكون للآخر سلطة في ذلك فهو حرّ في أفكاره وفي توجيه هذه الأفكار.

وربما يقال ان جسم العبد يخضع لسلطة المولى أما فكره فهو حرّ ولا يمكن امتلاكه غير انه من الواضح جدّاً ان أرضيّة التفكير مسدودة في الواقع على العبد وحتّى لو سلّمنا أنّ المملوك حرّ في التفكير ولكن هل يمكنه أن يخطو ولو خطوة واحدة في طريق تحقيق ما فكّر على أرض الواقع، أبداً؟!

واذن فانّ للمنعم على هذا الصعيد حق على المحرّر (بـفتح الراء) أو (اسـم المفعول) لأنّه نقله من ذلّ الرق إلى عزّ الحريّة وأجواء الانطلاق في الحياة يفكّر بحريّة ويعمل بحريّة ويسعى إلى تحقيق ما يصبو إليه دون أن تكون لأحد سلطة عليه تقعمه وتحول دون ما يريد تحقيقه.

لقد كفل الاسلام لاتباعه والمؤمنين به الحرّية في التفكير والانتخاب.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين في هذا المضمار:

«من استقلّ وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[1].

والاسلام لا يصادر حريّة الفكر والعقيدة بل العكس انّه يجعل منها محوراً أساسيّاً في الحياة بل المحور أكثر أهميّة في حياة الانسان يقول الامام عليه السلام:

«تفكّر ساعة أفضل من عبادة سبعين سنة».

ومن هنا نلاحظ القرآن الكريم يمجّد التفكير والفكر الحرّ والانتخاب الواعي في الحياة الفكريّة.

قال تعالى:

﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾[2].

وجاءت آية أُخرى:

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ﴾[3].

حريّة العقيدة

تظهر العقائد القلبيّة والمعتقدات الدينيّة لدى الناس بسبب بعض العوامل والمقدّمات الخاصّة، حيث يكون للتعليم الذي يتلقّاه الفرد والبيئة التي ينشأ فيها وعوامل أُخرى أدوار في بلورة وصياغة الأفكار التي تترسخ في ذهن وقلب الانسان.

---

(١) نهج البلاغة: الكلمات القصار رقم ١٦٤ (نسخة فيض الاسلام).

(٢) سورة الزمر: الآيتين ١٧ ـ ١٨.

(٣) سورة الانعام: الآية ٥٠.

ولذا فان عمليّة التغيير في كلّ ما ذكرناه إنّما تحصل بنفس العوامل، يعني انّ العقيدة تنشأ بهذه العوامل وتتغير من خلالها، ولذا لا يمكن لوسائل الاكراه والضغوط أن تغيّر من عقائد الانسان وقناعاته القلبيّة.

ومن هنا نلاحظ الآية الكريمة تشير إلى هذا المعنى:

﴿ لا إِكْراهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾(١).

وأيضاً هذه الاشارة العميقة إلى ما يتبلور من عقيدة في القلب:

﴿ وَلَوْ شاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَميعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النّاسَ حَتّى يَكُونُوا مُؤْمِنينَ ﴾(٢).

وكذلك قوله:

﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنّا أَعْتَدْنا لِلظّالِمينَ ناراً ﴾(٣).

وقوله أيضاً:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (٢١) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ (٢٢) ﴾(٤).

وقوله أيضاً:

﴿ قَدْ جاءَكُمْ بَصائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْها وَما أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفيظٍ ﴾(٥).

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٥٦.

(٢) سورة يونس: الآية ٩٩.

(٣) سورة الكهف: الآية ٢٩.

(٤) سورة الغاشية: الآيتين ٢١ ـ ٢٢.

(٥) سورة الأنعام: الآية ١٠٤.

وهذه الآيات تبيّن الحرّية في العقيدة والفكر وانه لا اكراه في ما يتبناه ويؤمن به الانسان من العقائد الدينيّة وان حق الاختيار والانتخاب مكفول للانسان ولهذا فان الاسلام هو دين العقل والعلم والمنطق وهو يرفض التقليد الأعمى، ويـنعى على الناس عقائدهم الوثنيّة التي يرثوها عن الآباء والأجداد من دون التأمّل فيما يعبدون ويدعوهم إلى التدبّر والتأمّل والتعقّل في مسألة الدين والعقيدة.

حريّة التملك

ويشير الامام السجاد عليه السلام إلى مسألة هامّة أيضاً وهي الملكيّة الفرديّة في قوله: «**أَبَاحَكَ الدُّنْيَا كُلَّهَا**» حد هذه الملكية من المسائل الفطريّة والتـي تكسب الحـياة معناها ومتعها وتألّقها ومن هنا نرى الاسلام يحمي هذا الحق الانساني ويدافـع عنه.

يقول القرآن الكريم:

﴿ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا اكْتَسَبْنَ ﴾(١).

فأيما انسان يحصل على مال من مصدره الصحيح فهو ملك له لا يجوز للغير العدوان عليه أو مصادرته.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ ﴾(٢).

وعلى هذا فانّ المال الذي يحصل عليه الفرد عن طريق التجارة والعمل هو

---

(١) سورة النساء: الآية ٣٢.

(٢) سورة النساء: الآية ٢٩.

ملك له يحق له التصرّف به كما يشاء في الاطار المشروع ولو حاول الغير مصادرته وتصدّى له المالك وقتل في سبيل ذلك فهو شهيد.

جاء في الأثر:

«من قتل دون ماله فهو شهيد»(١).

طبعاً انّ الملكيّة الفرديّة وحقّ التملّك لا يعني فتح الأبواب على مصاريعها في تحصيل الثروة إنّما ثمّة مصادر مشروعة للكسب المشروع من قبيل الزراعة، والرعي والتجارة والصناعة وغيرها ممّا يحصل عليه الفرد جرّاء العمل المشروع والقانوني.

أما ما يحصل عليه المرء من خلال الطرق غير الشرعيّة من قبيل الغش في المعاملات والتطفيف في الوزن والربا والغصب وحتّى الأموال التي يحصل عليها الانسان من المصادر الشرعيّة لكنّه لا يدفع ما يترتّب عليها من الضرائب الشرعيّة تضاف إلى الثروة الحرام.

﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنْفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللهِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾﴾(٢).

ومن هنا نلاحظ الاشارة إلى حقوق المنعم بالولاء وانه ينبغي أداء ما يترتّب على ذلك من حقوق ازاء تصل إلى مساندته ونصرته وتقديم العون له وإيثاره بما يحتاج إليه.

---

(١) الاسلام وحقوق الانسان، نقلاً عن العدالة الاجتماعيّة: ص١٠٣.

(٢) سورة التوبة: الآيتين ٣٤ ـ ٣٥.

المادّة السابعة والعشرون: حقّ العتيق أو المحرّر

«وَأمَّا حَقُّ مَوْلاكَ الْجَارِيَةِ عَلَيْهِ نِعْمَتُكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ جَعَلَكَ حَامِيَةً عَلَيْهِ وَوَاقِيَةً وَنَاصِراً وَمَعْقِلاً وَجَعَلَهُ لَكَ وَسِيلَةً وَسَبَباً بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يَحْجُبَكَ عَنِ النَّارِ فَيَكُونَ فِي ذَلِكَ ثَوَابُكَ مِنْهُ فِي الْآجِلِ وَيَحْكُمَ لَكَ بِمِيرَاثِهِ فِي الْعَاجِلِ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَهُ مِنْ مَالِكَ عَلَيْهِ وَقُمْتَ بِهِ مِنْ حَقِّهِ بَعْدَ إِنْفَاقِ مَالِكَ فَإِنْ لَمْ تَخَفْهُ خِيفَ عَلَيْكَ أَنْ لا يُطَيَّبَ لَكَ مِيرَاثُهُ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وجاءت هذه المادّة في نسخة مكارم الأخلاق كما يلي:

«وَأَمَّا حَقُّ مَوْلاكَ الَّذِي أَنْعَمْتَ عَلَيْهِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ جَعَلَ عِتْقَكَ لَهُ وَسِيلَةً إِلَيْهِ وَحِجَاباً لَكَ مِنَ النَّارِ وَأَنَّ ثَوَابَكَ فِي الْعَاجِلِ مِيرَاثُهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ رَحِمٌ مُكَافَأَةً لِمَا أَنْفَقْتَ مِنْ مَالِكَ وَفِي الْآجِلِ الْجَنَّة».

إنّ مفردة «مولى» الذي تكرّر ورودها في النص يمكن تطبيقها على الرب، المالك، السيّد، المنعم، المعتِق (بكسر التاء)، الناصر، المحبّ، التابع، الجار، ابن العم، الحليف، الصهر، العبد، المعتق (بفتح التاء) والمنعم، ويتّضح المعنى المطلوب من خلال السياق(١).

وفي هذه المادة الحقوقيّة من الرسالة فان كلمة «مولى» تأتي بمعنى المعتَق (العتيق) الذي حرّره المالك والسيّد وقد سبق الحديث عن حقوق المولى المعتِق

---

(١) النهاية لابن الأثير: ج ٥، ص٢٢٨.

أو المحرِّر وهنا تدور هذه المادة حول الذي أعيدت إليه حرّيته واذن فثمّة حقوق متبادلة بين الطرفين المالك والمملوك.

وهذه رؤية انسانيّة بعيدة تعالج ما يخالج المرء والمالك تحديداً عند ما يقدم على عتق مملوكه فقد ينتابه شعور بالتعالي عليه والاغترار بنفسه من خلال احساسه بالتفوّق والتعبير عن منّه وتفضّله.

ومن هنا ينطلق الامام السجّاد عليه السلام فيذكّر المالك بحقوق مملوكه بالأمس لأن ما قام به من عمل في تحرير مملوكه يترتب عليه ثواب أُخروي جزيل فقد يحجبك عن النار ومن زحزح عن النار وادخل الجنّة فقد فاز.

واجبات المعتق

عند ما يقوم المالك بعتق مملوكه فان هذا العمل الانساني يكون سبباً في التقرّب إلى عزّوجلّ ويكون حاجباً للمالك دون النار والفوز يوم القيامة، هذا في الآخرة أمّا في دار الدنيا فانّ المتَعق الذي لا وارث له اذا توفي حق لسيّده السابق أن يرثه طبعاً اذا أعتقه في سبيل الله.

وفي النتيجة ان تحرير وعتق المملوك واطلاقه له ثواب أُخروي وكذلك له جزاء دنيوي أيضاً، ولقد كنّا تحدّثنا عن حقوق المملوك ونشير هنا إلى ثواب العتق.

ثواب المعتِق

جاء في وسائل الشيعة، كتاب العتق في الحديث الثاني من الباب الأوّل:

«عن زرارة عن أبي جعفرعليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: من أعتق مسلماً أعتق الله العزيز الجبّار بكلّ عضو منه عضواً من النار»[١].

وجاء في حديث آخر:

«عن أبي عبداللهعليه‌السلام في حديث أنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ أَسَدٍ قَالَتْ لِرَسُولِ اللهِصلى‌الله‌عليه‌وآله يَوْماً إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُعْتِقَ جَارِيَتِي هَذِهِ، فَقَالَ لَهَا: إِنْ فَعَلْتِ أَعْتَقَ اللهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهَا عُضْواً مِنْكِ مِنَ النَّارِ»[٢].

أئمّة أهل البيتعليهم‌السلام وتحرير العبيد

جاء في رواية في هذا الباب:

«عن أبي عبداللهعليه‌السلام: إنّ أبا جعفرعليه‌السلام مات وترك ستّين مملوكاً فأعتق ثلثهم عند موته»[٣].

لقد كان رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله والأئمّة من آل البيتعليهم‌السلام رادة في هذا الطريق فقد كانوا يقتنون الغلمان والجواري مدّة يتشرّبون خلالها أخلاق الاسلام وآدابه حتّى إذا وضح له طريق الحياة، حرّروهم واطلقوهم، بل ويضيفون أحياناً إلى ذلك هبات جزيلة تعينهم على صروف الحياة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٦، ص٢ ـ ٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

المادّة الثامنة والعشرون: حقّ ذي المعروف

«وَأَمَّا حَقُّ ذِي الْمَعْرُوفِ عَلَيْكَ فَأَنْ تَشْكُرَهُ وَتَذْكُرَ مَعْرُوفَهُ وَتَنْشُرَ لَهُ الْمَقَالَةَ الْحَسَنَةَ وَتُخْلِصَ لَهُ الدُّعَاءَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ سُبْحَانَهُ فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ كُنْتَ قَدْ شَكَرْتَهُ سِرّاً وَعَلانِيَةً ثُمَّ إِنْ أَمْكَنَ مُكَافَأَتُهُ بِالْفِعْلِ كَافَأْتَهُ وَإِلاّ كُنْتَ مَرْصَداً لَهُ مُوَطِّناً نَفْسَكَ عَلَيْهَا».

في أعماق كلّ انسان نزعة في عرفان المعروف وشكرانه فهو يميل فطريّاً إلى الثناء على من يعمل له معروفاً فتراه ينتظر الفرصة لجبران المعروف فاذا وجد انسان يفعل عكس ذلك فان هذا شذوذ يدلّ على نذالة ذلك الانسان وانحطاطه الأخلاقي، وإلّا فانّ الانسان السوي لابدّ وأن ينظر إلى من عمل معروفاً وخيراً له نظرة حب واحترام وينتظر أوّل فرصة لجبران ذلك، ذلك انّ جزاء الاحسان هو الاحسان وهو خلال ذلك لا ينفك يمتدح ذا المعروف ويثني عليه، ومن هنا ينظر الامام السجاد عليه السلام إلى ذي المعروف فيحدّد ما يترتّب على ذلك:

أوّلاً: انّ عليه أن يكون شاكراً لمن يعمل المعروف.

ثانياً: أن يذكر معروفه واحسانه وينشر عنه ذكراً حسناً بين الناس وثالثاً أن يخلص له الدعاء يطلب من الله أن يكافئه ويجزيه خيراً على ما قام به، وبهذا يكون الانسان قد أدّى شكره سرّاً وعلناً، وبعد ذلك ينبغي عليه أن يستثمر أوّل فرصة لجبران معروفه واحسانه.

الاساءة والاحسان

يقول القرآن الكريم في الاساءة والاحسان وانّهما أمران مختلفان:

﴿وَلاٰ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدٰاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ﴾(١).

ثمّة معادلة واضحة وهي الاحسان مقابل الاحسان ولكن ماذا عن الاساءة؟ إنّ القرآن الكريم يحث الانسان على أن يقابل الاساءة بالاحسان أيضاً، ولعلّ هذا يعود إلى أن هذا العمل وهو مقابلة الاساءة بالاحسان قد يفعل أثره في اجتثاث نزعة الشر والاساءة في نفس الانسان وبذلك تتحوّل العداوة إلى صداقة.

جواب التحيّة

يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِذٰا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهٰا أَوْ رُدُّوهٰا إِنَّ اللهَ كٰانَ عَلىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسيباً﴾(٢).

التحيّة في اللغة مشتقّة من الحياة وتعني الدعاء للآخر بالحياة فمرّة تكون على نحو القول: «السلام عليك» أو سلام عليك أو القول «حيّاك الله» وهي تعبير عن الحب والمودّة تجاه الآخر الّا ان ثمّة روايات وأحاديث وما ورد في التفاسير تدخل بعض الممارسات التي تتضمن اشارات عن المحبّة للآخر لتدخل ضمن

---

(١) سورة فصّلت: الآية ٣٤.

(٢) سورة النساء: الآية ٨٦.

مفهوم التحيّة، فقد جاء في تفسير علي بن ابراهيم راوياً عن الامام محمّد الباقر عليه السلام والامام جعفر الصادق عليه السلام قولهما:

«المراد بالتحية السلام وغيره من البرّ»، وقد جاء في سيرة الامام الحسن عليه السلام أنّ جارية له حيّته وقدّمته له طاقة من الرياحين (باقة ورد) فاطلقها قائلاً: أنت حرّة لوجه الله ولما تساءل البعض دهشة قال عليه السلام: إنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[١] فرأيت الأحسن منها عتقها.

الاحسان جزاء الاحسان

يقول القرآن الكريم:

﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ﴾[٢].

بالرغم ممّا ورد في الروايات أو ما ورد في بعض التفاسير من أنّ الآية الكريمة إنّما تشير إلى التوحيد والمعرفة أو الاسلام غير أن هذه مصاديق واضحة وإلّا فان هذه المفردة تشمل كلّ عمل خير وقد جاء في حديث للامام الصادق عليه السلام:

«آيَةٌ فِي كِتَابِ اللهِ مُسَجَّلَةٌ. قُلْتُ: مَا هِيَ؟ قَالَ: قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ جَرَتْ فِي الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ وَالْبَرِّ وَالْفَاجِرِ وَمَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ فَعَلَيْهِ أَنْ يُكَافِئَ بِهِ وَلَيْسَ الْمُكَافَاةُ أَنْ تَصْنَعَ كَمَا صُنِعَ حَتَّى تُرْبِيَ فَإِنْ صَنَعْتَ كَمَا صُنِعَ كَانَ لَهُ الْفَضْلُ بِالإِبْتِدَاءِ»[٣].

---

(١) سورة النساء: الآية ٨٦.

(٢) سورة الرحمن: الآية ٦٠.

(٣) تفسير نور الثقلين: ج٥، ص١٩٩.

ويفسّر الراغب هذه المفردة فيجعلها أسمى من العدالة ذلك انّ العدالة تـعني انصاف الانسان من نفسه وأداء ما عليه أما الاحسان فانه يتجاوز ذلك الحدّ إلى ما هو أبعد من الواجب في العطاء وأخذ ما دون الاستحقاق.

الاحسان الالهي

قال الله عزوجل في سورة القصص:

﴿ وَلاَ تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللهُ إِلَيْكَ ﴾[1].

وهذه حقيقة ساطعة في أنّ الانسان يتطلّع إلى احسان الله دائماً فهو يـطلب الخير كلّه من الله عزّوجل بقلب مفعم بالرجاء والأمل فكيف به والحال هكذا أن يمرّ بالذين يتطلّعون إلى إحسانه دون أن يكترث لهم أو يعبأ بهم؟

ثِمّة تساؤلات كثيرة حول آية أُخرى وهي قوله تعالى في الآية (٢٢) مـن سورة النور حول العفو والصفح بين الناس:

﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ ﴾.

حيث يمكن تفسير هذه الآية على نحو آخر وهـو انّ الله عـزّوجل يـرزق الانسان ويهبه هبات عظيمة قد لا يحتاجها في حياته الشخصيّة بحيث تتكوّن لديه قدرة عقلية قد تكفي لادارة دولة وليس أسرة صغيرة وقد يرزقه قدرات عـلمية كبيرة تكفي لمجتمع كبير؛ وقد يرزق الله الانسان ثروة كبيرة يمكن أن تسيّر بها عملية تنموية اجتماعية واسعة جداً وهذه المواهب السنية الالهيّة تفرز فهماً في إن هذه الهبات ليست حكراً على شخص واحد فقط بل إنّ للآخرين حقوقاً في ذلك

---

(١) سورة القصص: الآية ٧٧.

وان الانسان الذي وهب هذه الثروات العقليّة والماليّة إنّما هووكيل لله عزّوجل في انتقال هذه المواهب والهبات إلى الآخرين، يعني انّ الله أعطاك ما أعطاك لتعطي الآخرين منها(١).

التودّد إلى الآخرين

يتّضح ممّا ورد من الآيات الكريمة أنّ القرآن الكريم يحث على الاحسان إلى الآخرين خاصّة اولئك الذين احسنوا إلينا وقد اشتملت كتب الأحاديث على العديد من الوصايا التي تؤكّد على هذا الموضوع وثمّة باب في كتاب (الكافي) وهو كتاب جليل تحت عنوان «التحبّب إلى الناس والتودّد إليهم».

«عَنْ أَبِي بَصِيرٍ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: إِنَّ أَعْرَابِيّاً مِنْ بَنِي تَمِيمٍ أَتَى النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله فَقَالَ لَهُ: أَوْصِنِي فَكَانَ مِمَّا أَوْصَاهُ: تَحَبَّبْ إِلَى النَّاسِ يُحِبُّوكَ»(٢).

«عَنْ سَمَاعَةَ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: مُجَامَلَةُ النَّاسِ ثُلُثُ الْعَقْلِ»(٣).

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ»(٤).

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله من أُولي معروفاً فليكافئ به فان لم يستطع فيذكره فان ذكره فقد شكره»(٥).

«قَالَ رسولُ الله صلى الله عليه وآله: اصْنَعِ الْمَعْرُوفَ إِلَى مَنْ هُوَ أَهْلُهُ وَإِلَى مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهِ فَإِنْ لَمْ

---

(١) التفسير الأمثل: ج١٦، ص١٥٧.

(٢) اصول الكافي: ج٢، ص٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٣) اصول الكافي: ج٢، ص٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٤) اصول الكافي: ج٢، ص٦٤٢ ـ ٦٤٣.

(٥) شرح شهاب الأخبار: ص٢٠١.

يَكُنْ هُوَ مِنْ أَهْلِهِ فَكُنْ أَنْتَ مِنْ أَهْلِهِ»[١].

وفي ختام هذه المادّة نتحدّث عن «المعروف» وهو اصطلاح جامع لكل فعل حسن يؤيّده العقل أو الشرع وكذلك فانه اسم جامع لكل من يطيع الله عـزّوجل ويحسن إلى الناس في الواجبات والمستحبات.

والمعروف ضد المنكر وهو مختص بالأفعال الواجبة والمستحبّة شرعاً وعقلاً ولا تدخل الأفعال المباحة فيه ذلك انّ الفعل المباح خال من الرجحان وكلّ شيء لا رجحان فيه لا خير فيه والمعروف كلّه خير وقد جاء في الحديث:

«يأتي أهل المعروف يوم القيمة فيغفر لهم لمعروفهم وتبقى حسناتهم تامة فيعطونها لمن زادت سيّئاته على حسناته فيغفر له فيدخلون الجنة فيجتمع لهم الاحسان إلى الناس في الدنيا والآخرة»[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) شرح رسالة الحقوق للقبانجي: ج٢، ص٥٧.

المادّة التاسعة والعشرون: حقّ المؤذّن

«وَأَمَّا حَقُّ الْمُؤَذِّنِ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ مُذَكِّرُكَ بِرَبِّكَ وَدَاعِيكَ إِلَى حَظِّكَ وَأَفْضَلُ أَعْوَانِكَ عَلَى قَضَاءِ الْفَرِيضَةِ الَّتِي افْتَرَضَهَا اللهُ عَلَيْكَ فَتَشْكُرَهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرَكَ لِلْمُحْسِنِ إِلَيْكَ وَإِنْ كُنْتَ فِي بَيْتِكَ مُتَّهِماً[1] لِذَلِكَ لَمْ تَكُنْ للهِ فِي أَمْرِهِ مُتَّهِماً وَعَلِمْتَ أَنَّهُ نِعْمَةٌ مِنَ اللهِ عَلَيْكَ لا شَكَّ فِيهَا فَأَحْسِنْ صُحْبَةَ نِعْمَةِ اللهِ بِحَمْدِ اللهِ عَلَيْهَا عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وخلاصة هذا الحق أن يعرف الانسان انّ للمؤذّن في عنقه حق لأنه ينهض بمهمّة كبيرة:

١ ـ انه يذكّر الناس بربّهم عزّوجل.

٢ ـ انه يدعوهم إلى نيل نصيبهم من جهة أداء الصلاة لله تبارك وتعالى.

٣ ـ انه خير معين على أداء الفريضة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى.

وعلى هذا يتوجب تقديم الشكر للمؤذّن على معروفه فان كان للانسان اشكالات على المؤذّن وظنّ به سوءً فينبغي الّا يتعدّى ذلك إلى الأذان فلا علاقة بالأذان بالمؤذّن وإنّما هو نداء الهي للناس يدعوهم إلى الصلاة.

فالمؤذّن نعمة من نعم الله عزّوجل على عباده وعلى الانسان أن يحسن الصحبة لهذه النعمة ويحمد الله عزّوجل على كلّ حال.

وعادة ما تستغرق الانسان الحياة المادية وهموم العيش فتصرفه بعيداً عن

---

(١) جاءت مفردة «متّهماً» في نسخة تحف العقول «مهتمّاً». انظر ص ٢٦٥.

ذكر الله عزّوجل وهنا يبرز دور المؤذن واضحاً في تذكير الانسان بالله عزّوجل فيكون المؤذّن في هذه الحالة منادياً باسم الله.

وفي تلك اللحظات التي يغفل فيها الانسان عن ربّه اذا بصوت الأذان ينساب في ايقاع مؤثّر يجد طريقه إلى القلب فتضيء الكلمات جوانح نفسه فينتبه من غفلته وينهض إلى الصلاة وإلى ذكر الله سبحانه وتمجيده وحمده.

وقد اشتملت الكتب الفقهيّة والحديثية على اشارات في أهميّة المؤذّن وما يناله من الثواب الجزيل.

وقد حددت كتب الفقه حقوقاً للمؤذّن نشير إليها في ما بعد غير ان الامام السجاد عليه السلام يذكّر المسلمين بحق المؤذن من الناحية الأخلاقيّة.

المعنى اللغوي للأذان

الأذان في اللغة بمعنى الاعلان وقد جاء في سورة التوبة قوله تعالى:

﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ﴾[١].

حيث يتمّ الاعلان عن أمر بصوت مرتفع يسمعه الناس ولهذا اصطلح على من يرفع الأذان للصلاة بـ«المؤذن» حيث يعلن دخول وقت الصلاة.

وقد جاء في سورة الاعراف:

﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ﴾[٢].

---

(١) سورة التوبة: الآية ١.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٤٤.

زمن تشريع الأذان

تمّ تشريع الأذان في السنة الاولى للهجرة في المدينة المنوّرة وثمّة أقوال أُخرى في هذا الموضوع أما سبب تشريع الأذان فيعود إلى تنامي اعداد المسلمين ممّا تطلّب تعريفهم بمواقيت الصلاة.

فتشاور المسلمون في ذلك في اتّخاذ علامة يعرفون بها الوقت الذي يصلّي فيه النبي صلى الله عليه وآله حتّى لا تفوتهم صلاة الجماعة، فأشار بعضهم بالناقوس فقال النبي صلى الله عليه وآله هو للنصارى وأشار بعضهم بالبوق، فقال صلى الله عليه وآله: هو لليهود، وأشار بعضهم بالدف، فقال صلى الله عليه وآله: هو للروم، وأشار آخرون بالنار، فقال صلى الله عليه وآله: ذلك للمجوس، وأشار غيرهم بالرايه فاذا رآها المسلمون أخبر بعضهم بعضاً فلم يعجبه كلّ ذلك النبي صلى الله عليه وآله.

وهبط جبرئيل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وآله وكان وقتها نائماً ورأسه في حجر علي عليه السلام يروي الشيخ الصدوق رضوان الله عليه في كتابه «من لا يحضره الفقيه»:

«عَنْ مَنْصُورِ بْنِ حَازِمٍ عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: لَمَّا هَبَطَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام بِالْأَذَانِ عَلَى رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ رَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ عليه السلام فَأَذَّنَ جَبْرَئِيلُ عليه السلام وَأَقَامَ فَلَمَّا انْتَبَهَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله قَالَ: يَا عَلِيُّ سَمِعْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: حَفِظْتَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: ادْعُ بِلالاً فَعَلِّمْه»(١).

الأحكام الفقهيّة للأذان

يستحب للرجل والمرأة على السواء رفع الأذان والاقامة قبل أداء الصلاة:

«المحكي عن المشهور ـ كما عن جماعة كثيرة ـ استحباب الأذان والاقامة مطلقاً،

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانجي: ج ٢، ص ٨٩٢.

وعن الجُمل وشرحه والمقنعة والنهاية والمبسوط والوسيلة والمهذّب وكتاب أحكام النساء للمفيد انّهما واجبان على الرجال في الجماعة»[١].

وقد ذكر الفقهاء الموارد التي يسقط فيها الأذان كما يلي:

١ ـ عند اقامة صلاة العصر في يوم الجمعة أثناء اقامة صلاة الجمعة أو الظهر.

٢ ـ عند اقامة صلاة العصر في يوم عرفة اذا صلّيت مع الظهر.

٣ ـ صلاة العشاء ليلة عيد الأضحى لمن كان في المشعر الحرام وصلّيت مع المغرب.

٤ ـ صلاة العصر والعشاء للمرأة في الاستحاضة حيث يجب عليها اقامة صلاة العصر بعد الظهر مباشرة وصلاة العشاء بعد المغرب مباشرة.

٥ ـ لصلاتي العصر والعشاء لمن لا يمكنه السيطرة على التبول أو التغوّط وفي هذه الموارد يسقط الاذان في حالة اقامة الصلاة بعد الصلاة السابقة دون فاصلة زمنية أو بعد فاصل زمني قليل[٢].

وقد ذكر الفقهاء في باب الأذان والاقامة شروطاً:

الأوّل النية في الشروع والاستمرار حتّى النهاية، واذن لا يصح الأذان ولا الاقامة من دون قصد القربة.

الثاني: الايمان اذ على المؤذن أن يكون مؤمناً وفي حديث الامام الصادق ما يدلّ على ذلك، ولم يشترط في الأذان البلوغ خاصّة في الأذان الاعلاني وقد عدّ بعض الفقهاء الذكر شرطاً في الأذان الاعلاني واشترط الذكوريّة في الأذان والاقامة.

---

(١) مستمسك العروة: ج٥، ص٥٢٦.

(٢) انظر العروة الوثقى، فصل الأذان والاقامة.

الثالث: الترتيب بين الأذان والاقامة.

الرابع: الموالاة بين جمل الأذان.

الخامس: أن يكون الأذان بالعربيّة الفصحى.

ويستحب الأذان في غير الصلاة في الموارد أدناه على ما ذكر بعض الفقهاء:

١ ـ قراءة الأذان في الأذن اليمنى للطفل بعد ولادته وقراءة الاقامة في أذنه اليسرى.

٢ ـ في الفلوات والبراري الموحشة التي يخشى من وجود الغيلان والسحرة والجن فيها.

٣ ـ يستحب الأذان في أذن الشخص الذي لم يتناول اللحوم على مدى أربعين يوماً.

هذه أحكام الاذان والاقامة في الفقه الشيعي وامّا في الفقه السني فقد أفتى فقهاؤهم باستحباب الأذان والاقامة على قول مالك وأبي حنيفة والشافعي في جميع الصلوات في الحضر والسفر؛ جماعة وفرادى؛ فلا تجب في جميع الأوقات، أما أحمد بن حنبل فيقول بانهما واجب كفائي وكذا يذهب أصحاب مالك الى ذلك أيضاً[١].

الاختلاف في ألفاظ الأذان

يذهب الشيعة إلى تكرار «حي على خير العمل» مرّتين بعد جملة «حيّ على الفلاح» فيما يذهب السنّة إلى تكرار جملة «الصلاة خير من النوم» مرّتين.

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ٢، ص ٩٠.

وهذا الاختلاف ناشئ من اعتقاد الشيعة في أن هذه الجملة «حي على خير العمل» كانت جزء من الأذان في عهد رسول الله ﷺ ولذا كانوا يأتون بها بعد وفاته ﷺ واستمرّ عليها الأئمّة الأطهار عليهم السلام وقد روي عن الامام علي عليه السلام قوله:

«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إنّ خير أعمالكم الصلاة وأمر بلالاً أن يؤذّن «حي على خير العمل»».

أمّا أهل السنّة فيعترفون بوجودها على عهد النبي ﷺ الّا انّ عمر خشى انصراف المسلمين عن الجهاد واستحسن قراءة «الصلاة خير من النوم».

وقد روى التفتازاني في حاشيته على شرح العضد عن عمر بن الخطاب:

«انه كان يقول: ثلاث كنّ على عهد رسول الله ﷺ أنا احرّمهنّ وأنهىٰ عنهنّ: متعة الحج ومتعة النكاح وحي على خير العمل»(١).

ونقل القوشجي في أواخر بحثه الامامة من شرح التجريد الحديث أعلاه وأضاف إليه قوله الخليفة: «وأعاقب عليهنّ».

ولا ندري إلى أيّ شيء يستند الخليفة في اجتهاده هذا؟ هل يعدّ نفسه مشرّعاً وهل يحق له نقض التشريع الالهي والاجتهاد في مقابل النصوص؟

فصول وكلمات الأذان

وفقاً للروايات ـ وهي جمّة كثيرة ـ الواردة في وسائل الشيعة أنّ الأذان هو القول: «الله أكبر» أربع مرّات ثمّ «أشهد أن لا إله إلّا الله» مرّتين و«أشهد أنّ محمّداً رسول الله» مرّتين و«حيّ على الصلاة» مرتين و«حيّ على الفلاح»

---

(١) المصدر السابق: ص٩٩.

مرتين و «حي على خير العمل» مرتين و «الله أكبر» مرّتين وأخير «لا إله إلّا الله» مرتين.

وأمّا الشهادة الثالثة وهي «أشهد أنّ عليّاً حجّة الله» فهي ليست جزءً من الأذان ولكنّها من الذكر المستحب.

فلسفة الأذان في كلام الامام الرضا عليه السلام

روى الشيخ الصدوق رحمه الله عن الامام الرضا عليه السلام انه قال:

«إنّما أمر الناس بالأذان لعلل كثيرة.. منها أن يكون تذكيراً للساهي وتنبيهاً للغافل وتعريفاً لمن جهل الوقت واشتغل عن الصلاة وليكون ذلك داعياً الى عبادة الخالق مرغّباً فيه مقرّاً بالتوحيد مجاهراً بالايمان معلناً بالاسلام مؤذّناً لمن ينساها وإنّما يقال مؤذّن لأنه يؤذّن بالصلاة.

فان قال: لم بدأ بالتكبير قبل التهليل؟ قيل: لأنّه أراد أن يبدأ بذكره واسمه لأنّ اسم الله تعالى في التكبير في أوّل الحرف وفي التهليل في آخر الحرف فبدأ بالحرف الذي اسم الله في أوّله لا في آخره.

فان قال: فلم جُعل مثنى مثنى؟ قيل: لأن يكون مكرراً في أذان المستمعين مؤكّداً عليهم إن سها أحد عن الأوّل لم يسه عن الثاني ولأن الصلاة ركعتان ركعتان فلذلك جعل الأذان مثنى مثنى.

فان قال: فلم جعل التكبير في أول الأذان أربعاً؟ قيل: لأنّ أوّل الأذان إنّما يبدو غفلة وليس قبله كلام يتنبّه المستمع له فجعل ذلك تنبيهاً للمستمعين لما بعده في الأذان، فان قال: فلم جُعل بعد التكبير شهادتين؟ قيل: لأنّ أول الايمان إنّما

هو التوحيد والاقرار لله عزّوجل بالوحدانية والثاني الاقرار للرسول بالرسالة وان طاعتهما ومعرفتهما مقرونتان ولأن أصل الايمان انما هو الشهادة فجعل شهادتين شهادتين في الأذان كما جعل في سائر الحقوق شهادتين فاذا أقر لله بالوحدانية وأقرّ للرسول بالرسالة فقد أقرّ بجملة الايمان لأنّ أصل الايمان انما هو الاقرار بالله وبرسوله.

فان قال فلم جعل بعد الشهادتين الدعاء إلى الصلاة؟ قيل: لأن الأذان إنّما وضع لموضع الصلاة وإنّما هو نداء إلى الصلاة فجعل النداء إلى الصلاة في وسط الأذان فقدّم المؤذّن قبلها أربعاً، التكبيرتين والشهادتين وأخّر بعدها أربعاً يدعو إلى الفلاح حثّاً على البرّ والصلاة ثمّ دعا إلى خير العمل مرغّباً فيها وفي عملها وفي أدائها ثمّ نادى بالتكبير والتهليل ليتم بعدها أربعاً كما أتمّ قبلها أربعاً ليختم كلامه بذكر الله كما فتحه بذكر الله تعالى(١).

ثواب الأذان

«عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ وَهْبٍ، عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَذَّنَ فِي مِصْرٍ مِنْ أَمْصَارِ الْمُسْلِمِينَ سَنَةً وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(٢).

«عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ جَعْفَرٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: دَخَلَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: إِنَّ أَوَّلَ مَنْ سَبَقَ إِلَى الْجَنَّةِ بِلالٌ، قَالَ: وَ لِمَ؟ قَالَ: لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَذَّنَ»(٣).

---

(١) بحار الأنوار: ج٨١، ص١٤٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج٤، ص٦١٣ ـ ٦١٦.

(٣) المصدر نفسه.

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: الْمُؤَذِّنُ الْمُحْتَسِبُ كَالشَّاهِرِ سَيْفَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ الْقَاتِلِ بَيْنَ الصَّفَّيْنِ»[١].

«قَالَ عَلِيٌّ عليه السلام: يُحْشَرُ الْمُؤَذِّنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ طِوَالَ الْأَعْنَاقِ»[٢].

وروى الصدوق رحمه الله في حديث المناهي عن الامام الصادق عليه السلام عن آبائه:

«قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ أَذَّنَ مُحْتَسِباً يُرِيدُ بِذَلِكَ وَجْهَ اللهِ أَعْطَاهُ اللهُ ثَوَابَ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَهِيدٍ وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ صِدِّيقٍ وَيَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مُسِيءٍ مِنْ أُمَّتِي إِلَى الْجَنَّةِ أَلا وَإِنَّ الْمُؤَذِّنَ إِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ صَلَّى عَلَيْهِ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ وَاسْتَغْفَرُوا لَهُ وَكَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ حَتَّى يَفْرُغَ اللهُ مِنْ حِسَابِ الْخَلَائِقِ وَيَكْتُبُ ثَوَابَ قَوْلِهِ أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللهِ أَرْبَعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ»[٣].

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

المادّة الثلاثون: حقّ الامام في الصلاة

«وَأَمَّا حَقُّ إِمَامِكَ فِي صَلاتِكَ فَأَنْ تَعْلَمَ أَنَّهُ قَدْ تَقَلَّدَ السِّفَارَةَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ وَالْوِفَادَةَ إِلَى رَبِّكَ وَتَكَلَّمَ عَنْكَ وَلَمْ تَتَكَلَّمْ عَنْهُ وَدَعَا لَكَ وَلَمْ تَدْعُ لَهُ وَطَلَبَ فِيكَ وَلَمْ تَطْلُبْ فِيهِ وَكَفَاكَ هَمَّ الْمُقَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ وَالْمُسَاءَلَةِ لَهُ فِيكَ وَلَمْ تَكْفِهِ ذَلِكَ فَإِنْ كَانَ فِي شَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَقْصِيرٌ كَانَ بِهِ دُونَكَ وَإِنْ كَانَ آثِماً لَمْ تَكُنْ شَرِيكَهُ فِيهِ وَلَمْ يَكُنْ لَكَ عَلَيْهِ فَضْلٌ فَوَقَى نَفْسَكَ بِنَفْسِهِ وَوَقَى صَلاتَكَ بِصَلاتِهِ فَتَشْكُرَ لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

في هذه المادة حديث عن صلاة الجماعة وعن حق الامام في هذه الصلاة وما يجب على المأموم من الشكران للامام وذلك لأن الامام قد ناب عن المأموم في اقامة هذه العلاقة وأداء مهمّة السفارة مع الرب تبارك وتعالى وما تضرّع إليه بالدعاء للمأموم.

انّ امام الجماعة وهو يقف في المحراب انما ينوب جميع المأمومين فهو كالقائد في الحرب ضد الشيطان وهو الحادي لقافلة قلوب المصلّين الى ربّ العالمين متواضعاً لله عمّن يؤم من المؤمنين يتكلّم بالنيابة عنهم فهو ينوب الفقراء أمام الغني المطلق والمرؤوسين أمام الرئيس الأعلى.

الحكمة من تشريع صلاة الجماعة وآثارها

شرّع الله عزّوجل بعض العبادات لتؤدى جماعة في زمان واحد ومكان واحد

لغاية سامية، ولهذا فان الدين الاسلامي الحنيف دين سلام ووداد وألفة ووئام.

وقد شرعت صلاة الجماعة لأُمور كثيرة منها:

١ ـ استيلاء عظمة الله تعالى على النفوس وأخذ رهبته بمجامع القلوب بما تحدثه هيئة المصلين وقيامهم في صعيد واحد للعبادة.

٢ ـ ظهور جماعة المسلمين في مظهر القوّة والشوكة بهذه الاجتماعات المتكرّرة التي تنبئ بائتلافهم ووحدتهم ممّا يدعو إلى تعظيم أمر الدين ورجوع مناوئيه بالخيبة والخسران.

٣ ـ تنبههم إلى الانتظام في أُمورهم والاعتدال في أعمالهم بطاعتهم للامام في الصلاة وما يرونه من استقامة صفوفهم واتّحادهم في تلك المتابعة.

٤ ـ أنس بعضهم ببعض في تلك الاجتماعات وحصول الصلة والألفة فيما بينهم اذا ما اجتمعوا في كلّ يوم خمس مرّات مؤتلفين مرتبطين متحدين في عمل واحد وصعيد واحد.

٥ ـ حصول الاعتماد من بعضهم لبعض في أداء شهادة أو معاملة أو غير ذلك اذا ما رأوهم يصلّون ملتزمين بأداء الوظائف الدينية، لاسيّما هذا الركن الجليل.

٦ ـ لأن العبادة في الجماعة عبادة ظاهرة لخلق الله تعالى مكشوفة للناس وذلك أدعى لتكون حجّة لله على خلقه بالغة يوم الحساب.

٧ ـ ان الصلاة لمن أقرب مواضع القرب من الله ومن أبلغ مظان استجابة الدعاء وطلب الغفران فاذا أراد العبد الاعتذار إلى ربه وطلب رضاه كان هذا الجمع من المسلمين شفعاء له عنده وكان العفو عنه أقرب.

٨ ـ الاقبال على الله بانتظارها والاعراض عن الدنيا بالمشي إليها.

٩ ـ تأدية هذه الاجتماعات للصلاة الى انشاء المساجد أو عمارة خرابها ولولاها لحصل التساهل والتسامح لعدم الحاجة إلى ذلك.

١٠ ـ ادراك الصلاة التي هي عمود الدين في أول وقتها بسبب هذا الالتزام فان المنفرد ربما تكاسل أو تسامح حتى يفوت وقتها.

١١ ـ انّ صلاة المسلمين بعضهم وراء بعض ممّا يبعد الكبر ويخضع النفس وهي خلّة محمودة لدى الله والناس محببة لصاحبها في القلوب.

١٢ ـ تعلّم من لا يحسن الصلاة بدخوله مع الجماعة.

١٣ ـ اجتماع الاخوان المسلمين مع بعضهم وتفقد كلّ حال الآخر وافشاء السلام فيما بينهم واظهار الأُخوّة والعطف على بعضهم إلى غير ذلك ممّا لا حاجة الى الاطالة فيه[1].

ان صلاة الجماعة أفضل وسيلة لمكافحة التمايز الطبقي والتمييز العنصري بين البشر حيث تعمل صلاة الجماعة في أُسلوب اقامتها على التقريب من الناس وتجسير العلاقات الاخويّة واشاعة روح المحبّة بين الجميع.

اهمية صلاة الجماعة تكمن في اعلانها

«فِي الْعِلَلِ وَعُيُونِ الْأَخْبَارِ بِإِسْنَادِهِ الْآتِي عَنِ الْفَضْلِ بْنِ شَاذَانَ عَنِ الرِّضَا عليه السلام قَالَ: إِنَّمَا جُعِلَتِ الْجَمَاعَةُ لِئَلَّا يَكُونَ الْإِخْلَاصُ وَالتَّوْحِيدُ وَالْإِسْلَامُ وَالْعِبَادَةُ لِلَّهِ إِلَّا ظَاهِراً مَكْشُوفاً مَشْهُوراً لِأَنَّ فِي إِظْهَارِهِ حُجَّةً عَلَى أَهْلِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ لِلَّهِ وَحْدَهُ وَلِيَكُونَ الْمُنَافِقُ وَالْمُسْتَخِفُّ مُؤَدِّياً لِمَا أَقَرَّ بِهِ يُظْهِرُ الْإِسْلَامَ وَالْمُرَاقَبَةَ وَلِيَكُونَ شَهَادَاتُ النَّاسِ

---

(١) انظر رسالة الحقوق للقبانچي: ج٢، ص١٤٣ ـ ١٤٤.

بِالْإِسْلَامِ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ جَائِزَةٌ مُمْكِنَةٌ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْمُسَاعَدَةِ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَالزَّجْرِ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ مَعَاصِي اللهِ عَزَّوَجَلَّ»(١).

وجاء في رواية أُخرى حول فضيلة صلاة الجماعة:

«عن أبي عبدالله عليه السلام عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من صلّى الخَمسَ في جَماعةٍ فظنُّوا بِهِ خَيراً»(٢).

وهذا ما المحنا إليه سابقاً وأشارت إليه الرواية عن الامام الرضا عليه السلام وقوله: «إنّما جعلت الجماعة حتىٰ يكون الاخلاص والتوحيد والاسلام والعبادة لله ظاهراً مكشوفاً مشهوراً لأنّ في اظهاره حجّة على أهل الشرق والغرب.

من أسرار الصلاة جماعة

إنّ الحكمة الأساسيّة في تشريع صلاة الجماعة تكمن في اتحاد القلوب المؤمنة في أمر الله عزّوجل ولهذا الاتّحاد فوائد عظيمة تصب في تعزيز الاسلام وبالإضافة الى دور صلاة الجماعة في تكامل النفوس وسمّوها وحثّها على الاسراع في السير الى الله وهي في غاية التأثير في استمطار الفيض الالهي ذلك لو انّ رحمة الحق تبارك وتعالى شملت حال أحد المصلّين في الجماعة فانها تشمل الذين معه حتّى لو لم يكن لهم استحقاق في ذلك.

وان مثل اجتماع القلوب مَثَل اجتماع المياه القليلة واتّصالها ببعض وحينئذٍ تخرج عن كونها ماءً قليلاً قليلاً وعند ما يصبح الماء بقدر «الكر» فلن يتنجس بالنجاسة القليلة ولن يفقد طهارته.

---

(١) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص١٠٩.

(٢) المصدر السابق: ٣٧١.

والخلاصة ان ما هو مهم هو ائتلاف القلوب واذن فان من وفق لتأليف القلوب في طريق الله عزّوجل ومن خلال صلاة الجماعة فكلّ ما ورد في الأخبار والروايات حول فضيلة صلاة الجماعة كائن من نصيبه باذن الله.

أما الذي يشارك في الصلاة جماعة وقد شاع الحقد والكراهيّة بين أفرادها ثمّ يأمل بأن يناله ثواب هذه الصلاة، فان هذه الآمال والأماني باطلة بل ان من يظن ذلك فهو يخدع نفسه انّ الامام الذي يمتلك بين جوانحه قلباً طاهراً وروحاً بيضاء نقية فلا محالة من حبّ الناس له وانّ الله عزّوجل سيؤلف بين قلوب المؤمنين الذين اجتمعوا للصلاة خلفه.

أمّا الجماعة التي يلتئم شملها بالأجسام والأبدان دون القلوب والنفوس بل العكس تموج في نفوسهم الكراهية والحسد بين بعضهم البعض خاصّة اذا كانت هذه العلاقة أو هذه المشاعر بين المأموم والامام فان من الواضح ان هذه الجماعة لا يغمرها النور الالهي ولا السكينة ولا فضيلة لهذه الجماعة أبداً ذلك ان معظم العبادات تترك في القلب أثراً ايجابياً وتضيء النفوس بنور الله عزّوجل.

ثواب صلاة الجماعة

جاء في الرواية عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال:

أتاني جبرئيل عليه السلام ومعه سبعون ألف ملك بعد صلاة العصر، فقال: يا محمّد إنّ الله يقرؤك السلام وأهدى إليك هديتين لم يهدهما إلى نبي قبلك.

قال: يا جبرئيل وما تلك الهديتان؟ قال: الوتر ثلاث ركعات والصلوات الخمس في الجماعات.

قلت: يا جبرئيل وما لأُمّتي في الجماعة؟

قال: يا محمّد إذا كانا اثنين كتب الله لكلّ واحد منهما بكلّ ركعة مئة وخمسين صلاة وإذا كانوا ثلاثة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة مئتين وخمسين صلاة وإذا كانوا أربعة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة ألفاً ومئتي صلاة وإذا كانوا خمسة كتب الله لكلّ واحد بكلّ ركعة ألف أو ثلاثمئة صلاة وإذا كانوا ستّة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة ألفين وأربعمئة صلاة وإذا كانوا سبعة كتب الله تعالى لكلّ واحد بكلّ ركعة أربعة آلاف وثمانمئة صلاة وإذا كانوا ثمانية كتب الله لكلّ واحد منهما بكلّ ركعة تسع مئة ألف صلاة وستمئة صلاة، وإذا كانوا تسعة كتب الله لكلّ واحد منهما بكلّ ركعة تسعة عشر ألف صلاة وإذا زادوا على عشرة فلو صارت بحار السماوات والأرض كلّها مداداً والأشجار أقلاماً والملائكة كُتّاباً لم يقدروا أن يكتبوا ثواب ركعة واحدة.

يا محمّد تكبيرة يدركها المؤمن مع الامام خير له من سبعين حجّة وألف عمرة سوى الفريضة(١).

حكايات حول أئمّة الجماعة

رأينا أن نختتم هذا الفصل بما أورده السيّد القبانچي في كتابه شرح رسالة الحقوق من حكايات تحت عنوان نوادر أئمّة الجماعة:

١ ـ صلّى أعرابي مع إمام في الصف الأوّل وكان اسمه مجرماً فقرأ: ألم نهلك الأوّلين فتأخّر الأعرابي إلى الصف الثاني، فقرأ الامام ثمّ نتبعهم الآخرين، فتأخّر

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ٢، ص١٤٧ ـ ١٤٨.

الأعرابي إلى الصف الثالث فقرأ الامام: كذلك نفعل بالمجرمين.

فقال الأعرابي: والله ما أراد غيري فأخذ نعله وهرب من المسجد.

٢ ـ اشترك ثلاثة أُخوة في بناء مسجد اسم أحدهم ابراهيم والثاني موسى والثالث الحاج أحمد، وعيّنوا له إماماً فقرأ الامام في الصلاة وهم خلفه في الصف الأوّل: «إنّ هذا لفي صحف الأُولى، صحف ابراهيم وموسى».

فلمّا فرغ من الصلاة دعاه الحاج أحمد فقال: ألم تعلم انني أنا وأخوتي ابراهيم وموسى بنينا هذا المسجد من مالنا جميعاً ونقوم بنفقتك كلّنا؟ فقال: نعم، قال: فلما تذكر أسماء اخوتي في الصلاة ولا تذكر اسمي؟

قال: إنّ هذا قرآن ولا تجوز الزيادة فيه.

قال: بل هذه محاباة منك لاخوتي والله لئن لم تذكر اسمي بعد هذه المرّة لأوجعنك ضرباً.

فلمّا كانت الصلاة الثانية قرأ الامام إنّ هذا لفي الصحف الاولى صحف ابراهيم وموسى والحاج أحمد.

فلمّا فرغ سأله الناس وقالوا: هذه الزيادة ليست في القرآن.

قال: انها نزلت البارحة بعصا غليظة.

٣ ـ اشترى امام جماعة سطلاً فاستحى أن يجعله قدامه في الصلاة فجعله خلفه، فلمّا ركع شغل قلبه به وظنّ انه سُرق، فأراد أن يقول ربّنا لك الحمد، فقال ربّنا لك السطل، فقال له بعض المأمومين: السطل خلفك لا بأس عليه.

٤ ـ كان رجل يصلّي خلف امام فقرأ الامام الفاتحة ثمّ ارتجّ عليه فجعل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ويكرّرها، فقال رجل من خلفه: ليس للشيطان ذنب إلّا انّك لا تحسن القراءة.

المادّة الحادية والثلاثون: حقّ الجليس

«وَأَمَّا حَقُّ الْجَلِيسِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ كَنَفَكَ وَتُطِيبَ لَهُ جَانِبَكَ وَتُنْصِفَهُ فِي مُجَارَاةِ اللَّفْظِ وَلا تُغْرِقَ فِي نَزْعِ اللَّحْظِ إِذَا لَحَظْتَ وَتَقْصِدَ فِي اللَّفْظِ إِلَى إِفْهَامِهِ إِذَا لَفَظْتَ وَإِنْ كُنْتَ الْجَلِيسَ إِلَيْهِ كُنْتَ فِي الْقِيَامِ عَنْهُ بِالْخِيَارِ وَإِنْ كَانَ الْجَالِسَ إِلَيْكَ كَانَ بِالْخِيَارِ وَلا تَقُومَ إِلَّا بِإِذْنِهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وجاء في جانب من النص في نسخة مكارم الأخلاق:

«وتَنسىٰ زلّاته وتَحفَظ خيراته ولا تسمعه إلّا خيراً».

وعلى هذا فانّ حق الجليس يتلخّص في طيب التعامل معه وانصافه في الحديث حيث يكون الهدف أن يشعر بالارتياح، ويكون الانصراف وترك المجلس باذنه اذا كان هو الجليس وبالعكس اذا كنت أنت الجليس.

ويتوجب عليك التجاوز عن أخطائه وحفظ ما قام به من أعمال ايجابيّة، فلا يسمع منك إلّا ما يطيب خاطره.

الانسان كائن اجتماعي

المراد من الجليس هنا من يجلس إلى شخص مدّة زمنيّة موقتة في مجلس واحد أو تتكرّر جلساته يومياً وسواء كان الجليس موقتاً أو دائمياً فان جلسته توجب له حقوقاً معينة.

وثمّة نزعة فطريّة مودعة في نفس الانسان في الاختلاط مع غيره وتجاذب أطراف الحديث والكلام معه والانسان لا يمكنه أن يعيش وحيداً فلو قدّر للانسان أن يعيش وحيداً في جزيرة تشبه الجنّة من حيث الوفرة في كلّ شيء فانه يشعر انه يعيش في جحيم وسيعاني من احساس مرير بالغربة.

دور الصديق في بناء الشخصيّة

انّ للصديق والرفيق دور وتأثير كبير في شخصيّة الفرد وفيما يتعلّق بمصيره في الدنيا والآخرة ذلك انه يترك أثراً واضحاً سلبيّاً كان أو ايجابيّاً في سلوك وحياة الفرد ويصل تأثير الصديق في حياة الانسان مستوى نلاحظ فيه انّ النبي الأكرم ﷺ يجعل منه معياراً في شخصية الانسان.

يقول ﷺ:

«المرء على دين خليله وقرينه»[1].

وحتّى يكون فقدانه خسارة كبرى.

يقول الامام علي عليه السلام:

«من فقد أخا في الله فكأنما فقد أشرف أعضائه»[2].

ولذا فان من الضروري والحال هكذا أن نتعرّف على الطريقة المثلى في انتخاب الصديق الجدير بالصداقة.

يقول الامام الصادق عليه السلام في مسألة انتخاب الصديق:

---

(١) الشافي: ج ١، ص ١٩٢.

(٢) شرح الغرر والدرر: ج ٥، ص ٤٧٢.

«مَنْ غَضِبَ عَلَيْكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَلَمْ يَقُلْ فِيكَ شَرّاً فَاتَّخِذْهُ لِنَفْسِكَ صَدِيقاً»[١].

صداقات ثابتة واُخرى متزلزلة

يقوال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«من اتخذ أخا بعد حسن الاختبار دامت صحبته وتأكدت مودته»[٢].

وقال عليه السلام أيضاً:

«من اتخذ أخا من غير اختبار ألجأه الاضطرار إلى مرافقة الأشرار»[٣].

آثار مجالسة الأشرار

روى السيّد عبدالعظيم الحسني عن الامام الباقر عليه السلام عن آبائه الكرام انّ الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام قال:

«مُجَالَسَةُ الْأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالْأَخْيَار»[٤].

وروى الامام جعفر الصادق عليه السلام عن آبائه الكرام عن جدّه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله انّه قال:

ثَلاثَةٌ مُجَالَسَتُهُمْ تُمِيتُ الْقَلْبَ الْجُلُوسُ مَعَ الْأَنْذَالِ وَالْحَدِيثُ مَعَ النِّسَاءِ وَالْجُلُوسُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ»[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص٣٨٣.

(٢) شرح الغرر والدرر: ج ٥، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٣) شرح الغرر والدرر: ج ٥، ص٣٩٧ ـ ٣٩٨.

(٤) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص١٩١.

(٥) المصدر السابق.

والأحاديث أعلاه تنهى عن مجالسة الأشرار لأثر ذلك في موت القلب وكذلك مجالسة الأثرياء الذين ابطرتهم الثروة.

وقد جاء في الأخبار:

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ: يَا فُلانُ لا تُجَالِسِ الأَغْنِيَاءَ فَإِنَّ الْعَبْدَ يُجَالِسُهُمْ وَهُوَ يَرَى أَنَّ لِلهِ عَلَيْهِ نِعْمَةً فَمَا يَقُومُ حَتَّى يَرَى أَنْ لَيْسَ لِلهِ عَلَيْهِ نِعْمَةٌ»(١).

وهذا يؤدّي إلى الغفلة عن الاحساس بالنعمة وبالتالي نسيان الشكر الذي يديم النعم.

وجاء في حديث عن الرسول الأكرم نهي عن مجالسة الموتى، فقيل له يا رسول الله وما الموتى؟

قال صلى الله عليه وآله: **«كلّ غني مترف»**(٢).

ذلك انّ الترف يؤدّي إلى البطر في الحياة ويفضي بالمترف إلى الغفلة عمّا حوله من الحقائق فهو سكران في ثروته لا يعي عمّا حوله؛ الأمر الذي يؤدّي إلى سريان هذه الحالة في من يجالسه.

جاء في كتاب «صفات الشيعة» للشيخ الصدوق رحمه الله راوياً عن الامام الباقر عليه السلام عن آبائه الكرام عن جدّه أميرالمؤمنين عليهم السلام انّه قال:

«مُجَالَسَةُ الأَشْرَارِ تُورِثُ سُوءَ الظَّنِّ بِالأَخْيَارِ وَمُجَالَسَةُ الأَخْيَارِ تُلْحِقُ الأَشْرَارَ بِالأَخْيَارِ وَمُجَالَسَةُ الْفُجَّارِ لِلأَبْرَارِ تُلْحِقُ الْفُجَّارَ بِالأَبْرَارِ فَمَنِ اشْتَبَهَ عَلَيْكُمْ أَمْرُهُ وَلَمْ تَعْرِفُوا دِينَهُ فَانْظُرُوا إِلَى خُلَطَائِهِ فَإِنْ كَانُوا أَهْلَ دِينِ اللهِ فَهُوَ عَلَى دِينِ اللهِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٤ ـ ١٩٦.

(٢) المصدر نفسه: ص١٩٤ ـ ١٩٦.

عَلَى دِينِ اللهِ فَلا حَظَّ لَهُ فِي دِينِ اللهِ إِنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وآله كَانَ يَقُولُ: مَنْ كَانَ يُـؤْمِنُ بِـاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلا يُؤَاخِيَنَّ كَافِراً وَلا يُخَالِطَنَّ فَاجِراً وَمَنْ آخَى كَافِراً أَوْ خَالَطَ فَاجِراً كَـانَ فَاجِراً كَافِراً»(١).

جالس هؤلاء

قال الامام زين العابدين عليه السلام يوصي أولاده:

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عليه السلام أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ لِبَنِيهِ: جَالِسُوا أَهْلَ الدِّينِ وَالْمَعْرِفَةِ، فَإِنْ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَالْوَحْدَةُ آنَسُ وَأَسْلَمُ فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا مُجَالَسَةَ النَّاسِ فَجَالِسُوا أَهْلَ الْمُرُوَّاتِ فَإِنَّهُمْ لا يَرْفُثُونَ فِي مَجَالِسِهِمْ»(٢).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«مَنْ جالَسَ أهل الريبِ فَهُوَ مُريبٌ»(٣).

مجالسة العلماء

إجْلِسُوا عِنْدَ كُلِّ عَالِمٍ يَدْعُوكُمْ مِنَ الْخَمْسِ إِلَى الْخَمْسِ مِنَ الشَّكِّ إِلَى الْيَقِينِ، وَمِنَ الرِّيَاءِ إِلَى الْإِخْلاصِ، وَمِنَ الرَّغْبَةِ إِلَى الزُّهْدِ، وَمِنَ الْكِبْرِ إِلَى التَّوَاضُعِ، وَمِنَ الْعَدَاوَةِ إِلَى الْمَحَبَّةِ»(٤).

عن الصادق عليه السلام:

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٤ ـ ١٩٦.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص١٩١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه: ص١٩٧.

الإِخْوَانُ ثَلاثَةٌ فَوَاحِدٌ كَالْغِذَاءِ الَّذِي يُحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلَّ وَقْتٍ فَهُوَ الْعَاقِلُ وَالثَّانِي فِي مَعْنَى الدَّاءِ وَهُوَ الأَحْمَقُ وَالثَّالِثُ فِي مَعْنَى الدَّوَاءِ فَهُوَ اللَّبِيبُ».

رواية من السيرة الشريفة

روى سلمان وخباب قال: جاء الأقرع بن عابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري وعبّاس بن مرداس وذووهم من المؤلّفة قلوبهم فوجدوا النبي ﷺ جالساً مع ناس من ضعفاء المؤمنين، فلمّا رأوهم حوله ﷺ حقروهم فأتوه ﷺ فقالوا: يا رسول الله لو جلست في صدر المجلس ونفيت عنا هؤلاء وارياح جبابهم (وكانت عليهم جباب من صوف) جالسناك وحادثناك وأخذنا عنك، فقال ﷺ: ما أنا بطارد المؤمنين، قالوا فانّا نحب أن تجعل لنا منك مجلساً تعرف لنا فيه العرب فضلنا؛ فان وفود العرب تأتيك فنستحي أن ترانا مع هؤلاء الأعبد (يعنون فقراء الملسملين) فاذا نحن جئناك فأقمهم عنا فاذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت.

قال: نعم، فقالوا: فاكتب لنا بذلك كتاباً، فدعا بالصحيفة وبعلي عليه السلام ليكتب ونحن قعود في ناحية، فنزل جبرئيل عليه السلام بقوله قال: «ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي» إلى آخر الآية فرمى ﷺ بالصيحفة ودعانا فأتيناه وجلسنا عنده وكنّا ندنوا منه حتّى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنّا إذا أراد القيام فنزلت «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم» الآية، فترك القيام عنّا إلى أن نقوم عنه وقال ﷺ: الحمد لله الذي لم يمتني حتّى أمرني أن أصبر نفسي مع قوم من أُمّتي معكم الحياة ومعكم الممات[1].

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ٢، ص ١٥٩.

وكان القعقاع بن شور معروفاً بحسن المجالسة فاذا جالسه رجل فعرفه بالقصد إليه جعل له نصيباً في ماله وأعانه على عدوه وشفع له في حاجته وغدا إليه بعد المجالسة شاكراً.

وقسم معاوية يوماً آنية من الفضة ودفع الى القعقاع حظه منها فآثر به القعقاع أقرب القوم اليه فقال الرجل:

وكنت جليس قعقاع بن شور ... ولا يشقى بقعقاع جليس

ضحوك السن إن نطقوا بخير ... وعند الشر مطراق عبوس[1]

صفات الصديق الطيب

عن الصادق عليه السلام: الصَّدَاقَةُ مَحْدُودَةٌ فَمَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ تِلْكَ الْحُدُودُ فَلا تَنْسُبْهُ إِلَى كَمَالِ الصَّدَاقَةِ وَمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ تِلْكَ الْحُدُودِ فَلا تَنْسُبْهُ إِلَى الصَّدَاقَةِ أَوَّلُهَا أَنْ تَكُونَ سَرِيرَتُهُ وَعَلانِيَتُهُ لَكَ وَاحِدَةً وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَرَى زَيْنَكَ زَيْنَهُ وَشَيْنَكَ شَيْنَهُ وَالثَّالِثَةُ أَنْ لا يُغَيِّرَهُ عَنْكَ مَالٌ وَلا وِلايَةٌ وَالرَّابِعَةُ أَنْ لا يَمْنَعَكَ شَيْئاً مِمَّا تَصِلُ إِلَيْهِ مَقْدُرَتُهُ وَالْخَامِسَةُ أَنْ لا يُسْلِمَكَ عِنْدَ النَّكَبَاتِ»[2].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) جوامع الحكايات: ص٧.

المادّة الثانية والثلاثون: حقّ الجار

«وَأَمَّا حَقُّ الْجَارِ فَحِفْظُهُ غَائِباً وَكَرَامَتُهُ شَاهِداً وَنُصْرَتُهُ وَمَعُونَتُهُ فِي الْحَالَيْنِ جَمِيعاً لا تَتَبَّعْ لَهُ عَوْرَةً وَلا تَبْحَثْ لَهُ عَنْ سَوْأَةٍ لِتَعْرِفَهَا فَإِنْ عَرَفْتَهَا مِنْهُ مِنْ غَيْرِ إِرَادَةٍ مِنْكَ وَلا تَكَلُّفٍ كُنْتَ لِمَا عَلِمْتَ حِصْناً حَصِيناً وَسِتْراً سَتِيراً لَوْ بَحَثَتِ الأَسِنَّةُ عَنْهُ ضَمِيراً لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ لانْطِوَائِهِ عَلَيْهِ لا تَسَمَّعْ عَلَيْهِ مِنْ حَيْثُ لا يَعْلَمُ لا تُسْلِمْهُ عِنْدَ شَدِيدَةٍ وَلا تَحْسُدْهُ عِنْدَ نِعْمَةٍ تُقِيلُ عَثْرَتَهُ وَتَغْفِرُ زَلَّتَهُ وَلا تَدَّخِرْ حِلْمَكَ عَنْهُ إِذَا جَهِلَ عَلَيْكَ وَلا تَخْرُجْ أَنْ تَكُونَ سِلْماً لَهُ تَرُدُّ عَنْهُ لِسَانَ الشَّتِيمَةِ وَتُبْطِلُ فِيهِ كَيْدَ حَامِلِ النَّصِيحَةِ وَتُعَاشِرُهُ مُعَاشَرَةً كَرِيمَةً وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

مفردة الجار وموارد استخدامها

تطلق مفردة الجار على ما كان قريباً وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى: «قطع متجاورات، أي متقاربة من بعضها البعض»[1].

كما ورد قوله تعالى:

﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾[2].

أي إن لجأ أحد المشركين إليك فامنحه الأمان، ولعلّ هذا يعني انّ الجار يأمن

---

(١) قاموس القرآن: ج ٢، ص ٨٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ٦.

جاره ويقول راغب في مفرداته ان حق الجار كبير عقلاً وشرعاً ولذا يطلق على من كان له حق كبير أو يرى حق الآخر كبيراً وجاء في القرآن الكريم:

﴿لاٰ غٰالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النّٰاسِ وَإِنِّي جٰارٌ لَكُمْ﴾(١).

ولقد أشار القرآن الكريم في آياته إلى حقوق الجار كما في قوله تعالى:

﴿وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاٰ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَبِالْوٰالِدَيْنِ إِحْسٰاناً وَبِذِي الْقُرْبىٰ وَالْيَتٰامىٰ وَالْمَسٰاكِينِ وَالْجٰارِ ذِي الْقُرْبىٰ وَالْجٰارِ الْجُنُبِ وَالصّٰاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمٰا مَلَكَتْ أَيْمٰانُكُمْ﴾(٢).

وتشير جملة «والجار ذي القربى» إلى الجار القريب، وقد ذهب المفسّرون مذاهب شتى في تفسير المقصود من الجار ذي القربى فبعض ذهب الى انّ المراد الجار الذي تربطه أواصر القربى، فيما استبعد آخرون هذا المعنى بدليل الجملة التالية التي تدلّ على القرب المكاني ذلك انّ الجار القريب له حقوق أكثر من الجار البعيد وتصل ذروتها عند ما يكون منزل الجار ملاصقاً تماماً وتعني «والجار الجنب» الجار البعيد مكاناً وقد ورد في الروايات ما يشير إلى هذا المعنى حيث عدّت أربعين داراً من الجيران وسنشير إلى هذا الموضوع في محلّه.

انّ كلمة الجوار تحمل مفهوماً محدوداً ينحصر بالجار القريب، ولذا ومن أجل الاهتمام بسعة هذا المفهوم من وجهة نظر الاسلام لا مناص من الاشارة إلى الجار البعيد وقد يفهم من الجار البعيد الجار غير المسلم؛ ذلك ان حق الجوار في الاسلام ليس حكراً على المسلمين فقط بل انه يتسع ليشمل غير المسلمين أيضاً الّا اذا كانت بينهم وبين المسلمين حرب واقعة(٣).

---

(١) سورة الأنفال: الآية ٤٨.

(٢) سورة النساء: الآية ٣٦.

(٣) التفسير الأمثل: ج٣، ص٣٨٠ ـ ٣٨١.

حقوق الجار في الروايات

تشتمل كتب الحديث والرواية على روايات وأحاديث كثيرة في توضيح حقوق الجار ودوره في توفير الأمن الاجتماعي ونفتتح هذا الموضوع بحديث نبوي شريف يفصّل في حقوق الجار.

يقول الرسول الأكرم ﷺ:

«مَنْ غلَقَ بَابَهُ خَوْفاً مِنْ جَارِهِ عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ فَلَيْسَ جَارُهُ بِمُؤْمِنٍ، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَمَا حَقُّ الْجَارِ عَلَى الْجَارِ؟ فَقَالَ: مِنْ أَدْنَى حُقُوقِهِ عَلَيْهِ إِنِ اسْتَقْرَضَهُ أَقْرَضَهُ وَإِنِ اسْتَعَانَهُ أَعَانَهُ وَإِنِ اسْتَعَارَ مِنْهُ أَعَارَهُ وَإِنِ احْتَاجَ إِلَى رِفْدِهِ رَفَدَهُ وَإِنْ دَعَاهُ أَجَابَهُ وَإِنْ مَرِضَ عَادَهُ وَإِنْ مَاتَ شَيَّعَ جَنَازَتَهُ وَإِنْ أَصَابَ خَيْراً فَرِحَ بِهِ وَلَمْ يَحْسُدْهُ عَلَيْهِ وَإِنْ أَصَابَ مُصِيبَةً حَزِنَ لِحُزْنِهِ وَلا يَسْتَطِيلُ عَلَيْهِ بِبِنَاءٍ سَكَنَهُ فَيُؤْذِيَهُ بِإِشْرَافِهِ عَلَيْهِ وَسَدِّهِ مَنَافِذَ الرِّيحِ عَنْهُ وَإِنْ أُهْدِيَ إِلَى مَنْزِلِهِ طُرْفَةٌ أَهْدَى لَهُ مِنْهَا إِذَا عَلِمَ أَنَّهُ لَيْسَ عِنْدَهُ مِثْلُهَا أَوْ فَلْيَسْتُرْهَا عَنْهُ وَعَنْ عِيَالِهِ إِنْ شَحَّتْ نَفْسُهُ بِهَا ثُمَّ قَالَ اسْمَعُوا مَا أَقُولُ لَكُمْ لَمْ يُؤَدِّ حَقَّ الْجَارِ إِلَّا قَلِيلٌ مِمَّنْ رَحِمَهُ اللهُ وَلَقَدْ أَوْصَانِيَ اللهُ بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُورِثُه»[1].

ونلاحظ في هذا الحديث الشريف ثلاثة مواضيع مهمّه تتصدّر سائر ما ورد في الحديث:

أولاً الاحساس بالأمن والأمان على العرض والمال بحيث يشعر الجار بالأمن والطمأنينة فليس بمسلم أساساً من خافه جاره والشعور بالأمن حق أكيد يجب أن يكفله الانسان للجيران فهو مسؤول عن أي اخلال بهذا الحق.

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٢، ص٧٩.

والموضوع الثاني يتعرّض إلى مسألة البناء حيث يتوجب على المسلم أن يؤمّن لجار أشعة الشمس والنور ونسائم الهواء الطلق وأن الانسان اذا بنى منزله بحيث يكون مصدر ايذاء للجار خرج عن دائرة الايمان كأن يستطيل في البناء حتّى يشرف على منزل جاره.

ومجتمعاتنا المعاصرة تعاني اليوم من هذه المشكلات فالبناء العمودي أصبح ظاهرة تلقي بظلالها وآثارها السلبيّة على العلاقات الاجتماعيّة بشكل واضح وتسبب القلق للكثيرين.

والموضوع الثالث هو أن يقوم الانسان باهداء جزء ممّا يشتريه إلى جاره واذا تعذر عليه ذلك فليستره عن الجار خاصّة مع الأطفال حيث تأخذ هذه المسألة ابعاداً حساسة جداً.

وقد بلغت توصيات السماء بالجار حتّى ظنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله أنّ الشريعة الالهيّة قد تقرّر للجار سهماً من الميراث.

إيذاء الجيران

عن أبي عبدالله عليه السلام:

«ملعون من آذى جاره»[١].

وفي المقابل يأتي الحديث الشريف:

«القطب الراوندي في لب اللباب عن النبي صلى الله عليه وآله: انه قال: من مات وله جيران ثلاثة كلهم راضون عنه غفر له»[٢].

---

(١) مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) المصدر السابق.

وقال:

«قال ﷺ: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره»[١].

«قال ﷺ: حرمة الجار على الجار كحرمة أُمّه»[٢].

الشكوى من الجار

«وعنه عليه السلام قال: شكى رجل إلى رسول الله ﷺ جاره فأعرض عنه ثمّ عاد فقال رسول الله ﷺ لعلي وسلمان ومقداد اذهبوا ونادوا لعنة الله والملائكة على من آذى جاره»[٣].

حسن الجوار

«قال رسول الله ﷺ: البر وحسن الجوار زيادة في الرزق وعمارة في الديار»[٤].

«فقه الرضا عليه السلام: واحسن مجاورة من جاورك فان الله تعالى يسألك عن الجار وقد روي عن رسول الله ﷺ أنّ الله تبارك وتعالى أوصاني في الجار حتّى ظننت أنه يرثني»[٥].

وجاء عنه ﷺ:

«عن النبي ﷺ قال: ليس بالمؤمن الذي يشبع وجاره إلى جنبه جائع»[٦].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر السابق.

(٦) المصدر السابق.

وجاء في رسالة الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام إلى واليه على البصرة عثمان بن حنيف الأنصاري:

«ءَأبيت مبطاناً وحولي بطون غرثى وأكباد حرّى»[(١)].

الجار السيّء

«عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: أعوذ بالله من جار سوء في دار اقامة تراك عيناه ويرعاك قلبه إن رآك بخير ساءه وإن رآك بشر سرّه»[(٢)].

الجار قبل الدار

«عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: التمسوا الجار قبل شراء الدار والرفيق قبل الطريق»[(٣)].

حدود الجار

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أميرالمؤمنين عليه السلام: حريم المسجد أربعون داراً والجوار أربعون داراً من أربعة جوانبها»[(٤)].

وقد ورد عن الامام السجاد مثل ذلك في حدود الجوار.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

المادّة الثالثة والثلاثون: حقّ الصاحب

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّاحِبِ فَأَنْ تَصْحَبَهُ بِالْفَضْلِ مَا وَجَدْتَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَإِلّا فَلا أَقَلَّ مِنَ الْإِنْصَافِ وَأَنْ تُكْرِمَهُ كَمَا يُكْرِمُكَ وَتَحْفَظَهُ كَمَا يَحْفَظُكَ وَلا يَسْبِقَكَ فِيما بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلى مَكْرُمَةٍ فَإِنْ سَبَقَكَ كَافَأْتَهُ وَلا تَقْصِدَ بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ مِنَ الْمَوَدَّةِ تُلْزِمُ نَفْسَكَ نَصِيحَتَهُ وَحِيَاطَتَهُ وَمُعَاضَدَتَهُ عَلَى طَاعَةِ رَبِّهِ وَمَعُونَتَهُ عَلَى نَفْسِهِ فِيما لا يَهُمُّ بِهِ مِنْ مَعْصِيَةِ رَبِّهِ ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِ رَحْمَةً وَلا تَكُونُ عَلَيْهِ عَذَاباً وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

ويدور هذا النص حول ما يلي:

١ ـ المصاحبة بالفضل ما أمكن وذلك يعني تكون للمرء المبادرة في عمل الخير له أو على الأقل التزام حالة الانصاف معه حيث الاكرام مقابل الاكرام.

٢ ـ الاحترام الكامل والمتقابل والافادة من أول الفرص في اكرامه ومكافأته على كلّ عمل طيب يقوم به.

٣ ـ عدم التقصير في مودّته ومحبّته ومحادثته بما ينمّي القيم الأخلاقيّة لديه.

٤ ـ تقديم النصح له باسلوب لا يخلّ باحترامه ومنعه من ارتكاب الذنوب والمعاصي فتكون له رحمة لا نقمة وعذاباً.

والصحبة تعني الرفقة والملازمة والصاحب هو الرفيق الملازم والى هذا المعنى يذهب الراغب الاصفهاني فيقول انها تطلق على ما تكون ملازمته كثيرة:

﴿ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾[١].

﴿ مَا اتَّخَذَ صَاحِبَةً وَلَا وَلَداً ﴾[٢].

﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾[٣].

وقد وردت مفردة «أصحاب» سبعاً وسبعين مرّة في القرآن الكريم وأكثرها مضافة الى الجنّة والنار والجحيم واحياناً الى السبت «أصحاب السبت، أصحاب مدين، أصحاب الكهف، أصحاب اليمين، أصحاب القبور، أصحاب الفيل»[٤].

ومن هنا نلاحظ انّ مفردة أصحاب تطلق على الصديق أيضاً فنرى كيف ان يوسف يخاطب من معه في السجن بهذه المفردة.

ويمكن القول ان الصاحب تعني الصديق وتعني الرفيق في السفر سواء طالت المدّة أو قصرت حيث يترتّب له حق على الانسان يتوجب عليه اداؤه.

التناغم الأخلاقي والتأثير في الآخر

انّ من خصائص الانسان تأثره وتطبعه فهو يؤثر ويتأثر من الآخر وان احدى الطرق في تبلور الشخصيّة الانسانيّة هي في تأثره بالآخر وثمّة مشهد في يوم القيامة عند ما نلاحظ الانسان وهو يعض على اصبع الندم لأنه اتّخذ صديقاً وصاحباً جرّه إلى جهنّم وبئس المصير.

يقول القرآن الكريم:

---

(١) سورة يوسف: الآية ٣٩.

(٢) سورة الجن: الآية ٣.

(٣) سورة النجم: الآية ٢.

(٤) قاموس القرآن: ج ٤، ص١٠٩.

﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً (٢٧)
يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَاناً خَلِيلاً (٢٨) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ
الشَّيْطَانُ لِلإِنسَانِ خَذُولاً (٢٩)﴾[1].

والعض على وزن السدّ ويعض على وزن يسدّ وهي في اطباق الأسنان في الفكين على شيء وعند ما يعض الانسان علىٰ أصبعه فانه يعبر عن ذروة الندم وقد ذهبت مثلاً فيقال عض فلان اصبع الندم.

ويبدو ان هذا المشهد في يوم القيامة سيكون ظاهرة لمن جرّه صاحبه إلى النار ولمن تأثر بطباع صاحبه وصديقه فكان مصيره هذا المصير البائس.

أصدقاء السوء

ولكي لا يبتلى الانسان بهذا المصير يوم القيامة فقد حذر أهل البيت عليهم السلام الانسان من مصاحبة الأشرار خوفاً من انتقال طباع السوء والشر كما تنتقل الأمراض.

«عن علي عليه السلام: لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرّاً وأنت لا تعلم»[2].

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«من يصحب صاحب السوء لا يسلم»[3].

وقال الامام الصادق عليه السلام:

---

(١) سورة الفرقان: الآيتين ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج ٢٠، ص ٢٧٢.

(٣) مستدرك الوسائل: ج ٢، ص ٩٥.

«من لم يجتنب مصاحبة الأحمق يوشك أن يتخلّق بأخلاقه»(١).

وفي هذه النصوص الرائعة أشارات واضحة في ان الانسان يتأثر كثيراً بـمن يرافق ويصادق وعادة ما تنتقل أخلاق الآخر الى الانسان نتيجة لهذه العلاقة فاذا بالانسان يتغيّر ويتحوّل وتتغير طباعه وأخلاقه.

ونحن نشاهد في حياتنا اليوميّة كيف تسري بعض الأمراض والاوبئة نتيجة للاقتراب والاحتكاك فالزكام ينتقل من المريض إلى السليم المعافى نتيجة اقترابه وانتقال فيروس المرض إليه وهذه الظاهرة لا تنحصر في الأمراض الجسميّة فان الأرواح تتأثر أيضاً فالانسان المريض روحياً يؤثر في غيره نتيجة لهذه العلاقة.

ومن هنا يقول الامام الصادق عليه السلام ان مصاحبة الانســان السـيّء تـؤثر فـي الانسان ويصاب بنفس المرض الروحي الذي يعاني منه صاحب الســوء حـتّى الغباء والبلادة تنتقل من خلال المصاحبة والصداقة.

حكاية

يحكى انّ شخصاً طلب من عامل أن يحفر له بئراً في باحة بيته فاجتمع من التراب تلّ كبير فاستشار صاحب البيت صديقاً له من الحمقى فأشار الأحمق عليه أن يحفر بئراً أُخرى ويلقي التراب فيها وفعل الرجل بهذه المشورة ولما ألقى في بئر التراب نظر فاذا تل آخر أكبر من التلّ الأوّل فأشار عليه بحفر بئر اخرى وهكذا!

مشورة

يحكىٰ انه كان لرجل بقرة وانه ذات يوم ادخلت رأسها في جرّة ظنت فـيها

(١) المصدر السابق: ص ٦٤.

شيئاً تأكله فلمّا ادخلت رأسها لم تستطع اخراجه وحار الرجل ماذا يفعل، فاستشار رجلاً أحمق في ذلك ولما نظر الأحمق إلى رأس البقر في الجرّة قال: الأمر سهل، اذبح البقرة! فذبحها.

فقال الأحمق: والآن اكسر الجرّة واخرج الرأس(١).

وروي عن سليمان النبي عليه السلام انه قال:

«لا تحكموا على رجل بشيء حتى تنظروا إلى من يصاحب فانما يعرف الرجل بأشكاله وأقرانه وينسب إلى أصحابه وأخدانه»(٢).

وقال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«لا خير في صحبة من اجتمع فيه ست خصال: إن حدّثك كذبك وإن حدّثته كذّبك وإن ائتمنته خانك وإن ائتمنك اتهمك وان أنعمت عليه كفّرك وإن أنعم عليك منّ بنعمته»(٣).

وفي هذه الموعظة الرائعة يكشف الامام عن خصال مقيتة اذا اجتمعت في الانسان فمن الغباء اتّخاذه صديقاً لأنّه لا خير فيه.

لا تصاحب هؤلاء ولا تصادقهم

«قال أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين عليه السلام: أوصاني أبي فقال: يا بني لا تصحبن خمسة ولا تحادثهم ولا ترافقهم في طريق فقلت جعلت فداك يا أبة من هؤلاء الخمسة قال

---

(١) كشكول الطبسي: ج١، ص١٧٦.

(٢) سفينة البحار: ج٢، ص٢٧.

(٣) اثنا عشريّة: ص٢٣١.

لا تصحبن فاسقا فإنه يبيعك بأكلة فما دونها، فقلت: يا أبة وما دونها؟ قال: يطمع فيها ثم لا ينالها، قال: قلت: يا أبة ومن الثاني قال: لا تصحبن البخيل فإنه يقطع بك في ماله أحوج ما كنت إليه، قال: فقلت: ومن الثالث؟ قال: لا تصحبن كذابا فإنه بمنزلة السراب يبعد منك القريب ويقرب منك البعيد، قال: فقلت: ومن الرابع؟ قال: لا تصحبن أحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك، قال: قلت: يا أبة من الخامس؟ قال: لا تصحبن قاطع رحم فإني وجدته ملعونا في كتاب الله في ثلاثة مواضع»(١).

وقد أشار الامام السجاد إلى المواضع الثلاثة التي لعن الله فيها قاطع الرحم:

١ ـ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ (٢٣)﴾(٢).

والنص القرآني يتحدّث عن بعض المنافقين والتولّي هنا بمعنى الاعراض واذا ما جاءت بمعنى الولاية فان معناها يكون اذا امسكتم بزمام الحكم فانكم لن تفعلوا سوى الافساد في الأرض وقطع العلاقات مع الأرحام وهو ما يذهب إليه معظم المفسرين.

٢ ـ ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾(٣).

والآية تشير إلى اولئك الذين استغرقهم حب الدنيا فاذا هم ينقضون الميثاق مع الله عزّوجل ويقطعون العلاقة مع الأرحام وقد أمر الله عزّوجل بصلة الأرحام

---

(١) كشف الغمة: ج٢، ص٢٩٣.

(٢) سورة محمّد صلى الله عليه وآله: الآيتين ٢٢ ـ ٢٣.

(٣) سورة الرعد: الآية ٢٥.

والتواصل معهم واذا بهم يفسدون في الأرض فاستحقوا بذلك لعنة الله.

٣ ـ ﴿الَّذينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللهِ مِنْ بَعْدِ ميثاقِهِ وَيَقْطَعُونَ ما أَمَرَ اللهُ بِـهِ أَنْ يُـوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولئِكَ هُمُ الْخاسِرُونَ﴾[١].

وقد أوصى رسول الله ﷺ بصلة الأرحام فقال صلوات الله عليه:

«صلة الرحم تعمر الديار وتزيد في الأعمار وإن كان أهلها غير أخيار»[٢].

وصايا الامام الحسن المجتبى عليه السلام

«وقال الامام الحسن السبط عليه السلام يوصي جنادة بن امية: واذا نازعتك نفسك إلى مصاحبة الرجال فأصحب من إذا صحبته زانك وإذا خدمته صانك واذا أردت معونة أعانك وإن قلت صدق قولك وإن صلت شد صولك وإن مددت يدك لفضل مدها وإن بدت منك ثلمة سدها وإن رأى منك حسنة عدّها وإن سألته أعطاك وإن سكت عنه ابتدأك وإن نزلت بك احدى الملمات واساك»[٣].

وقال الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«لا تصحب الّا عاقلاً تقياً ولا تخالط إلّا عالماً زكياً ولا تودع سرّك إلّا مؤمناً وفياً»[٤].

«وقال عليه السلام: واعلموا انّ صحبة العالم واتباعه دين يدان به وطاعته مكسبة للحسنات ممحاة للسيّئات وذخيرة للمؤمنين ورفعة في حياتهم ومماتهم»[٥].

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٧.

(٢) التفسير الأمثل: ج١، ص١٠٥.

(٣) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج٢: ص٢١٠.

(٤) المصدر السابق: ص٢٠٩.

(٥) المصدر السابق: ص٢٠٩.

المادّة الرابعة والثلاثون: حقّ الشريك

«وَأَمَّا حَقُّ الشَّرِيكِ فَإِنْ غَابَ كَفَيْتَهُ وَإِنْ حَضَرَ سَاوَيْتَهُ وَلا تَعْزِمْ عَلَى حُكْمِكَ دُونَ حُكْمِهِ وَلا تَعْمَلْ بِرَأْيِكَ دُونَ مُنَاظَرَتِهِ وَتَحْفَظُ عَلَيْهِ مَالَهُ وَتَنْفِي عَنْهُ خِيَانَتَهُ فِيمَا عَزَّ أَوْ هَانَ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَتَخَاوَنَا وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

الشرك والشركة والمشاركة لها معنى واحد وهي الشراكة والاشراك والى هذا تشير الآية الكريمة:

﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي (٣٢) ﴾[١].

وجاء في سورة الفرقان:

﴿ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ﴾[٢].

وتأتي بمعنى النصيب كما في الآية:

﴿ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ ﴾[٣].

والمشرك من جعل لله عزّوجل شريكاً له[٤].

---

(١) سورة طه: الآيتين ٣١ ـ ٣٢.

(٢) سورة الفرقان: الآية ٢.

(٣) سورة فاطر: الآية ٤٠.

(٤) قاموس القرآن: ج ٤، ص ٢٠.

الشركة من وجهة نظر فقهية

«لا تنعقد الشركة إلّا في مالين مثلين في جميع صفاتهما ويخلطان ويأذن كلّ واحد من الشريكين لصاحبه في التصرف فيه»[(١)].

واشترط بعض الفقهاء صيغة الشركة سواء باللغة العربية أو بغيرها من اللغات واشترطوا في ذلك بأن يكون الشريك مكلّفاً وعاقلاً وأن يكون ذلك عن قصد واختيار وله حقّ التصرّف بالمال ولذا لا تجوز الشركة مع السفيه.

ويقول العلّامة الحلّي في كتاب «قواعد الأحكام»:

«وأقسامها أربعة: شركة العنان وهي شركة الأموال وشركة الأبدان... وشركة المفاوضة... وشركة الوجود... والكل باطل سوى الأوّل»[(٢)].

التزام الآداب في المعاملات

التجارة والمعاملات والصفقات المالية في الشريعة الاسلاميّة لها قواعد يتوجب الالتزام لها حتّى تصحّ المعاملة ويكون الربح حلالاً. ولذا فقد جاء في كتاب «وسائل الشيعة» أبواب في آداب التجارة.

ولأن الشركة جزء من المعاملات ولكن على نحو اشتراكي فان من الواجب الالتزام بآداب المعاملات التجاريّة، وهذه رواية في هذا الموضوع:

«عَن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ بَاعَ وَاشْتَرَى فَلْيَحْفَظْ خَمْسَ

---

(١) الخلاف للشيخ الطوسي: ج ٢، ص١٣٨.

(٢) قواعد الأحكام: ج ١، ص٢٤٢.

خِصَالٍ وَإلّاَ فَلا يَشْتَرِيَنَّ وَلا يَبِيعَنَّ الرِّبَا وَالْحَلْفَ وَكِتْمَانَ الْعَيْبِ وَالْحَمْدَ إِذَا بَاعَ وَالذَّمَّ إِذَا اشْتَرَى»(١).

وروى ابن طاووس في كتاب الاستخارات عن أحمد بن محمّد بن يحيى قال:

أراد بعض أوليائنا الخروج للتجارة فقال لا اخرج حتى آتي جعفر بن محمّد عليه السلام فأسلم عليه واستشيره في أمري هذا وأسأله الدعاء لي، قال: فأتاه فقال له: يابن رسول الله اني عزمت على الخروج إلى التجارة واني آليت على نفسي أن لا أخرج حتّى ألقاك وأستشيرك وأسألك الدعاء لي.

قال (الراوي) فدعا له (الامام عليه السلام) وقال: عليك بصدق اللسان في حديثك ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك ولا تغبن المسترسل فان غبنته لا يحلّ ولا ترض للناس إلّا ما ترضى لنفسك وأعط الحق وخذه ولا تخف؛ ولا تخن فان التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة واجتنب الحلف فان اليمين الفاجرة تورث صاحبها النار والتاجر فاجر إلّا من أعطى الحق وأخذه؛ واذا عزمت على السفر أو حاجة مهمّة فاكثر الدعاء والاستخارة فان أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يعلّم أصحابه الاستخارة كما يعلّم السورة من القرآن»(٢).

الشركة في الروايات

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا ثَالِثُ الشَّرِيكَيْنِ مَا لَمْ يَخُنْ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ فَإِذَا خَانَ أَحَدُهُمَا صَاحِبَهُ خَرَجْتُ مِنْ بَيْنِهِمَا»(٣).

---

(١) وسائل الشيعة: ج ٢، ص ٢٨٤.

(٢) وسائل الشيعة: ص ٢٨٥.

(٣) نهج الفصاحة: كلمة ٧٦٧.

«عَنِ الْحُسَيْنِ بْنِ الْمُخْتَارِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام الرَّجُلُ يَكُونُ لَهُ الشَّرِيكُ فَيَظْهَرُ عَلَيْهِ قَدِ اخْتَانَ مِنْهُ شَيْئاً أَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مِثْلَ الَّذِي أَخَذَ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَيِّنَ ذَلِكَ فَقَالَ: شَوْهٌ لَهُمَا اشْتَرَكَا بِأَمَانَةِ اللهِ وَإِنِّي لَأُحِبُّ لَهُ إِنْ رَأَى مِنْهُ شَيْئاً مِنْ ذَلِكَ أَنْ يَسْتُرَ عَلَيْهِ وَمَا أُحِبُّ لَهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ شَيْئاً بِغَيْرِ عِلْمِهِ»[1].

وهنا نرى الامام ينعى على ذلك الشريك الخائن الّا انه لم يجعل له مسوّغاً في معاملته بالمثل بل طلب منه أن يستر عليه لأنّ الشركة إنّما تقوم على الأمانة.

والامام السجاد عليه السلام يرى في حقوق الشراكة الالتـزام بـما يـلي أولاً: عـدم التصرّف في حالة غياب الشريك بل القيام بأعماله.

ثانياً: التساوي في الحقوق يعني الالتزام بالمساواة في أُمور الشركة.

ثالثاً: لا يتّخذ قراراً يخالف وجهة نظر الشريك لأنّ الشراكـة تـعني اتّـخاذ القرارات التي تحظى بموافقة الشركاء.

رابعاً: انّ الشراكة تقوم على الأمانة، وان الخيانة نقص للشراكة وأن يـد الله على الشريكين ما لم تحدث الخيانة.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٣، ص١٧٨.

المادّة الخامسة والثلاثون: حقّ المال

«وَأَمَّا حَقُّ الْمَالِ فَأَنْ لا تَأْخُذَهُ إِلّا مِنْ حِلِّهِ وَلا تُنْفِقَهُ إِلّا فِي حِلِّهِ وَلا تُحَرِّفَهُ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَلا تَصْرِفَهُ عَنْ حَقَائِقِهِ وَلا تَجْعَلَهُ إِذَا كَانَ مِنَ اللهِ إِلّا إِلَيْهِ وَسَبَباً إِلَى اللهِ وَلا تُؤْثِرَ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ مَنْ لَعَلَّهُ لا يَحْمَدُكَ وَبِالْحَرِيِّ أَنْ لا يُحْسِنَ خِلافَتَهُ فِي تَرِكَتِكَ وَلا يَعْمَلَ فِيهِ بِطَاعَةِ رَبِّكَ فَتَكُونَ مُعِيناً لَهُ عَلَى ذَلِكَ وَبِمَا أَحْدَثَ فِي مَالِكَ أَحْسَنَ نَظَراً لِنَفْسِهِ فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ فَيَذْهَبَ بِالْغَنِيمَةِ وَتَبُوءَ بِالْإِثْمِ وَالْحَسْرَةِ وَالنَّدَامَةِ مَعَ التَّبِعَةِ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

وتتضمّن هذه المادّة ما يلي:

١ ـ أن تكون مصادر المال من الحلال كما أن الانفاق يجب أن يكون في موارد الحلال.

٢ ـ إنّ للمال مواضع وله حقوق لا ينبغي صرفه عن تلك الحقوق.

٣ ـ إذا كان المال من الله فاجعله اليه ولتتخذ منه سبباً إلى الله عزوجل.

٤ ـ الاستفادة الصحيحة من المال أي الاستفادة العقلانيّة وليكن وسيلة لتحقيق غايتك في رضا الله والاّ فانه سوف يسقط بين يدي الوارث وقد لا يعمل فيه بطاعة الله فتكون شريكاً في معاصيه، وقد يحسن التصرّف به فيعمل بطاعة الله سبحانه فيغنم بما شقيت في جمعه ولا تحصل إلّا على الندم.

معاني المال

المال يعني ما يملكه الانسان وجاء في القاموس وأقرب الموارد: المال ما ملكته من كلّ شيء ولدى أهل البادية فان المال يعني «الماشية» وهو مذكر ومؤنث: هو مال وهي مال وللراغب أيضاً قول فيه وانه سمي «مال» لأنه يميل وهو زائل يميل من قوم إلى قوم وهو عرض زائل ولذا قيل: «المال قحبة تكون يوماً في بيت عطار ويوماً في بيت بيطار»[١].

وجاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[٢].

أقسام الملكية

الملكيّة قسمان حقيقي واعتباري والملكيّة الحقيقيّة عبارة عن السلطة التكوينيّة لكائن على كائن آخر من قبيل تسلّط العلّة على المعلول.

فعلى سبيل المثال سلطة النفس على الصور الذهنيّة فمتى شاءت تصوّرت وردة، تراءت في الذهن صورة وردة واذا انصرفت زالت الصورة.

إنّ الله عزّوجل هو المالك الحقيقي للكائنات جميعاً:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطاً﴾[٣].

---

(١) قاموس القرآن: ج٦، ص٣٢١.

(٢) سورة الكهف: الآية ٤٦.

(٣) سورة النساء: الآية ١٢٦.

والملكيّة الحقيقيّة غير قابلة للانتقال ذلك انّ الاحاطة التكوينيّة لا تقبل الانتقال أبداً أمّا الملكيّة الاعتباريّة فعبارة عن التسلّط الاعتباري لكائن على كائن آخر بحيث يمكنه التصرّف به وله القدرة على منع الآخرين من التصرّف به من قبيل ملكيّة الانسان لأمواله وقد نشأت هذه الملكيّة من خلال العلاقات بين الناس ومواضعتهم لها وقد وصفت هذه الملكيّة بالاعتباريّة لأنّه لا توجد علاقة حقيقيّة تكوينيّة بين المالك والملك ولذا فان الملكيّة الاعتباريّة قابلة للانتقال.

الانسان محور الخليقة

يرى الاسلام انّ الانسان هو محور الخليقة وقد سخّرت له جميع الكائنات والى هذه الحقيقة يشير القرآن الكريم في قوله تعالى:

﴿هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَميعاً﴾[١].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللهَ سَخَّرَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ﴾[٢].

﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها﴾[٣].

﴿وَآتُوهُمْ مِنْ مالِ اللهِ الَّذي آتاكُمْ﴾[٤].

ونلاحظ من الآيات الكريمة أعلاه انّ الانسان هو محور الخليفة وأن الله سخّر له كلّ شيء حتّى المال فهو من أجل رفاه الانسان والنظام الاقتصادي جزء من المنظومة الاسلاميّة العامّة وقد شرّع من أجل تلبية الاحتياجات المادية للبشر من

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٩.

(٢) سورة لقمان: الآية ٢٠.

(٣) سورة هود: الآية ٦١.

(٤) سورة النور: الآية ٣٣.

قبيل الغذاء والكساء والسكن والأدوات الدفاعيّة ونشر الحضارة والثقافة وتأمين الاحتياجات في مجال الصحّة وحتّى تأمين الجانب الجمالي الذي هو نزعة انسانيّة.

الدنيا من وجهة نظر الاسلام

تنقسم الآيات القرآنيّة الكريمة والروايات في موضوع الدنيا وحقيقة الحياة إلى ثلاثة أقسام:

١ ـ قسم يذم الدنيا فهي عبارة عن «لهو ولعب» كما في الآيات (٣٦) من سورة محمد (٣٢) من سورة الانعام (٦٤) من سورة العنكبوت و (٢٠) من سورة الحديد وهي «متاع قليل» و «متاع الغرور» و «تكاثر وتفاخر».

٢ ـ وقسم آخر من الآيات والروايات تعدّ الدنيا وما فيها «فضل الله» كما في الآيات (٢٢٨) من سورة التوبة، (١٦) من سورة النحل (٣٧) من سورة النساء و (٢٤) من سورة النور.

وهي أيضاً «خير» كما في الآيات (١٨٠)، (٢٥١)، (٢٧٢) من سورة البقرة والآية (٦) من سورة العاديات والآية (٧٠) من سورة المعارج.

وهي كذلك «رحمة» كما في الآيات (٩) من سورة هود و (١٠) من سورة الاسراء و (٨٢) من سورة الكهف.

وهي «حسن» كما في الآيات (١٣٠) من سورة الاعراف و (٥٠) من سورة التوبة.

وإلى جانب ذلك تشير بعض الآيات الى الحرمان المادي في بعض الظروف

على انه عقاب الهي وعذاب.

٣ ـ أما القسم الثالث من الآيات والروايات في موضوع الدنيا فهو يهتمّ بتوضيح القسمين السابقين ولا زالة ما يبدو من التناقض بينهما، فالدنيا المنشودة هي ما كانت مقدمة للآخرة وباعتبارها قنطرة الى الخلود في النعيم وعلى انها مزرعة الآخرة.

أمّا الدنيا المذمومة فهي الدنيا التي تصبح غاية الانسان النهائية وحينئذٍ تكون لها الاصالة في رأيه من قبيل قوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝٧ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٨﴾[١].

الدنيا في ضوء الروايات

قال الامام علي عليه السلام:

«الدنيا متجر أولياء الله»[٢].

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«الدنيا مزرعة الآخرة»[٣].

وقال صلوات الله عليه:

«نعم العون الدنيا على الآخرة»[٤].

---

(١) سورة يونس: الآيتين ٧ ـ ٨.

(٢) نهج البلاغة، صبحي الصالح: الحكمة ١٣١.

(٣) دراسة في الاقتصاد الاسلامي: ج١، ص٤٧.

(٤) وسائل الشيعة: ج١٢، ص١٧.

وقال ﷺ:

«**نعم المال الصالح للعبد الصالح**»[١].

واذن فالدنيا وفقاً لذلك محل تجاري، مزرعة وعون؛ واذن ما لم تكن الدنيا لا تكون الآخرة، ومن ليس له دنيا ليست له آخرة غير انّ الانسان أحياناً ينسى انها طريق إلى عالم آخر وينسى انها مقدمة للآخرة فيغفل عن ذكر الله.

﴿ وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ ﴾[٢].

﴿كَلاَّ إِنَّ الْإِنْسانَ لَيَطْغىٰ ۝٦ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنىٰ ۝٧ ﴾[٣].

﴿ وَإِذا أَنْعَمْنا عَلَى الْإِنْسانِ أَعْرَضَ وَنَأىٰ بِجانِبِهِ ﴾[٤].

ولذا كان الأنبياء يحثّون مجتمعاتهم وأقوامهم الى القناعة من الدنيا بالكفاف.

ولقد كان رسول الله ﷺ يرفع كفيه إلى السماء يدعو الله قائلاً:

«**اللّهمّ ارزق محمّداً وآل محمّد ومن أحبّ محمّداً وآل محمّد العفاف والكفاف**»[٥].

وقال الامام علي عليه السلام في نهج البلاغة:

«**ولا تسألوا فيها فوق الكفاف ولا تطلبوا منها أكثر من البلاغ**»[٦].

ومن خلال ما مرّ أعلاه ندرك أهميّة المال وقيمته ودوره الحياتي في الاقتصاد والحياة في حالة اقترانه بايدلوجيّة صحيحة وايمان راسخ.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) سورة الشورى: الآية ٢٧.

(٣) سورة العلق: الآيتين ٦ ـ ٧.

(٤) سورة الإسراء: الآية ٨٣.

(٥) بحار الأنوار: ج ٧٢، ص ٥٩.

(٦) نهج البلاغة، صبحي الصالح: الخطبة ٤٥.

ويجدر هنا أن نشير إلى رأي الاسلام في كسب المال ومجالات الانفاق والقواعد التي تنظم ذلك والى ما يتعلّق بذلك من مواد حقوقيّة.

كسب المال وجمعه

الناس جميعاً يحبّون المال وتختلف درجات هذا الحب ولكن السؤال هل انّ هذا الحب أمر فطري وهل انّ حب التملّك غريزة بشريّة مودعة في الطبيعة الانسانيّة أم ان ذلك أمر عارض واكتسابي؟

يذهب البعض إلى ان ذلك أمر غريزي وانه موجود في جبلّة البشر وتكوينه بل انّ الحيوانات هي الاخرى لديها هذه النزعة الغريزيّة في التملّك.

فيما يرى فريق من العلماء أنّ حبّ المال والنزعة إلى التملّك ليست نزعة طبيعيّة بذاتها مستقلّة وإنّما هي وسيلة من أجل ارضاء واشباع الغرائز وتحقيق النزعات الطبيعيّة للانسان؛ فمن خلال امتلاك الثروة والمال يمكن تأمين احتياجات البشر من غذاء وكساء وسكن واشباع الغريزة الجنسيّة والمحافظة على نسله.

ويعتقد «ويليم جيمس» أنّ الملكيّة في المجتمع بمنزلة تمدّد وتوسع الشخصيّة أو حالة من تنامي الحجم النفسي ويقول: إنّ الانا لا تقتصر على القوى النفسيّة بل انّ الكساء والسكن، والسيارة والملك والرصيد المالي في المصرف جزء من الأنا أيضاً حيث تشكل جميعاً الشعور[١].

وبالرغم من أن حبّ المال ليس أمراً فطريّاً غريزياً الّا انه عامل مؤثر جداً في

---

(١) علم النفس الاجتماعي: ج١، ص١٠٤ و ١١٠.

ادارة الحياة واشباع الغرائز والحصول على القدرة والنفوذ وفي تحقيق العديد من الأماني كما انه يسهم في تنمية الشخصية الانسانيّة ولذا فقد ترسخ في نظر الناس حب المال إلى أن أصبح الناس شيئاً فشيئاً يحبّون المال حبّاً جمّاً واكتسب هذا الحب حالة من الاصالة.

يقول القرآن الكريم بهذا الصدد:

﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[1].

«عَنْ عَمْرِو بْنِ جُمَيْعٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: لا خَيْرَ فِي مَنْ لا يُحِبُّ جَمْعَ الْمَالِ مِنْ حَلالٍ يَكُفُّ بِهِ وَجْهَهُ وَيَقْضِي بِهِ دَيْنَهُ وَيَصِلُ بِهِ رَحِمَهُ»[2].

الهدف من وراء كسب المال

«كان النبي صلى الله عليه وآله جالساً مع أصحابه ذات يوم فنظر إلى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا: ويح هذا، لو كان شبابه وجلده في سبيل الله! فقال صلّى الله عليه وآله: لا تقولوا هذا فانه إن كان يسعى على نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو في سبيل الله وإن كان يسعى على أبوين ضعيفين أو ذريّة ضعاف ليغنيهم ويكفيهم فهو في سبيل الله وإن كان يسعى تفاخراً وتكاثراً فهو في سبيل الشيطان»[3].

وندرك من خلال هذا الحديث انّ السعي والعمل من أجل ادارة الحياة والمعيشة والاستغناء عن مدّ يد السؤال والطلب من الناس وصون الكرامة

---

(١) سورة العاديات: الآية ٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢، ص١٩.

(٣) محجّة البيضاء: ج٣، ص١٤٠.

الانسانيّة يعدّ جهاداً في سبيل الله، ولذا فليس من الصحيح أن يُذمّ الانسان بل العكس حيث يكتسب العمل قيمة عباديّة الّا في حالة التكاثر والتفاخر والاستعلاء فيكون هذا العمل في سبيل هدف شيطاني.

ونحن نجد في سيرة الأئمّة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام أمثلة مشرقة حول قيمة العمل والكسب.

قال الامام الصادق عليه السلام:

«إنّ محمّد بن منكدر كان يقول: ما كنت أرى انّ علي بن الحسين عليه السلام يدع خلفاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمّد بن علي عليه السلام فأردت أن أعظه فوعظني فقال له أصحابه: بأيّ شيء وعظك؟

قال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارّة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متّكئ على غلامين أسودين أو موليين فقلت في نفسي، سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا! أما اني لأعظنّه، فدنوت منه فسلّمت عليه فردّ عليّ بنهر (عند نهر) وهو يتصابّ عرقاً.

فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذا الحال في طلب الدنيا أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال عليه السلام: لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال، جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله عزّوجلّ أكفّ بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنّما كنت أخاف أن لو جاءني الموت وأنا على معصية من معاصي الله عزّوجلّ.

فقلت: صدقت يرحمك الله أردتُ أن أعظك فوعظتني[١].

أجل هكذا ينظر ائمّتنا الأطهار عليهم السلام إلى العمل والسعي في سبيل المعيشة وادارة شؤون الحياة وتوفير لقمة العيش الكريم للأُسرة والعمل بحيث يرقى في أن قيمته إلى يصبح جهاداً في سبيل الله[٢].

عن أبي عبدالله عليه السلام قال:

«الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[٣].

وفي المقابل ثمّة انتقاد شديد جداً لمن يضيع أُسرته وعياله ولا يعمل من أجل توفير حياة كريمة لهم.

يقول صلى الله عليه وآله:

«ملعون ملعون من ضيّع من يعول»[٤].

كسب المال من الحلال

«عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ عليه السلام قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ: أَلا إِنَّ الرُّوحَ الأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لا تَمُوتُ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ رِزْقَهَا فَاتَّقُوا اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ وَلا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ شَيْءٍ مِنَ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِشَيْءٍ مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى قَسَمَ الأَرْزَاقَ بَيْنَ خَلْقِهِ حَلالاً وَلَمْ يَقْسِمْهَا حَرَاماً فَمَنِ اتَّقَى اللهَ عَزَّوَجَلَّ وَصَبَرَ أَتَاهُ اللهُ بِرِزْقِهِ مِنْ حِلِّهِ وَمَنْ هَتَكَ حِجَابَ السِّتْرِ وَعَجَّلَ فَأَخَذَهُ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ قُصَّ بِهِ مِنْ

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٩ ـ ١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٢، ص٤٣ ـ ٤٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه: ص٢٧.

رِزْقِهِ الْحَلالِ وَحُوسِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[١].

ونلاحظ في هذا الحديث الشريف موضوع الصبر وأهميّته وعدم استعجال الرزق، ومن المؤسف اننا نلاحظ البعض يلهث وراء كسب المال فاذا تعذّر عليه الحصول عليه من الحلال بادر إلى الحرام فيأتي يوم القيامة مثقلاً بأوزار ما ارتكب وقد كان الأحرى بالانسان الصبر لأنّ الرزق مقسوم وما على الانسان إلّا أن يسعى ويسعى ويصبر إلى أن يأتيه رزقه من الحلال.

الرزق نوعان

«قَالَ الصَّادِقُ عليه السلام: الرِّزْقُ مَقْسُومٌ عَلَى ضَرْبَيْنِ أَحَدُهُمَا وَاصِلٌ إِلَى صَاحِبِهِ وَإِنْ لَمْ يَطْلُبْهُ وَالْآخَرُ مُعَلَّقٌ بِطَلَبِهِ فَالَّذِي قُسِمَ لِلْعَبْدِ عَلَى كُلِّ حَالٍ آتِيهِ وَإِنْ لَمْ يَسْعَ لَهُ وَالَّذِي قُسِمَ لَهُ بِالسَّعْيِ فَيَنْبَغِي أَنْ يَلْتَمِسَهُ مِنْ وُجُوهِهِ وَهُوَ مَا أَحَلَّهُ اللهُ لَهُ دُونَ غَيْرِهِ فَإِنْ طَلَبَهُ مِنْ جِهَةِ الْحَرَامِ فَوَجَدَهُ حُسِبَ عَلَيْهِ بِرِزْقِهِ وَحُوسِبَ بِهِ»[٢].

وإلى هذا أشار الامام السجّاد عليه السلام فان طلب الرزق يجب أن يكون من طرق الحلال وأن يجتنب الانسان طريق الحرام وما أكثر الناس الذين أنفقوا أعمالهم في جمع الأموال وفي نهاية عمره ينظر فيرى الورثة ينتظرون الحصول على نصيبهم، بعض يعمل فيه بطاعة الله فيدخل الجنّة وقد شقى صاحبه بجمعه واختلط به الحرام، وآخر يعمل فيه بمعصية الله فيكون قد شارك العاصي بمعصيته لأنّه أعانه

---

(١) المصدر نفسه: ص٢٧.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٩.

على ذلك من خلال ما حازه من الميراث.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالاً فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلاً فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ بِهِ الأَوَّلُ النَّار»[1].

أجل هذه حسرة كبرى وندم عميق لأنّه لم يحصل من ماله الذي شقى في جمعه سوى الخسران في حين يرى انّ المال الذي جمعه وقع بين يدي آخر عمل فيه بطاعة الله وكان مصيره دخول الجنّة وحياة الخلود في النعيم، أمّا هو فدخل النار في وادي الجحيم.

---

(١) نهج البلاغة، صبحي الصالح: حكمة ٤٢٩.

المادّة السادسة والثلاثون: حقّ الغريم

«وَأَمَّا حَقُّ الْغَرِيمِ الطَّالِبِ لَكَ فَإِنْ كُنْتَ مُوسِراً أَوْفَيْتَهُ وَكَفَيْتَهُ وَأَغْنَيْتَهُ وَلَمْ تَرْدُدْهُ وَتَمْطُلْهُ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ص قَالَ مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ وَإِنْ كُنْتَ مُعْسِراً أَرْضَيْتَهُ بِحُسْنِ الْقَوْلِ وَطَلَبْتَ إِلَيْهِ طَلَباً جَمِيلاً وَرَدَدْتَهُ عَنْ نَفْسِكَ رَدّاً لَطِيفاً وَلَمْ تَجْمَعْ عَلَيْهِ ذَهَابَ مَالِهِ وَسُوءَ مُعَامَلَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ لُؤْمٌ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

الغريم لغة بمعنى الذي يطلب مالاً أو الدائن وأيضاً تعني المدين، والعدو والمنافس والندّ؛ والمطل في اللغة التسويف في تسديد الدين فيقال لمن يفعل ذلك انه يماطل ويؤخّر الايفاء والموسر الغني ويقال للرجل الغني ميسور الحال.

والامام السجاد عليه السلام في هذه المادّة القانونيّة يقصد من الغريم الطالب حيث يعيّن له حقوقاً يتوجب على المدين الايفاء بالاستحقاقات المترتبة عليه ازاء الغريم.

فاذا كان المدين موسراً ولديه القدرة على التسديد ما بذمته فليبادر الى الوفاء بما عليه واجتناب المماطلة لأنّ الرسول صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك وعدّ المماطلة ظلماً.

وإن كان المطلوب أو المدين معسراً فليقل لغريمه خيراً وليحاول ارضاءه بحسن القول وليردّه ردّاً جميلاً لطيفاً ولا يجمع على الغريم ذهاب ماله وسوء معاملته، لأن هذا السلوك إنّما يكشف عن لؤم في شخصيّة المدين.

إنّ مسار الحياة الانسانيّة ينطوي على أسرار فقد تجد انساناً اليوم غنيّاً موسراً

وتراه غداً فقيراً معدماً وهذا من اختبارات الحياة وعلى الانسان ألّا يفقد توازنه ويحافظ على انسانيته فلا يتحوّل إلى طاغية متكبّر في حال الغنى ولا إلى ذليل خانع في حال الفقر.

ولذلك فانّ الاسلام يطلب من الأغنياء مساعدة الفقراء وأن يقدّموا لهم القروض الحسنة ولا يؤذنوهم في تسديدها اذا كانوا معسرين.

القرض الحسن

جاء في سورة التغابن بعد الاشارة الى المال وأنّ الأموال فتنة قوله تعالى:

﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾(١).

القرض في الأصل بمعنى القطع ولكنها عند ما قرنت بـ«الحسن» فهي تعني اقتطاع جزء من المال واعطائه في سبيل الله وتدلّ الجملة «يغفر الله لكم» على أنّ الانفاق في سبيل الله من سبل تحصيل المغفرة والصفح الالهي وتدلّ «شكور» على انّ الله عزّوجلّ يجزي على القروض الحسنة ثواباً عظيماً وأجراً جزيلاً.

جاء في سورة الحديث قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَ لَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٢).

وقال عزّوجل في نفس السورة:

﴿إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَ الْمُصَّدِّقَاتِ وَ أَقْرَضُوا اللهَ قَرْضاً حَسَناً يُضَاعَفُ لَهُمْ وَ لَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة التغابن: الآية ١٧.

(٢) سورة الحديد: الآية ١١.

(٣) سورة الحديد: الآية ١٨.

وقد ذهب بعض المفسّرين الى أنّ المقصود من القرض الحسن تسليف المال وليس انفاقه، وإنّما امكانيّة استعادته ضمن اتّفاق مع المدين وان منح القروض الحسنة تعني الانفاق في سبيل الله وانها أفضل الأعمال.

والى هذا المعنى ذهب «فاضل مقداد» في كنز العرفان وإن أشار أيضاً إلى ان كلّ الأعمال الصالحة تنضوي تحت هذا المعنى أيضاً[1].

وجاء في سورة البقرة قوله تعالى:

﴿مَنْ ذَا الَّذي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثيرَةً وَاللهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

الربا في القرآن الكريم

تعد مسألة القروض الحسنة في القرآن الكريم في طليعة القضايا المهمّة بحيث تقع في مصاف واحد مع اعطاء الصدقات وجميع اشكال الانفاق ومساعدة الفقراء وتقديم جميع اشكال المعونة لهم؛ شرط أن يكون ذلك في سبيل الله وقد وعد الله سبحانه من يقوم بذلك بأجزل الثواب وأكبر الأجر.

وفي مقابل ذلك تماماً يهاجم القرآن ظاهر القروض الربويّة التي تفتك في اقتصاد المجتمع وتدمّر العلاقات الانسانيّة.

قال تعالى في سورة البقرة:

﴿يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِنْ لَمْ

---

(١) كنز العرفان: ج٢، ص٥٨.

(٢) سورة البقرة: الآية ٢٤٥.

تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُسُ أَمْوالِكُمْ لا تَظْلِمُونَ وَلا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ ﴾[1].

فالآية الاولى تشير إلى ضرورة ترك الربا لأنّه لا ينسجم مع الايمان بالله عزّوجل، أما الآية الثانية فانه تحذير من عواقب الاستمرار والاصرار على المعاملات الربويّة والآية شديدة اللهجة لأنّها تنذر باعلان حرب من الله ورسوله على المرابين ثم تفتح باب التوبة بعد اعادة الأرباح التي هي في الواقع ظلم.

جاء في نفس السورة قوله تعالى:

﴿ الَّذينَ يَأْكُلُونَ الرِّبا لا يَقُومُونَ إِلاّ كَما يَقُومُ الَّذي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطانُ مِنَ الْمَسِّ ذٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبا وَأَحَلَّ اللهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا فَمَنْ جاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهىٰ فَلَهُ ما سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ وَمَنْ عادَ فَأُولٰئِكَ أَصْحابُ النّارِ هُمْ فيها خالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَمْحَقُ اللهُ الرِّبا وَيُرْبِي الصَّدَقاتِ وَاللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ كَفّارٍ أَثيمٍ ﴿٢٧٦﴾ ﴾[2].

والآية ترسم مشهداً معبراً عن الحالة النفسيّة المتدهورة للمرابي الذي يتصرّف كالمجنون أو كالذي مسّه الشيطان؛ والخبط بمعنى فقدان التوازن في حالة المشي أو في حالة النهوض والقيام فالمرابي يتصرّف وكأنّه يعاني من حالة الصرع ذلك انّ المرابين يقولون ان الربا كالبيع. انهم في الحقيقة لا يفكّرون بطريقة منطقيّة، وقد فقدوا العاطفة الانسانيّة ولا يعرفون سوى امتصاص دماء المتعبين والاستيلاء على ثمار عملهم وعرق جبينهم.

وقد ذهب البعض الى انّ المراد من «يقوم» هو يوم القيامة حيث يدخل

---

(١) سورة البقرة: الآيتين ٢٧٨ ـ ٢٧٩.

(٢) سورة البقرة: الآيتين ٢٧٥ ـ ٢٧٦.

المرابي ساحة الحشر وهو يمشي كالمجنون أو من به صرع وإلى هذا المعنى يذهب معظم المفسّرين؛ ذلك انّ أعمال الانسان في يوم القيام تتجسّم وقد يكون المراد من ذلك المعنيين كليهما وقد جاء في حديث للامام الصادق عليه السلام قوله:

«آكل الربا لا يخرج من الدنيا حتّى يتخبّطه الشيطان»[١].

يعني أنّ آكل الربا والمرابي لا يموت ويغادر الدنيا حتّى يبتلى بنوع من الجنون.

والسؤال هنا هل ان مصدر الجنون والصرع من الشيطان؟ مع علمنا انّ الصرع والجنون من الأمراض النفسيّة وقد عرفت معظم عوامله.

وفي معرض الجواب نقول: ان العرب في عصر الرسالة على الأقل كانوا ينظرون إلى الأمراض النفسيّة والجنون على انه «مس من الشيطان» ومن غير المستبعد أن يكون للشيطان تأثير من هذا القبيل في الانسان وهذا يحدث عند ما يفقد الانسان التفكير المنطقي وقابلية التشخيص الصحيح.

منطق المرابين

يقول المرابون إنّ المعاملات والقروض الربويّة تشبه معاملات البيع والشراء.

وفي معرض الجواب يقول القرآن الكريم:

إنّ الله أحلّ البيع وحرّم الربا وفرق كبير بين التجارة والبيع وبين الربا ذلك ان طرفي البيع والشراء والمعاملات التجاريّة يقفان على قدمي المساواة في مسألة الربح والخسارة في حين انه في المعاملة الربويّة لا يتعرّض المرابي للخسارة أبداً.

---

(١) تفسير نور الثقلين: ج١، ص٢٩١.

كما انّ التجارة والبيع والشراء تسهم بشكل واضح في دفع عجلة الانتاج إلى الامام.

في حين لا ينجم عن المعاملة الربويّة أي أثر في الانتاج والاستهلاك يعني لا يتضمّن أي عمل ايجابي وفوق ذلك فانّ الاستمرار في التعامل بالقروض الربويّة سيضع الثروات ورؤوس الأموال في مسارات خاطئة تؤدّي إلى زعزعة أسس الاقتصاد في حين انّ التجارة الصحيحة التي تستند إلى دعائم الشريعة تضع الثروات ورؤوس الأموال في المسارات الصحيحة.

كما انّ المعاملات الربويّة وشيوعها في المجتمع سوف تفضي في النهاية الى تقسيم المجتمع إلى طبقات متنافسة ومن ثمّ تناحرها والى اندلاع صراع طبقي يدمّر العلاقات الانسانيّة ويشيع روح الكراهيّة بين شرائح المجتمع أمّا التجارة فظاهرة صحية اقتصاديّة واجتماعيّة ولا تفرز آثاراً سلبيّة على الاطلاق.

وتعرّضت الآية (١٣٠) من سورة آل عمران إلى موضوع الربا ولم نوردها توخياً للايجاز والاختصار وكذلك الآية (١٥٩) من سورة النساء وخلاصة القول انّ الشريعة تشجع على جميع اشكال الانفاق والقروض الحسنة وتنهى عن الربا وعن جميع الاشكال التعامل الربوي.

امهال المدين

يقول الامام السجاد عليه السلام انّ المدين إذا كان أو أصبح موسراً وتمكّن من سداد دينه فليبادر إلى ذلك وفاءً بالتزامه.

وكذلك فانّ الشريعة تحث الدائن على عدم مضايقة المدين اذا كان يمرّ بأزمة

مالية تمنعه عن الوفاء بما عليه.

يقول القرآن الكريم:

﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١).

وقد كانت السنن الجاهليّة تقضي بأن المدين اذا عجز عن الوفاء بما عليه في التاريخ المحدّد فانه يتعيّن عليه اضافة مبلغ من المال الى الفائدة الربويّة المعينة سابقاً.

أمّا في ثقافة الاسلام وقيمه الانسانيّة والأخلاقيّة النبيلة فـان عـلى الدائـن أخلاقيّاً أن يتسامح في استرداد أصل الدين من دون أيّة فائدة محرمة ولذا تطلب الشريعة السمحاء من الدائن امهال المدين لحين انتهاء أزمته المالية.

ولذا فانّ الشريعة تحرّم كلّ اشكال مـصادرة مـمتلكات المـدين مـن داره والأثاث الضروري في الحياة.

بل وإنّ الآية الكريمة أعلاه تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك فتحث الدائن على اسقاط الدين على المدين اذا كان حقاً يعاني من عسرة شديدة ويمرّ بأزمة مالية تحول دون قدرته على الوفاء وتسديد ما بذمّته.

ولهذا فان روح الشريعة الاسلاميّة تدفع باتّجاه اثراء الحياة الانسانيّة بـقيم التسامح والتكافل والتضامن والأخوّة.

ونحو نذكّر بما قاله الامام السجاد عليه السلام في ضرورة قيام المدين بمعاملة الدائن أو الغريم بكثير من اللطف بغية تمديد أجل التسديد، وهـنا نـلاحظ انّ الثـقلين القرآن الكريم وأهل البيت الكرام يوضحان بدقّة حقوق الدائن والمدائن ومحاولة

---

(١) سورة البقرة: الآية ٢٨٠.

حلّ المشكلة بروح من المحبّة والانسانيّة.

يقول الامام السجاد عليه السلام: «ولم تجمع عليه (الغريم) ذهاب ماله وسوء معاملته فان ذلك لؤم».

وفي ختام هذه المادّة الحقوقيّة نشير إلى «باب في انظار المعسر» للمرحوم الفيض الكاشاني الذي أورده في الجزء الثاني من كتاب الشافي حيث يورد الروايات التي تشير إلى ثواب من يمهل المعسر.

«عَنِ الصادق عليه السلام: مَنْ أَرَادَ أَنْ يُظِلَّهُ اللهُ يَوْمَ لا ظِلَّ إِلّا ظِلُّهُ، قَالَهَا ثَلاثاً فَهَابَهُ النَّاسُ أَنْ يَسْأَلُوهُ، فَقَالَ: فَلْيُنْظِرْ مُعْسِراً أَوْ لِيَدَعْ لَهُ مِنْ حَقِّهِ»[1].

«وعنه عليه السلام قال: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله الْمِنْبَرَ ذَاتَ يَوْمٍ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى أَنْبِيَائِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ لِيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ مِنْكُمُ الْغَائِبَ أَلا وَمَنْ أَنْظَرَ مُعْسِراً كَانَ لَهُ عَلَى اللهِ عَزَّوَجَلَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ بِمِثْلِ مَالِهِ حَتَّى يَسْتَوْفِيَهُ، ثُمَّ قَالَ أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُعْسِرٌ فَتَصَدَّقُوا عَلَيْهِ بِمَالِكُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ»[2].

«عَنِ النبي صلى الله عليه وآله: كَمَا لا يَحِلُّ لِغَرِيمِكَ أَنْ يَمْطُلَكَ وَهُوَ مُوسِرٌ فَكَذٰلِكَ لا يَحِلُّ لَكَ أَنْ تُعْسِرَهُ إِذَا عَلِمْتَ أَنَّهُ مُعْسِرٌ»[3].

«قِيلَ لِلصَّادِقِ عليه السلام: إِنَّ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَيَابَةَ دَيْناً عَلَى رَجُلٍ قَدْ مَاتَ وَكَلَّمْنَاهُ أَنْ يُحَلِّلَهُ فَأَبَى، فَقَالَ: وَيْحَهُ أَمَا يَعْلَمُ أَنَّ لَهُ بِكُلِّ دِرْهَمٍ عَشَرَةً إِذَا حَلَّلَهُ وَإِذَا لَمْ يُحَلِّلْهُ فَإِنَّمَا لَهُ دِرْهَمٌ بَدَلَ دِرْهَمٍ»[4].

---

(١) الشافي: ج٢، ص١١٠.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

المادّة السابعة والثلاثون: حقّ الخليط

«**وَأَمَّا حَقُّ الْخَلِيطِ فَأَنْ لا تَغُرَّهُ وَلا تَغُشَّهُ وَلا تُكَذِّبَهُ وَلا تُغْفِلَهُ وَلا تَخْدَعَهُ وَلا تَعْمَلَ فِي انْتِقَاضِهِ عَمَلَ الْعَدُوِّ الَّذِي لا يُبْقِي عَلَى صَاحِبِهِ وَإِنِ اطْمَأَنَّ إِلَيْكَ اسْتَقْصَيْتَ لَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَعَلِمْتَ أَنَّ غَبْنَ الْمُسْتَرْسِلِ رِبًا وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

الخليط هو من تختلط حياته مع آخر فله ارتباط على نحو معين مع الآخر من قبيل الشريك والزميل والصديق والصاحب فكلّ من له علاقة من هذا النوع فهو خليط له حقوق وهذه المادة الحقوقيّة لا تسمح بغشه وتكذيبه وخداعه أما اذا وثق بك فعليك تقديم كلّ أنواع النصح في التكامل معه وعدم غبنه بأي حال من الأحوال.

ولقد تطرّقنا في ما مضى إلى حقوق الصاحب والرفيق وأوردنا روايات وآيات في هذا المضمار فلا داعي للتكرار ولذا نقتصر على الروايات ذات الصلة بالمخالطة والمعاشرة.

المخالطة في الروايات

«**عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أسعد الناس من خالط كرام الناس**»[1].

وهذا الحديث يجعل من عوامل السعادة مخالطة الكرام من الناس.

---

(١) بحار الأنوار: ج ٧٤، ص ١٨٥.

ويقول ﷺ في هذا الصدد أيضاً:

«قال رسول الله ﷺ: سائلوا العلماء وخالطوا الحكماء وجالسوا الفقراء»(١).

ونجد في هذا الحديث توجيهاً آخر في تنظيم العلاقات مع شرائح الناس المختلفة، فالمسألة مع العلماء والمخالطة مع الحكماء والمجالسة مع الفقراء وكلّها تثري الحياة الانسانيّة.

صفات الخليل الصالح

قال رسول الله ﷺ:

«من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره وإن ذكر أعانه»(٢).

وهذا توفيق الهي للخير أن يكون للانسان صديق وخليل صالح إن غفل عن ذكر الله سبحانه نبّهه إلى ذلك وإن ذكر الله عزّوجل أعانه ووقف إلى جانبه حيث ذكر الله عزوجل يرشّد حياة الانسان ويجدر بالانسان أن ينتخب الصديق العاقل وممّن له تجربة في الحياة وإلى جانب ذلك ينبغي للانسان أن يبتعد عن مخالطة الجهال من الناس ممّن لا عقل لهم ولا تجربة؛ وكذا ينبغي للانسان أن ينتخب المتديّن الذي يحب الخير للجميع وكذلك الذي يتحلّى بالأخلاق الحسنة لأنّ من ساءت أخلاقه يقود صاحبه إلى الشرور.

ونهى الامام السجّاد عليه السلام عن المكر بالخليط والخليل والزميل حيث المكر والغدر والخديعة من صفات السوء ورذائل الأخلاق.

---

(١) المصدر السابق: ص١٨٨.

(٢) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج٢، ص٢٨٩.

وثمّة باب في كتاب أُصول الكافي يحمل هذا العنوان: «المكر والغدر والخديعة» ويشتمل على روايات تحذر من هذه الأُمور الشائنة:

«قال أميرالمؤمنين عليه السلام: لو لا انّ المكر والخديعة في النار لكنت أمكر الناس»(١).

ولا يقوم الانسان العاقل بالمكر أبداً حيث المكر والخداع يطلقان على كلّ فعل يفعله الفاعل في الظاهر وله باطن مخالف له.

وقد جاء في الرواية الثالثة من هذا الباب:

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ليس منّا من ماكر مسلماً»(٢).

وهو الانسان الكذّاب.

قال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«وينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذّاب فانّه يكذب حتّى يجيء بالصدق فلا يُصدّق»(٣).

فالكذب مرض أخلاقي يصيب الانسان فيدمّر شخصيّته ويفقده اعتباره لدى الناس.

وعادة ما يجتنب الناس مصاحبة الكذاب وقد جاء في الأثر انّ الانسان الكذّاب هو في حقيقة الأمر انسان ميت وذلك لانعدام الثقة به.

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٣٣٦.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٣٧.

(٣) المصدر نفسه: ص٣٤١.

المادّة الثامنة والثلاثون: حقّ المدّعي والمدّعىٰ عليه

«وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً لَمْ تَنْفَسِخْ فِي حُجَّتِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ وَكُنْتَ خَصْمَ نَفْسِكَ لَهُ وَالْحَاكِمَ عَلَيْهَا وَالشَّاهِدَ لَهُ بِحَقِّهِ دُونَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ حَقُّ اللهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ بَاطِلاً رَفَقْتَ بِهِ وَرَدَعْتَهُ وَنَاشَدْتَهُ بِدِينِهِ وَكَسَرْتَ حِدَّتَهُ عَنْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَأَلْقَيْتَ حَشْوَ الْكَلامِ وَلَغْطَهُ الَّذِي لا يَرُدُّ عَنْكَ عَادِيَةَ عَدُوِّكَ بَلْ تَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَبِهِ يَشْحَذُ عَلَيْكَ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ لِأَنَّ لَفْظَةَ السُّوءِ تَبْعَثُ الشَّرَّ وَالْخَيْرُ مَقْمَعَةٌ لِلشَّرِّ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

فان كان المدّعي على حق في ادّعائه فلا يجوز لك أن تعمل في ابطال حقّه بل يجب الاعتراف بحقّه كاملاً بحيث لا يضطر الى جلب الشهود عليك.

أما إذا كان ما يدّعيه عليك باطلاً فالأولى ان تتعامل معه برفق وتحاول تذكيره بالدين والقيم الأخلاقيّة بعيداً عن أي كلام لا طائل من ورائه بل ان سوء الكلام معه سوف يزيد من تماديه وحدّته ويولّد في نفسه طاقة سلبيّة يستخدمها ضدّك وأنت في غنى عن كلّ ذلك.

«وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ فَإِنْ كَانَ مَا تَدَّعِيهِ حَقّاً أَجْمَلْتَ فِي مُقَاوَلَتِهِ بِمَخْرَجِ الدَّعْوَى فَإِنَّ لِلدَّعْوَى غِلْظَةً فِي سَمْعِ الْمُدَّعَى عَلَيْهِ وَقَصَدْتَ قَصْدَ حُجَّتِكَ بِالرِّفْقِ وَأَمْهَلِ الْمُهْلَةِ وَأَبْيَنِ الْبَيَانِ وَأَلْطَفِ اللُّطْفِ وَلَمْ تَتَشَاغَلْ عَنْ حُجَّتِكَ بِمُنَازَعَتِهِ بِالْقِيلِ وَالْقَالِ فَتَذْهَبَ عَنْكَ حُجَّتُكَ وَلا يَكُونَ لَكَ فِي ذَلِكَ دَرَكٌ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وأمّا حقّ الخصم الذي تدّعي عليه فله حالتان أيضاً فان كان ما تدّعيه عليه حقاً فان من الحق عليك اجتناب الكلام الفظ معه وعدم تعنيفه والاقتصار على طرح القضية والأدلّة التي تثبت حقك عليه.

وهنا نجد انّ الامامعليه السلام يدفع باتّجاه طرح القضيّة موضوعيّاً بعيداً تماماً عن ابعادها الشخصيّة التي ترتبط بالجوانب الانفعاليّة التي لا تزيدها إلّا تعقيداً.

فالأفضل الاقتصار على مناقشة حيثيات القضية بعيداً عن كلّ اشكال المهاترة وتبادل الاتهامات.

منشأ الخصومة والاختلاف

إنّ من أماني الانسان أن يعيش حياته آمناً في هدوء ودعة لا يعتدي عليه أحد بعيداً عن الخصومة والعداوة الّا انه من جهة أُخرى تعتمل في نفسه نوازع الحرص والتفوق والسيطرة وحبّ الذات، وبالتالي فانه لا يقنع بما قسم له فتدعوه نفسه الى السيطرة على الآخر ومصادرة حقوقه.

ومن هنا يندلع النزاع بين أبناء البشر ومن الطبيعي ان تتفاقم النزاعات وتتزايد مع تنامي التركيز السكاني في بقعة جغرافية معينة وفي كلّ حالة نزاع لا يمكن أن يكون الطرفان على حق، بل ثمّة طرف على حق وآخر على باطل.

ولذا فان المجتمعات البشريّة بحاجة إلى قاض يفصل في النزاع ويعيد الحق الى نصابه ولقد أشرنا في ما مضى الى ان احدى العلل في ارسال الأنبياء وبعث الرسل هو للفصل في قضايا النزاع.

والشريعة الاسلاميّة تنظر أوّل ما تنظر إلى دعوة الناس جميعاً الى المحبّة

والأُخوّة والعيش بسلام بل تذهب إلى ما هو أبعد من ذلك إذ تشجع على روح الايثار والعفو والتسامح وبالتالي وأد بواعث النزاع في مهدها من خلال اشاعة روح المودّة والأُلفة.

﴿وَالَّذينَ جاؤُ مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنا اغْفِرْ لَنا وَلِإِخْوانِنَا الَّذينَ سَبَقُونا بِالْإيمانِ وَلا تَجْعَلْ في قُلُوبِنا غِلاًّ لِلَّذينَ آمَنُوا رَبَّنا إِنَّكَ رَؤُفٌ رَحيمٌ﴾[1].

وثمّة ثلاث صفات تشير إليها الآية الكريمة هي: أوّلاً: الاصلاح الذاتي من خلال طلب الغفران من الله عزّوجل وثانياً النظر إلى الذين سبقوا الى الايمان على انهم الأخ الأكبر الذي يتوجب احترامه، وثالثاً السعي في التخلّص من كلّ اشكال الكراهية والضغينة والغلّ.

و «الغلّ» على وزن سِل ومعناها في الأصل النفوذ الخفي لشيء ما ولذا يطلق على الماء الجاري بين الأشجار «الغلل» وبما أن الحسد والعداء ينفذ إلى داخل النفس الانسانيّة بطريقة خفيّة فقد اطلق على ذلك مفردة «الغل» ولا ينحصر الغل في الجسد بل يشمل كل صفة أخلاقيّة قبيحة ينطوي عليها الانسان.

ونلاحظ في الآية الكريمة ان غاية المسلم المؤمن المودّة والحب والتخلّص من كلّ أنواع الكراهية والحسد والأحقاد والعداوات والآية الآنفة الذكر ترتبط في حياة الناس في الدنيا أما الحياة في عالم الآخرة فقد جاء توصيفها في سورة الاعراف على هذا النحو:

﴿وَنَزَعْنا ما في صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ تَجْري مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهارُ وَقالُوا الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذي هَدانا لِهٰذا﴾[2].

---

(١) سورة الحشر: الآية ١٠.

(٢) سورة الاعراف: الآية ٤٣.

وهذه الحياة الجميلة يتطلّع إليها الانسان في عالم الدنيا فلا يكاد يجدها ولكن الله عزّوجل وعد عباده الصالحين بأن يحقّق لهم أمانيهم في عالم الخلود.

ومن خلال الآيات القرآنيّة نجد انّ الاسلام يدعو أوّلاً الى حياة هادئة طيّبة خالية من اشكال العدوان؛ حياة مفعمة بالصفاء والمحبّة والوئام، فاذا تعذّر اقامة هكذا حياة ونشبت النزاعات حينئذٍ يدعو الاسلام الى ما يعرف بـ«اصلاح ذات البين».

رفع الاختلاف والاصلاح

ثمّة باب في كتاب الكافي الجليل تحت عنوان «الاصلاح بين الناس» حيث يتوجب على المسلم إذا ما رأى نزاعاً بين اخوين أن يتدخّل للاصلاح بينهما وقد عُدّ هذا العمل من العبادات الكبرى.

وقد جاء في الروايات:

«عن حبيب الأحول قال: سمعت أبا عبداللهعليه السلام يقول: صدقة يحبّها الله إصلاح بين الناس إذا تفاسدوا وتقارب بينهم إذا تباعدوا»[١].

وجاء في رواية أُخرى:

«لأن أصلح بين اثنين أحب إليّ من أن أتصدّق بدينارين»[٢].

واذا ما تعذر الاصلاح بين طرفي النزاع حينئذٍ تبدأ مرحلة أُخرى وهي الترافع إلى محاكم القضاء ولقد شرّع الاسلام أفضل القوانين التي تكفل تحقيق

---

(١) أُصول الكافي: ج٢، ص٢٠٩.

(٢) المصدر نفسه.

العدالة وانصاف المظلوم من الظالم.

وثمّة شروط ومقوّمات يتوجب وجودها لدى القاضي حتّى ينصّب قاضياً وفي طليعتها العدالة حيث ينبغي توحيد النظرة إلى الطرفين وعدم الانحياز الى طرف ضد خصمه وأن يكون هدف القاضي في الفصل بين المتنازعين رضا الله عزّوجلّ ونجد من المناسب هنا التطرّق الى قوانين القضاء في الاسلام.

القوانين القضائيّة في الاسلام

إنّ أهم الخطى التي قطعتها أُمم أُوربا في مضمار القضاء يمكن ايجازها في ثلاث:

الف ـ التأكيد على استقلاليّة القاضي من خلال تدعيم موقعه ومصونيته حتّى يمكنه محاكمة الخائن مهما كان موقعه في الدولة.

ب ـ التأكيد على مرتّب القاضي الذي ينبغي أن يكون كبيراً يؤمّن له جميع احتياجاته حتّى لا يخضع للخائن الثري ويطمع برشوته، وقد قيل انّ بريطانيا هي أوّل دولة قامت بهذه الخطوة بحيث انها لم تحدّد سقفاً للراتب المخصّص له بل يتمّ تزويده بصكوك بيضاء موقّعة وما عليه الّا أن يكتب المبلغ الذي يريد فيصرف له حالاً.

ج ـ مساواة الجميع أمام القاضي بحيث لا يكون لأحد على آخر أي امتياز يذكر.

وهذه المواضيع الثلاثة تعدّ في الحقيقة أكبر انجاز علمي حدث في الغرب الاوربي؛ غير اننا نجد هذه الانجاز على نحو أكمل في النظام القضائي الاسلامي.

سلطة القاضي

منحت الشريعة الاسلاميّة القضاة سلطة مزيدة لا يتمتع بها سوى الحاكم ونائبه الخاص.

يقول الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام في عهده الشهير إلى مالك الأشتر عند ما أرسله حاكماً على مصر:

«ثمّ اختر للحكم بين الناس أفضل رعيتك في نفسك... واعطه من المنزلة لديك ما لا يطمع فيه غيره من خاصّتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال له عندك»[١].

وهكذا نجد ان القاضي يتمتع بسلطة كافية في استدعاء رأي مسؤول كبير في الدولة دون أن يخامره هاجس من خوف وخشية وبالتالي يمكنه من محاكمة أي شخص من غير أن ينظر إلى موقعه ومركزه السياسي.

الاستقلال المالي للقاضي

وحول استقلال القاضي فان منحه مرتباً كبيراً يضمن له الاستقلال المالي الذي هو الأساس في الاستقلال القضائي وقد ورد في كتاب العهد الذي بعثه الامام علي عليه السلام الى مالك الأشتر لما عيّنه حاكماً على مصر:

«وافسح له في البذل ما يزيل علته وتقل معه حاجته إلى الناس»[٢].

ويتضمّن هذا النص ما يشبه الحساب المفتوح الذي ينبغي تخصيصه للقاضي حتّى لا يطمع برشوته أحد.

---

(١) نهج البلاغة (نسخة الفيض): كتاب ٥٣.

(٢) نهج البلاغة (نسخة فيض): كتاب ٥٣.

وظائف القاضي

أمّا يخصّ الموضوع الثالث وهو المساواة فقد تحقّقت المساواة في المحكمة الاسلاميّة في أعلى درجاتها فالقاضي ملزم في أن يساوي بين المتخاصمين في كلّ شيء حتّى في المكان المخصّص بطرفي النزاع، حتّى لو كان أحدهما رئيس الدولة فانه موظّف بالجلوس على قدم المساواة مع أي مواطن عادي في أدنى المستويات.

وقد جاء في التاريخ انّ هارون الخليفة العبّاسي الشهير حجّ مرّة ثمّ بعد اتمامه حجّه توجّه إلى المدينة المنوّرة وصادف أن توفي القاضي وأراد تعيين قاض جديد فأرسل إلى عالم من علماء المدينة يمتحنه فلمّا دخل عليه ابتدع هارون نزاعاً مفبركاً مع وزيره وطلب منه الفصل في قضيّة النزاع.

ولما استمع العالم إلى حيثيات القضيّة حكم لهارون على وزيره وأذن هارون للعالم بالانصراف ثمّ أرسل إلى عالم آخر وعرض عليه ذات القضيّة فقال العالم: ليس لي أن أقضي في هذه المسألة.

فقال الخليفة: ولِمَ؟

فقال العالم: لأنّه لم تتوفّر شروط القضاء أنت جالس في صدر المجلس وخصمك واقف في أدنى المجلس، والشريعة توصي بوقف الخصمين على قدم المساواة.

وأعجب الخليفة بشهامة العالم ونصّبه قاضياً على المدينة.

ب ـ يجب على القاضي أن يساوي بين الخصمين المتنازعين حتّى بالنظرة

فلا يجوز له أن ينظر إلى أحدهما أكثر أو أقل من الآخر.

وقد كتب الامام علي عليه السلام كتاباً إلى محمّد بن أبي بكر حين ولّاه مصراً:

«فأخفض لهم جناحك وألن لهم جانبك وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظة والنظرة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم»[١].

وجاء في رسالة أُخرى يوصي بها الولاة والحكّام في حواضر الاسلام:

«وآس بينهم في اللحظة والنظرة والاشارة والتحيّة حتّى لا يطمع العظماء في حيفك ولا ييأس الضعفاء من عدلك»[٢].

الشهيد محمّد بن مكّي

قال الشهيد الأوّل حول ما يجب على القاضي:

«ويجب على القاضي التسوية بين الخصمين في الكلام والنظر وأنواع الاكرام والانصات والانصاف وله أن يرفع المسلم على الكافر في المجلس وأن يجلس المسلم مع قيام الكافر ولا تجب التسوية في الميل القلبي»[٣].

وهذا الحكم الفقهي يخص واجبات القاضي ازاء طرفي النزاع أما حين المقاضاة فيجب على القاضي في رأي الشهيد:

«وإذا بدر أحد الخصمين بالدعوى سمع منه ولو ابتدرا سمع من الذي عن يمين صاحبه واذا سكتا فليقل ليتكلّم المدعي منكما او تكلما ويكره تخصيص أحدهما

---

(١) المصدر نفسه: كتاب ٢٧.

(٢) المصدر نفسه: كتاب ٤٦.

(٣) اللمعة الدمشقيّة، كتاب القضاء.

بالخطاب»[١].

وهذا ما قاله الشهيد محمّد بن مكّي في كتابه الجليل اللـمعة الدمشـقيّة فـي ضرورة المساواة بين الخصمين الّا في حالة واحدة وهي اذا كان أحد الطـرفين كافراً.

المدّعي والمدّعىٰ عليه

أمّا من هو المدّعي ومن هو المنكر ؟ فيقول الشهيد الأوّل:

«المدعي هو الذي يترك لو ترك والمنكر مقابله».

يعني ان المدّعي هو الذي اذا انصرف عن دعواه تُرك الموضوع، أمّا المنكر فلو انه ترك لم يُترك بل يجب أن يقدّم جواباً عند تعرّضه للمسائلة.

وجواب المدّعىٰ عليه له ثلاث حالات، كما يقول الشهيد الأوّل:

«وجواب المدعى عليه إمّا اقرار أو إنكار أو سكوت»[٢].

ولكلّ حالة من هذه الحالات حكم:

البيّنة والقسم

جاء في كتاب وسائل الشيعة في أبواب كيفيّة الحكم وأحكام الدعوى الباب الثالث تحت هذا العنوان:

«البيّنة على المدّعي واليمين على المدعىٰ عليه».

---

(١) المصدر السابق

(٢) المصدر نفسه.

واستمراراً للحديث الأوّل والثاني والثالث من هذا الباب:

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيّنة على من ادّعى واليمين على من ادّعي عليه»[١].

«عن أبي بصير عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إنّ الله حكم في دمائكم بغير ما حكم به في أموالكم حكم في أموالكم أنّ البيّنة على المدّعي واليمين على المدعىٰ عليه، وحكم في دمائكم أنّ البيّنة على من ادّعي عليه واليمين على من ادّعىٰ لئلّا يبطل دم امرئ مسلم»[٢].

وجاء في جواب للامام الرضا عليه السلام عن سؤال وجه اليه:

«عن الرضا عليه السلام فيما كتب إليه من جواب مسائله في العلل: والعلّة في أنّ البيّنة في جميع الحقوق على المدّعي واليمين على المدعىٰ عليه ما خلا الدم لأنّ المدعىٰ عليه جاحد ولا يمكنه إقامة البيّنة على الجحود لأنّه مجهول وصارت البيّنة في الدم على المدعى عليه واليمين على المدعي لأنّه يحتاط به المسلمون لئلّا يبطل دم امرئ مسلم وليكون ذلك زاجراً وناهياً للقاتل لشدّة اقامة البيّنة على الجحود عليه لأنّ من يشهد على أنّه لم يفعل قليل»[٣].

ويشير النص أعلاه إلى فلسفة انعكاس الموضوع في القضايا الجنائيّة والقتل حيث يتعيّن على المتّهم أن يقدّم أدلّة النفي التي تثبت براءته من الاتهام أما في القضايا الحقوقيّة فانه يكفي المتهم أن يقسم على برائته في حين يتوجب على

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) وسائل الشيعة: ج١٨، ص١٧٠ ـ ١٧٣.

(٣) المصدر نفسه.

المدّعي أن يقدّم أدلّة الاثبات التي تجرّم المدّعى عليه.

أما الامام علي بن الحسين عليه السلام فانه يشير إلى الجانب الأخلاقي وحقوق كلّ من المدّعي والمدّعىٰ عليه:

«وَأَمَّا حَقُّ الْخَصْمِ الْمُدَّعِي عَلَيْكَ فَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِي عَلَيْكَ حَقّاً لَمْ تَنْفَسِخْ فِي حُجَّتِهِ وَلَمْ تَعْمَلْ فِي إِبْطَالِ دَعْوَتِهِ وَكُنْتَ خَصْمَ نَفْسِكَ لَهُ وَالْحَاكِمَ عَلَيْهَا وَالشَّاهِدَ لَهُ بِحَقِّهِ دُونَ شَهَادَةِ الشُّهُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ حَقُّ اللهِ عَلَيْكَ وَإِنْ كَانَ مَا يَدَّعِيهِ بَاطِلاً رَفَقْتَ بِهِ وَرَدَعْتَهُ وَنَاشَدْتَهُ بِدِينِهِ وَكَسَرْتَ حِدَّتَهُ عَنْكَ بِذِكْرِ اللهِ وَأَلْقَيْتَ حَشْوَ الْكَلامِ وَلَغْطَهُ الَّذِي لا يَرُدُّ عَنْكَ عَادِيَةَ عَدُوِّكَ بَلْ تَبُوءُ بِإِثْمِهِ وَبِهِ يَشْحَذُ عَلَيْكَ سَيْفَ عَدَاوَتِهِ لِأَنَّ لَفْظَةَ السُّوءِ تَبْعَثُ الشَّرَّ وَالْخَيْرُ مَقْمَعَةٌ لِلشَّرِّ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

ولذا فانه عليه السلام يدعو طرفي النزاع والخصومة للاذعان الى الحق واجتناب الظلم والجور.

أجل ان من يتبع هذه التعاليم السامية فانه سيكون يوم القيامة من الفائزين.

وثمّة موضوع آخر في ختام هذا البحث وهو ضرورة أن يترافع طرفا النزاع الى قاض عادل من أهل الولاية وعدم الترافع الى القضاة الجائرين وقد بحث هذا الموضوع على نحو مفصّل وجاءت فيه روايات جمّة.

المادّة التاسعة والثلاثون: حقّ المستشير

وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَشِيرِ فَإِنْ حَضَرَكَ لَهُ وَجْهُ رَأْيٍ جَهَدْتَ لَهُ فِي النَّصِيحَةِ وَأَشَرْتَ إِلَيْهِ بِمَا تَعْلَمُ أَنَّكَ لَوْ كُنْتَ مَكَانَهُ عَمِلْتَ بِهِ وَذَلِكَ لِيَكُنْ مِنْكَ فِي رَحْمَةٍ وَلِينٍ فَإِنَّ اللِّينَ يُؤْنِسُ الْوَحْشَةَ وَإِنَّ الْغِلَظَ يُوحِشُ مَوْضِعَ الْأُنْسِ وَإِنْ لَمْ يَحْضُرْكَ لَهُ رَأْيٌ وَعَرَفْتَ لَهُ مَنْ تَثِقُ بِرَأْيِهِ وَتَرْضَى بِهِ لِنَفْسِكَ دَلَلْتَهُ عَلَيْهِ وَأَرْشَدْتَهُ إِلَيْهِ فَكُنْتَ لَمْ تَأْلُهُ خَيْراً وَلَمْ تَدَّخِرْهُ نُصْحاً وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

وهنا نلاحظ انّ الامام يحدّد حقّاً أخلاقيّاً لمن يطلب المشورة اذ يتعيّن على المستشار أن يبذل قصارى جهده في تقديم المشورة وعلى المستشار أيضاً أن يكون مرناً في تعامله مع المستشير ما يشعره بأنه يشاركه همومه من خلال التعاطف معه.

وفي حالة عجزك عن تقديم المشورة اللازمة وكنت تعرف انساناً يتمتع بالقابليّة في هكذا استشارات فانه يتوجب عليك أن ترشده إليه وبهذا تكون قد أوفيت بحقوق المستشير.

موضوع المشاورة في الاسلام

ان في طليعة القضايا الاجتماعيّة الهامة في الاسلام المشورة التي تسهم في تنضيج الأفكار والأعمال؛ وبدون الاستشارة والمشورة يبقى العمل ناقصاً ومهما

بلغ الانسان من النضج في الفكر والتفكير فانه لا يمكنه أن يلمّ بجميع حقول الحياة ذلك انه ينظر إلى غالب المسائل من خلال بعد محدد أكثر من غيره وتبقى كثير من الابعاد في الظل فهي مجهولة لديه.

أمّا عند ما يتداول الأفكار والآراء مع غيره وعند ما يطلب المشورة من شخص له باع وخبرة في ما يفكر فيه فكأنّه يشارك الآخرين في عقولهم ويفكر من خلالهم وبالتالي فانه يتوصّل إلى فكرة ناضجة بصدد ما يفكّر فيه.

انّ موضوع المشاورة في الاسلام تبلغ من الأهميّة بحيث نجد انّ النبي الأكرم ﷺ وبالرغم من نبوّته والوحي الذي ينزل عليه من السماء وما يتمتّع به من عبقريّة فانّه كان يستشير أصحابه في كثير من القضايا التي لا علاقة لها بالتشريع.

آثار المشاورة

١ ـ ان من يستشير أهل الخبرة في شأن من الشؤون لا يقع في ما يقع فيه الغير من الأخطاء أما الذي يستبدّ برأيه ويرى نفسه في غنىً عن الاستشارة فانه ومهما بلغ من قدراته الفكريّة فانه يقع في أخطاء لأنّه لم يفكّر في جميع جوانب العمل الذي أقدم عليه.

انّ الاستبداد في الرأي يؤدّي إلى التصادم الفكري ويوقف تدفق الأفكار ويقضي على القابليات.

٢ ـ انّ الذي يستشير ذوي المعرفة والعلم والخبرة والرأي فانّه قلّما يواجه حسد الآخرين عند نجاحه لأنّ الآخرين الذين قام بالتشاور معهم سيعتبرون نجاحه نجاحاً لهم ولهذا فانّ الذي يقدّم أفكاراً للآخرين تواجه النجاح لا يحسد من تبناها ونجح لأنّه ذلك يعد نجاحاً له في الأصل.

واذا ما اخفق ذلك الشخص فانه لن يواجه شماتة الشامتين أو لومهم لأنّهم هم الذين أشاروا عليه بما قام به وأخفق بل سيجد منهم التضامن والتعاطف وربما العون اللازم.

٣ ـ انّ من فوائد وآثار المشورة هو أن الانسان سوف يدرك ويكتشف شخصية الآخرين ومدى صداقتهم أو عدائهم ومن خلال هذا الاكتشاف سوف يمهد الطريق إلى النجاح ولعلّ النبي صلى الله عليه وآله واضافة الى ما يعمل من أجل تنمية هذه الروح في اتباعه فانه يهدف إلى كلّ ما ورد أعلاه أيضاً.

المشاورة من وجهة نظر القرآن الكريم

﴿ فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلينَ ﴾[١].

و«الفظ» في اللغة تعني الحادّ في كلامه والعنيف الخشن «غليظ القلب» القاسي، فالمراد ربما من هو في كلامه حدّة ومن في سلوكه عنف وخشونة[٢].

وقد نزلت الآية الكريمة في حوادث معركة أُحد تتحدّث عن بعض مواصفات القائد الموفق، حيث ينبغي للقائد الناجح أن يعفو ويصفح وأن يتحلّى بالمرونة ولهذا فقد أشارت الآية إلى هذا المعنى؛ فانّ القائد إذا كان فظّاً غليظاً فسوف ينفضُّ من حوله أنصاره وبالتالي سوف يفشل.

---

(١) سورة آل عمران: الآية ١٥٩.

(٢) التفسير الأمثل: ج٣، ص١٤١.

وقد ورد في الآية الكريمة قوله تعالى مخاطباً النبي ﷺ: ﴿وَشاوِرْهُمْ فِي الأَمر﴾ والأمر مفهوم واسع جداً يشتمل على كثير من الدلالات غير انه من البديهي جداً ان هذا المفهوم لا يشمل الأحكام الالهيّة؛ فمن غير المعقول أبداً أن يستشير النبي ﷺ الناس في قضايا الأحكام الالهيّة بل انّ الناس تابعون للوحي. واذن فان التشاور انما ينحصر في كيفية اجراء الأحكام، بعبارة أُخرى انّ النبي ﷺ لا يستشير في أصل التشريع وانما في كيفية تطبيق القانون الالهي في واقع الحياة كما حدث في معركة بدر؛ فقد رأى النبي ﷺ أن يعسكر في مكان فانبرى الحباب بن المنذر متسائلاً ما إذا كان هذا بأمر من الله. فلما قال النبي ﷺ: لا، حينئذٍ أشار الصحابي أن يعسكر المسلمون في مكان آخر بعد أن بيّن مزاياه الاستراتيجيّة.

وثمّة آية أُخرى في مبدأ التشاور وهي قوله تعالى:

﴿وَالَّذينَ اسْتَجابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمّا رَزَقْناهُمْ يُنْفِقُونَ﴾[١].

ومتى ما جاءت مفردة «شورى» مصدر أو بمعنى المشاورة فانه يجب أن تقدر على هذا النحو: «ذو شورى» فتصبح الجملة أمرهم ذو شورى بينهم. وقد ذهب بعض المفسرين الى حملها على المبالغة والتأكيد ذلك. ان ذكر المصدر مكان الوصف يؤدّي عادة هذا المعنى، ولكن اذا كانت «الشورى» بمعنى التشاور في عمل ما؛ فيكون المعنى كما ذهب إليه الراغب الاصفهاني في قوله: «الأمر الذي يتشاور فيه» وحينئذٍ لا حاجة للتقدير[٢].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٨.

(٢) التفسير الأمثل: ج ٢٠، ص ٤٦١.

وقد جاءت هذه المسألة الاجتماعيّة المهمّة بعد الاستجابة الى دعوة الحق حيث تبقى الأعمال ناقصة بدون القيام بها وقد سميت السورة بهذا الاسم «الشورى» انطلاقاً من هذه الآية.

المشاورة في الروايات

تشتمل الروايات على اشارات عديدة في أهمية المشاورة ودورها الاجتماعي في الحياة.

قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«ما شقى عبد قطّ بمشورة ولا سعد باستغناء رأي»(١).

وقال الامام علي عليه السلام:

«من استبدّ برأيه هلك ومن شاور الرجال شاركها في عقولهم»(٢).

وجاء في الحديث الشريف عن النبي صلى الله عليه وآله قوله:

«إِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ خِيَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سُمَحَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهْرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا وَإِذَا كَانَ أُمَرَاؤُكُمْ شِرَارَكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ بُخَلاءَكُمْ وَأُمُورُكُمْ إِلَى نِسَائِكُمْ فَبَطْنُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ ظَهْرِهَا»(٣).

وقال الامام موسى بن جعفر عليه السلام:

«يا هِشام مُجَالَسَةُ أَهْلِ الدِّينِ شَرَفُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مُشَاوَرَةُ الْعَاقِلِ النَّاصِحِ رُشْدٌ

---

(١) المصدر السابق: ج٣، ص١٤٥.

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح): الحكمة ١٦١.

(٣) تفسير الأمثل: ج٣، ص١٤٥.

وَيُمْنٌ وَتَوْفِيقٌ مِنَ اللهِ فَإِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ النَّاصِحُ الْعَاقِلُ فَإِيَّاكَ وَالْخِلافَ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ الْعَطَبَ»(١).

من نشاور؟

جاء في كتاب «وسائل الشيعة» باب ٢١ و٢٢ من أبواب أحكام العشرة في هذا المضمار وهو من الذي نستشير؟ روايات حول هذا الموضوع:

«عَن جعفر بن محمّد، عن أبيه، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللهِ: مَا الْحَزْمُ قَالَ مُشَاوَرَةُ ذَوِي الرَّأْيِ وَاتِّبَاعُهُمْ»(٢).

«وَعَنْهُ عليه السلام قال: وَفِيمَا أَوْصَى بِهِ رسول الله صلى الله عليه وآله عَلِيّاً عليه السلام قَالَ: لا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ وَلا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ»(٣).

وروى الامام الصادق عليه السلام وصايا النبي صلى الله عليه وآله الى وصيه الامام علي عليه السلام ومنها:

«لا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ وَلا عَقلَ كالتدبير».

وروى عن الامام الباقر عليه السلام قوله في التوراة أربعة أسطر ففي السطر الأوّل مكتوب: **«مَنْ لا يَسْتَشِيرُ يَنْدَم»**(٤).

وقال الامام علي عليه السلام: **«لا ظهير كالمشاورة»**(٥).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

---

(١) تحف العقول: ص٢٩٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج٨، ص٤٢٤ ـ ٤٢٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه.

«استشر في أمرك الذين يخشون ربّهم»(١).

وقال عليه السلام أيضاً:

«اسْتَشِرِ الْعَاقِلَ مِنَ الرِّجَالِ الْوَرِعَ فَإِنَّهُ لا يَأْمُرُ إِلَّا بِخَيْرٍ وَإِيَّاكَ وَالْخِلافَ فَإِنَّ مُخَالَفَةَ الْوَرِعِ الْعَاقِلِ مَفْسَدَةٌ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا»(٢).

وقال عليه السلام أيضاً:

«إِنَّ الْمَشُورَةَ لا تَكُونُ إِلَّا بِحُدُودِهَا فَمَنْ عَرَفَهَا بِحُدُودِهَا وَإِلَّا كَانَتْ مَضَرَّتُهَا عَلَى الْمُسْتَشِيرِ أَكْثَرَ مِنْ مَنْفَعَتِهَا لَهُ فَأَوَّلُهَا أَنْ يَكُونَ الَّذِي تُشَاوِرُهُ عَاقِلاً وَالثَّانِيَةُ أَنْ يَكُونَ حُرّاً مُتَدَيِّناً وَالثَّالِثَةُ أَنْ يَكُونَ صَدِيقاً مُؤَاخِياً وَالرَّابِعَةُ أَنْ تُطْلِعَهُ عَلَى سِرِّكَ فَيَكُونَ عِلْمُهُ بِهِ كَعِلْمِكَ بِنَفْسِكَ»(٣).

الذي يجب ألّا يستشار

لا شكّ في انّ التشاور لا يجوز مع أيّ كان وقد اشتملت الروايات على اشارات واضحة في هذا الصعيد وأشارت الى هذا الموضوع بصراحة وحددت مقومات لشخصيّة المستشار في طليعتها تقوى الله عزوجل والأمانة والصدق ونيّة الخير.

وفي غير هذه الحالة فان استشاره أشخاص لا يتحلّون بهذه الصفات يعد في الحقيقة مخاطرة واضحة النتائج.

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

جاء في عهد الامام علي عليه السلام إلى مالك الأشتر ما يعدد مقوّمات المستشار:

١ ـ «لا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْر».

٢ ـ «لا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلاً يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ وَلا جَبَاناً يُضَعِّفُكَ عَنِ الأُمُورِ».

٣ ـ «وَلا حَرِيصاً يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْر»[١].

وكما أسلفنا القول في أن المشورة هي استكشاف الطريق إلى تحقيق هدف معيّن وغاية ما.

ولذا يحذر الامام من استشاره الانسان البخيل والجبان والحريص الطماع الذي لا همّ له سوى جمع الثروة ذلك ان استشارة هكذا أشخاص تقود الانسان الى الهاوية. ولذا يحدّد الامام حقوق المستشار وواجباته في أنّه اذا ظهر له رأي صائب وفكرة ناجحة فعليه أن يقدّمها لمن استشاره وإلّا يتوجب عليه أن يدلّه على صاحب رأي وفكر والدال على الخير كفاعله كما يقال.

شورى الأعضاء الستّة في صدر الاسلام

ذهب فريق من المفسّرين وعلماء السنّة إلى أنّ الآية ١٥٩ من سورة آل عمران قد نزلت في شورى الأشخاص الستة وهنا أجد من اللازم الاشارة إلى هذا الموضوع الذي يجانب الحق والحقيقة لما يلي:

أوّلاً ـ ان مسألة انتخاب الامام وخليفة النبي صلى الله عليه وآله ووصيّه تكون من الله عزوجل فقط وقد اثبتت كتب الكلام هذه النظرية؛ ذلك انّ الامام كالنبي في

---

(١) نهج البلاغة (نسخة الفيض): رسالة ٥٣.

ضرورة توفر فيه الصفات التي تؤهله من قبيل العصمة والعلم التام وهذا لا يشخص الاّ من لدن الله عزوجل؛ فكما انّ النبي لا يمكن تحديده ونصبه بالانتخاب كذلك الامام لا يمكن تعيينه بالانتخاب والتشاور.

ثانياً ـ إنّ الشورى المؤلّفة من ستّة أشخاص لا تنطبق عليها موازين المشورة فاذا كان المقصود التشاور مع عموم المسلمين فلماذا حصرت في هؤلاء الستّة؟ واذا كان الهدف التشاور مع أهل الرأي ومفكّري الأمّة فالأمّة فيها أكثر من هذا العدد بكثير بل ان فيها من الصحابة العلماء الفقهاء عدد كبير من قبيل سلمان الذي شاوره النبي صلى الله عليه وآله وأبوذر والمقداد وابن عباس وحذيفة بن اليمان وأبي بن كعب وغيرهم؛ واذن فان حصر الشورى في هؤلاء الستة كان لأهداف سياسية.

ثالثاً ـ إننا نعرف ان الشورى وضعت في ظروف حرجة جداً وصلت إلى حدّ الأمر بالقتل اذا لم يتم يتوصل الى انتخاب خليفة معين خلال ثلاثة أيّام فقط وهذه الشروط مخالفة لروح الشريعة الاسلاميّة(١).

إنّ هذه الشورى تفتقد إلى الشرعية في الشكل والآليات واتجهت بالاسلام فادخلته في نفق مظلم لا تعرف نهايته.

«عن أبي الحسن الثالث عليه السلام قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَنْ جَاءَكُمْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ الْجَمَاعَةَ وَيَغْصِبَ الْأُمَّةَ أَمْرَهَا وَيَتَوَلَّى مِنْ غَيْرِ مَشُورَةٍ فَاقْتُلُوهُ، فَإِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَذِنَ فِي ذَلِكَ»(٢).

---

(١) التفسير الأمثل: ج٣ ص١٤٧ ـ ١٤٨.

(٢) عيون أخبار الرضا: ج٢، ص٦٢.

المادّة الأربعون: حقّ المشير

وَأَمَّا حَقُّ الْمُشِيرِ إِلَيْكَ فَلا تَتَّهِمْهُ بِمَا يُوقِفُكَ عَلَيْهِ مِنْ رَأْيِهِ إِذَا أَشَارَ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا هِيَ الْآرَاءُ وَتَصَرُّفُ النَّاسِ فِيهَا وَاخْتِلافُهُمْ فَكُنْ عَلَيْهِ فِي رَأْيِهِ بِالْخِيَارِ إِذَا اتَّهَمْتَ رَأْيَهُ، فَأَمَّا تُهَمَتُهُ فَلا تَجُوزُ لَكَ إِذَا كَانَ عِنْدَكَ مِمَّنْ يَسْتَحِقُّ الْمُشَاوَرَةَ وَلا تَدَعْ شُكْرَهُ عَلَى مَا بَدَا لَكَ مِنْ إِشْخَاصِ رَأْيِهِ وَحُسْنِ مَشُورَتِهِ فَإِذَا وَافَقَكَ حَمِدْتَ اللهَ وَقَبِلْتَ ذَلِكَ مِنْ أَخِيكَ بِالشُّكْرِ وَالْإِرْصَادِ بِالْمُكَافَأَةِ فِي مِثْلِهَا إِنْ فَزَعَ إِلَيْكَ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ.

وخلاصة هذه المادّة الحقوقيّة احترام المشير في كلّ الظروف فان أشار عليك بما لا تطمئن إليه فعليك أن تشكره مع ترك الخيار لك في عدم العمل بمشورته وإذا أشار عليك بما يفتح عليك فاضافة الى تقديم الشكر إليه فانه ينبغي عليك أن تستثمر أول فرصة في مكافأته وأن تضمر له الخير اذا ما جاء يستنجد بك أو يستشيرك.

الأمانة والصدق

في كتاب الوسائل باب تحت عنوان «باب وجوب نصح المستشير».

وجاء في الرواية الاولى:

«عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: أَتَى رَجُلٌ أَمِيرَالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام فَقَالَ لَهُ: جِئْتُكَ مُسْتَشِيراً إِنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ وَعَبْدَاللهِ بْنَ جَعْفَرٍ خَطَبُوا إِلَيَّ، فَقَالَ: أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ»[1].

---

(١) وسائل الشيعة: ج٨، ص٤٢٧.

ثمّ بيّن الامام علي عليه السلام رأيه:

وجاء في الرواية الثانية:

«عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: مَنِ اسْتَشَارَ أَخَاهُ فَلَمْ يَمْحَضْهُ مَحْضَ الرَّأْيِ سَلَبَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ رَأْيَهُ»[1].

وتشتمل الروايتان على موضوعين مهمّين الاول: ان المستشار مؤتمن والأمين لا يخون أبداً واذن يتعين على المستشير أو الذي يطلب المشورة ألّا يتهم المستشار في كلّ الظروف أو يظن به سوء وهذا من حقوق المستشار التي ينبغي الالتزام بها.

أما الرواية الثانية فانه يتوجب على المستشار أن يقدّم كلّ ما يمكن من أفكار جيدة وألّا يبخل عليه من استشاره بالآراء الصائبة ولو فعل ذلك فان الله سوف يسلبه قابلياته الفكريّة والعقليّة عقاباً لأنّه لم يقم بأداء شكر النعمة.

استشارة المرؤوسين

من الموضوعات التي تثير الاهتمام هي قيام الانسان باستشارة من هو دونه في المقام.

وقد جاء في كتاب الوسائل باب تحت عنوان «باب جواز مشاورة الانسان من دونه» حيث ورد في الحديث الثاني من هذا الباب:

«عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ يَسَارٍ قَالَ اسْتَشَارَنِي أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام مَرَّةً فِي أَمْرٍ فَقُلْتُ: أَصْلَحَكَ اللهُ مِثْلِي يُشِيرُ عَلَى مِثْلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ إِذَا اسْتَشَرْتُكَ»[2].

«عَنِ الْحَسَنِ بْنِ جَهْمٍ قَالَ: قَالَ كُنَّا عِنْدَ أَبِي الْحَسَنِ الرِّضَا عليه السلام فَذَكَرَ أَبَاهُ عليه السلام فَقَالَ: كَانَ

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه: ص٤٢٨.

عَقْلُهُ لا تُوَازَنُ بِهِ الْعُقُولُ وَرُبَّمَا شَاوَرَ الْأَسْوَدَ مِنْ سُودَانِهِ فَقِيلَ لَهُ: تُشَاوِرُ مِثْلَ هَـذَا؟ فَقَالَ: إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى رُبَّمَا فَتَحَ عَلَى لِسَانِهِ. قَالَ: فَكَانُوا رُبَّمَا أَشَارُوا عَلَيْهِ بِالشَّيْءِ فَيَعْمَلُ بِهِ مِنَ الضَّيْعَةِ وَالْبُسْتَانِ»[١].

رأي الامام علي عليه السلام

«عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عليه السلام أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ: عَلَيْكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ فَإِذَا خَالَفْتُكَ فَأَطِعْنِي»[٢].

وهذا يتطابق مع ما سلف من قول الامام السجاد عليه السلام:

«عَنْ عَلِيِّ بْنِ مَهْزِيَارَ قَالَ كَتَبَ إِلَيَّ أَبُو جَعْفَرٍ ع أَنْ سَلْ فُلاناً أَنْ يُشِيرَ عَلَيَّ وَيَتَخَيَّرَ لِنَفْسِهِ فَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَجُوزُ فِي بَلَدِهِ وَكَيْفَ يُعَامِلُ السَّلاطِينَ فَإِنَّ الْمَشُورَةَ مُبَارَكَةٌ قَالَ اللهُ لِنَبِيِّهِ فِي مُحْكَمِ كِتَابِهِ وَشٰاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذٰا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَإِنْ كَانَ مَا يَقُولُ مِمَّا يَجُوزُ كَتَبْتُ أُصَوِّبُ رَأْيَهُ وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ رَجَوْتُ أَنْ أَضَعَهُ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِنْ شَاءَ اللهُ وَشٰاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ قَالَ يَعْنِي الإِسْتِخَارَةَ»[٣].

وقال الامام علي عليه السلام:

«لا ظهير كالمشاورة»[٤].

قال الشاعر:

لا مشـــير كـــذي نـــصح ومـــقدرة ... في مشكل الأمر فاختر ذاك منتصحا

---

(١) المصدر نفسـه.

(٢) بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ١٠٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

المادّة الحادية والأربعون: حقّ المستنصح

«**وَأَمَّا حَقُّ الْمُسْتَنْصِحِ فَإِنَّ حَقَّهُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَيْهِ النَّصِيحَةَ عَلَى الْحَقِّ الَّذِي تَرَى لَهُ أَنَّهُ يَحْمِلُ وَيَخْرُجُ الْمخْرَجَ الَّذِي يَلِينُ عَلَى مَسَامِعِهِ وَتُكَلِّمَهُ مِنَ الْكَلامِ بِمَا يُطِيقُهُ عَقْلُهُ فَإِنَّ لِكُلِّ عَقْلٍ طَبَقَةً مِنَ الْكَلامِ يَعْرِفُهُ وَيَجْتَنِبُهُ وَلْيَكُنْ مَذْهَبُكَ الرَّحْمَةَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ**».

وتشتمل هذه المادّة الأخلاقيّة على تحديد حق للمستنصح أو الذي يطلب النصيحة بأن تخاطبه على مستوى عقله وادراكه وفكره ومنحه الرحمة.

ونصح على وزن فلس بمعنى الخلوص ونصح العسل يعني العسل المصفّى والنُصح (بضم النون) بمعنى الاخلاص.

وجاء في أقرب الموارد «نصحه نصحا ونصيحاً» بمعنى وعظه وأصفى له الودّ، وطلب له الخير المحض[1].

والنصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح وارادة الخير للمنصوح.

وتشغل النصيحة موقعاً في النظام الأخلاقي للاسلام وقد عرّف القرآن الكريم الأنبياء والرسل الالهيين على انهم كانوا من الناصحين لأقوامهم وهذه طائفة من الآيات التي تؤكّد هذا المعنى.

قال سيّدنا نوح عليه السلام لقومه:

---

(١) قاموس القرآن: ج٧، ص٧١.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ ما لا تَعْلَمُونَ ﴾(١).

وقال صالح عليه السلام لقومه:

﴿ فَتَوَلّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلٰكِنْ لا تُحِبُّونَ النّاصِحِينَ ﴾(٢).

وقال شعيب عليه السلام في قومه بعد أن يئس من هدايتهم وبعد أن حلّ بهم العذاب:

﴿ فَتَوَلّى عَنْهُمْ وَقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسالاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ آسىٰ عَلىٰ قَوْمٍ كافِرِينَ ﴾(٣).

ولقد كان الأنبياء عليهم السلام انّما ينصحون قومهم طلباً للخير والسعادة وكان من المفترض أن ترحب تلك الأقوام ولكن تلوّث تلك المجتمعات بالشرّ والأعمال السيّئة جعلهم لا يعون دعوات الخير والصلاح والهداية.

ومن المفيد أن نشير إلى انّ الشيطان يتظاهر بطلب الخير للناس ويتظاهر بنصحهم ولكن هدفه خداعهم فقد جاء ابليس إلى آدم وزوجه حواء وتظاهر بنصحهما وأقسم لهما بأنه من الناصحين.

جاء في سورة الأعراف:

﴿ وَقاسَمَهُما إِنِّي لَكُما لَمِنَ النّاصِحِينَ ﴾(٤).

ومن هنا ندرك ان العدو قد يرتدي ثوب الناصح الأمين ويتظاهر بالخير والصلاح كما فعل ذلك الشيطان وخدع آدم وحواء وتمكن من تحقيق هدفه في

---

(١) سورة الأعراف: الآية ٦٢.

(٢) سورة الأعراف: الآية ٧٩.

(٣) سورة الأعراف: الآية ٩٣.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٢١.

اغوائهما ولذا ينبغي الحذر وعدم الركون الى العدو وتحرّي المؤمن الأمين والصادق والعاقل في طلب النصح.

جاء في كتاب اصول الكافي باب تحت عنوان: «باب نصيحة المؤمن»:

«يَجِبُ لِلْمُؤْمِنِ عَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يُنَاصِحَهُ»(١).

وجاء في كتاب «مرآة العقول» للعلّامة المجلسي: المراد من النصيحة الارشاد إلى مصالح الدين والدنيا وتنبيه الغافلين والجهّال لدفع الضرر عنهم وجلب النفع لهم فاذا لم يقبلوا فمن باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يتم نصحهم وارشادهم.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لِيَنْصَحِ الرَّجُلُ مِنْكُمْ أَخَاهُ كَنَصِيحَتِهِ لِنَفْسِهِ»(٢).

الناصحون هم النخبة

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إِنَّ أَعْظَمَ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْشَاهُمْ فِي أَرْضِهِ بِالنَّصِيحَةِ لِخَلْقِهِ»(٣).

والمشي في هذا الحديث يمكن أن يعبّر على المشي الحقيقي وكذا يمكن أن يكون معبّراً عن السعي والاهتمام بهذا الجانب من الحياة الانسانيّة.

«عَنْ سُفْيَانَ بْنِ عُيَيْنَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَبَا عَبْدِاللهِ عليه السلام يَقُولُ: عَلَيْكُمْ بِالنُّصْحِ لِلهِ فِي خَلْقِهِ فَلَنْ تَلْقَاهُ بِعَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْهُ»(٤).

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص٢٠٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر نفسه.

والموضوع المهم الذي تطرحه الروايات في موضوع النصيحة هو الاخلاص في عمل الخير للناس ولأهداف وغايات سامية إمّا أن تكون النصيحة في مسار تحقيق أهداف شيطانيّة فانها لا تعود على الانسان بالخير أبداً.

وفي ضوء هذا ينبغي التأمّل في الحديث الشريف:

«قال رسول الله ﷺ: ثَلاثٌ لا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ إِخْلاصُ الْعَمَلِ لِلّهِ وَالنَّصِيحَةُ لِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَاللُّزُومُ لِجَمَاعَتِهِم»(١).

والمراد من النصيحة لأئمّة المسلمين اعانتهم على الحق وطاعتهم فيه وأمرهم به وتذكيرهم بحوائج العباد ونصحهم في رفق وعدل وتنبيههم عند الغفلة وارشادهم عند الهفوة وتحذيرهم ممّن يريد بهم السوء.

أمّا النصيحة لعامّة المسلمين ففي ارشادهم إلى مصالحهم في دنياهم وآخرتهم وكف الأذى عنهم والشفقة عليهم.

اسلوب النصح

من خلال ما ورد في الروايات ندرك ان للنصيحة غاية محدّدة وأُسلوب مناسب تأخذ بنظر الاعتبار الطرف المخاطب والاسلوب يتبع ظروف المخاطب بطبيعة الحال.

عنِ السجّاد عليه السلام قال: لَيسَ لكَ ان تتكلّم بما شِئْتَ لأنّ رسول الله ﷺ قال: رَحِمَ اللهُ عَبْداً قَالَ خَيْراً فَغَنِمَ أَوْ سَكَتَ عَنْ سُوءٍ فَسَلِمَ»(٢).

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ٢، ص٣٨٩.

(٢) المصدر السابق.

عن علي عليه السلام قال: إياك و الكلام فيما لا تعرف طريقته و لا تعلم حقيقته فإن قولك يدل على عقلك و عبارتك تنبئ عن معرفتك»[١].

قال ورقة بن نوفل:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم ... اني النذير فلا يغرركم أحد

لا شيء ممّا ترى تبقى بشاشته ... الّا الاله ويردى المال والولد

لم تغن عن هرمز يوماً ذخائره ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

«عن علي عليه السلام: حسن الكلام ما لا تمجه الآذان و لا يتعب فهمه الأفهام»[٢].

وقد عدّ الامام السجّاد عليه السلام هذا حقاً للمستنصح في أن يلين الناصح له الكلام ويحدثه بما يستوعبه عقله ثمّ يضيف إلى ذلك بعداً رائعاً هو الرحمة: «ليكن مذهبك الرحمة»، وهذا الاسلوب أكثر تأثيراً لأنّه يجد طريقه إلى القلب ويندمج مع قناعات الانسان لأنّ النصيحة باستخدام وسائل الارهاب والضغط والتهديد لا تجدي نفعاً على الاطلاق.

ونختتم هذا الفصل بهذه الرواية فيما جرى بين الامام الصادق عليه السلام وخليفة عصره أبي جعفر المنصور المشهور بالدوانيقي.

فقد جاء في بعض المدوّنات التاريخيّة انّ المنصور كتب إلى الامام الصادق عليه السلام: لِمَ لا تغشانا (تزورنا) كما يغشانا سائر الناس؟

فأجابه الامام عليه السلام:

«ليس عندنا ما نخافك من أجله ولا عندك من أمر الآخرة ما نرجوك له ولا أنت في

---

(١) شرح الغرر والدرر: ج٢، ص٣٢٠.

(٢) المصدر السابق: ص٣٣٢.

نعمة فنهنئك ولا تراها نقمة فنعزّيك بها فما نصنع عندك؟».

فكتب إليه المنصور: تصحبنا لتنصحنا!

فأجابه عليه السلام:

«من أراد الدنيا لا ينصحك ومن أراد الآخرة لا يصحبك».

فقال المنصور لمن كان عنده: والله لقد ميّز عندي منازل الناس؛ من يريد الدنيا ممّن يريد الآخرة وانه (يقصد الامام عليه السلام) ممّن يريد الآخرة لا الدنيا[١].

---

(١) بحار الأنوار: ج٤٧، ص١٨٤.

المادّة الثانية والأربعون: حقّ الناصح

«وَأَمَّا حَقُّ النَّاصِحِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ ثُمَّ تَشْرَئِبَّ لَهُ قَلْبَكَ وَتَفْتَحَ لَهُ سَمْعَكَ حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ ثُمَّ تَنْظُرَ فِيهَا فَإِنْ كَانَ وُفِّقَ فِيهَا لِلصَّوَابِ حَمِدَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ وَقَبِلْتَ مِنْهُ وَعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُفِّقَ لَهَا فِيهَا رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَأْلُكَ نُصْحاً إِلّا أَنَّهُ أَخْطَأَ إِلّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقّاً لِلتُّهَمَةِ فَلا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

وخلاصة هذه المادّة في انّ حقّ الناصح عليك أن تتواضع له وأن تـصغي له باحترام وتتأمّل ما يقول فان أصاب في كلامه حمدت الله عزّوجل وإن أخطأ فلا ينبغي أن تشك في نصيحته وفي قصده للخير.

جاء في غرر الحكم قول الامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«ليكن أحبّ الناس إليك المشفق الناصح»[1].

وقال عليه السلام في خطبته له:

«من أعرض عن نصيحة الناصح أُحرق بمكيدة الكاشح»[2].

وقال عليه السلام:

«أمّا بعد فانّ معصية الناصح الشفيق العالم المجرّب تـورث الحسـرة وتـعقّب

---

(١) شرح غرر و درر: ج٥، ص٥١.

(٢) المصدر السابق: ص٣٥٠.

النّدامة»[١].

وقال عليه السلام:

«اسمعوا النصيحة ممّن أهداها إليكم واعقلوها على أنفسكم»[٢].

وقال عليه السلام:

«أشفق الناس عليك أعونهم لك على صلاح نفسك وأنصحهم لك في دينك»[٣]

وقال عليه السلام:

«من أكبر التوفيق الأخذ بالنصيحة»[٤].

وقال عليه السلام:

«مناصحك مشفقٌ عليك محسن إليك ناظر في عواقبك مستدرك فوارطك ففي طاعته رشادك وفي مخالفته فسادك»[٥].

ويؤكّد الامام علي عليه السلام على أن تكون النصيحة على انفراد في الخفاء أما تقديم النصيحة في العلن فهي حالة من التقريع والتوبيخ.

يقول عليه السلام:

«نصحك بين الملأ تقريع»[٦].

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانجي: ج٢، ص٤١٢.

(٢) شرح غرر الحكم: ج٢، ص٢٤٢.

(٣) المصدر نفسه: ص٤٨٦.

(٤) نفس المصدر: ص٤٨٦.

(٥) المصدر نفسه: ص١٣٩.

(٦) المصدر نفسه: ص١٧٢.

المادّة الثالثة والأربعون: حقّ الكبير

«وَأَمَّا حَقُّ النَّاصِحِ فَأَنْ تُلِينَ لَهُ جَنَاحَكَ ثُمَّ تَشْرَئِبَّ لَهُ قَلْبَكَ وَتَفْتَحَ لَهُ سَمْعَكَ حَتَّى تَفْهَمَ عَنْهُ نَصِيحَتَهُ ثُمَّ تَنْظُرَ فِيهَا فَإِنْ كَانَ وُفِّقَ فِيهَا لِلصَّوَابِ حَمِدَ اللهَ عَلَى ذَلِكَ وَقَبِلْتَ مِنْهُ وَعَرَفْتَ لَهُ نَصِيحَتَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ وُفِّقَ لَهَا فِيهَا رَحِمْتَهُ وَلَمْ تَتَّهِمْهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ لَمْ يَأْلُكَ نُصْحاً إِلَّا أَنَّهُ أَخْطَأَ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عِنْدَكَ مُسْتَحِقّاً لِلتُّهَمَةِ فَلا تَعْبَأْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وكِبر على وزن عِنب جاء في القرآن الكريم:

﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾(١).

والمراد هنا الكبير في السن والعمر أو الشيخوخة:

﴿فَجَعَلَهُمْ جُذاذاً إِلاَّ كَبِيراً لَهُمْ﴾(٢).

والمراد هنا الكبر في الجسم والجثّة وتأتي هذه المفردة لتعبر عن القائد والزعيم كما جاء في سورة طه:

﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾(٣).

وفي هذه المادة الحقوقيّة الأخلاقيّة ثمّة حقوق للكبير في سنّه حيث يتوجب

---

(١) سورة آل عمران: الآية ٤٠.

(٢) سورة الأنبياء: الآية ٥٨.

(٣) سورة طه: الآية ٧١.

التعامل مع الانسان في هذه المرحلة من العمر بالتوقير والاحترام البالغ في المجتمع المسلم خاصّة إذا كان له فضل في الاسلام، فيجب تقديمه في السير واكرامه بهذا التقديم.

مراحل الحياة والعمر

تبدأ حياة الانسان بالضعف حيث يولد الانسان وهو ضعيف جداً لا حول له ولا قوّة ويختتم حياته كذلك بهذا الضعف البدني حيث مرحلة الشيخوخة مرحلة الوهن، هكذا هي حياة الانسان تبدأ بضعف ووهن وتنتهي بمثل ذلك مع فارق واحد أنّ الضعف الأول يتّجه نحو القوّة والارتقاء في القدرة البدنيّة أما الضعف الثاني فيتجه إلى مزيد من الوهن جاء في القرآن الكريم قوله تعالى:

﴿ اللهُ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً ﴾(١) وجاء في موضع آخر:

﴿ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلاَ يَعْقِلُونَ ﴾(٢).

وفي مرحلة الشيخوخة ينتكس الجسم حيث تنقلب القوى إلى العكس، فالادراك يتشتت والعضلات تضمر ويستشري الوهن في كلّ أنحاء الجسم وإذا بطراوة الشباب تستحيل الى تغضنات واذا بالشعر الفاحم يتحول إلى شعر أبيض كالقطن واذا بالذاكرة هي الاخرى تفقد ماسجلته من تجارب الحياة والذكريات.

قال تعالى في محكم كتابه يصف هذه الحالة:

---

(١) سورة الروم: الآية ٥٤.

(٢) سورة يس: الآية ٦٨.

﴿وَاللهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لاٰ يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئاً﴾[١].

وهذه المرحلة من السن حقاً من أسوأ المراحل حيث يتحوّل فيها الانسان إلى مجرّد ظل باهت حيث أعراض الشيخوخة أو ما يعرف في العصر الحاضر بـ«الزهايمر» التي تحيل الانسان الى كائن لا معنى لحياته.

قال ابن الرومي:

كفى بسراج الشيب في الرأس هاديا — لمن قد أضلته المنايا لياليا

وقال السيّد محسن الأمين العاملي:

باتت تعيّرني بالشيب حين بدا — فقلت هيهات ما بالشيب من عار
ما شاب حلمي ولا عزمي ولا نقصت — يا ميّ بالشيب لذاتي وأوطاري

وقال الشاعر:

الشيب في رأس الفتى حلم به — والشيب في رأس الفتاة قبيح
والخال في خد الفتى عيب به — والخال في خد الفتاة مليح

وقال دعبل الخزاعي:

أهلاً وسهلاً بالمشيب فانه — سمة العفيف وحلية المتحرج
ضيف المّ بمفرقي فقريته — رفض الغواية واقتصاد المنهج

على هامش الحياة

ان من أكبر المصائب التي يعانيها الانسان في مرحلة الشيخوخة هي انفصاله

---

(١) سورة النحل: الآية ٧٠.

عن ركب الحياة ومسيرتها وشيئاً فشيئاً يركن الانسان الى الشطآن يتفرّج علىٰ أمواجها وهي تتدافع بقوّة؛ أما هو فقد استحال الى كم مهمل على هامش الحياة.

وشيئاً فشيئاً ينزوي الانسان اجتماعياً حتّى لا يعود يذكره أحد أو يأبه بوجوده أحد ثم تتضاعف هذه المأساة عند ما تتزعزع مكانته في اسرته حيث يصبح ظلّه ثقيلاً وتعصف به رياح شتاء العمر بزمهرير قارس فاذا حدثه أحد من أبنائه أو أحفاده حدثه ببرود وربما نهره أحدهم واذا باولاده ينطلقون مستمعين بحياتهم الخاصّه في رحلات ترفيهيّة تاركين أباهم كما تترك الأشياء المهملة وربما طوى ليلته تلك جائعاً وهو يشعر بالبرد في حرمان قاتل من دفئ الحياة.

صدمة اليأس

يروي الدكتور ادولف عضو معهد الجراحة الامريكي قصة امرأة عجوز في مستشفى «انترن» كانت في السبعين من العمر وقد جاءت الى المستشفى بعد ان تعرضت لكسر في عظم الفخذ.

يقول الدكتور انه فوجئ بعد اجراء الفحوصات باستجابات قوية في النسيج العظمي وقد هنأها الدكتور بسرعة الشفاء وأن بإمكانها مغادرة المستشفى في اليوم التالي ولقد كانت مبتهجة جداً.

وعند ما جاءت ابنتها لعيادتها أُخبرت بذلك ولكن الفتاة بدت في حالة قلق وقبل أن تجيب الطبيب المعالج ذهبت للتحدث مع والدتها أخبرتها بالحقيقة قالت لها:

-زوجي يرفض استقبالك ويقترح نقلك إلى دار العجزة.

وصدمت المرأة العجوز بشدّة وامتقع وجهها وغادرت تلك البسمة المشرقة وجهها وما أسرع أن تدهورت حالتها، ثمّ فارقت الحياة أثر نوبة قلبية بينما كانت قادرة على مغادرة المستشفى مشياً على قدميها.

لقد تحملت آلام انكسار العظم أما انكسار القلب فقد قضى عليها بعد ساعات معدودة فقط[١].

أجل انّ الانسان يحيا بالأمل إذ لا يأس مع الحياة ولا حياة مع اليأس.

ومن المؤسف أن نشاهد في عصرنا الحاضر كيف يقسو بعض الأبناء على آبائهم فيحرمونهم دفء الحياة العائليّة مع الأحفاد ويقذفون بهم بعيداً في دار العجزة ليقضوا ما بقي من سنوات العمر وحيدين يقاسون من زمهرير الحياة.

توقير الشيوخ

جاء في كتاب «اصول الكافي» باب تحت عنوان «وجوب اجلال ذي الشيبة المسلم» حيث يشتمل على روايات عديدة تصب في مسار توقير الشيوخ واحترامهم والتعامل معهم بمنتهى التوقير:

«عَنْ عَبْدِاللهِ بْنِ سِنَانٍ قَالَ: قَالَ لِي أَبُو عَبْدِاللهِ عليه السلام: إِنَّ مِنْ إِجْلالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِجْلالَ الشَّيْخِ الْكَبِيرِ».[٢]

وروي عن الامام الصادق عليه السلام قوله:

«قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله: مَنْ عَرَفَ فَضْلَ كَبِيرٍ لِسِنِّهِ فَوَقَّرَهُ آمَنَهُ اللهُ مِنْ فَزَعِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ».

---

(١) اثبات وجود الله: ص ٢٥٠.

(٢) اصول الكافي: ج ٢، ص ٦٥٨.

وجاء في الروايات أيضاً:

«عَنْ أَبِي عَبْدِاللهِ عليه السلام قَالَ: ثَلاثَةٌ لا يَجْهَلُ حَقَّهُمْ إِلّا مُنَافِقٌ مَعْرُوفٌ بِالنِّفَاقِ ذُو الشَّيْبَةِ فِي الْإِسْلامِ وَحَامِلُ الْقُرْآنِ وَالْإِمَامُ الْعَادِلُ»(١).

وجاء في رواية اخرى عن ابن سنان ان الامام الصادق حدّثه قائلاً:

«مِنْ إِجْلالِ اللهِ عَزَّوَجَلَّ إِجْلالُ الْمُؤْمِنِ ذِي الشَّيْبَةِ وَمَنْ أَكْرَمَ مُؤْمِناً فَبِكَرَامَةِ اللهِ بَدَأَ وَمَنِ اسْتَخَفَّ بِمُؤْمِنٍ ذِي شَيْبَةٍ أَرْسَلَ اللهُ إِلَيْهِ مَنْ يَسْتَخِفُّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ»(٢).

وجاء في الحديث القدسي:

«الشَّيْبَةُ نُورِي وأنا استحيي أن أعذّب نُورِي بِنَارِي»(٣).

وروى ابن أبي شيبة قال:

«نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن نتف الشيب وقال: هو نور المؤمن»(٤).

وجاء رجل من قبيلة هذيل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا نبي الله قد كبر سنّي ودقّ عظمي وضعفت قوّتي عمّا تعودته من الصلاة والصيام.

فقال صلى الله عليه وآله: أعد كلامك عليّ فما حولك صخرة ولا مدرة إلّا بكت رحمة لك فكيف لا يرحمك الرحمن(٥).

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إِنَّ اللهَ تَعَالَى يَنْظُرُ فِي وَجْهِ الشَّيْخِ الْمُؤْمِنِ صَبَاحاً وَمَسَاءً فَيَقُولُ يَا عَبْدِي كَبُرَ

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) شرح رسالة الحقوق للقبانجي: ج ٢، ص ٤٤٥.

(٤) المصدر السابق.

(٥) المصدر نفسه.

سِنُّكَ وَدَقَّ عَظْمُكَ وَرَقَّ جِلْدُكَ وَقَرُبَ أَجَلُكَ وَحَانَ قُدُومُكَ عَلَيَّ فَاسْتَحِ مِنِّي فَأَنَا أَسْتَحِي مِنْ شَيْبَتِكَ أَنْ أُعَذِّبَكَ بِالنَّارِ ثمّ بكى رسول الله صلى الله عليه وآله فقيل له: يا رسول الله ما يبكيك؟ قال ابكي من يستحيي الله منه وهو لا يستحيي من الله»[١].

احترام الشيوخ موجب للنجاة من العذاب

جاء في الروايات في باب توقير ذوي الشيب.

«قال رسول الله صلى الله عليه وآله: مَن وقّر ذا شيبةٍ لشيبته أمنه الله تعالى من فزعِ يوم القيمة»[٢].

وفي ختام هذا الفصل نورد بعض المقاطع الشعريّة لي الشيب والمشيب والعمر عند ما تؤذن شمسه بالمغيب.

ينسب إلى الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام قوله:

فان يكن الشباب مضى حبيباً　　فان الشيب لي أيضاً حبيب
سأصحبه بتقوى الله حتى　　يفرّق بيننا الأجل القريب

وقال أحدهم وقد مضى شبابه:

أهلاً وسهلاً بالمشيب ومرحبا　　أهلاً به من وافد ونزيل
اهدى الوقار وزال كل جهالة　　كانت وساق إليّ كل جميل

وقال آخر:

حيّ شيباً أتى لغير رحيل　　وشباباً مضى لغير أياب
أي شيء يكون أحسن من　　عاج مشيب في آبنوس شباب

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه.

المادّة الرابعة والأربعون: حقّ الصغير

«وَأَمَّا حَقُّ الصَّغِيرِ فَرَحْمَتُهُ وَتَثْقِيفُهُ وَتَعْلِيمُهُ وَالْعَفْوُ عَنْهُ وَالسَّتْرُ عَلَيْهِ وَالرِّفْقُ بِهِ وَالْمَعُونَةُ لَهُ وَالسَّتْرُ عَلَى جَرَائِرِ حَدَاثَتِهِ فَإِنَّهُ سَبَبٌ لِلتَّوْبَةِ وَالْمُدَارَاةُ لَهُ وَتَرْكُ مُمَاحَكَتِهِ فَإِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى لِرُشْدِهِ».

وفي هذه المادة الحقوقيّة الأخلاقيّة نجد الامام عليه السلام يقرّر مجموعة من الحقوق للصغير حيث يتوجب التعامل معه بحنان ومحبّة وتثقيفه وتعليمه وغضّ النظر عن أخطائه وأتباع منهج مفعم بالتسامح معه وتقديم كافّة أنواع العون والدعم له وعدم مماحكته بأي شكل من الأشكال.

وصِغر على وزن عنب أيضاً وتقف في المعنى مقابل كِبَر وأيضاً يستخدم للسن باعتبار سنوات العمر وأيضاً للحجم. وتشتمل هذه المادّة على منهج تربوي وتعليمي حيث هذه المرحلة العمريّة هي أخصب المراحل في نثر البذور التربويّة حيث يبدأ تبلور الشخصيّة واتّخاذها شكلاً محدّداً واضح الملامح.

إنّ الصغير كشجيرة الورد الطرية تحتاج إلى الرعاية والعناية من أجل ضمان نموها على نحو ايجابي وأبرز ما في حياة وشخصيّة الصغير مسألة حب الذات وفي طليعة الأساليب التربويّة في ارضاء حب الذات لدى الصغار هو التعامل معهم باحترام ومن هنا قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«أكرموا أولادكم وأحسنوا آدابكم»[١].

ونلاحظ انّ الامام السجّاد عليه السلام يجعل من حقوق الصغار التعامل معهم بالرفق والتسامح والغضّ عن اخطاء الصغير ودعمه ومساندته.

بذور الحب في نفوس الصغار

«عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عليه السلام أَنَّهُ دَعَا بَنِيهِ وَبَنِي أَخِيهِ فَقَالَ: إِنَّكُمْ صِغَارُ قَوْمٍ وَيُوشِكُ أَنْ تَكُونُوا كِبَارَ قَوْمٍ آخَرِينَ فَتَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَمَنْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ أَنْ يَحْفَظَهُ فَلْيَكْتُبْهُ وَلْيَضَعْهُ فِي بَيْتِهِ»[٢].

وتلاحظ في هذا الحديث عملية ترشيد تربوي وبذر الحب في طلب العلم لأن جيل الصغار هم جيل الغد الذي يرسم صورة المستقبل.

وهذا المنهج التعليمي يعد من المناهج الحديثة حيث ينطوي على ترشيد ايجابي وتنمية لحب الذات في مسار يصب في المصالح العامة للمجتمع؛ فهو أوّلاً يفعّل روح السعي والمثابرة واحترام الذات كما يمدّ الانسان بالأمل الذي يتغلب على تحدّيات الحياة.

الأسلوب التربوي الناجح

إنّ من الشروط الأساسيّة في تربيه الجيل الناشئ بل المجتمع على نحو عام هو وجود بيئة حياتيّة حرّة ذلك أنّ أي شكل من اشكال الارهاب وخنق الحريات

---

(١) مقالات فلسفيّة: ج٢، ص٩٠.

(٢) بحار الأنوار: ج١، ص١١٠.

والنظم الدكتاتورية يفضي الى القضاء على آمال الجيل.

وان أفضل بيئة تكفل نمو الطاقات والقابليات هي البيئة المفعمة بالهدوء والاستقرار والحريّة الفكريّة وفي ضوء ذلك ننظر الى ما ورد في السيرة الشريفة:

«عن ابن مسعود قال: أتى النبي ﷺ رجل يكلّمه فارعد، فقال: هوّن عليك فلست بملك»[١].

وقال:

«قال النبي ﷺ: من كان عنده صبيّ فليتصاب له»[٢].

«وَعَنِ الْأَصْبَغِ بْنِ نُبَاتَةَ قَالَ: قَالَ أَمِيرُالْمُؤْمِنِينَ عليه السلام: مَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ صَبَا»[٣].

و«قال ﷺ: رحم الله عبداً أعان ولده على برّه بالاحسان إليه والتألّف له وتعليمه وتأديبه»[٤].

احترام النبي ﷺ للأطفال

«كان ﷺ يقدم من السفر فيتلقاه الصبيان فيقف لهم ثمّ يأمر بهم فيُرفعون إليه فيرفع منهم بين يديه ومن خلفه ويأمر أصحابه أن يحملوا بعضهم فربّما يتفاخر الصبيان بعد ذلك فيقول بعضهم لبعض حملني رسول الله بين يديه وحملك أنت ورائه، ويقل بعضهم: أمر أصحابه أن يحملوك وراءهم»[٥].

---

(١) المصدر السابق: ص٤٧٩.

(٢) المصدر نفسه: ص١٣٠، نقلاً عن وسائل الشيعة: ج٥، ص١٢٦.

(٣) المصدر نفسه: ص١٣٠، نقلاً عن وسائل الشيعة: ج٥، ص١٢٦.

(٤) المصدر نفسه نقلاً عن مستدرك الوسائل: ج٢، ص٢٦٢.

(٥) محجّة البيضاء: ج٣، ص٣٦٦.

غضّ النظر عن أخطاء الصغار

ويدعو الامام السجاد إلى التستّر على اخطاء الصغار والتغافل عنها وهذا منهج ناجح في التنمية الأخلاقيّة وأُسلوب تربوي موفّق في بناء الشخصيّة السوية.

يقول الامام الصادق عليه السلام:

«عن أبي عبدالله عليه السلام: صَلاحُ حَالِ التَّعَايُشِ وَالتَّعَاشُرِ مِلْءُ مِكْيَالٍ ثُلُثَاهُ فِطْنَةٌ وَثُلُثُهُ تَغَافُلٌ»[(١)].

وثمّة تأكيد على هذا الأُسلوب في التعامل الاجتماعي من لدن النبي صلى الله عليه وآله عند ما يقول:

«عن النبي قال صلى الله عليه وآله: المؤمن نصفه تغافل»[(٢)].

مع الاشارة إلى انه يوجد نوعان من التغافل، فهناك تغافل مذموم وتغافل ممدوح والأخير هو الذي تدعو إليه الثقافة الاسلاميّة وهو ما ينشأ عن عقل ومصلحة حيث يتغافل المرء عن حسن نيّة ولأهداف سامية.

وينضوي تغافل الآباء والمربين تحت هذا العنوان لأهداف تربويّة، فعلى سبيل المثال ظاهرة السرقة وهي شائعة بين أطفال العالم بأسره، ذلك ان غريزة التملّك قويّة لدى الصغار وعادة ما يحاول الطفل الاستيلاء على أيّ شيء يستهويه بل انه ربما ينظر الى كلّ شيء على انه ملك له خاصّة في ما يتعلّق بلعب الأطفال، أو أن يقوم الطفل بالبحث عن النقود في جيب والده وقد يتساءل الأب عمّا اذا أخذ أحدهم نقوداً من جيبه؟

---

(١) تحف العقول: ص٢٦٤.

(٢) المقالات الفسلفيّة: ج١، ص٤٠٥.

فتردّ الأم بعتب أو استنكار وهل في اسـرتنا لصـوص؟ فـيقول الأب ربـما سقطت مني دون أن انتبه أو انني عند ما اشتريت الفاكهة الفلانيّة سلّمني البائع مبلغاً أقل ممّا أتصوّر. أما الصغير الذي أخذ النقود فانه سوف يفكّر في تلك الليلة ويندم على ما فعل وقد يقرّر عدم تكرار ما حدث وهذا ما عناه الامام السجاد عليه‌السلام في قوله: «والستر على جرائر حداثته فانه سبب للتوبة والمداراة له وترك مماحكته فان ذلك أدنى لرشده».

المادّة الخامسة والأربعون والسادسة والأربعون: حقّ السائل وحق المسؤول

حقّ السائل

«وَأَمَّا حَقُّ السَّائِلِ فَإِعْطَاؤُهُ إِذَا تَهَيَّأَتْ صَدَقَةٌ وَقَدَرْتَ عَلَى سَدِّ حَاجَتِهِ وَالدُّعَاءُ لَهُ فِيما نَزَلَ بِهِ وَالْمُعَاوَنَةُ عَلَى طَلِبَتِهِ وَإِنْ شَكَكْتَ فِي صِدْقِهِ وَسَبَقَتْ إِلَيْهِ التُّهَمَةُ لَهُ وَلَمْ تَعْزِمْ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ تَأْمَنْ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ أَرَادَ أَنْ يَصُدَّكَ عَنْ حَظِّكَ وَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ التَّقَرُّبِ إِلَى رَبِّكَ تَرَكْتَهُ بِسَتْرِهِ وَرَدَدْتَهُ رَدّاً جَمِيلاً وَإِنْ غَلَبْتَ نَفْسَكَ فِي أَمْرِهِ وَأَعْطَيْتَهُ عَلَى مَا عَرَضَ فِي نَفْسِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ».

حقّ المسؤول

«وَأَمَّا حَقُّ الْمَسْئُولِ فَحَقُّهُ إِنْ أَعْطَى قُبِلَ مِنْهُ مَا أَعْطَى بِالشُّكْرِ لَهُ وَالْمَعْرِفَةِ لِفَضْلِهِ وَطَلَبِ وَجْهِ الْعُذْرِ فِي مَنْعِهِ وَأَحْسِنْ بِهِ الظَّنَّ وَاعْلَمْ أَنَّهُ إِنْ مَنَعَ مَالَهُ مَنَعَ وَأَنْ لَيْسَ التَّثْرِيبُ فِي مَالِهِ وَإِنْ كَانَ ظَالِماً فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ».

وخلاصة هذين الحقّين المتقابلين (السائل والمسؤول) من وجهة نظر الامام عليه السلام هو عدم حرمان السائل اذا كان المسؤول قادراً على تلبية طلبه وسدّ حاجته وتقديم العون له. وفي حالة شكّ المسؤول في صدق السائل فليكن ردّ

المسؤول جميلاً وإن كان عزم الأُمور في الاستجابة للسائل في جميع الأحوال.

وأمّا حقّ المسؤول فشكره على كل ما يقدّم، مع الاعتراف بفضله وحسن الظن به لأنّ الانسان مجبول على منع ماله حبّاً له.

السؤال في محلّه وفي غير محلّه

السؤال من أجل التعلّم أمر يمتدحه الدين الاسلامي بل إنّ القرآن الكريم أمر بالسؤال:

﴿ فَسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاٰ تَعْلَمُونَ ﴾[1].

والسؤال في الآية الكريمة أعلاه نافذة مفتوحة على اكتساب العلم والتعلّم.

الّا ان المادّة الحقوقيّة حول السائل والمسؤول فتعنى في الجانب المادي والمالي تحديداً.

والاسلام بشكل عام ينظر سلباً الى السؤال فهو يصطدم مبدئياً بالكرامة الانسانيّة ولكن الظروف المعاشية والاجتماعيّة والنظم الاقتصاديّة السائدة تفرز حالة من التمييز وبالتالي ظهور طبقة من الأغنياء وطبقة من الفقراء ولقد أشار القرآن الكريم الى حقوق الفقراء في أموال الأغنياء.

قال تعالى في سورة المعارج:

﴿ وَالَّذِينَ في أَمْوٰالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسّٰائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ ﴾[2].

وقال تعالى في سورة الضحى:

---

(١) سورة النحل: الآية ٤٣.

(٢) سورة المعارج: الآيتين ٢٤ ـ ٢٥.

﴿وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾[١].

هل المراد من الحق الزكاة والخمس والحقوق الشرعيّة الاخرى أو ما أوجبوه على أنفسهم وفي الحالة الثانية هل هناك حقوق أُخرى؟ ثمّة من يذهب الى الحالة الثانية حيث الحقوق الواجبة شرعاً تشمل الجميع سواء كانوا أتقياء أو غير أتقياء فاذا سلّمنا للحالة الثانية فهذا يعني ان المصلّين قد أوجبوا على أنفسهم حقوقاً من أموالهم للمحرومين والمحتاجين.

وفي الآية الثانية فانّ «لا تنهر» مشتقة من «نهر» بمعنى الطرد المقترن بالعنف والفظاظة ولا يبعد أن يكون جذرها هو جذر «نهر» الذي يجري فيه الماء ذلك ان أمواج الماء تطّرد متلاحقة بشدّة.

أما المراد من السائل ما هو؟ فثمّة تفسيرات مختلفة أوّلاً السائل في القضايا والمسائل العلمية والعقائدية والثاني الفقير مادياً والثالث انّ المراد الاثنين معاً.

ذمّ السؤال في الروايات

تشتمل الروايات الواردة عن أهل البيت عليهم السلام على ذمّ شديد لظاهره الكدية والشحاذة وأن يمدّ الانسان يده إلى هذا وذاك يطلب منه مالاً لأن هذا يدلّ على عدم ثقة بالله عزّوجلّ الذي يرزق عباده دون حساب.

وعند ما يمدّ الانسان يده الى غير الله وإلى من هو نظير له في الخلق معنى هذا انه يضحي بكرامته الانسانيّة.

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله تبارك وتعالى أحبّ شيئاً لنفسه

---

(١) سورة الضحى: الآية ١٠.

وأبغضه لخلقه أبغض لخلقه المسألة وأحبّ لنفسه أن يسأل وليس شيء أحبّ إلى الله عزّوجل من أن يسأل فلا يستحي أحدكم أن يسأل الله من فضله ولو شسع نعله»[١].

والسؤال الذي تشير إليه الرواية واضح انه يخص سؤال التكدي ومدّ الانسان يده إلى غيره؛ لأنّ الله عزّوجل يريد لعباده العزّة والكرامة وما على الانسان الّا أن يمدّ يده إلى الله يسأله كلّ شيء صغيراً كان أو كبيراً فالرواية تذكر أنّ على الانسان أن يسأل الله حتّى شسع النعل.

وجاء في رواية أُخرى:

«إيّاكم وسؤال الناس فانّه ذُلّ في الدنيا وفقر تعجلونه وحساب طويل يوم القيامة»[٢].

وجاء في الروايات أيضاً:

«وعن الحسين بن أبي العلا قال: قال أبو عبدالله عليه السلام: رحم الله عبداً عفّ وتعفّف وكفّ عن المسألة فانه يتعجل الدنية في الدنيا ولا يغني الناس عنه شيئاً»[٣].

كرامة الانسان

قال تعالى:

﴿وكرّمنا بني آدم﴾.

انّ الله عزّوجل يريد لعباده الكرامة فعلى الانسان أن يكرم نفسه ويرتفع بها

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانجي: ج ٢، ص٤٧٨ ـ ٤٧٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

عن الدناءة وعن ذلّة السؤال وقد جاء في وصايا أميرالمؤمنين علي عليه السلام إلى ابنه الحسن عليه السلام:

«وأكرم نفسك عن كلّ دنيّة وإن ساقتك إلى الرغائب فانّك لن تعتاض بما تبذل من نفسك عوضاً ولا تكن عبد غيرك وقد جعلك الله حرّاً»(١).

وجاء في جانب آخر من هذه الوصايا:

«وإن استطعت أن لا يكون بينك وبين الله ذو نعمة فافعل فانك مدرك قسمك وآخذ سهمك وانّ اليسير من الله سبحانه أعظم وأكرم من الكثير من خلقه وإن كان كلّ منه»(٢).

ولهذا يؤكّد الامام عليه السلام على ابنه السبط عليه السلام على ذلك قائلاً:

«إن استطعت أن لا يكون وبين الله ذو نعمة فافعل».

حذار من ذلّة السؤال!

يقول الامام زين العابدين عليه السلام:

«طلب الحوائج إلى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر»(٣).

وقال الامام الصادق عليه السلام:

«طلب الحوائج إلى الناس استلاب للعز ومذهبة للحياء واليأس ممّا في أيدي الناس عزّ للمؤمن في دينه والطمع هو الفقر الحاضر»(٤).

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) نهج البلاغة (صبحي صالح): كتاب ٣١.

(٣) بحار الأنوار: ج٧٨، ص٣٦.

(٤) جامع السعادات: ج٢، ص٩٧.

وقال النبي الأكرم ﷺ:

«من فتح على نفسه باب مسألة فتح الله عليه سبعين باباً من الفقر لا يسدّ أدناها شيء»(١).

وجاء في وصايا النبي ﷺ لأبي ذرّ الغفاري:

«يا أباذر إيّاك والسؤال فانّه ذلّ حاضر وفقر تتعجّله وفيه حساب طويل يوم القيامة يا أباذر لا تسأل بكفّك وإن أتاك شيء فاقبله»(٢).

وقال الامام الرضا عليه السلام:

«قال رجل للنبي ﷺ: علّمني عملاً لا يحال بينه وبين الجنّة، قال: لا تغضب ولا تسأل الناس وارض للناس ما ترضى لنفسك»(٣).

وجاء في الديوان المنسوب للامام أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

كد كد العبد إن أحببت أن تصبح حرّاً
واقطع الآمال عن مال بني آدم طرّاً

ونسب إلى الامام الحسين عليه السلام هذان البيتان:

اغن عن المخلوق بالخالق تغن عن الكاذب بالصادق
واسترزق الرحمة من فضله فليس غير الله من رازق

وقال الشاعر:

ما اعتاض باذل وجهه بسؤاله عوضاً ولو نال الغنى بسؤال

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ج ٢، ص ٤٨٤.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر نفسه.

وإذا النوال مع السؤال وزنته رجح السؤال وخفّ كلّ نوال

ونسب إلى الامام علي عليه السلام: قوله:

لحمل الصخر من قلل الجبال أحب إليّ من منن الرجال

يقول الناس لي في الكسب عار وإنّ العار في ذُلّ السؤال

ورأى الامام علي عليه السلام رجلاً في عرفات يسأل الناس فضربه في السوط وقال له: أفي مثل هذا اليوم تسأل غير الله.

ورأى النبي صلى الله عليه وآله رجلاً يهمّ بالسؤال فقال بصوت يسمعه:

ـ من سألنا أعطيناه ومن استغنى أغناه الله (ومن لم يسألنا أحبّ إلينا)[1].

فلم يسأل ذلك الرجل الفقير وعاد إلى منزله وأخبر زوجته بذلك، وفي اليوم التالي انطلق الى البرية وجمع مقداراً من الحطب وشيئاً فشيئاً أصبح حطاباً فأغناه الله بكسب يده وأخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بما جرى.

خصائص المسؤول

قال الامام علي أميرالمؤمنين عليه السلام:

«فوت الحاجة أهون من طلبها إلى غير أهلها»[2].

«ماء وجهك جامد يقطره السؤال فانظر عند من تقطره»[3].

«لا تسأل من تخاف منعه»[4].

---

(١) شرح رسالة الحقوق للقبانچي: ص٣٨٤.

(٢) نهج البلاغة (صبحي الصالح): الحكمة ٦٦.

(٣) شرح الغرر والدرر: ج٦، ص٢٤٣ ـ ٢٦٤.

(٤) المصدر السابق.

«فوت الحاجة خير من طلبها من غير أهلها»(١).

«إنّما مثل الحاجة إلى من أصاب ماله حديثاً كمثل الدرهم في فم الأفعي أنت إليه محوج وأنت منها على خطر»(٢).

«إنّ أعرابياً جاء إلى أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام فقال له: يا أميرالمؤمنين اني مأخوذ بثلاث علل علة النفس وعلة الفقر وعلة الجهل فأجاب أميرالمؤمنين عليه السلام وقال: يا أخا العرب علة النفس تعرض على الطبيب وعلة الجهل تعرض على العالم وعلة الفقر تعرض على الكريم فقال الأعرابي: يا أميرالمؤمنين أنت الكريم وأنت العالم وأنت الطبيب فأمر أميرالمؤمنين بأن يعطى له من بيت المال ثلاثة آلاف درهم وقال: تنفق ألفاً بعلة النفس وألفاً بعلة الجهل وألفاً بعلّة الفقر»(٣).

سؤال فوق التراب

جاء في سيرة الامام الحسن عليه السلام انّ رجلاً جاء اليه وكتب بيتين من الشعر فوق الأرض:

لم يبق عندي ما يباع بدرهم	**يكفيك منظر حالتي عن مخبري**
إلّا بقايا ماء وجه صنته	**ألا يباع وقد وجدتك مشتري**

فدعا الامام الحسن عليه السلام خازنه وقال له: ما معك من المال؟ فقال الخازن: يا مولاي فضل معي اثنا عشر ألف درهم.

---

(١) تحف العقول: ص ٢٦٤.

(٢) المصدر السابق: ص ٢١٤.

(٣) شرح رسالة القبانچي: ج ٢، ص ٥٠٤.

قال عليه السلام: ادفعها إلى الرجل واني لمستحي منه.

قال الخادم:

وأي شيء انفق ؟

قال عليه السلام: اعطها إيّاه وأحسن الظن بالله تعالى.

فلما أن دفعها إليه دعا به الامام الحسن عليه السلام وقال له:

ـ يا هذا اقبل العذر فإنّا ما أنصفناك ولكن على قدر الميسرة ثمّ أنشأ يقول:

عاجلتنا فأتاك وابل برنا   طلاً ولو أمهلتنا لم نقصر

فخذ القليل وكن كأنك لم تبع   ما صنته وكأنّنا لم نشتر

سائل يسأل الامام الحسين عليه السلام

روى ابن عساكر في التاريخ الكبير ان سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتّى أتى دار الامام الحسين عليه السلام فقرع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب الآن من رجاك ومن   حرّك من خلف بابك الحلقة

أنت ذو الجود وأنت معدنه   أبوك قد كان قاتل الفسقة

وكان الامام الحسين عليه السلام واقفاً يصلّي فخفّف من صلاته وخرج الى الأعرابي فرأى عليه ضرّ وفاقة فنادى عليه السلام بقنبر فأجابه:

لبّيك يابن رسول الله!

قال عليه السلام: ما تبقى من نفقتنا ؟

قال قنبر: مئتنا درهم أمرتني بتفرقتها على أهل بيتك.

قال عليه السلام: هاتها فقد جاء من هو أحق بها منهم.

فأخذها وخرج يدفعها إلى الأعرابي وأنشأ يقول:

خــذها فــاني إليك مـعتذر واعلم بأنّي عـليك ذو شـفقة
لو كان في سيرنا عصا تمدّ إذا كانت سمانا عـليك مـندفقة
لكـن ريب المـنون ذو نكـد والكــفّ منّا قـليلة النـفقة

فأخذها الأعرابي ومضى وهو يقول:

مـــطهرون نــقيات جــيوبهم تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنـــتم أنـــتم الأعـلون عـندكم علم الكتاب وما جاءت به السـور
من لم يكن علوياً حـين تـنسبه فما له في جميع النـاس مـفتخر

المادّة السابعة والأربعون: حقّ من سرّك

«وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَرَّكَ اللهُ بِهِ وَعَلَى يَدَيْهِ فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا لَكَ حَمِدْتَ اللهَ أَوَّلاً ثُمَّ شَكَرْتَهُ عَلَى ذَلِكَ بِقَدْرِهِ فِي مَوْضِعِ الْجَزَاءِ وَكَافَأْتَهُ عَلَى فَضْلِ الابْتِدَاءِ وَأَرْصَدْتَ لَهُ الْمُكَافَأَةَ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ تَعَمَّدُهَا حَمِدْتَ اللهَ وَشَكَرْتَهُ وَعَلِمْتَ أَنَّهُ مِنْهُ تَوَحَّدَكَ بِهَا وَأَحْبَبْتَ هَذَا إِذَا كَانَ سَبَباً مِنْ أَسْبَابِ نِعَمِ اللهِ عَلَيْكَ وَتَرْجُو لَهُ بَعْدَ ذَلِكَ خَيْراً فَإِنَّ أَسْبَابَ النِّعَمِ بَرَكَةٌ حَيْثُ مَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَ لَمْ يَعْمِدْ وَلا قُوَّةَ إِلّا بِاللهِ».

الحياة الدنيويّة حياة متقلّبة بأهلها متصرّفة من حال إلى حال فالانسان فيها يسير في طريق مليء بالمنعطفات والمرتفعات والمنخفضات.

وكأن الانسان في الحياة الدنيا راكب في زورق أو قارب يشق أمواج البحر تعلو به الأمواج حيناً اذا عصفت الريح وربما سكنت المياه فكأنّه يعيش في بحيرة هادئة. والانسان فيها ليس على حال واحدة تراه مهموماً حيناً حزيناً ثمّ تراه بعد ذلك مسروراً سعيداً ولذا فانّ أهل البيت عليهم السلام يوصون الانسان المؤمن بالتوكّل على الله في كلّ حال، لأنّ الانسان إذا تطلّع إلى الله تعالى امتلأ قلبه بالأمل وأدرك أسرار الحياة التي هي ممرّ لا مستقر وانّ الدار الآخرة هي دار الحيوان.

ومن هنا يوصي أهل البيت عليهم السلام بعدم الانفعال سلباً أو ايجاباً مع تقلبات الدنيا اذ على الانسان أن يحافظ على توازنه أمام صروف الحياة فلا ينتشي فرحاً جداً اذا اقبلت عليه الدنيا ولا ييتئس كثيراً اذا صرفت بوجهها عنه؛ فكل ما في الحياة

الدنيويّة هو من أجل اختبار الانسان وامتحانه ومن أجل حثّه على التكامل الانساني في طريق الله تبارك وتعالى ولذا يكون السرور بقدر والحزن بقدر وكلاهما في اطار ما يثري انسانية الانسان.

ثواب من يسرّ المؤمنين

جاء في كتاب الكافي الجليل باب تحت عنوان «باب ادخال السرور على المؤمنين» ويشتمل على العديد من الروايات في هذاالمضمار وهذه أمثلة منها:

«عن أبي حمزة الثمالي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وآله من سرّ مؤمناً فقد سرّني ومن سرّني فقد سرّ الله»[1].

وفي هذا الحديث ما يحث الانسان على السعي من أجل ادخال الفرح والسرور على قلوب المؤمنين وانها لأمنية كبرى أن يدخل الانسان الفرح في قلب رسول الله؛ ما يعني تحقيق رضا الله عزّوجل ومن الطبيعي أنّ هذا السعي سوف يصب في توثيق عرى العلاقات الاجتماعيّة والانسانيّة في المجتمع المسلم.

«عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: تبسّم الرجل في وجه أخيه حسنة وصرف القذى عنه حسنة وما عبد الله بشيء أحبّ إلى الله من ادخال السرور على المؤمن»[2].

وقد جاء في الروايات عن الامام الباقر عليه السلام:

«ان فيما ناجى الله عزوجل به عبده موسى عليه السلام قال: إنّ لي عباداً ابيحهم جنّتي واحكّمهم فيها».

---

(١) اصول الكافي: ج٢ ص١٨٨، حديث ١ ـ ٢.

(٢) المصدر السابق.

قال موسى عليه السلام: ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكّمهم فيها؟

قال الله تبارك وتعالى: من أدخل على مؤمن سروراً.

وعن أبان بن تغلب قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن حقّ المؤمن على المؤمن فقال عليه السلام: حقّ المؤمن على المؤمن أعظم من ذلك، لو حدثتكم لكفرتم إنّ المؤمن اذا خرج من قبره خرج معه مثال من قبره يقول له: ابشر بالكرامة من الله والسرور، فيقول له بشرك الله بخير.

قال عليه السلام: ثمّ يمضي معه يبشر بمثل ما قال: وإذ مرّ بهول قال: ليس هذا لك، واذا مرّ بخير قال: هذا لك، فلا يزال معه يؤمنه مما يخاف ويبشره بما يحب حتّى يقف معه بين يدي الله عزوجل فاذا أمر به إلى الجنّة قال له المثال: ابشر فانّ الله عزّوجل قد امر بك إلى الجنّة.

قال عليه السلام: فيقول من أنت رحمك الله تبشرني من حين خرجت من قبري وآنستني في طريقي وخبرتني عن ربي؟ فيقول: أنا السرور الذي كنت تدخله على اخوانك في الدنيا خلقت منه لأبشرك وأونس وحشتك».

وجاء في الحديث:

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: لا يرى أحدكم اذا ادخل على مؤمن سروراً أنّه عليه أدخله فقط بل والله علينا، بل والله على رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

وقال الامام علي عليه السلام لكميل بن زياد:

ـ يا كميل مر أهل أن يروحوا في كسب المحارم ويدلجوا في حاجة من هو نائم فوالذي وسع سمعه الأصوات، ما من أحد أودع قلباً سروراً الّا وخلق الله من

---

(١) المصدر نفسه.

ذلك السرور لطفاً، فاذا نزلت نائبة جرى إليها كالماء في انحداره حتّى يطردها عنه كما تطرد غريبة الابل».

وجاء في الأحاديث:

«ما عبد الله بشيء أحبّ إليه من إدخال السرور على المؤمن».

شيعة الامام الصادق عليه السلام

روى الكليني رحمه الله:

كان النجاشي وهو رجل من الدهاقين عاملاً على الأهواز وفارس فقال بعض أهل عمله لأبي عبدالله (الصادق عليه السلام) انّ في ديوان النجاشي عليّ خراجاً وهو مؤمن يدين بطاعتك فان رأيت أن تكتب لي إليه كتاباً.

قال (الراوي): فكتب إليه أبو عبدالله عليه السلام: بسم الله الرحمن الرحيم سُرّ أخاك يسرّك الله».

فلمّا ورد الكتاب عليه (النجاشي) دخل عليه وهو في مجلسه فلمّا خلا ناوله الكتاب وقال: هذا كتاب أبي عبدالله عليه السلام فقبّله ووضعه على عينيه وقال له: وما حاجتك؟

قال: خراج عليّ في ديوانك.

فقال له: وكم هو؟

قال: عشرة آلاف درهم.

فدعا كاتبه وأمره بأدائها عنه ثمّ أخرجه منها (أسقط عنه الحساب) وأمر أن يثبتها له لقابل (للعام القادم).

ثمّ قال له: سررتك؟

قال: نعم جعلت فداك.

ثمّ أمر (النجاشي) له بمركب وجارية وغلام وأمر له بتخت ثياب وهو في كلّ ذلك يقول له: هل سررتك؟ فيقول: نعم جعلت فداك.

فكلّما قال له: نعم، زاده حتى فرغ ثمّ قال له: احمل فرش هذا البيت الذي كنت جالساً فيه حين دفعت إليّ كتاب مولاي الذي ناولتني فيه وارفع اليّ حوائجك.

قال الراوي: ففعل وخرج الرجل فصار الى أبي عبدالله بعد ذلك فحدّثه الرجل بالحديث على جهته فجعل (الامام عليه السلام) يسرّ بما فعل (النجاشي) فقال الرجل: يابن رسول الله كأنّه قد سرّك ما فعل بي؟

فقال عليه السلام: إي والله لقد سرّ الله ورسوله[1].

ادخال السرور في قلوب المؤمنين

عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أدخل على مؤمن سروراً خلق الله عزّوجل من ذلك السرور خلقاً فيلقاه عند موته فيقول له: أبشر يا وليّ الله بكرامةٍ من الله ورضوان ثمّ لا يزال معه حتّى يدخله قبره (يلقاه) فيقول له مثل ذلك، فاذا بعث يلقاه فيقول له مثل ذلك ثمّ لا يزال معه عند كلّ هول يبشره ويقول له مثل ذلك فيقول له: من أنت رحمك الله؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلته على فلان»[2].

---

(١) المصدر نفسه: ص١٩٠ ـ ١٩١.

(٢) المصدر نفسه: ص١٩١ ـ ١٩٢.

وجاء في الروايات أيضاً:

«عن هشام بن الحكم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من أحبّ الأعمال إلى الله عزوجل ادخال السرور على المؤمن، اشباع جوعته أو تنفيس كربته أو قضاء دينه»[١].

ومن أجل ذلك خصّص الامام السجاد مادة قانونيّة أخلاقيّة في حق من يدخل السرور على الآخرين.

فقال عليه السلام: وحق من سرّك الله به بأن تحمد الله أوّلاً ثمّ تشكره على ذلك بقدره في موضع الجزاء.

---

(١) المصدر نفسه.

المادّة الثامنة والأربعون: حقّ من ساءك

«وَأَمَّا حَقُّ مَنْ سَاءَ لَكَ الْقَضَاءَ عَلَى يَدَيْهِ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ فَإِنْ كَانَ تَعَمَّدَهَا كَانَ الْعَفْوُ أَوْلَى بِكَ لِمَا فِيهِ لَهُ مِنَ الْقَمْعِ وَحُسْنِ الْأَدَبِ مَعَ كَثِيرِ أَمْثَالِهِ مِنَ الْخُلُقِ فَإِنَّ اللهَ يَقُولُ وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ إِلَى قَوْلِهِ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ وَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ هَذَا فِي الْعَمْدِ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَمْداً لَمْ تَظْلِمْهُ بِتَعَمُّدِ الانْتِصَارِ مِنْهُ فَتَكُونَ قَدْ كَافَأْتَهُ فِي تَعَمُّدٍ عَلَى خَطَإٍ وَرَفَقْتَ بِهِ وَرَدَدْتَهُ بِأَلْطَفِ مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

وفي هذه المادة يبلغ القانون الأخلاقي الذروة في الانسانيّة والسمو حتّى انّ المرء ليدهش عند ما يرى كيف ينبغي أن يتعامل الانسان مع من يسيء إليه انها طعنة نجلاء في صميم الشرّ ووابل مطر غزير على نيران الشرور.

هذا هو إمام المسلمين زين العابدين الذي يشعّ قلبه وعقله حبّاً ونقاءً، فتشرق تعاليمه على القلوب تصق لها صقلاً وتزيدها تألقاً.

انه يجعل من العفو حقّاً للآخر الذي أساء ولو جرّب الانسان هذا الاسلوب مع من يسيء إليه لانتصر وبلغ ذروة المجد الأخلاقي والانساني لأنّه سوف يقضي على نزعة الشرّ لدى الآخر وكم من عدو لأهل البيت عليهم السلام لدود انقلب الى صديق ودود بعد أن رأى تعامل أئمّة أهل البيت الأطهار وشعر بدفء المحبّة والانسانيّة.

اننا اذا نظمنا العلاقات الاجتماعيّة على الانتقام فسوف يدخل المجتمع في

سلسلة طويلة من الانتقام المتقابل لا يقطعها سوى الغفران.

انّ العفو والصفح والغفران للآخر هو الذي يعيد للمجتمع شعوره بالأمن والاستقرار ويثري الحالة الانسانيّة في التعامل الاجتماعي.

والقرآن الكريم يزخر بالدعوة الى الصفح والعفو:

استنصار المؤمنين

قال تعالى:

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ﴾[١].

﴿وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ﴾[٢].

وفي هذا ترسيخ للتضامن بين المسلمين المستضعفين ضد الظالم الجائر.

﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾[٣].

طبعاً يتوجب تسمية الأفعال بأسمائها واستنكار الظلم ولكن ينبغي التعامل بما يوقف مسلسل الظلم والاساءة مع الاشارة الى ايجابية القصاص والمعاملة بالمثل.

﴿فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٣٩.

(٢) سورة الأنفال: الآية ٧٢.

(٣) سورة الشورى: الآية ٤٠.

(٤) سورة البقرة: الآية ١٩٤.

﴿وَلَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولٰئِكَ مٰا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبيلٍ﴾[١].

طريق العفو

وقد أورد الامام السجاد آية أُخرى في النص أعلاه وهي قوله تعالى:

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.

والعزم في الأصل يعني التصميم على القيام بعمل ما واتّخاذ القرار النهائي بشأن ذلك، وقد أشار الامام عليه السلام الى آية اخرى في سورة النحل وهي قوله تعالى:

﴿وَإِنْ عٰاقَبْتُمْ فَعٰاقِبُوا بِمِثْلِ مٰا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصّٰابِرينَ﴾[٢].

وقد ذكر بعض المفسّرين أنّ هذه الآية نزلت في معركة أُحد وذلك عند ما وقف النبي صلى الله عليه وآله بعد انتهاء المعركة على جثمان عمه سيّد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب وقد مثّل به أبو سفيان ومن قبل امرأته هند التي لاكت كبده وصنعت من أنفه واذنيه قلادة!! فاقسم أن يمثّل بسبعين من المشركين، وقال عليه السلام:

ـ «لئن ظفرت لأمثلنّ ولأمثلنّ ولأمثلنّ».

فنزل قوله تعالى: «وان عاقبتم فعاقبوا...» إلى آخر الآية.

فقال صلى الله عليه وآله:

ـ «اللّهمّ لك الحمد وإليك المشتكى وأنت المستعان على ما أرى».

ثمّ قال صلى الله عليه وآله: أصبر أصبر[٣].

---

(١) سورة الشورى: الآية ٤١.

(٢) سوة النحل: الآية ١٢٦.

(٣) تفسير الأمثل: ج١١، ص٤٥٧.

الفرق بين العفو والصفح

قال تعالى في سورة النور:

﴿وَلاَ يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ في سَبيلِ اللهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلاَ تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ وَاللهُ غَفُورٌ رَحيمٌ﴾[1].

وهذه الآية الكريمة نزلت بعد حادثة الافك وهي تشير الى حقيقة مهمّة وهي كما انّ الانسان يحب أن يصفح الله عزّوجل عنه؛ فليصفح هو الآخر عمّن أساء إليه.

وثمّة فرق لغوي بين الصفح والعفو.

يقول الراغب الاصفهاني انّ الصفح أعلى درجة من العفو ذلك انه يعني العفو من دون توجيه اللوم والتعنيف، فالعفو هو في تجاوز مسألة الانتقام أمّا الصفح فهو تجاوز حتّى مسألة اللوم والتقريع.

مقابلة الاساءة بالاحسان

والقرآن الكريم يطرح اسلوباً أرقى حتّى من مسألة الصفح وهي مقابلة الاساءة ليس بالصفح وإنّما بالاحسان ويعد هذا الأُسلوب تجلّياً للروح الانسانيّة عند ما تبلغ درجة راقية من الكمال، ذلك ان مقابلة الاساءة بالاحسان مجد أخلاقي رفيع وهذه الخطوة تحتاج إلى ارادة قويّة وايمان راسخ بالله عزّوجل.

---

(١) سورة النور: الآية ٢٢.

قال تعالى:

﴿وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥)﴾[١].

وفي الآية الأولى اشارة الى التأثير المدهش للدفع بالتي أحسن ذلك ان هذا الاسلوب يصنع معجزة في قلب العداوة الى صداقة ومن المؤكّد أن من يسير على خطى هذه الآية ويلتزم هذا الاسلوب بحاجة الى ايمان راسخ رسوخ الجبال والىٰ فضائل انسانيّة وخصال نبيلة والى صبر عميق واستقامة على طريق الهدى، ذلك انّ الانسان المسيء ينتظر بطبيعة الحال الانتقام فهو يعيش هاجس الانتقام في أية لحظة؛ فاذا فوجئ بعكس ذلك بحيث انه وبدل الانتقام الذي ينتظره ويتوقعه اذا به يفاجئ بتعامل أخويّ ومحبّة وصفح وحينئذٍ يقع الزلزال يدمّر الذي هياكل الشرّ في أعماقه، فيتدفق من تحت الانقاض نبع الحب الانساني وتنقشع سحب الكراهية والحقد وينعم الجميع بعلاقة طيبة وصداقة عميقة.

العفو عند المقدرة

إنّ مسألة العفو لا تتحقّق في واقع الامر إلّا عند القدرة على الانتقام وهنا يبدأ الصراع لدى الانسان المؤمن هل يصفح أم ينتقم هل يقتص أم يعفو؟؟

يوسف وأخوته

فصّل القرآن الكريم قصّة يوسف النبي عليه السلام وكيف تآمر اخوته عليه وأخيراً

---

(١) سورة فصلت: الآيتين ٣٤ ـ ٣٥.

وفي الرحلة الثانية لأخوته الى مصر تساءل يوسف عزيز مصر عن يوسف الفتى الذي تآمر عليه اخوته وحينئذٍ انتبه اخوته.

﴿ قَالُوا أَإِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهٰذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاٰ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾(١).

وفوجئ اخوة يوسف بأنّ أخاهم قد أصبح عزيز مصر ثمّ فوجئوا مرّة أُخرى بأنّه قد صفح عنهم بعد أن اعترفوا بأخطائهم وخطيئتهم:

﴿ قَالَ لاٰ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾(٢).

لقد آثر يوسف النبي عليه السلام الصفح على الانتقام فكان درساً بليغاً للأجيال.

فتح مكّة

كم عانى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله من مشركي قريش وكم آذوه ثمّ تآمروا على قتله فهاجر الى مدينة يثرب؛ تحمّل العذاب على مدى ثلاثة عشرة سنة ثمّ هاجر وبعدها ظلّوا يتآمرون ويحرّضون القبائل العربيّة ضدّ الاسلام، ثمّ جاءت سنة ثمان للهجرة وشاء الله أن يعود النبي صلى الله عليه وآله إلى مكّة فاتحاً، وقد بلغ جيشه أكثر من عشرة آلاف مقاتل، لكنّه صلى الله عليه وآله دخل مكّة مطرقاً تواضعاً لله عزّوجل.

فطاف حول الكعبة بعد أن أمر بتحطيم الأصنام والأوثان فألقيت في النفايات خارج المدينة المقدسة وكان النبي صلى الله عليه وآله يردد:

ـ جاء الحق وزهق الباطل انّ الباطل كان زهوقاً.

---

(١) سورة يوسف: ٩٠.

(٢) سورة يوسف: الآية ٩٢.

ونادى صلى الله عليه وآله: لا إله إلّا الله وحده وحده نصر عبده واعزّ جنده.

وبعدها وقف وقد احدقت به جموع قريش تنتظر مصيرها على كلمة ينطق بها فلو أمر بقتلهم جميعاً لقتلوا شرّ قتله ولو أسرهم لكانوا عبيداً له لكنه صلى الله عليه وآله قال:

ـ يا معشر قريش ماذا تقولون وماذا تظنون أنّي فاعل بكم؟

قالوا:

ـ نقول خيراً ونظنّ خيراً أخ كريم وابن أخ كريم وقد قدرت.

فقال صلى الله عليه وآله يردد ما قاله أُخوة يوسف عليه السلام:

ـ لا تثريب عليكم اليوم، يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين.

ثمّ قال صلى الله عليه وآله:

ـ اذهبوا فانتم الطلقاء[(١)].

ويقول وصي النبي صلى الله عليه وآله الامام علي عليه السلام:

«عند كمال القدرة تظهر فضيلة العفو»[(٢)].

أجل لا تظهر فضيلة العفو إلّا عند القدرة على الانتقام والقصاص ولهذا قال عليه السلام أيضاً:

«أحسن العفو ما كان عن قدرة»[(٣)].

وقال عليه السلام:

«اذا قدرت على عدوّك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»[(٤)].

---

(١) تاريخ نبي الاسلام: ص٣٢٤.

(٢) شرح الغرر والدرر: ج٤، ص٤٣٢.

(٣) المصدر السابق: ص٤٣٥.

(٤) نهج البلاغة (صبحي صالح): الحكمة ١١.

أجل هذه هي روح الرجال الأبطال ان من شيمها العفو في اللحظة التي يتمكّن فيها من الانتقام.

ولقد عفا الامام عليه السلام في حياته عن الذين أساءوا إليه وآذوه وكان يجعل من عفوه وصفحه شكراً لله على ان مكّنه من الذين آذوه.

يقول ابن أبي الحديد المعتزلي: انه أخذ هذا المعنى من كلمة الامام عليه السلام وصاغها شعراً:

وإن قدرت على الأعداء منتصراً   فاشكر بعفوك عن أعدائك الظفر

المادّة التاسعة والأربعون: حقّ أهل الملّة

«وَأَمَّا حَقُّ مِلَّتِكَ عَامَّةً فَإِضْمَارُ السَّلامَةِ وَنَشْرُ جَنَاحِ الرَّحْمَةِ وَالرِّفْقُ بِمُسِيئِهِمْ وَتَأَلُّفُهُمْ وَاسْتِصْلاحُهُمْ وَشُكْرُ مُحْسِنِهِمْ إِلَى نَفْسِهِ وَإِلَيْكَ فَإِنَّ إِحْسَانَهُ إِلَى نَفْسِهِ إِحْسَانُهُ إِلَيْكَ إِذَا كَفَّ مِنْكَ أَذَاهُ وَكَفَاكَ مَئُونَتَهُ وَحَبَسَ عَنْكَ نَفْسَهُ وَفَعُمَّهُمْ جَمِيعاً بِدَعْوَتِكَ وَانْصُرْهُمْ جَمِيعاً بِنُصْرَتِكَ وَأَنْزِلْهُمْ جَمِيعاً مِنْكَ مَنَازِلَهُمْ كَبِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ وَصَغِيرَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَلَدِ وَأَوْسَطَهُمْ بِمَنْزِلَةِ الْأَخِ فَمَنْ أَتَاكَ تَعَاهَدْهُ بِلُطْفٍ وَرَحْمَةٍ وَصِلْ أَخَاكَ بِمَا يَجِبُ لِلْأَخِ عَلَى أَخِيهِ».

الملّة في اللغة

انّ مفردة «ملّة» في اللغة تعني العقيدة والايمان والجماعة والفرقة.

قال تعالى:

﴿ فاتّبعُوا مِلَّةَ إبراهيمَ حَنيفاً ﴾ وأصلها من «امللت الكتاب» واطلقت مفردة الملّة على الدين لأنّ الاملاء[1] كان من الله عزّوجل والملّة مثل الدين وهو اسم الشريعة التي أرسل الله بها أنبياءه والفرق بين الدين والملّة هو انّ الملّة تنسب إلى النبي فقط لا إلى الله تعالى ولا إلى آحاد الأمّة فلا يقال ملّة الله وملّة زيد ولكن

---

(١) قاموس القرآن: ج٦، ص٢٨٩.

يقال دين الله ودين زيد(١).

والخلاصة ان الدين ينسب إلى الله والنبي والشخص أما الملّة فتنسب فقط إلى القائد وحامل الرسالة والدين فقد تطلق وتضاف احياناً إلى القوم ونحو ذلك مثل قول يوسف عليه السلام في القرآن الكريم:

﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ... ﴿٣٧﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبائي إِبْراهِيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ ﴿٣٨﴾﴾(٢).

وجاء في موضع آخر:

﴿ما سَمِعْنا بِهٰذا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هٰذا إِلاَّ اخْتِلاقٌ﴾(٣).

كما تطلق على طريقة وعقيدة الوثنيين كذلك:

﴿قَدِ افْتَرَيْنا عَلَى اللهِ كَذِباً إِنْ عُدْنا في مِلَّتِكُمْ﴾(٤).

هذا هو اذن مفهوم الملّة والآن نبحث حق أهل ملّة الاسلام كما وردت الاشارة الى ذلك آنفاً.

الاسلام وأهميّة المجتمع

الاسلام ينظر إلى الانسان على انه كائن اجتماعي بالطبع وأن تكامله يكمن في ظلال التكامل الاجتماعي وهذا واضح جدّاً في نوع الخطاب القرآني الذي يوجّه إلى الجمع وفيما يلي اشارة الى أمثلة في هذا المضمار:

---

(١) مفردات الراغب (ملّة).

(٢) سورة يوسف: الآيتين ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) سورة ص: الآية ٧.

(٤) سورة الأعراف: الآية ٨٩.

اجتناب الطرق المنحرفة

﴿وَأَنَّ هٰذٰا صِرٰاطي مُسْتَقيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاٰ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبيلِهِ ذٰلِكُمْ وَصّٰاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

وهنا نلاحظ انّ الخطاب موجّه إلى الجماعة.

الدعوة إلى الوحدة والتضامن

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَميعاً وَلاٰ تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدٰاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوٰاناً﴾[2].

وهذه دعوة إلى الوحدة والاخوة والاتّحاد والتضامن الاجتماعي حيث أعداء الأمس اخوة اليوم وحيث دهشة الآخرين من هذا التآلف والنسيج المتوحد والانسجام.

قال جان ديون پورت العالم الانجليزي في هذا الصدد:

استطاع محمّد وهو رجل واحد أن يوحّد القبائل الصغيرة المشتّتة ويصنع من أولئك الحفاة والعراة مجتمعاً قويّاً متماسكاً ومنضبطاً لتظهر اُمّة جدية بين اُمم العالم لها أخلاقها وثقافتها وفي أقل من ثلاثين سنة تمكّن المجتمع الجديد أن يهزم امبراطوريّة الروم وأكاسرة الفرس وبسط نفوذ الاسلام علىٰ الشام وبلاد ما بين النهرين ومصر وامتدت الفتوحات من المحيط الأطلسي الى شواطئ بحر الخزر

---

(١) سورة الأنعام: الآية ١٥٣.

(٢) سورة آل عمران: الآية ١٠٣.

والى ماوراء نهر سيحون[١].

وقال نهرو الهند: انّ قصّة العرب قصّة مدهشة في سرعة الانتشار في آسيا واوربا وافريقيا وفي ظهور هذه الثقافة والحضارة الكبرى ان ما حصل يعدّ من عجائب التاريخ البشري، لقد ايقظ الفكر الجديد العرب ووهبهم القدرة والثقة بالنفس وقد حصلت هذه المعجزة عند ما جاء نبي جديد هو محمد يحمل رسالة الاسلام وهو النبي الذي ولد في مكّة سنة ٥٧٠م[٢].

الدعوة إلى الاتحاد وعدم الفرقة

﴿وَلاٰ تَكُونُوا كَالَّذينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مٰا جٰاءَهُمُ الْبَيِّنٰاتُ وَأُولٰئِكَ لَهُمْ عَذٰابٌ عَظيمٌ﴾[٣].

وتشير هذه الآية إلى موضوع الوحدة والاتّحاد والتحذير من التمزق والتصدّع والفرقة، وقد دعا القرآن الكريم المسلمين الى الاتّحاد وألّا يكونوا كالأُمم السابقة من قبيل اليهود والنصارى وأن يعتبروا بغيرهم من الأُمم التي تصدّعت وتفرّقت وكان مصيرها الاضمحلال والزوال.

﴿وَأَطيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وَلاٰ تَنٰازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ ريحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللهَ مَعَ الصّٰابِرينَ﴾[٤].

وتشير الآية الكريمة أعلاه إلى دور القيادة الربّانيّة في التوحّد والاتّحاد وما

---

(١) اعتذار في رحاب محمد (بالفارسيّة) ترجمة سيّد غلام رضا سعيدي: ص٧٧.

(٢) نظرة في تاريخ العالم عن الترجمة الفارسيّة محمود تفضلي: ج١، ص٢٩٠.

(٣) سورة آل عمران: الآية ١٠٥.

(٤) سورة الأنفال: الآية ٤٦.

يتبع ذلك من القوّة والاقتدار أما التنازع الذي يحصل بعد التمرّد على القائد الربّاني فيتبعه بطبيعة الحال الفشل.

ومفردة الريح هنا تشير إلى القوّة وهي اشارة إلى أنّ الأُمور في حالة الاتّحاد ستجري مثل هبوب الرياح المواتية والموافقة فتجري السفينة نحو هدفها المنشود بيسر وطمأنينة كما انّ الشراع في السفينة يرمز إلى الراية في الدولة والجيش.

الأُخوّة شعار المسلمين

يحذر القرآن الكريم المسلمين من التنازع وبيّن ما أصاب المجتمعات والشعوب بسبب التنازع والاختلاف والصراع الداخلي ودعا إلى الاخوة.

﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ﴾[1].

دور المداراة في التعامل الاجتماعي

قلنا انّ الانسان كائن اجتماعي كما لا شك في انّ الانسان يتحرّك في ضوء تحقيق ما يصبو إليه من أهداف وغايات ومن الطبيعي ان تتصادم المصالح بين أفراد المجتمع، فكيف يمكن تفادي اندلاع النزاع بين الأفراد وكيف يمكن المحافظة على العلاقات الاجتماعيّة؟. وثمّة اصول وقواعد في الشريعة الاسلاميّة اذا ما فعّلت في واقع الحياة فانها تصون العلاقات الاجتماعيّة وتضعها في مسار يحقّق أهداف الفرد وغايات المجتمع.

ويشتمل كتاب اصول الكافي على بابين «باب المداراة» و«باب الرفق»:

---

(١) سورة الحجرات: الآية ١٠.

«عن علي بن ابراهيم... عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثلاث من لم يكن فيه لم يتم له عمل: ورع يحجزه عن معاصي الله، وخُلق يداري به الناس، وحلم يردّ به جهل الجاهل»[١].

«محمّد بن يحيى... عن الحسين بن الحسن قال: سمعت جعفراًعليه السلام يقول: جاء جبرئيلعليه السلام إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا محمد ربّك يقرئك السلام ويقول لك: دار خلقي»[٢].

«أبو علي الأشعري... عن أبي عبداللهعليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أمرني ربّي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[٣].

الرفق وآثاره

ذكرنا أنّ كتاب اصول الكافي للمرحوم الشيخ الكليني يشتمل على بابين في المداراة والرفق وقبل أن نورد الروايات في باب الرفق نوضح الفرق بين الرفق والمداراة وإن كانا قريبين في المعنى فالمداراة في التعامل تعني المرونة في التعامل وتفادي التصادم مع الآخر من خلال انتهاج أُسلوب هادئ في التعامل.

«عن أبي جعفرعليه السلام قال: إنّ لكلّ شيء قُفلاً وقُفل الايمان الرفق»[٤].

ونلاحظ أنّ الحديث يشبه القلب بالكنز الذي يشتمل على الايمان وان قفله يكمن في الرفق حيث ينبع من جوهرة الايمان ويحافظ على القلب من نفوذ الشيطان ومحاولته السطو على هذا الكنز الثمين ما يؤدّي الى القسوة والعنف

---

(١) اصول الكافي: ج٢، ص١١٦.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) أُصول الكافي: ج٢، ص١١٨.

واضمحلال المجتمع.

«عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان ممّا خلق الله شيء أحسن منه»(١).

«عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجل رفيق يحب الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف»(٢).

«عن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: الرفق يمن والخرق شوم»(٣).

ومن خلال هذه الأحاديث تتضح معاني هذه المادة الحقوقيّة الأخلاقيّة وقول الامام السجاد عليه السلام: «الرفق بمسيئهم» حيث يوصي الامام بانتهاج سياسة الرفق مع أهل الملّة ومحاولة نشر الألفة من خلال المداراة في التعامل واشاعة روح المحبّة ومقابلة الاساءة بالاحسان لما في ذلك من الأثر العميق في احداث التغيير الايجابي في أعماق أنفسهم.

وعند ما يكون الصغير بمثابة الابن والكبير بمنزلة الوالد ومن كان في نفس السن تقريباً بمثابة الأخ حينئذٍ تسود الحياة الاجتماعيّة حالة من المحبّة والتضامن الاجتماعي وبالتالي استتاب الاستقرار والأمن الاجتماعي والشعور بالطمأنينة والسعادة والسلام.

---

(١) المصدر السابق: ص١٢٠.

(٢) المصدر نفسه: ص١١٩.

(٣) المصدر نفسه.

المادّة الخمسون: حقّ أهل الذمّة

«وَأَمَّا حَقُّ أَهْلِ الذِّمَّةِ فَالْحُكْمُ فِيهِمْ أَنْ تَقْبَلَ فِيهِمْ مَا قَبِلَ اللهُ وَتَفِيَ بِمَا جَعَلَ اللهُ لَهُمْ مِنْ ذِمَّتِهِ وَعَهْدِهِ وَتَكِلَهُمْ إِلَيْهِ فِيمَا طُلِبُوا مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأُجْبِرُوا عَلَيْهِ وَتَحْكُمَ فِيهِمْ بِمَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَى نَفْسِكَ فِيمَا جَرَى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ مِنْ مُعَامَلَةٍ وَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ظُلْمِهِمْ مِنْ رِعَايَةِ ذِمَّةِ اللهِ وَالْوَفَاءِ بِعَهْدِهِ وَعَهْدِ رَسُولِهِ ص حَائِلٌ فَإِنَّهُ بَلَغَنَا أَنَّهُ قَالَ مَنْ ظَلَمَ مُعَاهَداً كُنْتُ خَصْمَهُ فَاتَّقِ اللهَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ».

مفردة «ذِمّة» بكسر الذال تعني العهد وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم:

﴿لاٰ يَرْقُبُوا فيكُمْ إِلاًّ وَلاٰ ذِمَّةً﴾[1] ﴿لاٰ يَرْقُبُونَ في مُؤْمِنٍ إِلاًّ وَلاٰ ذِمَّةً وَأُولٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾[2].

يعني انهم (الأعداء) اذا ظفروا بكم لن يلتزموا حيالكم بأية معاهدة أو عهد.

وجاء في «أقرب الموارد»: «الذمّة العهد والأمان والضمان» والذمّي هو من اليهود والنصارى الذي يعيش في ظل دولة الاسلام وله مع المسلمين عهد وقد جاءت هذه المفردة مرّتين في القرآن الكريم[3].

وجاء في نهج البلاغة:

---

(١) سورة التوبة: الآية ٨.

(٢) سورة التوبة: الآية ١٠.

(٣) قاموس القرآن: ج ٣، ص ٢٤.

«ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمّة ومسلمة الناس»[١].

وذلك في سياق التقسيم الاجتماعي والاداري للمواطنين ورعايا الدولة وأهل الذمّة هم غير المسلمين من أهل الكتب السماويّة والذين أشار إليهم كتاب الله العزيز فهم يدفعون ضريبة لقاء التزام الدولة الاسلاميّة بحمايتهم وتوفير الأمن لهم وتأمين حقوقهم المدنية وانشاء المحاكم الخاصّة في ضوء شرائعهم ومعتقداتهم[٢].

والحقيقة انّ الشريعة الاسلاميّة حدّدت لهم أحكاماً وسطية بين ما هو مشرّع للمسلمين وبين ما هو مشرّع للمشركين ذلك أن لهم شبهاً مع المسلمين باعتبارهم أتباعاً لكتاب سماوي لكنّهم من جهة أُخرى يشبهون المشركين ولذا لا يجوز التعرّض لهم اذا قبلوا التعايش السلمي مع المسلمين ولم يتآمروا ضدّهم.

ما هي الجزية

«الجزية» مفردة مشتقة من الجزاء ويعني مقداراً محدّداً من المال يؤخذ من الذمّي الذي يعيش في ظلال دولة الاسلام لقاء التزام الدولة بحمايته وحماية أمنه وحقوقه وقد اطلق هذا الاصطلاح على هذه الضريبة باعتبارها جزاءً في مقابل تأمين حقوق الذمّي وإلى هذا ذهب الراغب الاصفهاني في مفرداته[٣].

وقد ذهب فريق آخر من أهل الاختصاص أيضاً الى أنّ جذور «الجزية» اللغوية تعود إلى مفردة «كِزْيت» وهي مفردة فارسيّة قديمة تفيد معنى الضريبة

---

(١) نهج البلاغة: كتاب ٥٣.

(٢) الحقوق الدوليّة الخاصّة (حقوق بين الملل خصوصي»: ص١٠٨.

(٣) مفردات الراغب مادة جزئ.

التي كانت تستحصل من الشعب لتعزيز قدرات الجيش والقوات المسلّحة غير أنّ الاعتقاد السائد يعدّها مفردة عربية خالصة وأنها تعني جـزاءً تسـتحصله الدولة الاسلاميّة من أهل الذمّة لقاء حمايتهم وحماية حقوقهم[١].

ولقد سبقت الاشارة في «حق اليد» إلى نص العهد الذي أمضاه خالد بن الوليد مع «صلوبا» في موضوع الجزية المفروضة على رعايا الدولة مـن أهـل الذمّـة النصارى.

الجزية قبل الاسلام

يذهب البعض من المهتمين بهذا الموضوع إلى أن أوّل جزية استحصلت كانت من قبل «انوشيروان» الملك الساساني واذا لم يحصل على هذا اجماع فان القدر المسلّم منه هو أن انوشيروان كان يأخذ الجزية من رعايا دولته، فلقد كانت هذه الضريبة تستحصل من كلّ مواطن عمره أكثر من عشرين ودون الخمسين عـاماً ومقدارها يتراوح بين ٤ و٦ و٨ و١٢ درهماً.

والفلسفة الأساسيّة لهذه الضريبة هي ان مسألة الدفاع عن استقلال ووجـود دولة ما هي مسؤوليّة جميع المواطنين في تلك الدولة ولذا فان من العقل والمنطق ان يتولّى هذه المسؤوليّة قطاع من الأُمّة والمجتمع ويُسلّح ويجهّز بوسائل الدفاع فيما ينصرف باقي أفراد الشعب إلى العمل والانتاج ودفع جزء محدّد من مواردهم الى هؤلاء الجنود لقاء تحمّلهم مسؤوليّة الدفاع عن أمنهم واستقلالهم وتدفع هذه الضريبة في العادة سنويّاً.

---

(١) التفسير الأمثل: ج٧، ص٣٥٦.

وحصر دافعي هذه الضريبة بين سن العشرين إلى الخمسين يؤكّد ما ذكرنا آنفاً لأن هذه الفئات العمرية هي وحدها القادرة على حمل السلاح والمشاركة في مهام الدفاع عن البلاد ولذا فانهم يدفعون هذه الضريبة لانصرافهم الى العمل.

ولا تجب الجزية على المسلمين ذلك انّ الاسلام أوجب الجهاد على جميع المسلمين عند لزوم الأمر ولأن أهل الذمّة لا يشملهم هذا الالزام القانوني فهم مستثنون من هذا الواجب في مقابل دفع هذه الضريبة.

ولا يجب دفع هذه الضريبة على جميع الأفراد من أهل الذمّة بل يستثنى من ذلك الأطفال والنساء والشيوخ والمكفوفي البصر ما يدلّ على صوابية ما ذكر آنفاً حول فلسفة هذه الضريبة ومعنى هذا انّ الجزية ضريبة تستحصلها الدولة الاسلاميّة من رعاياها النصارى اليهود الذين يعيشون في كنفها لقاء حمايتهم وتأمين حقوقهم المشروعة[١].

ولذا فان هذه الضريبة لا تتضمّن أبداً أية نوايا في الاذلال وإنّما هي ضريبة تأخذها الدولة في مقابل حمايتهم ولأنّهم معافون من واجب الدفاع عن أمن البلاد واستقلالها فهذه مهمّة المواطنين المسلمين.

أمّا ما ورد من تعبير في الآية الكريمة «حتّى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون» فان مفردة صاغر مشتقّة من «صِغر» وتعني الرضا بالصغر ومعنى الآية في واقع الأمر اعتراف أهل الذمّة بحاكميّة الاسلام والرضا بمسألة التعايش السلمي بينهم وبين المسلمين[٢].

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه: ص٣٥٥.

الحكم الفقهي للجزية

في مسألة الأحكام الفقهيّة للجزية فانّ البحث الأوّل يختصّ بمن يجب عليه دفع الجزية؟ وما مقدارها وما هي شروطها؟ وقد حدد كتاب «شرائع الاسلام» من تجب عليه الجزية في قوله:

«تؤخذ ممّن يقرّ على دينه وهم اليهود والنصارى ومن له شبهة كتاب وهم المجوس»[١].

وقال أميرالمؤمنين علي عليه السلام:

«المجوس إنّما اُلحقوا باليهود والنصارى في الجزية والديات لأنّه قد كان لهم فيما مضى كتاب»[٢].

وقد جاء في الروايات ان اسم نبيّهم يدعى «داماست» وكتابهم يدعى «جاماست» وقد وضع في اثني عشر ألف جلد ثور واحرق.

ولا تقبل الجزية من غير أهل الكتاب حيث أمر القرآن الكريم بقتل المشركين بعد أن حدّد لهم سقفاً زمنيّاً تتخلّى بعده الدولة عن مسؤوليّة الدفاع عن أمنهم وحقوقهم ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾.

وعلى هذا فانّ الجزية لا تقبل إلّا من النصارى واليهود والمجوس ولا فرق في هذا بين العرب والعجم.

---

(١) شرائع الاسلام، كتاب الجهاد، بحث الجزية.

(٢) جواهر الكلام: ج ٢١، ص ٢٢٩.

مقدار الجزية

المشهور بين فقهاء الشيعة انه لا يوجد مقدار محدّد من الجزية بـل انّ ذلك يرتبط بالحاكم الشرعي وامكانات دافعي هذه الضريبة وتفيد معطيات التـاريخ الاسلامي في هذا المضمار ان مقدار الجزية كان مبلغاً ضئيلاً في حدود الديـنار الواحد.

شروط الجزية

وشروط الجزية ستّة:

١ ـ قبول الجزية.

٢ ـ عدم الاقدام على عمل معادي لأمن الدولة كإعلان الحرب مثلاً.

٣ ـ عدم العدوان على المسلمين وانتهاك حرماتهم حيث يحكم بالاعدام من يسبّ النبي صلى الله عليه وآله.

٤ ـ عدم التظاهر بالمنكرات في الاسلام من قبيل التظاهر بشرب الخمر وأكل لحم الخنزير.

٥ ـ عدم احداث الكنائس الجديدة كما لا يجوز قرع النواقيس وبناء الدور السكنية بأعلى من دور المسلمين.

٦ ـ اجراء أحكام المسلمين عليهم[١].

وهذه الشروط الستّة التي تتحقّق فيها الجزية، وقد بحث الفقهاء هذا الموضوع بالتفصيل ولكنا تعمدنا اختصار الموضوع بما يناسب هذه الدراسة.

---

(١) المصدر السابق.

مسؤوليّة المسلمين ازاء أهل الذمّة

بعد انتهاء حرب صفين وظهور نتيجة التحكيم بدأ معاوية الذي انفصل بأقليم الشام شنّ الغارات على المناطق الخاضعة للخلافة الشرعيّة بقيادة الامام علي عليه‌السلام.

وكانت جيوش معاوية تحتل بعض المناطق فتقتل وتسلب وتنهب وتنسحب.

وقد ألقى الامام علي عليه‌السلام خطاباً بعد أن نقلت التقارير الجرائم التي يرتكبها المغيرون على القرى والمدن الآمنة وسلب النساء حليهنّ الذهبيّة.

«وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلُبَهَا وَقَلائِدَهَا وَرُعُثَهَا مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالإِسْتِرْجَاعِ وَ الإِسْتِرْحَامِ ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ مَا نَالَ رَجُلاً مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِماً مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَذَا أَسَفاً مَا كَانَ بِهِ مَلُوماً بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيراً»[1].

وقد انطوت هذه الكلمات على لوعة عميقة وشعور بالألم جرّاء ما يحصل من جرائم بحق النساء سواء كن مسلمات أو من أهل الذمّة معاهدات فهو لا يفرق بين المواطن المسلم وغير المسلم لأنه مسؤول عن أمن الجميع.

أجل هكذا كان الحاكم الشرعي الاسلامي وهكذا كانت رؤية عليّ.

ولقد ورد في سيرة الامام علي عليه‌السلام:

«مرّ شيخ مكفوف (البصر) كبير فقال أميرالمؤمنين علي عليه‌السلام:

ـ ما هذا؟ (مستنكراً هذا المشهد المؤلم).

---

(١) نهج البلاغة: الخطبة ٢٧.

قالوا: يا أميرالمؤمنين نصراني!

فقال أميرالمؤمنين عليه السلام:

ـاستعملتموه (استغلاله كعامل في أيّام شبابه) حتّى اذا كبر وعجز منعتموه (حقوقه) أنفقوا عليه من بيت المال[١].

وهذا يعني تخصيص راتب منتظم يدفع له من خزينة الدولة.

الوفاء بالعهد

من الأُمور الأخلاقيّة المهمّة مسألة الوفاء بالعهد مع أهل الكتاب والذمّة وهذا ما أكّد عليه الامام علي بن الحسين زين العابدين في المادّة القانونيّة الأخلاقيّة وقد قال القرآن الكريم:

﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُلاً﴾[٢].

وكذا قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾[٣].

وقد اشتملت الروايات الواردة عن النبي صلى الله عليه وآله وآل بيته الأطهار عليهم السلام على هذا التأكيد في احترام أهل الذمّة والوفاء لهم في العهود:

«علي بن ابراهيم... سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول: عدة المؤمن أخاه نذر لا كفّارة له»[٤].

---

(١) وسائل الشيعة: ج١٥، ص٦٦.

(٢) سورة الإسراء: الآية ٣٤.

(٣) سورة المؤمنون: الآية ٨.

(٤) اصول الكافي: ج٢، ص٣٦٤.

وقال رسول الله ﷺ:

«من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف اذا وعد»[١].

«أَقْرَبُكُمْ مِنِّي غداً فِي الْمَوْقِفِ أَصْدَقُكُمْ لِلْحَدِيثِ وَأَدَاكُمْ لِلْأَمَانَةِ وَأَوْفَاكُمْ بِالْعَهْدِ وَأَحْسَنُكُمْ خُلُقاً وَأَقْرَبُكُمْ مِنَ النَّاسِ»[٢].

«ثَلاثٌ لَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِنَّ رُخْصَةٌ الْوَفَاءُ لِمُسلِمٍ كانَ أو كافر وَبِرُّ الْوَالِدَيْنِ مُسلمين كانا أو كافرين»[٣].

وقد قيل في الامام علي عليه السلام:

علي موفي العهد وما كان بغدار.

وقال السوسي:

ذاك الامام المرتضى إن غدر القوم وفى

قال تعالى:

﴿ لا يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ لَمْ يُقاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخرِجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطينَ ﴾[٤].

﴿ إِنَّما يَنْهاكُمُ اللهُ عَنِ الَّذينَ قاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ وَظاهَرُوا عَلىٰ إِخْراجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولٰئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ ﴾[٥].

بل انّ القرآن دعا أهل الكتاب إلى التعايش السلمي مع المسلمين في قوله تعالى:

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تاريخ اليعقوبي: ج ٢، ص ٣٩٢.

(٣) مجموعة ورّام: ج ٢، ص ١٢١.

(٤) سورة الممتحنة: الآية ٨.

(٥) سورة الممتحنة: الآية ٩.

﴿قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إِلىٰ كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

ولقد أشرنا فيما مضى الى ان «حق الحج» لم يكن في نص الرسالة في كتاب «تحف العقول» ولكنّا نقلناه من نسخة الرسالة في كتاب «مكارم الأخلاق» فيكون تسلسل المواد الحقوقيّة (٥١) مادّة الّا اننا دمجنا بين حق المدّعي وحق المدّعىٰ عليه في مادّة واحدة فكان تسلسل المواد جميعاً (٥٠).

وقد جاء في ختام الرسالة قول الامام السجاد عليه السلام:

«فَهَذِهِ خَمْسُونَ حَقّاً مُحِيطاً بِكَ لا تَخْرُجْ مِنْهَا فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَجِبُ عَلَيْكَ رِعَايَتُهَا وَالْعَمَلُ فِي تَأْدِيَتِهَا وَالاسْتِعَانَةُ بِاللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ عَلَى ذَلِكَ وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ».

الفَهْارَس الفَنيِّة العَامَّة

١ - فهرس الآيات

٢ - فهرس الأَحاديث

٣ - فهرس المصادر

فهرس الآيات

الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ... ﴾	الفرقان	٢٧ ـ ٢٨	٤٨٣
﴿ هَلْ جَزاءُ الْإِحْسانِ إِلاَّ الْإِحْسانُ ﴾	الرحمن	٦٠	٤٤٨
﴿ هُمُ الَّذينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ... ﴾	الفتح	٢٥	٣١٥
﴿ هُنَّ لِباسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِباسٌ لَهُنَّ ﴾	البقرة	١٨٧	٢٣١
﴿ هُوَ الَّذي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدىٰ وَدينِ الْحَقِّ ﴾	الفتح	٢٨	٥١
﴿ هُوَ الَّذي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتابَ مِنْهُ آياتٌ مُحْكَماتٌ... ﴾	آل عمران	٧	٣٩٣
﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ واحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْها زَوْجَها... ﴾	الأعراف	١٨٩	٣٧٥
﴿ هُوَ الَّذي خَلَقَ لَكُمْ ما فِي الْأَرْضِ جَميعاً ﴾	البقرة	٢٩	٤٩٤
﴿ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فيها ﴾	هود	٦١	٤٩٤
﴿ يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعي... ﴾	الفجر	٢٧ ـ ٣٠	١١٥
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَذَرُوا ما بَقِيَ مِنَ الرِّبا... ﴾	البقرة	٢٧٨ ـ ٢٧٩	٥٠٦
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا إِذا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ... ﴾	المائدة	٦	٢٠٤
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ ﴾	المائدة	١	١٤٧
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ... ﴾	البقرة	١٨٣	٢٦٩
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا كُونُوا قَوّامينَ لِلهِ شُهَداءَ... ﴾	المائدة	٨	٣٦٠
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ... ﴾	النساء	٢٩	٤٤١
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُبْطِلُوا صَدَقاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذىٰ... ﴾	البقرة	٢٦٤	٣٠٣
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحِلُّوا شَعائِرَ اللهِ... ﴾	المائدة	٢	٣١٤
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تَقْتُلُوا الصَّيْدَ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ... ﴾	المائدة	٩٠	٣١٤
﴿ يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ... ﴾	الحجرات	١١	١٤٣
﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ ما لا تَفْعَلُونَ... ﴾	الصف	٢ ـ ٣	٢٢
﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذي خَلَقَكُمْ... ﴾	البقرة	٢١	٨٤
﴿ يا أَيُّهَا النّاسُ إِنّا خَلَقْناكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثىٰ... ﴾	الحجرات	١٣	١٢

فهرس الأحاديث

فهرس المصادر

١ ـ *قرآن كريم*.

٢ ـ *نهج البلاغة*، ترجمه و شرح فيض الاسلام.

٣ ـ *نهج البلاغة*، تحقيق دكتر صبحي الصالح.

٤ ـ *نهج البلاغة*، ترجمه دكتر شهيدى.

٥ ـ *صحيفة السجاديّة*،

٦ ـ *الامام الصادق والمذاهب الأربعة*، أسد حيدر.

٧ ـ *اثنى عشرية فى المواعظ العددية*، سيد محمد حسن الحسيني العاملى.

٨ ـ *اخلاق وتعليم و تربيب اسلامى*، زين العابدين قربانى.

٩ ـ *آداب تعليم وتعلّم در اسلام*، دكتر سيد محمد باقر حجتى.

١٠ ـ *آداب نماز*، سيد روح الله خمينى.

١١ ـ *الارشاد*، محمد بن محمد بن نعمان، شيخ مفيد.

١٢ ـ *ارشاد القلوب*، شيخ أبي محمد حسن بن محمد ديلمى.

١٣ ـ *أسفار اربعه*، صدر المتألهين، محمد بن ابراهيم شيرازى.

١٤ ـ *اسلام و حقوق بشر*، زين العابدين قربانى.

١٥ ـ *اصول روانشناسى*، نرمان ل. مان.

١٦ ـ *اصول كافى*، محمد بن يعقوب كلينى.

١٧ ـ *اعجاز خوراكيها*، دكتر غياث الدين جزايري.

١٨ ـ *أعلام النساء*، دكتر عمر رضا كحالة.

۱۹ ـ *أقرب الموارد فی فصح العربیة والشوارد* ، سعید الخوری ، علامه شر تونی .

۲۰ ـ *اهمیت روزه از نظر علم روز* ، صبور اردباری .

۲۱ ـ *اولین دانشگاه* ، دکتر سید رضا پاک نژاد .

۲۲ ـ *بحار الأنوار* ، محمد باقر مجلسی .

۲۳ ـ *بلغة الفقیه* ، سید محمد آل بحر العلوم .

۲۴ ـ *تاریخ تمدن اسلام* ، جرجی زیدان .

۲۵ ـ *تمدن اسلام وعرب* ، گوستاولوبون .

۲۶ ـ *تاریخ پیامبر اسلام* ، دکتر محمد ابراهیم آیتی .

۲۷ ـ *تاریخ یعقوبی* ، احمد بن ابی یعقوب یعقوبی .

۲۸ ـ *تتمة المنتهی* ، شیخ عباس قمی .

۲۹ ـ *تحریر الوسیلة* ، روح الله خمینی .

۳۰ ـ *تحف العقول* ، شی ابو محمد حسین بن علی بن حسین ، ابن شعبه حرانی .

۳۱ ـ *ترجمه و شرح رسالة الحقوق* ، محمد سپهری .

۳۲ ـ *تطبیق در حقوق جزای عمومی اسلام* ، دکتر علیرضا فیض .

۳۳ ـ *تفسیر برهان* ، علامه بحرانی .

۳۴ ـ *تفسیر روح البیان* ، اسماعیل حقی .

۳۵ ـ *تفسیر صافی* ، ملا محسن فیض کاشانی .

۳۶ ـ *تفسیر کبیر* ، ابو عبدالله محمد بن عمر ، فخر رازی .

۳۷ ـ *تفسیر مجمع البیان* ، ابو علی فضل بن حسن ، طبرسی .

۳۸ ـ *تفسیر نمونه* ، جمعی از نویسندگان .

۳۹ ـ *تفسیر نور الثقلین* ، شیخ عبد علی بن جمعه حویزی .

۴۰ ـ *تفسیر المیزان* ، سید محمد حسین طباطبائی .

۴۱ـ *جواهر الكلام*، شيم محمد حسن نجفى.

۴۲ـ *حج برنامهٔ تكامل*، سيد محمد ضياء آبادى.

۴۳ـ *الحديث (احاديث گفتار فلسفى)*، مرتضى فريد.

۴۴ـ *الحقائق*، ملا محسن فيض كاشانى.

۴۵ـ *حقوق بين المللى خصوصى*، دكتر سيد جلال الدين مدنى.

۴۶ـ *حكمت الهى عام و خاص*، محى الدين مهدى الهى قمشه‌اى.

۴۷ـ *الحياة*، محمد رضا ومحمد وعلى حكيمى.

۴۸ـ *حياة الحيوان الكبرى*، محمد كمال الدين دميرى.

۴۹ـ *الخلاف*، ابو جعفر محمد بن الحسن، شيخ طوسى.

۵۰ـ *درآمدى بر حقوق اسلامى*، دفتر همكارى حوزه و دانشگاه.

۵۱ـ *رسالهٔ توضيح المسائل*، سيد ابوالقاسم خوئى.

۵۲ـ *روح القوانين*، منتسكيو.

۵۳ـ *روزه روش نوين درمان بيماريها*، آلكسى سوفورين.

۵۴ـ *روضا الجنّات*، سيد محمد باقر خوانسارى.

۵۵ـ *زنان قهرمان*، دكتر احمد بهشتى.

۵۶ـ *سرمايه سخن*، سيد محمد باقر سبزوارى و محمد ابراهيم آيتى.

۵۷ـ *سفينة البحار*، محدث قمى.

۵۸ـ *الشافى*، فيض كاشانى.

۵۹ـ *شرايع الاسلام*، ابوالقاسم نجم الدين جعفر بن الحسن، محقق حلى.

۶۰ـ *شرح رسالة الحقوق*، سيد على قبانچى.

۶۱ـ *شرح غرر الحكم ودرر الكلم*، جمال الدين محمد آقا جمال خوانسارى.

۶۲ـ *شرح گلشن راز*، شيخ محمد لاهيجى.

۶۳ـ شرح لمعه ، زين الدين العاملی ، شهيد ثانی .

۶۴ـ شرح نهج البلاغه ، أبو حامد عزالدين ، ابن أبي الحديد .

۶۵ـ عذر تقصير به پيشگاه محمد وقرآن ،

۶۶ـ عروة الوثقی ، سيد محمد كاظم يزدی .

۶۷ـ علل الشرايع ، محمد بن علي بن بابويه ، شيخ صدوق .

۶۸ـ علم اخلاق اسلامی (ترجمه جامع السعادات) ، ملا محمد مهدی نراقی .

۶۹ـ عيون أخبار الرضا ، شيخ صدوق .

۷۰ـ فرهنگ بزرگ جامع نوين ، احمد سياح .

۷۱ـ فروع كافی ، محمد بن يعقوب ، شيخ كلينی .

۷۲ـ قاموس قرآن ، سيد علی اكبر قريشی .

۷۳ـ القاموس المحيط ، مجد الين محمد بن يعقوب فيروزآبادی .

۷۴ـ قواعد الأحكام ، جمال الدين حسن بن يوسف علی بن مطهر ، علامه حلی .

۷۵ـ كار وحقوق كارگر ، قرشی شريف .

۷۶ـ الكامل فی التاريخ ، علی بن أبي الكرم ، ابن أثير .

۷۷ـ كتاب البيع ، روح الله خمينی .

۷۸ـ كتاب مقدّس ،

۷۹ـ كشف الغمة ، علی بن عيسی بن أبي الفتح اربلی .

۸۰ـ كشكول طبسی ، طبسی .

۸۱ـ كفاية الاصول ، ملا محمد كاظم ، آخوند خراسانی .

۸۲ـ كفاية الموحّدين ، سيد اسماعيل طبرسی نوری .

۸۳ـ كيميای سعادت ، ابو حامد محمد طوسی ، غزالی .

۸۴ـ گفتار فلسفی (كودک) ، محمد تقی فلسفی .

٨٥ ـ *گفتار فلسفى (جوان)* ، محمد تقى فلسفى.

٨٦ ـ *گفتار فلسفى (بزرگسال و جوان)* ، محمد تقى فلسفى.

٨٧ ـ *گفتار فلسفى (سخن و سخنورى)* ، محمد تقى فلسفى.

٨٨ ـ *گناهان كبيره* ، سيد عبدالحسين دستغيب.

٨٩ ـ *لؤلؤ و مرجان* ، ميرزا حسين محدث نورى.

٩٠ ـ *اللعمة الدمشقية* ، محمد بن مكى العاملى ، شهيد اول.

٩١ ـ *مبانى تكملة المنهاج* ، سيد ابوالقاسم خويى.

٩٢ ـ *مجله مكتب اسلام* ، جمعى از نويسندگان.

٩٣ ـ *مجمع البحرين* ، شيخ فخرالدين طريحى.

٩٤ ـ *مجموعة ورّام* ، ورام بن أبي فراس ورام.

٩٥ ـ *محجّه البيضاء* ، فيض كاشانى.

٩٦ ـ *مختصر النافع* ، محقق حلى.

٩٧ ـ *مرآة العقول* ، علامه مجلسى.

٩٨ ـ *مرآة الكمال* ، ملا عبدالله مامقانى.

٩٩ ـ *مروج الذهب* ، ابوالحسن على بن الحسين مسعودى.

١٠٠ ـ *مستدرك الوسائل* ، محدث نورى.

١٠١ ـ *مستمسك العروة* ، سيد محسن حكيم.

١٠٢ ـ *المفردات فى غريب القرآن* ، ابوالقاسم حسين ، راغب اصفهانى.

١٠٣ ـ *مقدمه* ، عبدالرحمن المغربى ، ابن خلدون.

١٠٤ ـ *معانى الأخبار* ، شيخ صدوق.

١٠٥ ـ *مكارم الأخلاق* ، شيخ محمد بن الحسن الفضل ، طبرسى.

١٠٦ ـ *مكاسب* ، مرتضى انصارى.

١٠٧ ـ *مناقب*، ابن شهرآشوب.

١٠٨ ـ *منتهى الآمال*، محدث قمی.

١٠٩ ـ *المنجد*، اب لويس معلوف اليسوعی.

١١٠ ـ *مبانی توحيد از نظر قرآن*، جعفر سبحانی.

١١١ ـ *منهاج الصالحين*، سيد ابوالقاسم خوئی.

١١٢ ـ *منية الطالب*، شيخ موسی نجفی خوانساری.

١١٣ ـ *منية المريد*، شهيد ثانی.

١١٤ ـ *ميزان الحكمة*، محمد محمدی ری شهری.

١١٥ ـ *نگاهی به تاريخ جهان*، جواهر لعل نهرو.

١١٦ ـ *النهاية فی غريب الحديث والأثر*، مجدالدين أبی السعادات محمد الجزری، ابن اثير.

١١٧ ـ *نهج الفصاحة*، ابوالقاسم پاينده.

١١٨ ـ *وسائل الشيعة الی تحصيل مسائل الشريعة*، شيخ محمد بن الحسن، حر عاملی.

المحتويات

حقوق الأعضاء البدنيّة

حقوق الأفعال العباديّة

حقوق الأقارب

الحقوق العامّة